ܒܝܬ ܡܪܕܘܬܐ

ܕܡܠܦܢܐ ܓܘܪܓܝ ܒܪ ܐܢܛܘܢ ܕܒܝܬ ܟܝܪܐܙ

Ex Libris

Beth Mardutho Library

The Malphono George Anton Kiraz Collection

ܟܠ ܐܢܫ ܕܫܐܠ ܠܗ ܠܟܬܒܐ ܗܢܐ ܡܢ ܒܝܬ ܓܙܐ
ܐܘ ܦܣܩ ܡܢܗ ܡܕܡ ܢܗܘܐ ܡܫܡܬܐ ܒܝܬ ܥܡܡܐ
ܘܫܒܩܐ ܡܢ ܟܢܫ ܡܠܟܘܬܐ ܘܫܡܝܐ ܕܝܫܘܥ ܢܦܠ ܐܘ
ܠܟܠ ܠܗ ܣܦܪܐ ܥܠ ܕܝܫܘܥ ܢܗܘܐ ܠܗ ܣܦܪܐ ܒܝܬ
ܓܢܝܙܘ ܟܬܒܐ ܕܢܦܩ ܠܗ ܠܚܘܒܠܗ܀

Anyone who asks for this volume, to read, collate, or copy from it, and who appropriates it to himself or herself, or cuts anything out of it, should realize that (s)he will have to give answer before God's awesome tribunal as if (s)he had robbed a sanctuary. Let such a person be held anathema and receive no forgiveness until the book is returned. So be it, Amen! And anyone who removes these anathemas, digitally or otherwise, shall himself receive them in double.

ܡܫܡܫܢܐ ܓܘܪܓܝܣ ܐ. ܟܝܪܙ
الشماس جورج انطون كيراز
DEACON GEORGE ANTON KIRAZ

تاريخ

بيت لحم ★ بيت جالا ★ بيت ساحور

« أفراتا »

المؤلف

الدكتور توما بنوره

• حقوق الطبع محفوظة للمؤلف •

١٩٨٣

مطبعة المعارف ـ القدس

اهـــــــــداء

الـــى شريكـــة حياتـــي وولـــــــدىّ

ســــوزان وسامـــــــي

المقدمـــــة

افرانا منطقة بيت لحم العريقة في القدسية والقدم ، مهد المسيحية ، محط الانظار وامنية الملايين ان ترمقها مقلهم وتطأ ثراها اقدامهم ، قاست الكثير وصمدت للاحداث .

حاولت جمع اخبارها وتدوين الاحداث فيها عصرا عصرا ما استطعت شاكرا كل من ساعد بخبر او روى قصة او جمع شجرة عائلة او سهل عليّ الوصول الى مصدر مكتوب او صورة نادرة .

راجيا من الاجيال الصاعدة اكمال البحث وسد النقص لتتم المعرفة وتعم ويعتز كل بنسبه وتنطلق جذوره في الارض ممسكة بكل ذرة تراب للحفاظ عليها قدسية طاهرة

كما اهيب بالسلطات والمؤسسات المحلية انشاء متحف للاثار ليظهر الماضي ويبسط الحاضر. ولكل عصر آثاره الناطقة فلنسمعها تروى القصة الخالدة في صفحات هذا الكتاب .

الدكتور توما بنورة
١٩٨٢

بيـــت لحـــم

ان اردنا التعرف على منطقة او بلد علينا ان ندرس مكانها ومحيطها ، مناخها وطبيعة ارضها ومنتوجاتها من زراعية وحيوانية . كذلك متى نشأت وكيف . والعوامل التي ساعدت على نمو الحياة فيها ، وعلاقتها ،بالتاريخ وتأثير الحوادث التاريخية فيها . اسباب شهرتها والامم التي سكنتها وتقلبت بحضاراتها ومصائرها عليها .
والان أين تقع بيت لحم ، ما هي افراتا ؟

تقع بيت لحم في الهضبة الكنعانية الوسطى الواقعة غربي البحر الميت وشرق السهل الساحلي للبحر الابيض المتوسط ، هذه الهضبة الممتدة من شمالي اورشليم اليبوسية حتى جنوب حبرون الكنعانية . وتزيد في طولها عن خمسة وثلاثين ميلا اما العرض فبين الاربعة عشر والسبعة عشر ميلا . تنتهي غربا بحافة السلسلة الجبلية حيث تبدأ المنحدرات المعروفة سابقا بالارض السفلى حتى الساحل . ومن الشرق تنتهي بمنحدر شاهق يزيد عن ١٧٠٠ قدم حيث ينتهي بالصحراء . وعرفت هذه الهضبة لاحقا بهضبة جبال اليهودية وفيها تقع اهم المدن كما فيها معظم السكان .

تتكون معظم ارضها من تربة كلسية صخرية كانت حتى عهد قريب تخلو من الاشجار والمزروعات الهامة ، تكثر فيها الاشواك والحشائش وشجيرات البلوط المبعثرة بين الصخور بعد ان اشتهرت باحراجها زمن الكنعانيين . والمنطقة فقيرة بالينابيع ، لكنها خصبة مثمرة بالعمل والرى الصناعي كما تظهر آثارها ومدرجات سفوح جبالها وبقايا خربها . (١)

وتهمنا بالاخص جبال منطقة بيت لحم . فهي مدببة الرؤوس عريضتها ، عارية تفصلها وديان منها الواسع ومنها الضيق . ويتراوح ارتفاع الجبال الى الغرب من بيت لحم عند "الخضر" من ٨٦٠ مترا عن سطح البحر الى ٧٧٧ مترا لبيت لحم نفسها اما دير مار سابا شرق بيت لحم فيرتفع الى ٢٥٠ مترا . (٢)

معظم هذه الجبال والوديان قابل للزراعة والاستيطان . وتدل الخرب الكثيرة المنتشرة فيها على مجد وازدهار سالف . كما اخذت تدب فيها الحياة من جديد .

المناخ : تقع ارض كنعان التي تدعى فيما بعد "بالارض المقدسة" و"فلسطين" ، في

المنطقة المعتدلة بين خطي عرض ٣١ و ٣٣ شمالا . ولهذا فمناخها معتدل . ويقل اختلاف طول الليل والنهار طوال العام ، فتشرق الشمس في اطول ايام السنة حوالي الخامسة صباحا وتغرب بعد السابعة مساء . اما في اقصر الايام فتشرق قبل السابعة وتغرب قبل الخامسة مساء .

اما درجة الحرارة فتختلف باختلاف طبيعة الارض وارتفاعها عن سطح البحر او بالعكس . فاعلى درجة حرارة هي في واد الاردن (الغور) لانحصار الحرارة بين الجبال الشاهقة المحيطة بهذا المنخفض السحيق (٤٠٠ متر تحت سطح البحر) وتمنع الجبال وصول الرياح الغربية لتبرد اجواءه في الصيف . لذا تنضج الفاكهة فيه قبل المناطق الاخرى بحوالي اربعة اسابيع . اما مناخ الجبال فمعتدل منعش يندر اشتداد الحر فيه صيفا الى درجة لا تطاق سوى لايام قلائل . فمناخ جبال القدس وبيت لحم والخليل لا يختلف عن مناخ مناطق اوروبا وامريكا المعتدلة سوى باوقات الشتاء والجفاف ، لا بدرجة الحرارة (٣) .

وفي فلسطين فصلان فقط من فصول السنة هما الصيف والشتاء ، يبدأ الشتاء من منتصف الى اواخر شهر تشرين الاول (اكتوبر) حتى نهاية نيسان او أوائل ايار ، اى حوالي ١٥٠ ــ ٢٠٠ يوم ، تنقص وتزيد حسب السنين والمواقع ان كانت ساحلية او داخلية . فتتراوح ايام الشتاء في القدس وبيت لحم بين ٨٠ ــ ٢٠٤ ايام أما كميات الامطار فتزداد في الجبال عن الشواطئ فتصل في القدس وبيت لحم الى ٦٣٠ ملمترا بعض السنين ، وقد سقطت الثلوج في الربع الاول من القرن العشرين حوالي خمس عشرة مرة (٤) . بينما اليوم فتسقط الثلوج سنويا وعدة مرات احيانا . اما الرطوبة الجوية فتتراوح بين ٥٠ ــ ٩٠ بالمئة شتاء ، تسقط الى ٣٠ بالمئة صيفا والى ما تحت ١٠ بالمئة ايام الخماسين .

ومعدل درجة الحرارة السنوية في منطقة القدس بيت لحم يصل الى ١٧٫٥ مئوية ، بينما تصل اعلى درجة صيفا الى ٤٥ وادناها شتاء (ــ ٥ ر٧ درجة) . وابرز الفروق في الحرارة في هذه المنطقة هو في الشتاء ، بينما الصيف أثبتها . وتتفاوت درجة الحرارة بين الليل والنهار احيانا بين ٨ ــ ٢٠ د مئوية وهذا ما يضر بصحة السكان . ويتكون الجليد في ٣٫٦ من الايام في العام . وتشتد الرياح والعواصف مدة عشرين يوما في الشتاء .

وينحصر هطول الامطار عندنا ما بين اواخر فصل الخريف مع فصل الشتاء ، اما فصل الصيف فيبدأ من نيسان حتى تشرين الاول ٠ ومن عاد الى العهدين القديم والجديد في التوراة ، لا يجد لفصلي الربيع والخريف ذكرا او تحديدا فيها ٠ ويهطل المطر على فترات يتخللها صحو لمدد مختلفة تسمح للفلاح بذر حبوبه ٠

ومن خصائص هذه البلاد والمهم لخصب منتوجاتها هو الشتاء المبكر ثم المطر المتأخر وهو ما يسقط في اشهر شباط حتى نيسان ٠ فهذا ينضج فاكهة الشتاء ، كما تزرع في هذه الفترة فواكه وخضراوات الصيف ٠

ويحدث ان تهطل زخات قوية من الامطار مصحوبة بالرعود ، فتجرى الوديان وتفيض السيول عن مجراها ٠ وقد حفر الاقدمون لهذه المياه الفائضة بركا عديدة خزنوا فيها المياه لايام الجفاف لهم ولمواشيهم ومزروعاتهم ٠ منها الماثل امامنا كبرك سليمان والعروب والقدس وغيرها طمر وحفظ او اندثر وزال ٠

وهاكم معدل عدد الايام الماطرة على مدار العام في منطقتنا : (٣) ، (٥) ٠

كانون ثاني	١١ر٩ يوم	نيسان	٥ر١ يوم	تموز	٠ يوما	تشرين الاول	١ر٦ يوم
شباط	١٠ر٥ يوم	ايار	١ر٦ يوم	آب	٠ يوما	تشرين الثاني	٦ر٤ يوم
آذار	٨ر٩ يوم	حزيران	٠ر١ يوم	ايلول	٠ يوما	كانون الاول	٩ر٨ يوم

ولعدم وجود مطر دائم او غزير ، او نبع او نهر في البلاد ، كانت تشح المياه عادة في الصيف مما حدا بسكان هذه البلاد الى حل هذه المشكلة الحيوية بحفر الابار لجمع ماء الشتاء فيها ليشربوها مع حيواناتهم في الصيف والشتاء ٠ لذا تجد الابار الكنعانية والاسرائيلية والرومانية واليونانية والعربية من اقدم العصور حتى اليوم ٠ منها المحفور كليا في الصخر وآخر قسم منه محفور وقسم مبني بالحجارة ومقصور بالملاط بدقة ٠ والابار مختلفة الاشكال ، منها المستدير والمربع والمستطيل والاجاصي الشكل ، ومنها المسقوف ومنها ما تعضد سقفه اعمدة وغيرها مفتوحة ولها درجات للنزول اليها ٠ ومنطقة بيت لحم غنية بمثل هذه الابار القديمة كالابار الثلاثة امام كنيسة الميلاد وآبار النبي داود وبئر السيدة في وسط بيت ساحور وكثير غيرها تنطق بقلة الماء وجهد الاقدمين ٠ كما تدل

على ان المنطقة كانت عامرة مكتظة بالسكان . ولم تكن مدة الشتاء اطول ولا عدد الايام الماطرة اكثر في القديم لكن كمية المطر اكثر وتحفظ الرطوبة في الارض أطول لوجود الغابات والمزروعات التي زالت مع الزمن والشعوب .

ولما كانت القدس وبيت لحم خاليتين من مصدر ماء دائم . مد الاقدمون الاقنية من الجنوب حيث الينابيع ، مارة بتقوع فبيت لحم الى القدس لتزويدها بالماء .

من سكن هذه البلاد ؟

عرفت هذه البلاد بارض كنعان حتى عهد الرومان فدعيت بفلسطين حتى اليوم وكانت تمتد من هضبة الجولان شمالا الى سيناء بموازاة الحد الجنوبي للبحر الميت جنوبا والبحر البيض المتوسط غربا اما من الشرق فالصحراء السورية .

اما الامم التي سكنتها فمتعددة ، نعرفها من الاثار والبقايا التي تركتها ، ومن الرسائل الفخارية التي اكتشفت في تل العمارنة بمصر ورأس شمرة في شمال سوريا ومارى في العراق ، نقرأ الكثير عن الحياة السياسية والاجتماعية لتلك الاقوام ، ويوم تسلطت مصر في عهد توطموسيس الثالث من السلالة الثانية عشرة حوالي ١٨٠٠ ق.م على هذه البلاد .

وذكرت رسائل تل العمارنة الفخارية الموجودة في برلين ، مئة وثمانية عشر اسما من المدن الكنعانية التي خضعت لمصر ومنها اورشليم وما يتبعها اداريا الى الجنوب ، بيت لحم .

وتحدثنا الاثار والمخطوطات التي تركتها هذه الشعوب عن مدى رقيها وحضارتها وصناعتها . فالفخار باشكاله الجميلة وغاياته المختلفة ونقوشه وتلاوينه الجميلة والحلي والمزينات ، والبيوت السكنية واقنية الماء والبرك والابار والاسوار المحيطة بالمدن والقرى لحمايتها . كل هذا ينطق بحضارة راقية وحياة منظمة وتجارة مزدهرة وأمن مستتب وحماية من هجمات الشعوب المجاورة .

وتشمل التسمية "كنعانيون" اقواما متعددة عرفت باسماء قبائل متعددة كاليبوسيين

والكينيين والفرزيين والحويين وغيرهم الا انهم من مصدر واحد ، وان تشعبوا واختلطت اخبارهم واختلفت اماكنهم .

كذلك اظهرت الاثار والمخطوطات ان امما اخرى غير معروفة المصدر ولا الاصل وغير سامية ، كانت تسكن هذه البلاد قبل الكنعانيين (٦) ربما كانت هندوايرانية او هندوجرمانية كما دلت الاثار على وجود نفس البقايا والاسماء في ارض ما بين النهرين . اما حضارتهم فكانت فطرية احط بدرجات من حضارة الكنعانيين ، سميت بالحّريين وهم من سكان المغر . اكتشفت اسلحتهم ومعداتهم الصوانية المختلفة في وديان بيت لحم ومنعطفات تقوع . ويرجع تاريخهم الى ما قبل خمسة آلاف سنة خلت .

وهكذا تعرضت البلاد لزحف شعوب اجنبية غير سامية في الفترة التي اجتاحت فيها شعوب ملوك الرعاة ، الهكسوس ، بلاد مصر وتسلطت عليها ما بين القرن الثامن عشر والخامس عشر قبل الميلاد (١٧١٠ ــ ١٤٨٠ قم) . والمعتقد انها زحفت من داخل اسيا الى بين النهرين وفيها هذه العناصر الغريبة من خريين وهندوايرانيين ، اخذوا اللغة والدين عن الساميين (٦٣) وجلب الهكسوس استعمال العربة المجرورة بالخيل الى البلاد المحتلة ، فاصبحت فيما بعد وسيلة حرب جديدة استعملتها شعوب هذه المناطق .

وتسلمت السلالة المصرية الثامنة عشر الحكم في مصر وسوريا في القرن السادس عشر قبل الميلاد (١٥٨٠ قم) وذكر حاكم دولة اورشليم "عبدى حيبا" في كتاب الى سيده ملك مصر امنيوفس الرابع المدعو اخناتون (١٣٧٠ ــ ١٣٥٩ قم) اسم قبائل "الخابيرو" قائلا انهم غرباء مرتزقة يجولون البلاد طلبا للخدمة والعمل عند اصحاب البلاد الكنعانيين . كما يشكو من تنكر الحكام المجاورين للولاء وتشجيعهم الاعداء . وكانت الرسالة مكتوبة باللغة البابلية الاكاديشية المسمارية على صفيحة فخارية . وظهر ان الكاتب كنعاني لا يجيد اللغة تماما لما فيها من اخطاء (٧) وهاكم نص الرسالة :

الى سيدى الملك يتكلم عبد خيبا خادمك

امام سيدى الملك اسقط سبع وسبع مرات . ماذا فعلت بسيدى الملك ، يتهمونني امام الملك "عبد حيبا" مهمل من الملك سيده . انظر ، لا ابي ولا امي اجلساني في هذا المكان بل يد سيدى الجبارة قادتني اليه في بيت ابي ، فلماذا اتمرد على ملكي وسيدى . ما دام سيدى الملك حيا سأقول لنائبه لماذا تحبون "الخابيرو" وتبغضون الملك ؟ ولكن يتهمونني بالتمرد على سيدى لاني اقول سيخسر بلاده سيدى الملك .

وليكن معلوما عند سيدى ان جيش الاحتلال الذى اعده قد اخذه "انخامو" لذا فليهتم الملك ببلاده اذ انسلخت كل بلاد سيدى . ان "ميكلي" يدمر بلاد الملك ، لذا ارجو ان يرى الملك ضرورة ارسال جيش احتلال . ان الخابيرو يدمرون كل بلاد الملك . ان وصلت الجيوش هذا العام فستبقى بلاد سيدى الملك له ، وان لم تحضر ضاعت جينئذ بلاد الملك سيدى .

ملحق : ادخل هذه الكلمات بوضوح الى الملك سيدى :"ستضيع كل املاك سيدى الملك" . (٦٢)

ولربما كان يعني "بالخابيرو" قوم العبرانيين مع ان التاريخ لم يوضح ذلك . ودام الحكم المصرى في البلاد قرابة مئتي عام . بينما بدأ قوم بحرى قادم من بحر ايجة وجزيرة كريتا يقترب من سواحل البلاد مهددا شمال مصر وشواطئ فلسطين وسهولها الجنوبية الغربية حوالي عام ١٢٠٠ قم . وتمكن رمسيس الثالث من ابعادهم عن مصر ، لكنهم تمكنوا من الاستيطان في سواحل وسهول جنوب ارض كنعان . وعرفت هذه الامة بالفلسطينيين . بينما استوطن شواطئ البلاد الشمالية شعب آخر جاءها من بين النهرين وهو الفينيقيون وهم كنعانيون ايضا .

وبدأ استيطان القبائل البدوية العبرانية في رؤوس الجبال والمراعي والاماكن الجرداء الخالية من السكان ، ولذا بدأ النزاع بين قبائل رحل تطلب لقمة العيش والاستيطان وامة عريقة في الحضارة قوية متنعمة تسكن السهول والاودية الخصبة ومع الزمن تمكنت القبائل الفطرية المتعطشة للعيش والحياة من دحر القبائل المتباعدة والمتنافرة والمتحضرة وبالاخص في جنوب البلاد . واخذ العبرانيون اللغة والكتابة والصناعات والتجارة وعبادة الالهة عن الكنعانيين . اما في الشمال فبقي الكنعانيون سادة الارض واجبروا العبرانيين على الحياة معهم (٨) واذابوهم في مجتمعهم فاصبح الغالب مغلوبا والمغلوب غالبا .

وضعفت سلطة المصريين في عهد السلالة التاسعة عشر حوالي عام (١١٥٠ قم) وانشقت عنها معظم المستعمرات ولم يبق سوى بعض المدن موالية لفرعون كمجدو (تل المتسلم) وجبيل (قبله) (٦) كما انقرضت بعض المدن الكنعانية بانقراض سكانها على يد العبرانيين .

وتمركز العبرانيون في جنوب ارض كنعان من اورشليم حتى قرية اربع (الخليل)

وعرفت القبائل التي تمركزت حول بيت لحم بعشيرة يهوذا ، وكان مركزها بيت لحم . ولم يذكر التاريخ كيف اصبحت بيت لحم في حوزة عشيرة يهوذا وهي المدينة الكنعانية المحصنة والتي بقيت حقبا من الزمن تابعة لاورشليم اليبوسية ويسكنها حاكم يبوسي صغير (٦) وعرفت منطقة يهوذا فيما بعد من اورشليم حتى حبرون جنوبا . وكان افراد عشيرة يهوذا يجتمعون في اعيادهم الدينية في بيت لحم لتقديم الضحايا لالهتهم (صموئيل الاول ٢٠ : ٢٩) (٩) . وقلد الاسرائيليون اسلافهم الكنعانيين في تقدمه قرابينهم في نفس اماكن مقدسات الكنعانيين .

ولم تعرف مدن هامة في الهضبة الوسطى زمن الكنعانيين بل قرى متناثرة . فمن ألغرب قرية جياريم (دير الازهر او ابو غوش) غربي القدس وكانت مركزا دينيا للبعل ثم تقوع جنوب بيت لحم . اما وسط الهضبة وهو المنطقة الخصبة التي تأوى معظم السكان وفيها باقي المدن ، فكانت على امتداد الطريق التجارى الواحد من الجنوب حيث بئر السبع فقرية سفر المعروفة في التوراة بدابر ، ثم حبرون فبيت لحم واورشليم الى بثيل (برج بيتين) شمالا (١) وكانت هذه الاماكن تحوى المعابد والمقدسات الكنعانية قبل دخول العبرانيين اليها .

وكانت بيت لحم المدينة الاولى على الطريق الفرعي المار الى قلعة هيروديوم فعين جدي فمصعدة زمن الرومان . وربما من هناك بمخاضات وقوارب تقطع البحر الميت الى اللسان لتسير في طريق مواز في مرتفعات موآب شرقا . (٢٤)

وذكر التاريخ المدون في رسائل تل العمارنة من القرن الرابع عشر قبل الميلاد مدينة بيت لحم في ذكر قتال نشب الى الجنوب من اورشليم في بيت "ايلي لاحاما" (١) .

وبيت لحم بلد قديم سبق التاريخ . فقد عثر صدفة عن فصل من تاريخه بضربة معول فحدث ان عثر اثناء حفر بئر ماء الى الغرب من مدرسة مار يوسف الباطن للبنات وفي المرتفع الغربي للبلدة عام ١٩٣٤ م وعلى عمق خمسة عشر مترا على بقايا عظام احد عشر نوعا من حيوانات ما قبل التاريخ . منها ثمانية انواع انقرضت تماما وتنتمي للعصر اليوبجتيرسيان (ما فوق الستة آلاف عام) كما وجدت اسلحة صوانية في نفس الموقع لا ندرى ان كانت قد صنعت هنا ومن سكان بيت لحم آنذاك (١٠)

من أين اخذت بيت لحم اسمها ؟

كان في هذا الموقع مكان عبادة كنعاني وكان يدعى بيرات اربع او برج اربع ، دعي باسم جد الكنعانيين . فتوارث الاسرائيليون المكان والتقاليد فقدموا الذبائح لالهم يهوه في برج اربع ، ويعزو البعض تسمية المدينة بيت لحم بسبب وجود مائدة التقدمة في هذا المكان (صموئيل الاول ٩ : ١٢ ، ٢٠ : ٦ ، ٢٩) . ويسمى تلمود اورشليم المغارة الكبيرة في افراتا باسم جد الادوميين والعرب الذين ينتمي لهم الكميتيون والكنسيتيون وينتسب لهم كالب . فنقرأ في "مدراش ايكا رباني" (٦٨:٣) "في بيرات اربع في اليهودية يأتي المسيا للعالم" . وتشير الملاحظة التابعة ان بيرات اربع هي مكان في بيت لحم وتدعى كذلك "بيرات ملكا" الى برج الملك . وتذكر "اخبار الايام الاولى في التوراه (١١ : ١٦) "وكان داود حينئذ في الحصن بينما جنود الفلسطينيين يحاصرون بيت لحم (٧٠)، (٩) .

وذكر تومكينز (Tomkins) في مجلة مؤسسة الاثار الفلسطينية الربع سنوية (١) ان المكان كان مركزا لاله الخصب الكلداني "لاحمو" . وذكرته رسائل تل العمارنة باسم بيت ايلي لاحاما . وكان الكنعانيون يقيمون البيوت لالهتهم اينما اعتقدوا بوجودها وكانت منطقة بيت لحم بسهولها الخصبة اهلا ان يسكنها اله الخصب . فبنوا له معبدا يطل على السهول دعي "بيت ايلي لاحاما" الذى بقي على مر العصور وتقلب الشعوب . واى اسم أجدر وافدس من اسم اله لتحافظ عليه وتحترمه وتتوارثه الاقوام اللاحقة وذكر المؤرخ الالماني و.شريدر في جريدة الاداب الشرقية عدد ١٨ لعام ١٩١٥ م عن صفائح رسائل تل العمارنة ان هذا الرأى في التسمية قد ثبت وتمكن . بينما التفسيرات العبرانية لاسم بيت لحم ببيت الخبز فهي شعبية تركت نهائيا .

ونذكر رأيا يجد من يردده بالرغم من عدم صحته وهو ان قبيلة عربية تدعى لخم سكنت هذه المنطقة ، بعد نزوحها من الجزيرة العربية خمسمئة عام قبل الميلاد عندما نزح المنائيون ولحق بهم قبيلتا لخم وجذام . فسكن اللخميون الصحراء ما بين الرملة ومصر وقسم منهم في الجولان وحوران وباسان حتى مدينة نوا . اما الجذاميون فسكنوا غور الاردن من طبريا حتى اللجون ، يمون وعكا . (٧٠) وكفى ان ننظر الى تاريخ النزوح لننفي اى علاقة باسم بيت لحم الذى ذكر قبل ١٨٠٠ عام قبل الميلاد . وليس لدولة

اللخميين في الحيرة في العراق كذلك اى علاقة لتسمية بيت لحم . اذ كانت دولة اللخميين حوالي القرن الخامس ميلادى فقط .

ودعيت بيت لحم بافراتا وهي كلمة كلدانية معناها الخصبة (تكوين ٣٥ : ١٦ ، ١٩) (منيحا ٥ : ٢) ، (راعوت ٤) وذكر المؤرخ اليهودى يوسفوس فلافيوس" ان راحيل دفنت في بلاد افراتا . وجدير بالذكر ان القمح البرى وجد في هذه المنطقة (١٣) .

وبني الكنعانيون بيتا آخر "لايلي لاحاما" في شمال البلاد في الجليل الى الشمال الغربي من مدينة الناصرة وعلى بعد احد عشر كيلو مترا منها . ذكرتها التوراه عدة مرات ولربما كانت اكثر اهمية من بيت لحم الجنوب لخصب محيطها وغنى اهلها . وكانت تابعة لسبط زبلون زمن الاسرائيليين . (يشوع ١٩ : ١٥) ، (قضاة ١٢ : ٨) (٩) .

وشيد الالمان الهيكليون قريتهم بيت لحم على آثار بيت لحم القديمة عام ١٩٠٦ م بقيت مزدهرة حتى احتلها اليهود عام ١٩٤٨ لتصبح يهودية . وللتفرقة عرفت بيت لحم الجنوب باليهودية والشمالية ببيت لحم الجليل .

وبظهور داود النبي في بيت لحم الصغرى بزغ اسمها من الظلمة الى النور . اذ جاء صموئيل النبي الى بيت لحم ليمسح ابن يسى الاصغر ملكا على اليهود (صموئيل الاول ١٦ : ١) (٩) وفي يوم التقدمة عند اليهود سكب صموئيل الزيت من القرن على رأس داود واخذ اسم هذا يعلو على اسم شاول الملك آنذاك فامتلاء حقدا عليه . ويذكر (صموئيل الاول ٢٠:٢٩) كيف اختبأ داود من شاول خوفا منه اذ حاول قتله . واعتذر يوناشاس ابن شاول لابيه عن صديقه داود لعدم حضوره وليمة الملك بأنه ذهب الى بيت لحم بمناسبة رأس الشهر القمرى ليقدم الذبيحة مع اهله . وتقدم الذبيحة على هيكل مقدس لا بد وان توارثه الاسرائيليون عن الكنعانيين _ بيت ايلي لاحاما . ويعتقد ان هذا البيت المقدس كان يطل على السهول الخصبة والصحراء الشرقية حيث تقوم اليوم المقدسات المسيحيه فهناك اشتعلت نيران التقدمة لترضي ايلي لاحاما الكنعاني . ثم التهمت النيران قرابين الاسرائيليين لترضي الههم يهوه. ثم جاءت المسيحية فالوثنية فالمسيحية ثانية لتشيد مقدساتها على انقاض المقدسات السالفة .

ودعي داود بابن يسّى الافراتي (صموئيل الاول ١٧ : ١٢) (٩) وينتسب اليمالك

والد زوج راعوت الى هذا النسب ايضا (راعوت ١ : ٢) ولما تزوج بوعاز التلحمي من راعوت الارملة تمنى له مواطنوه "ان يزدهر بيتها في افراتا ويشتهر فيبيت لحم" . (راعوت ٤ : ١١) (٩) وانجبت راعوت من بوعاز ابنا هو عوبيد والد يسّى والد داود . فاصبح اسم هذا النسل مربوطا باسم بيت لحم . وذكر ميخا في نبواته (٥ : ٢) حوالي ٧٥٠ عاما ق م "اما انتِ يا بيت لحم افراته وانت صغيرة ان تكوني بين الوف يهوذا ، فمنك يخرج لي الذى يكون متسلطا على اسرائيل ومخارجة منذ القديم ، منذ ايام الازل (٩) . كذلك ذكر في (اخبار الايام الاولى ٢ : ١٩ ، ٢٤ ، ٥٠) فهذا النسل الذى كان يسكن محيط بيت لحم ايضا (بيت افرات) ينسب دائما لافراتا . وكل هذا يشهد ان الاسم افراتا اطلق على المنطقة التي مركزها بيت لحم .

علمنا عن قبائل بدوية اخذت تدخل البلاد تطلب العيش والعمل عند السكان الاصليين الذين تقدمت حضارتهم وهم اقوام سامية من اموريين وفرزيين وحوّيين وكينيين ويبوسيين وكنعانيين وبينهم اقوام غير سامية كالحثيين والفلسطينيين . ولم تكن للقبائل القادمة وحدة قومية او اجتماعية ، فاختلطوا باهل البلاد وتزاوجوا معهم وأعطوا بناتهم لبنيهم وعبدوا الهتهم (قضاة ٣:٥) (٩) . وكان الاحق ان تدعى هذه القبائل باليهودية لان كلمة اسرائيل لم تجد لها في التاريخ مبررا (٦) ومعناها غالب الاله بعد قصة يعقوب بن اسحق مع مصارعه (تكوين ٣٢ : ٢٤ ــ ٢٩) (٩) .

ومن اراد دراسة تاريخ هذه البلاد عصر الاحتلال الاسرائيلي عليه درس تاريخ وحضارات الامم المجاورة ، فتاريخ هذه الارض ممزوج بتاريخها ، كذلك الاثار والمخطوطات التي اكتشفت في هذه البلاد وفي جاراتها ، ثم ما دوّنه الاسرائيليون القدماء في التوراه كمرجع للمقابلة والايضاح للاحداث التاريخية .

وتمكنت هذه القبائل الغازية من التغلغل وتثبيت اقدامها اولا في الجبال والصحارى ثم اخذت تهاجم اهل الوديان والسهول الكنعانيين والتسلط عليهم ، خصوصا في جنوب البلاد ، بقيادة قضاة تمكنوا من توحيد صفوفهم الى ان ابادوا السكان الاصليين واصبحوا الاسياد على يد جماعة من اهل بيت لحم يرأسهم داود بن يسّى التلحمي بين عام ١٠٠٥ و ٩٦٥ قم (٦) .

وكان الفلسطينيون قبل وزمن داود قد ازدهرت مدينتهم وتفوقوا على العبرانيين حضارة وتجارة وحربا . فاخضعوا معظم البلاد وقتلوا اول ملك لليهود شاول مع اولاده . كما هزموا داود واتباعه من بيت لحم مختبئا في الجبال وتذكر التوراة تأوّه داود وتمنيه ان يشرب من ماء البئر التي عند باب سور بيت لحم ، فخاطر ثلاثة من محاربيه مخترقين صفوف الفلسطينيين المتمركزين في بيت لحم وسهل رفاييم (البقعة) جالبين لسيدهم الماء ، فلم يشربه بل سكبه للرب (صموئيل الثاني ٣٢ : ١٤) وتعرفنا هذه القصة ان سورا كان يحيط بمدينة بيت لحم منذ زمن الكنعانيين .

واخذ العبرانيون بيت لحم قبل استيلائهم على يبوس (اورشليم) التي حرّم عليهم

المرور منها ، بعد ان اخذوها وضربوا سكانها بحد السيف الا انهم ارغموا على الجلاء عنها بقيادة ملك يبوس أضوني صادق • وظل اليبوسيون يهزأون من حملات العبرانيين البائسة عدة قرون (برستد) وتؤيد التوراة ذلك بقصة رجل لاوى من جبل افرايم تزوج من امرأة من بيت لحم زنت عليه وهربت الى بيت ابيها فجاء مع غلامه ليستعيدها • وفي عودته غربت الشمس وهما مقابل يبوس فرفض اللاوى دخولها قائلا لا نميل الى مدينة غريبة ليس فيها احد من بني اسرائيل • وباتوا في جبعة (٩) (قضاة ١٩ : ١ — ٣٠) •

واستخدم الفلسطينيون المرتزقة العبرانيين في جيوشهم وحشدوا الجيوش في جبعة ومخماش وبيت لحم • ومنعوا صنع الاسلحة الحديدية امام العبرانيين ليحافظوا على سر المهنة • ولما فشل العبرانيون في الاستقرار اخذوا في الثورات والحروب المتتالية واشهرها التي قادها اول ملوكهم شاول بن قيس من بنيامين لمّ شملهم لكنه فشل وقتل فخلفه داود زعيما ثم ملكا على يهوذا في حبرون ، بعد ان مهد لنفسه الطريق بزواجه من بنات مختلف القبائل اليهودية والاصلية ، الحثيين والكينيين وغيرهم وكان داود اشقر اللون مع حلاوة في العينين وحسن المنظر وقصر القامة • ويروى عن شجاعته انه قتل دبا واسدا في وديان بيت لحم اثناء رعايته الغنم (٩) وقصته مع شاول في مغارة عدلام عندما كان مشردا تشهد له بالمروءة والشجاعة •

وسكن داود ممره (حبرون) سبع اعوام ونصف من ملكه وتمكن بدهائه وحنكته ان يوطد علاقته مع شيوخ سبط اسرائيل في الشمال ويضمهم تحت سلطته فاصبح ملكا على يهوذا في الجنوب واسرائيل في الشمال • اما اورشليم اليبوسية فبقيت اسفينا خطرا بين شطرى مملكته •

وبعد تسع سنوات من حرب العصابات مع الفلسطينيين فكر جديا في احتلال اورشليم ليوحد مملكته • فجرد جيشا عظيما ادخل في معداته المركبات والالات الحديدية قواده من الحثيين والموابيين المحنكين وزحف على هضبة رفائيم (البقعة) فاحتلها ثم احتل الجبل الجنوبي من اورشليم المدعو اليوم بجبل صهيون ، واقام له ولحاشيته مركزا عليه دعاه مدينة داود • وبقي اليبوسيون في المدينة التي لم تخضع كليا للعبرانيين • وكان يوآب ابن سارفا اخت داود قد دخل بجيشه من نفق الماء من عين روجيل (عين ام الدرج في سلوان) الى داخل المدينة • وكان لسرفيا ثلاثة اولاد في بيت لحم هم يواب

وابيشاى وأسايل • كما كان القائد اليحانان بن دودو والخانان بن جاير قاتل شقيق جولياط الجبار الفلسطيني من بيت لحم ايضا •

وخلف سليمان اباه (٩٦١ ــ ٩٢٢ق‌م) وكان هذا مغرما بالبدخ والترف •جمع الضرائب الباهظة حتى اخذ الشعب يتذمر فهدّأ غضبه ببناء هيكل سليمان • وبنى لنفسه برك عطام الى الجنوب من بيت لحم فاسمعه يقول (الجامعة ٢: ٤) (٩) "فعظمت عملي بنيت لنفسي بيوتا ، غرست لنفسي كروما عملت لنفسي جنات وفراديس وغرست فيها اشجارا من كل نوع ثمر • عملت لنفسي برك مياه لتسقي بها المغارس المنبتة الشجر • قنيت عبيدا وجوارى وكان لي ولدان البيت" •

وملك رحبعام بعد سليمان ابيه فحصن بيت لحم في القرن التاسع قبل الميلاد (اخبار الايام الثاني ١١:٦) فبنى بيت لحم وعيطام وتقوع •• وشدد الحصون وجعل فيها قوادا وخزائن مأكل وزيت وخمر واتراسا في كل‌مدينة ، ورماحاوشددها كثيرا جدا" •

وانحلت‌قوة المملكة اليهودية بعد سليمان واستول عليها شيشاك‌ملك مصر في القرن الثامن قبل الميلاد واخذت بيت‌لحم تعود القهقرى في سمعتها وكيانها • ثم احتل الاشوريون البلاد وبقوا معظم القرن السابع قبل الميلاد فيها رغم محاولة الاسرائيليين بمعونة ملوك مصر وكان ملك اشور اتيجلات بيليبسير قد احتل مملكة أسرائيل في الشمال عام ٧٣٢ قم ودمر واحرق العاصمة سمارية واسر السكان الى آشور وجلب شعوبا جديدة تسكنها من حماه وبابل والكويت •

وبينما كان الاسرائيليون يحاولون التخلص من نير الاشوريين واذا بموجة استعمارية جديدة من بابل تحت امرة الملك نبوخذ نصر تخلف الاشوريين •

السبي الى بابل

انتصر نبوخذ نصر على نخو فرعون مصر عام ٦٠٥ ق‌م واقتفت بابل سياسة الاشوريين بالتوسع غربا فاكتسح نبوخذ نصر البلاد آخذا اورشليم عام ٥٩٧ ق‌م برغم محاولة يهوياكين ملك اليهود الاستعانة بالمصريين ٠ فأسر يهوياكين ونفي مع علية القوم فقط الى بابل ولم تدمر المدينة ولا الهيكل كليا ٠ ونصب صدقيا بن يوشيا ، احد افراد البيت اليهودى المالك ملكا تابعا لبابل ٠ لكن هذا نكث بالوعد وثار ضد بابل بمساعدة مصر وبقي النزاع تسع سنوات حتى حملت بابل حملة قوية ضد اليهودية حاصرت فيها اورشليم مدة عام ونصف دكت بعدها اسوارها عام ٥٨٦ ق‌م فاستسلمت للنار والقتل والدمار وأسر الملك المتمرد مع معظم السكان الى بابل ولم يبق في المدينة الا افقر الفقرا ٠ ودمر وحرق الهيكل تماما ٠ وهكذا قضي على مملكة يهوذا (ارميا ١٣ : ١١) "اغلقت مدن الجنوب وليس من يفتح سبيت يهوذا كلها سبيت بالتمام ٠٠" (٩) ٠ ونصب نبوخذ نصر جدليا بن اخيقام ملكا على يهوذا بعد صدقيا الا ان اسماعيل بن نثنيا اغتاله وهرب ومن معه مقيمين في جيروت كمهام التي بجانب بيت لحم ليجهزوا لمسيرتهم نحو الجنوب هربا من الكلدانيين الى مصر ٠ (ارميا ٤١ : ١٧) ٠

وكمهام رجل من جلعاد (صموئيل الثاني ١٩ : ٣٨) جلبه شاول معه وسكن بيت لحم وفتح فيها خان استراحة كانت تستعمله القوافل المارة جنوبا الى مصر للاستراحة والتزود بما يلزمها لسفرتها وكانت في مصر جالية يهودية قوية معظمها ممن فروا من وجه نبوخذ نصر ٠ فكان ليهود فلسطين اقرباء في مصر يلتجئون اليهم حين الضيق ، كما فعل قتلة جدليا بن اخيقام ٠ ويوسف ومريم في عهد هيرودس ٠

العهد الفارسي والعودة من السبي

لم يستقر الامر للبابليين طويلا اذ زحفت جيوش فارس من الشرق زمن الملك كورش واخذت بابل وآشور عام ٥٣٩ ق م واتجهت غربا محتلة سوريا واورشليم عام ٥٣٨ق م على يد القائد غوبرياس • وتودد اليهود المسبيون للمنتصر كورش فتزوج من اخت زربابل بن شلائيل بن يهوياكن بن يهوياقيم ملك يهوذا • وطلبت هذه الحسناء من زوجها بمناسبة العام الاول لحكمه ان يسمح لبني شعبها اليهود المسبيين بالعودة الى اورشليم • فأذن بذلك عام ٥٣٨ق م • فعاد الى اليهودية ربيع هذا العام ما يقارب الخمسين الف نسمة بينما جاء الى بيت لحم مئة وثلاثة وعشرون (عزرا ٢ : ٢١) (٩) • وهكذا عادت الحياة الى مملكة يهوذا لكن بشكل مصغر وهزيل ، اذ ضم الادوميون مدينة حبرون والجنوب الى مملكتهم ، كما انسلخ كل ما هو خارج حدود اليهودية عنها •

وكان العهد الفارسي عهد راحة لليهود ، عادوا فحكموا انفسهم من رئيس الكهنة ومجلس استشارى واعادوا بناء الهيكل (٥٢٠ — ٥١٥ق م) بتأثير الانبياء حجي وزكريا • اما ملوك فارس الذين حكموا البلاد فهم كورش (٥٥٨ — ٥٢٩ق م) ، قمبيز (٥٢٩ — ٥٢٢ ق م) ، داريوس (٥٢٢ — ٤٨٦ ق م زركسيس،٤٨٦ — ٤٦٥ ق م وعدد آخر لم يذكرهم التاريخ بعمل حتى عام ٣٣٢ ق م حين انتصر عليهم اليونان بقيادة الاسكندر المقدوني ليبدأ العهد الهيليني • (١٥)

العهـــد الهيلينـــــي

اجتاح الاسكندر الماكدوني (٣٦٥ ـ ٣٢٣ قم) آسيا الصغرى داحرا الفرس ثم اتجه جنوبا فاخذ فلسطين ومصر . ثم عاد الى الشرق ليدحر الفرس في مدينة ايسوس . وباحتلالة هذا غير مجرى الحياة في هذه البلاد معطيها الطابع والدين الغربي الهيليني لالف عام لحق .

ودخل الاسكندر اورشليم في طريق عودته من غزة دون مقاومة . اذ خرج سكانها اليهود يتقدمهم الكهنة والشيوخ بحلل بيضاء يستقبلونه عند صفا (بيت صفافا) متضرعين اليه وطالبين الرحمة فمنحهم الحرية واعفاهم من الجزية وسمح لهم بحكم ذاتي عام ٣٣٣ قم (٦) .

ومات الاسكندر مبكرا (٣٢٣ قم) فقسمت مملكته بين قائديه . وحكم بطليموس فلسطين ومصر ، فتمرد اليهود عليه . فدخل اورشليم وفرض عليها جزية باهظة . واخيرا تغلب انتيوخوس ابيفانوس حاكم سوريا السلوقي على البطالسة عام ١٦٨ قم وخضعت اليهودية لنيرهم . وعرف انتيوخوس بقساوته فمنع اليهود من تقديس السبت وتقديم الذبيحة والختان ونهب الاموال والغنائم من الهيكل وباقي المقدسات وحرق كتبهم الدينية ودخل الهيكل ، وهو محذور على غير اليهود . وفرض عقاب الموت على من يخالف اوامره . وبنى هيكلا لزيوس اوليمبيوس مكان هيكل اورشليم وآخر لزيوس كسينيوس في جبل جرزيم . واجبر اليهود على عبادة الهته الوثنية فيها .

وظهر رجل يهودى من اصل بيت كاهن من بلده موداين (المجةشرق اللد) اسمه هشمون لم يرض بالذل اليوناني فالتف حوله جميع اليهود المتذمرين والناقمين على السلطة وعلى ابناء جنسهم الذين عبدوا الهة اليونان . ومات هشمون فخلفه ابنه يهوذا الذى عرف بتعصبه وعناده فلقب بالمكابي (المطرقة) وعقد العزم على تحرير اورشليم والهيكل فهاجمه الهيلينيون بقيادة وكيل الملك ليسياس وثلاثة قواد عظام وجيش عرمرم لكن يهوذا بحنكته ودهائه دحر اليونان ووصل الى جنوب اورشليم . ثم تركها وهاجم جيرانه الفلسطينيين والادوميين والجليل وشرق الاردن حيث يسكن اليهود الذين يدينون بالمذهب الهيليني ويوالون اليونان فالقى الرعب في قلوبهم وأمن شرهم ليتفرغ للهيلينيين ويخلص اورشليم . لكن الملك انتيوخوس اويباتر الخامس ووكيله ليسياس

هاجماه حيث تحصن في بيت رور (التوبيكه) فهرب الى بيت زكاريا (بيت أسكارية) غرب بيت لحم بعشرة كيلومترات ٠ هنا استعمل السوريون في جيش اليونان الفبلة فهزم يهوذا وقتل عام ١٦٠ قم كذلك قتل اخوه اليعازر في اثناء محاولته قتل فيل ظن ان الملك يمتطيه (المكابيين الاول ٦:٣) (٩) ٠ فخلفه يوناثان الاخ الثالث يتبعه قلة من اليهود يناوئ السلطات ويعكر الامن متحصنا في بيت باصي (بيت بصة) جنوب شرق بيت لحم وعلى حدود صحراء يهوذا ٠ واخيرا عقدت هدنة بين الطرفين فاخذ يوناثان مخماس مركزا له الى الشمال الشرقي من اورشليم بأثني عشر كيلو مترا ٠

وبعد وفاته تخاصم ولداه هركانوس وأريستوبولوس على الحكم ٠ وساند أنتيباتر الادومي هركانوس لحقّه في الحكم ٠ كذلك انشق الهيلينيون بين ديميتريوس ومنافسه الاسكندر بن انتيوخوس واحتكما الى بومبي القائد الروماني الذى كان في سوريا انذاك فاستغل هذا الضعف والشقاق واحتل البلاد منهيا حكم اليونان والحرب الاهلية بين الاخوين المكابيين على السواء ٠ وسمح الرومان لهركانوس الثاني متابعة الحكم بتواسط انتيباتر الذى كان له مركزا اجتماعيا مرموقا عند الرومان والادوميين ٠ واصبحت اورشليم تابعة لروما وتدفع الجزية لها (٦) ٠

عهـد الرومـــان والادومــيين

تولى يوليوس قيصر (السعيد المشقوق عنه) الحكم في روما عام ٤٩ قم بعد وفاة بومبي وكلف انتباتر الادومي ليكون حاكما منتدبا على فلسطين عام ٤٦ قم ٠ وكان فرع هذا الادومي قد اعتنق اليهودية بعد احتلال الحاكم اليهودى كانيوس (١٣٥ – ١٠٥ قم) لادوم ٠ وساعد انتيباتر حملة يوليوس قيصر على مصر فمنحه الجنسية الرومانية وأعفاه من الضرائب وكان المحبب لديه ، نصبه اخيرا واليا على اليهودية وابنه الاكبر فصايل حاكما على اورشليم ومحيطها وابنه هيرودس على الجليل ٠ (٦)

وانتيباتر رجل ادومي مشهور تزوج من سيبروس ابنة احد مشاهير العرب انجبت له اربعة غلمان وابنة ، هم فصايل هيرودس يوسف فيروراس، ثم سالومة ٠ وكانت لانتيباتر صلة متينة بالحارث ملك العرب الانباط ٠ وقتل مسموما من ماليخوس الحسود فانتقم له ابنه هيرودس بأذن من الامبراطور الروماني كاسيوس ٠

كما عين مارك انطوني ابناء انتيباتر حكاما على اليهود بعد مصرع يوليوس قيصر وتوليه الحكم في روما ٠ ولما هاجم البارثيون سوريا وفلسطين اخذ فصايل اسيرا فانتحر عام ٤٠ قم بينما هرب هيرودس مع عائلته الى قلعته مصعدة جنوب عين جدى ومن هناك الى قيصرية فروما لمدة ثلاث سنوات (٤٠ – ٣٧ قم) ٠ ونصب البارثيون انتيجونوس المكابـي حاكمــا واسمــه العبراني ماتاتيا ابن اريستوبولوس الحشموني الذى ساعد البارثيين على الرومان وكان سكان فلسطين اليهود انذاك قد انقسم رأيهم وشعورهم بين الفرس والرومان واشتد التناحر بينهم ٠ فانتصر انصار الفرس على انصار الرومان في اورشليم ، فرشحوا انتيجونوس لرآسة الكهنة ٠ فقبض بيديه على مزاحمة هيركانوس وقضم اذنه باسنانه ليحول بينه وبين وظيفة الكهانة ، اذ تحرّم هذه الوظيفة على المشوهين وذوى العاهات (٧٤) ٠

نصب على اثرها هيرودس ملكا من روما واعيد الى اليهودية حيث جمع له جيشا قويا فاخذ يافا ومصعدة ثم الجليل واليهودية عدا اورشليم ٠ وسقط اخوه يوسف في هذه المعارك ٠ ترك اورشليم محاصرة وقصد السامرة ليتزوج مريمنه ابنة اسكندر ابن اريستوبولوس وعاد مع جيش سورى ليشدد الحصار على اورشليم مدة خمسة اشهر انتهت بقتل انيتجونوس واحتلال المدينة وانتهاء حكم المكابيين ٠ (١٦) ٠

وما ان بلغ هيرودس السبعين من العمر الا وقد انهكه المرض والهم الذى سببه له اولاده ومات في اريحا عام ٤ ب م ودفن في قلعته هيروديوم جنوب بيت لحم حسب وصيته وخلفه في الحكم ابنه ارخيلاوس لمدة عامين اقصاه الرومان بعدها واضعين البلاد تحت حكمهم المباشر · ويذكر المؤرخون ان ارخيلاوس مدفون عند ابيه ، الا انه مات في المنفى في فرنسا ·

وكوبونيوس هو اول وال روماني على اليهودية والسامرة (٦ـ ٩ ق م) اما سوريا فكانت تحت حكم سوليثيوس كويرينيوس ، الذى في عهده ولد المسيح بن مريم · وحكم البلاد عدد من الولاة الرومان بعد كوبونيوس لم يعرفوا بعمل هام سوى معاصرتهم لحياة المسيح وهم ماركوس امبيفيوس وأنيوس روفوس وفاليريوس جراتوس وخامسهم بيلاطس البنطي (٢٦ ـ ٣٦ م) الذى حاكم المسيح بطلب من المجمع اليهودى (السنهدرين) وصلب في عهده وحكم الامبراطور تيبيريوس (١٤ ـ ٣٧ م) (١٦) ·

ميـــلاد المسيـــح

بيت لحم في خاطر الدهـــر لاحـــــت
منـــذ كانـــت ذراتها اسرارا
(بولس سلامة)
الميلاد ١٩٥٢

"وفي تلك الايام صدر امر من اوغسطس قيصر بان يكتتب كل المسكونة . وهذا الاكتتاب الاول جرى اذ كان كيرينيوس والي سورية . فذهب الجميع ليكتتبوا كل واحد الى مدينته . فصعد يوسف ايضا من الجليل من مدينة الناصرة الى اليهودية الى مدينة داود التي تدعى بيت لحم لكونه من بيت داود وعشيرته ، ليكتتب مع مريم امرأته المخطوبة وهي حبلى . وبينما هما هناك تمت ايامها لتلد . فولدت ابنها البكر وقمطته واضجعته في المدود اذ لم يكن لها موضع في المنزل . وكان في تلك الكورة رعاة متبدين يحرسون حراسات الليل على رعيتهم" بشرهم الملاك بميلاد المسيح وحيث سمعوا الانشودة الخالدة "المجد لله في الاعالي وعلى الارض السلام وفي الناس المسرة" . ثم جاء الرعاة الى بيت لحم ووجدوا يوسف ومريم والطفل مضجعا في المزود" (لوقا ٢ : ١ – ٢٠) (٩) .

يفهم من هذا النص ان يوسف ومريم لم يجدا لهما مكانا في منزل كمهام المعروف في بيت لحم فنزلا في مغارة تأوى اليها البهائم .

ويروي متى الانجيلي عن قدوم المجوس من المشرق ليقدموا للمولود الهدايا وتحقق هيرودس من علماء الدين اليهود ان ملكا لليهود سيولد في بيت لحم اليهودية حيث تنبأ ميخا قبل سبعمئة وخمسين عاما عن قدومه (٥ : ١) "وانت يا بيت لحم ارض يهوذا لست الصغرى بين رؤساء يهوذا لان منك يخرج مدبر يرعى شعبي اسرائيل" . وقدم المجوس الى بيت لحم وقدموا للمولود الهدايا من ذهب ولبان ومر . وانصرفوا من طريق آخر مارين بحقل الرعاة شرقا كي لا يقابلوا هيرودس الذى ظنوا فيه شرا . كذلك هرب يوسف ومريم والطفل الى مصر من وجه هيرودس الذى غضب من حنث المجوس بوعدهم فأمر بقتل جميع اطفال بيت لحم والقرى المجاورة من ابن عامين فما دون لعله يقتل

الملك المولود بينهم (٩) وبعد موت هيرودس وتولي الاخيلاوس الحكم عاد يوسف ومريم والطفل من مصر وسكنوا الناصرة .

ظهر خطأ تاريخي بالنسبة لزمن هيرودس وميلاد المسيح سقط فيه الراهب السكيتي ديونيسيوس اكسيجووس (Dionisius Exiguus) في روما الذى كلف بوضع بداية تاريخ عصرنا المسيحي عام ٥٣٣ م اذ سها ان يحسب لعام الميلاد حسابا وهي سنة الصفر. كما سها عن حساب اربع سنوات حكمها اوغسطس قيصر باسمه الحقيقي او كتافيان قبل ان يمنح لقب اوغسطس عام ٢٧ ق م .

بيــــت لحــم فــي عهــد الرومــان

وضعت البلاد تحت الحكم الروماني المباشر عام ستة ميلادية بعد اقصاء ارخيلاوس عن الحكم مما اثار حقد اليهود وحفزهم على المقاومة والثورة عام ٦٦ م في عهد فاسبسيان الذى جاء بجيشه ليقهرهم فانتصر على الجيش اليهودى في الجليل فأسر قائده يوسيفوس فلافيوس المؤرخ المشهور . واضطرفسبسيان الى العودة الى روما ليتبوأ كرسي الامبراطورية فارسل ابنه تيطوس ليكمل حملته .

اجتاح تيطوس البلاد بعنف وتصميم وحاصر اورشليم حصارا عنيدا وجرد محيط المدينة من الاشجار ليبني لجيشه تحصينات وجسورا توصله اعلى اسوار المدينة . وسقطت في يده يوم عيد الفصح اليهودى عام ٧٠ م فاعمل فيها النار والدمار ، وكانت تعج بالحجاج اليهود من كل صوب ومصر . ويذكر يوسيفوس ان عدد القتلى على يد الرومان واليهود انفسهم زاد على الف الف نسمة" وهو ربما مبالغ فيه . ونهب الهيكل ثم هدم وحرق ما تبقى واصبحت اورشليم خرابا اذ كان تدميرها اعظم من ايام نبوخذ نصر البابلي .

واحتل لوشيليوس باسوس قلعة هيروديوم التي تحصن فيها بعض اليهود الثائرين مجهزا بجيشه عليهم . وكان القائد الروماني سرياليس قد احتل حبرون وبيت لحم قبل تدمير اورشليم وسكن بيت لحم كثير من اليهود والمنتصرين منهم . ودون لنا التاريخ ان احد ابناء بيت لحم افارستوس ابن يهوذا المسيحي اصبح بابا روما اول القرن الثاني للميلاد (١٠٠ ـ ١٠٩م) واستشهد فيها من الامبراطور طرايان .

واعتلى هادريان كرسي الامبراطورية في روما (١١٧ ـ ١٣٨م) وفي عهده ثار اليهود لاسباب ذكرها كاسيوس ديو منها بناء هيكل لجوبتر مكان هيكل سليمان وتشييد مدينة ايليا كابيتولينا (مركز الشمس) على انقاض اورشليم بمناسبة العام الحادى والعشرين لملكه . ونفذ البناء صهر هادريان اكيلا فبناها على نموذج مدينة كولونيا في المانيا . واحاط المدينة بسور ادخل الجلجلة داخله . (٥٠)

وجاء هادريان البلاد عام ١٣١/١٣٠ م زائرا مدينة جرش عبر الاردن ويعتقد انه مر باورشليم المدمرة زائرا الفرقة الرومانية العاشرة المعسكرة هناك ووعد بتشييد ايليا

كابتولينا وما ان عاد الى روما عام ١٣٢م حتى اعلن اليهود العصيان واشهروا السلاح في وجه الرومان بقيادة زعيمهم المتطرف سيمون . وكانت الثورة مفاجئة للرومان الذين اجبروا على اخلاء اورشليم . ودمر اليهود المعالم المسيحية وقتلوا المسيحيين لعدم تقبلهم دعوة سيمون بانه المخلص . واعلن اليهود الاستقلال وسكوا النقود باسم سيمون واضعين نجمه عليها ولقبه الحاخام آكيبا بأبن الكواكب الملك والمسيح المخلص . وظهر للمراقبين ان نجم اسرائيل عاد ليظهر كامة وشعب اذ فشل الحاكم الروماني تينيوس روفوس وحاكم سوريا الاكبر بوبليشيوس مارسيلوس من اخماد الثورة . حينها ارسل هادريان قائده الملهم يوليوس سيفيروس الذى اشتهر بتقسيم المناطق ومحاصرتها حتى الاستسلام .

فاخذ اورشليم التي اخذ اليهود يستقرون فيها مجددين المساكن ، فقتل خلقا كثيرا وذكر كاسيوس ديو "ان احتلت خمسين قلعة استحكام ودمرت ٩٨٥ قرية وقتل اكثر من مليون يهودى (٤٧) وهرب سيميون باركوخبا نحو الجنوب الى مرتفع قيد استحكام منيع يدعى ببت تير (بتير) يقع غربي قرية بتير اليوم يدعى خربة اليهود ، تبعد عشرة كيلو مترات جنوبي غرب القدس . حاصرها الرومان وقطعوا الماء عنها فاستسلم اليهود وقتل سيميون في المعركة . وعثر هناك على لوحة حجرية نقش عليها اسما الفرقة المكيدونية الخامسة والفرقة الكلاودية الحادية عشرة اللتين حاربتا هناك . وهزىء اليهود من مسيحهم ابن الكواكب المهزوم داعينه "ابن الاكاذيب" وبموته زالت احلام اسرائيل بالحرية وانتهى كيانهم بانتهاء عام ١٣٥م . اذ اخرجهم هادريان من جميع بلاد اليهودية موزعا اياهم على كل اطراف الامبراطورية الرومانية والغى الاسم "اليهودية" مبدلا اياه باسم فلسطين احتقارا لهم . وبنى مدينة ايليا كابيتولينا مكان اورشليم المدمرة ونصب تمثالا عظيما لالهه فينوس في هيكل مكان هيكل سليمان وامامه تمثالا لنفسه يمتطي جوادا . وشيد معبدا آخر مكان صلب المسيح للاله ادونيس . اما في ببت لحم فهدم كنيسا للمسيحيين فوق مغارة الميلاد ليقيم معبدا لادونيس زرع حوله حرشا للاله ادونيس ومنع اليهود بعقاب الموت من دخول ايليا كابيتولينا او السكن في بيت لحم . واضطهد المسيحيين مجبرا اياهم تقديم القرابين لالهته . وبمحاولته طمس المعالم التاريخية المسيحية باشادة معابده حفظ للمسيحية اماكنها الى ان حررت بعد مئة وثمانين عاما . (٦)

العهــد البيزنطـــي

احتمل المسيحيون الاضطهادات مدة قرنين تقريبا متظاهرين بعبادة الهة الرومان فوق مغارة ميلاد المسيح مقدمين لها القرابين ومشتركين في الاحتفالات الموسمية في الربيع والصيف ولمدة يومين كاملين احياء لذكرى زواج ووفاة الاله ادونيس وقيامه من بين الاموات حاملين الزهور والثمار طائفين بها شوارع المدينة حتى يضعوها على مذبح التقدمة في هيكله .

وبوفاة الملك قسطنطيوس الاول في ٢٥ تموز ٣٠٦ م واعتلاء ابنه قسطنطين الكبير انتهى عهد اضطهاد المسيحيين . وحمل قسطنطين لقب قيصر في الشرق والغرب من مملكته ولقب بالكبير لعظمة الاعمال التي قام بها . ولد في مدينة نيش من اعمال صربيا في ٢٧/٢/٢٨٨م وتزوج من فاوستا ابنة الامبراطور ماكسيميانوس سابق ابيه . وضع حجر الاساس لمدينة القسطنطينية عام ٣٢٦م ونقل عاصمته من روما اليها . مات في ٢٢/٣/ ٣٣٧ (١٤) عن عمر يناهز التاسعة والاربعين ودفن في كنيسة الرسل في عاصمة ملكه . نصر بعد رؤية اشارة الصليب في السماء في حملته لفتح روما من خصمه ماكسينتيوس ، اصدر بعدها امرا عرف بوثيقة ميلانو سمح بحرية الدين المسيحي كما اعلن المسيحية دين الدولة (٥١) .

وكانت فلسطين تكاد تكون مسيحية . فذكر التاريخ جاليات مسيحية كبيرة في ايليا كابيتولينا وسبسطية ولد وسارون وعمواس وشكيم وبيسان وبيت جبرين ومكسيميا نوبوليس واريحا وزابولون ويمنيا واشدود وغزة وايله وحديرة وكابيتولياس وبيت لحم واينو وباتير وبيت عنا وسوخار وبيثنية (بيتونية) وفنون حيث مناجم النحاس في الجنوب وقيصرية وعسقلان ويافا وميومة (خربة المنية) وسواها (٢٢) .

ان اول عمل قام به قسطنطين هو تحويل معابد الاصنام الى كنائس مسيحية . وحضر المجمع الديني في نيقية باسيا الصغرى عام ٣٢٥م وسنحت الفرصة لاسقف اورشليم مكاريوس ان يشرح اوضاع الاماكن المسيحية المقدسة في فلسطين . فأمر الامبراطور بتشكيل وفد تحت رئاسة والدته الملكة هيلانة التي كانت تناهز الثمانين من العمر لكنها ملاءى بالحيوية كما وصفها اويسبيوس ، ليذهب للحال الى فلسطين ليبعد الادناس الوثنية ويشيد الكنائس التذكارية على الاماكن الهامة التي لها علاقة بحياة واعمال المسيح .

واخد المهندسون في البحث والتنقيب حتى وجدوا مكان صلب المسيح ومكان دفنه حيث امر مكاريوس اسقف اورشليم بهدم هيكل فينوس حيث ظهر قبر يوسف الارماتي الذي دفن فيه المسيح ٠ (١٧) فشيدت كنيسة القيامة والجلجثة والقبر ٠ اما في بيت لحم فكانت المغارة معروفة ومكرمة من المسيحيين والوثنيين يحيطها حرش ادونيس ٠ فبدأ العمل والتخطيط والبناء للحال وقطعت الاشجار وازيلت الصخور من حول تلك البقعة التي بسقوط اشجارها سقط اخر معقل للوثنية وترانيها ٠ ووضعت المغارة مركز هذا البناء التذكاري عام ٣٢٦م ٠

وازدهرت فلسطين في عهد البيزنطيين وخصوصا الاماكن والمدن التي لها علاقة بميلاد المسيح وحياته واعماله ٠ فكان لبيت لحم وحقل الرعاة حظ وافر فكنيسة الميلاد ودير وكنيسة الرعاة ودير وكنيسة قبر الغنم شرق بيت لحم ،كلها من هذه الفترة ٠

وجاء الحجاج المسيحيون لزيارة الاماكن المقدسة من كل حدب وصوب وذلك زمن الامبراطورية الرومانية وقبل قرن من الزمن من الاعتراف بالديانة المسيحية ٠ ودون لنا التاريخ اسم اول سائح زار البلاد اسمه اسكندر وهو اسقف كبادوكيا زمن الامبراطور سبتموس سفيروس ٠ وكان اسكندر قد حلم في سجنه عام ٢٠٤ م حلما قدر على نفسه زيارة القدس ليصلي فيها ويتعرف على الاماكن المقدسة فيها ٠ ثم نذرة عام ٢١٢ فكتب يقول "تقوم اليوم مكان اورشليم مدينة رومانية من عهد هادريان تدعى ايليا كابيتوليا ٠ وكما في معظم المدن الهيلينية في الشرق فشارعها الرئيسي فاخر تزينه الاعمدة على الجانبين وتدعى بالشارع المستقيم (شارع باب العمود) يخترق المدينة الى الجانب الاخر حيث هيكل فينوس المستدير البناء ضخم تحيطه الاشجار ٠ وتحت هذا الهيكل تختبئ القبر المقدس والجلجثة" ٠ وفي بيت لحم رأى هيكل ادونيس يخيم فوق مغارة الميلاد ٠ ويروى انه لم يتمكن من القيام بواجباته الدينية في هذين المقامين ٠ كما وجد طائفة مسيحية آمنة في ايليا كابيتوليا يرعاها الاسقف نرسيسوس الذي عمر فيه وتسعة عشر عاما اختار الاسكندر مساعدا له وخلفه في الاسقفية بعد وفاته ٠ واهتم الاسكندر بجمع اخبار الاناجيل مؤسسا مكتبة في ايليا كابيتوليا حوت كل مراسلات رؤساء الحركة المسيحية المعاصرة ٠ فكان هذا مساعدة قيمة لاوسيبيوس الذي كتب تاريخ الكنيسة بعد قرن (١٧) ٠

كذلك زار اسقف قيصرية في اسيا الصغرى فرميليان هذه البلاد في القرن الثالث ٠

كما تردد اوريجينيس عليها منذ عام ٢١٦ م عدة مرات وكتب عام ٢٤٨ م يصف بيت لحم : يريك السكان في بيت لحم المغارة التي ولد فيها المسيح ، وفيها ترى المذود الذى لفع واضجع فيه . ويعرف الجميع حتى الكفرة ان في هذه المغارة ولد الذى يجله ويحترمه المسيحيون" . كما قال جئت لأتقصى آثار خطى المسيح وتلاميذه" (١١) (٢٠) .

وذكر تيرتوليان انه "لم يبق من نسل اسرائيل احد في بيتلحم" لانه منع بقاؤهم في اليهودية بعد ثورتهم الثانية زمن هادريان .

وزار سائح بوردو بيت لحم عام ٣٣٣م وقال "وجدت قبر راحيل على يمين الطريق في ذهابي من اورشليم الى بيت لحم . ويبعد حوالي اربعة اميال جنوب اورشليم" وذكر ان كنيسة الميلاد اقيمت بأمر قسطنطين في بيت لحم . ثم تابع رحلته الى حبرون ومنها قفل راجعا الى بلاده .

وذكر سيريلّس الاورشليمي عام ٣٤٨م ان ما فوق مغارة الميلاد في بيت لحم كان محروشا قبل سنوات فقط (١١) اما يوسيفوس المؤرخ اليهودى فقال" ان اتباع وتلاميذ المسيح ذهبوا الى ببت لحم لبقدسوها ويكرموها حبث فيها ولد سيدهم . فبيت لحم غالية على قلوب المسيحيين في اورشلبم ومحبطها ما بين عهد تيطوس وهادريان (٢٠)

ومن يقرأ ما دونه لنا الانجيليان متى ولوقا في القرن الاول ميلادى يعرف الكثير عن عرف وعادات سكان بيت لحم وجوارها والحياة فيها . فكان في البلدة خان لايواء الغرباء وكان الخان مزدحما بالقادمين لاكتتاب انفسهم في بلدهم وهذا يدلنا على حب الاهلين بالسفر والمغامرات كما رفض الاهلون ايواء الغرباء يوسف ومريم فالتجأ الى مغارة تأوى اليها الحيوانات الاليفة . ومن عادات السكان تقميط الاطفال وطقوس الاختتان وتقديم الذبيحة من زوج حمام او فرخي يمام . كذلك تهنئة الجيران بالمولود الجديد وتقديم الهدايا . كل هذا يعرض امامنا مجرى حياة الاهلين الاجتماعية والاقتصادية زمن ميلاد المسيح .

وما من سائح جاء بيت لحم في القرن الميلادى الرابع والا وسمع والتقى بصفرونيوس اويسيبيوس هيرونيموس من بلدة ستريدون في دالماسيا الذى قدم فلسطين عام ٣٨٢م مع

بعض اصدقائه المتنصرين من روما بينهم سيدتان فاضلتان من علية القوم الرومانيين هما باولا الثرية صاحبة مدينة نيكوبوليس وكثير غيرها مع ابنتها اوبستوخيوم . ابحرتا من ميناء اوستيا عام ٣٨٢ م بعد تنصرهما والتقتا مع هيرونيموس في انطاكية حيث طاف معهما ليريهما الاماكن المقدسة . فجاءوا اورشليم حيث القبر والجلجثة . ثم بيت لحم لمغارة الميلاد فالناصرة قانا الجليل فبحيرة طبرية وكفرناحوم مقتفين سيرة المسيح .
وكان تعلق باولا بالارض المقدسة لا يقل عن شغف هيرونيموس بها . فشيدت ديرا للراهبات شمال كنيسة الميلاد ادارته على المنوال الغربي . ثم اشادت ديرا للرهبان ومنزلا للحجاج جنوب الكنيسة اوكلت ادارته لهيرونيموس . وقد ذكر في رسائله لاصدقائه في روما ان تقوع تمثل امام عينيه كل يوم وهي قرية تقع على مرتفع تبعد اثني عشر ميلا عن اورشليم . وفي الوسط تقع قرية اخرى تدعى بالسريانية والعبرانية بيت الكرمة على مرتفع آخر (هيروديوم) (٧٠) وربما كان ديره مكان دير الارمن اليوم . وكان الارمن يظهرون في السابق قاعة ذات اعمدة فخمة دعوها بمكتبة ومدرسة هيرونيموس .

وعمق هيرونيموس درسه للغة العبرية على يد الحاخام بار حانينا الذى كان يدرسه ليلا وخفية في صومعته ، ثم قام بترجمة التوراة من العبرية الى اللاتينية العامة (Vulgata) بطلب من البابا داماسوس (٣٣٦ـ ٣٨٤م) وكان شعلة اضاءت الطريق امام الحجاج المسيحيين برسائله واقواله واعماله وتجواله . ومن اقواله "انه لمن عميق الايمان ان تصلي في البقعة التي داستها قدما يسوع" وقال : جاء لفلسطين ليسهل عليه فهم الكتاب ومجرى الحوادث عن كثب وقال في رسالة لصديقه باولينوس النولي "لقد حتم تمثال جوبتر مكان قبر المسيح ، كما عبد تمثال فينوس المرمرى فوق صخرة الصليب من ايام هادريان حتى حكم قسطنطين. كذلك بيت لحم التي هى لنا الان فقد ظللها حرش تموز ادونيس ، وفي المغارة التي بكى فيها الطفل يسوع ، كانت تذرف الدموع على حبيب الالهة فينوس" . ووصف احتفالات عيد الميلاد واعياد اخرى تخص بيت لحم قائلا يأتي الاهلون ورجال الدين تحت رعاية اسقف اورشليم من اورشليم فتزيح الكنيسة ليلة الميلاد بالترانيم والتسابيح وبكل الالسنة واللغات والاجناس باسم المسيح والشكر لله" .

وذكر باولينوس النولي لصديقه سيفيروس عام ٤٠٣ م كيف امر هادريان بتدنيس مكان الميلاد ظنا منه ان ذلك سيقضي على الديانة المسيحية واقام فوق مكان الالام تمثالا لجوبتر كما دنس بيت لحم بحرش ادونيس" . (١١)

وتوفيت باولا عام ٤٠٤ م فذكر هيرونيموس في رسائله هذا العام قائلا "بعدها فقد حفرت حجر قبرك حتى حيثما ذهبت كلماتي يعلم القارئ انني كرمتك وانك في بيت لحم دفنت" ٠(٥٤) ثم توفيت ابنتها اوستيخيوم عام ٤١٩ م اما هيرونيموس فعام ٤٢٠م عن عمر يناهز الثانية والتسعين ٠ ودفن جميعهم في بيت لحم قرب مغارة الميلاد (١٨) (٢٤) ٠ الا ان رفاتهم نقلت فيما بعد الى روما وهيرونيموس الى القسطنطينية بامر من القيصر تيودوسيسوس الصغير واستلمت باولا الصغيره حفيدة باولا ادارة دير الراهبات بينما استلم اويسيبيوس الكريموني تلميذ وصديق هيرونيموس ادارة دير الرهبان ومنزل الحجاج لمدة عامين فقط اذ وافته المنية عام ٤٢٢ م ٠ وكان دير هيرونيموس محروسا ببرج ٠ اما بيت لحم فوصفها اونجيريو عام ٤٤٠م قال "انها بلدة صغيرة يحيطها سور منخفض خال من الابراج" ٠

ازدهرت بيت لحم في عهد البيزنطيين وزاد عدد سكانها كما ازدهرت الرهبنات وانتشرت الاديرة والكنائس فيها وحولها ، وعجت بالنساك والرهابين من كل حدب وصوب فمنهم اليوناني والروسي والصربي والروماني والعربي والارمني واليعقوبي (السرياني) والاشورى ٠ وكان اسم بيت لحم يتردد على كل لسان وفي قلب كل مسيحي ، وامنية كل مؤمن ان يزور اقدس بقعة في الارض ، فكان هذا عصرها الذهبي تحتل المرتبة الاولى في القدسيات ، تليها اورشليم ٠ ويذكر التاريخ ان عدد الاديرة والكنائس التي شيدت في آخر عهد البيزنطيين في اورشليم ومحيطها يزيد عن المئتين منها في بيت لحم دير وكنيسة القديس يوحنا الانجيلي في موقع الجامع العمرى اليوم ٠ وقد ظهرت الكنيسة المردومة وحنيتها الشرقية وحجر المعمودية الاحمر عند هدم الجامع القديم المبني عام ١٨٦١ م ليقام مكانه الجامع الموسع الحالى عام ١٩٥٤ م ٠ ثم كنيسة القديس ميخائيل الى الجنوب الشرقي من الجامع العمرى وردمها تحت ساحة المهد ويعتقد البعض ان الكنيسة اقيمت على انقاض خان كمهام ٠ ويذكر من سكنوا تلك البقعة قبل ردمها وتوسيع الساحة انهم رأوا قاعات واسعة ذات اقبية قوسية تحت عمارة فريد الياس مسلم واخوانه التي ازيلت ٠ وكنيسة القديس ستيفان شمال دير الفرنسيسكان اليوم ٠ وكنيسة فوق مغارة الحليب واخرى باسم يوسف خطيب مريم في المنحدر الشرقي "خلف كنيسة الميلاد ٠ ودير وكنيسة داود حيث ابار داود اليوم في شمال المدينة اما في حقل الرعاة (بيت ساحور) فاقيم دير وكنيسة الرعاة وسط سهل الرعاة ودير وكنيسة في الصير شمال السهل ودير وكنائس الى الشمال الشرقي من بيت لحم في خربة المزار وكنيسة القديس جيورجيوس في الخضر غرب بيت جالا ، وكنيسة ودير مار الياس بين القدس وبيت لحم وكنيسة

على بئر قادسمو شمال مار الباس وأديرة وكنائس في نقوع وخاريطون ومار سابا الذى حصنه يوستنيان بسور وبرج عال ومتين . وبنى يوستنيان دير تيوذوسي (اس عبيد) كذلك دير وكنيسة باسم النبي حبقوق غرب دير مار الياس ودير وكنيسة السيل الجاف فوق تلة الطنطور وكانت الكنيسة باسم القديس سيرجيوس . وكثير غيرها . وجدد يوستنيان سور بيت لحم .

واتسم عهد يوستنيان بالازدهار والاستقرار للمسيحيين عامة في فلسطين بينما بعهد ضيق للسامريين واليهود الذين ثاروا عام ٥٢٩ م وبعد عامين من توليه الحكم ، خارجين من نابلس مارين بكل القرى والمدن المسيحية مدمرين وحارقين وقاتلين ما تصل اليه ايديهم من اديرة وكنائس وسكان ويغلبان اصاب بيت لحم نفس النصيب لكن قدوم الجنود البيزنطيين اوقف الدمار واوقع بالثائرين اشد العقاب .

وما ان اخمدت الثورة حتى ارسل بطريرك اورشليم بطرس القديس سابا رسولا الى الامبراطور يوستنيان ليطلعه على ما حل بالاديرة والكنائس والاهلين ويطلب العون منه فلبى الطلب وشيد ما دمر وزاد .

واخذ نجم البيزنطيين يأفل في أواخر القرن السادس وبداية السابع . وظهرت بدع وانشقاقات في الكنيسة المسيحية . فاشهر اليعاقبة اعتقادهم بلاهوت المسيح فقط لا بناسوته . وكان يعقوب بارا من اوديسا يتزعم هذا الرأى تسانده الامبراطورة البيزنطية ثيودورة . وكان الاقباط الذين كوّنوا معظم سكان مصر انذاك من اتباعه . بينما ظهر النساطرة خلف الحدود الفرسية وانتشرت عقيدتهم في الشرق . وكان الارثوذكس هناك اما فلسطين فكان جميع مسيحييها ارثوذكس ملكيين ،لان كيانهم موكول بقوة وبقاء سلطة الامبراطورية البيزنطية . (١٨)

واعتلى المستشار فوكاس عرش الامبراطورية عام ٦٠٢ م وكان ظالما تنقصه الكفاءة والادارة فبدأت المشاحنات الدينية والثورات في مختلف ارجاء المملكة وبين مختلف الفئات الدينية . واتفق بطاركة اليعاقبة والنساطرة في انطاكية على شن حملة على الارثوذكس . فأرسل فوكاس جيشا اقتص منهم ومن اليهود الذين ساندوهم ، وقتل منهم الكثير . ولم يمض عامان حتى انتقم اليهود من بطريرك اورشليم بتعذيبه وقتله . واخيرا

نحي فوكاس عن الملك عام ٦١٠ م حالا محله شريفا ارمنيا اسمه هيراكليوس ابن حاكم افريقيا ٠ (١٨)

غــزو الفـــرس

كان الحقد يزداد في ملوك الفرس على الامبراطورية البيزنطية فتربصوا بها وحصروا لمهاجمتها متى سنحت الفرصة وما جاء خوسروس الثاني حتى بدأ هجوما مركزا على البيزنطيين الذين دافعوا عن انفسهم طيلة اثنتي عشرة سنة احتل بعدها الفرس آسيا الصغرى وسوريا فسقطت انطاكية في يدهم عام ٦١١ م ودمشق عام ٦١٣ وفر العديد من العائلات المسيحية من سوريا وشرق الاردن قادمين الى فلسطين امام الجيوش الفرسية الزاحفة ٠ ومن هذه العائلات حمولة الفرحية في بيت لحم ٠ ثم عرج القائد شهرباراز على فلسطين جنوبا معملا فيها القتل والحرق والدمار ٠ (١٧) وفتح اورشليم وحرقها في ١٥ نيسان ٦١٤ م يسانده ستة وعشرون الف يهودى من فلسطين فقتلوا من سكانها ٦٧٥٩٤ نسمة واخذوا خمسا وثلاثين الفا اسرى بيعوا عبيدا ٠ وأخرجت الاواني والمجوهرات الكنسية والصليب الذى علق عليه المسيح من مخبأها واخذت مع البطريرك زكريا ، وهو الثاني عشر من بطاركة الكرسي الاورشليمي ، الى مدينة كتيسيفون في بلاد الفرس هدية لملكة الفرس مريم النسطورية ابنة الملك مورين (١٨) (١٩) وزوجة الملك كسرى الثاني ابن هرمز الرابع حفيد كسرى انوشروان اشهر ملوك الساسانيين (١٤) ٠ ومات البطريرك في كتيسيفون ٠

اما بيت لحم ذات السور المنخفض فاقتحمها الغزاة دون عائق كباقي مدن وقرى فلسطين مدمرين وحارقين وقاتلين ٠ ما وقع تحت ايديهم ٠ وعندما دخلوا كنيسة الميلاد دهشوا لمنظر على واجهة الكنيسة الغربية بالفسيفساء الجميلة تظهر صور المجوس بألبسة كهنة مثراس الفرسي البهيد فظنوا المكان معبدا للمجوس ٠ ولحبهم واحترامهم لاجدادهم الذين كانوا يقدسونهم كأحياء وفروا الكنيسة من الحرق والدمار صائنينها من الاعتداء عليها اكراما واحتراما ، لكن نهبوا محتوياتها ٠ وكان ذلك ايضا عام ٦١٤ م وهو ايضا بداية زوال العهد البيزنطي ٠ (١١)

ودام حكم الفرس اربعة عشر عاما اتسمت بالقتل والنهب والدمار مما حفز الملك هركليوس ليقوم باول حملة حربية دينية عرفت في التاريخ بالحملة الصليبية الاولى ، دمر فيها الفرس في نينوى عام ٦٢٧م فتقهقروا لكن لم يتركوا وراءهم عمارا ، فالردم والخراب في دير وكنيسة الرعاة في بيت ساحور يشهد بظلمهم ٠ فهو يشكو الماضي واهمال الحاضر ٠

واعاد هركليوس خشبة الصليب منهم في ١٤ ايلول ٦٢٩ م وارجعها الى مكانها في اورشليم في احتفال ديني مهيب في ربيع ٦٣٠ م ، ويعيد لهذه المناسبة سنويا منذ ذلك التاريخ . وبينما كان هركليوس يحتفل بذلك في اورشليم ، انتصر العرب في معركة اليرموك (٢٥) .

وذكر صفرونيو بيت لحم في اوائل القرن السابع قال "انها بلدة صغيرة" . ومع انه لم تجر حفريات منظمة للكشف عن ماضي بيت لحم الا ان الصدف هنا وهناك كشفت عن العديد من نواحي تاريخها . فقد وجد عدا عظام حيوانات ما قبل التاريخ ،آثار من مختلف العصور والعهود كالاواني الفخارية والمدافن والاسلحة الصوانية .

وكان موقع بيت لحم قديما على المرتفع المحصور ما بين درجات السوق اليوم حيث كنيسة العذراء للسريان الارثوذكس شرقا حتى ملتقى شارع الساليزيان بالشارع الاوسط الرئيسي (المار من المدبسة باتجاه كنيسة الميلاد) غربا . ومن الجنوب شارع الفواغرة الموازي للشارع الاوسط يحيط بالبلدة سور منخفض دون ابراج على حافة المرتفعات ، له اربعة ابواب : الاول في الشمال الغربي حيث دير راهبات الوردية اليوم ويوءدى الى اورشليم والثاني غربا ومكانه الى الشرق من الكنيسة والمدرسة الانجيلية اليوم ، ويوءدى الى حبرون . والثالث من الشرق حيث درجات السوق اليوم اى على المنحدر من الشارع الاوسط في اتجاه كنيسة الميلاد . وقد عثر العمال عام ١٩٥١ في اثناء حفرهم لوضع درجات السوق على حافة المنحدر ، على جدار قديم ازيلت حجارته بسرعة قبل فحصها والتأكد من تاريخها . اذ يغلب ان تكون بقية من سور بيت لحم القديم من جهة الشرق (١١) . اما الباب الرابع فهو نحو الجنوب ويوءدى الى تقوع .(١٠)

ووصف البلدة السائح او نجيريو عام ٤٤٠ م "بأنها تقع جنوب اورشليم بستة اميال يحيطها سور في مكان ضيق جدا ، منخفض ودون ابراج . اما دير هيرونيموس فمحروس ببرج"(١٠) ويقول دالمان في كتابه "قرى وطرقات" ان محور البلدة كان في الوسط بين اخاديد المرتفعات الثلاثة" .

ولد النبي العربي محمد بن عبدالله بن عبد المطلب في الثلاثين من نيسان عام ٥٧١ م ، وبظهوره بزغ نجم الامة العربية على المسرح العالمي فاتسعت في كل اتجاه واسست امبراطورية عظيمة زودت العالم بالكثير من علومها وحضارتها . وبعد موت النبي عام ٦٣٢ م خلفه ابو بكر الصديق لعام وربع فقط ثم جاء عمر بن الخطاب اول من لقب بأمير المؤمنين . وفتح بلاد الفرس شرقا ثم سوريا (٦٣٥م) ومصر (٦٣٩م) غربا وحاصر جيشه تحت امرة عمرو بن العاص القدس وبيت لحم عام ٦٣٧ م فلم يتمكن البطريرك صفرونيوس مع رجال الدين والطائفة المسيحية في اورشليم من القدوم الى بيت لحم لاقامة الحفلات الدينية الميلادية فيها (١١) . وبانتصار عمرو بن العاص على البيزنطيين في اجنادين (الى الغرب من بيت لحم على طريق غزة القدس) في ٧/٣٠/ ٦٣٨ م تم له احتلال الجنوب كله (٦٨) .

وبعد دخول عمر بن الخطاب القدس بعد ظهر الجمعة ٢٢ شباط عام ٦٣٨ م جاء لزيارة بيت لحم والتبرّك برؤية موقع ميلاد المسيح فحضرته الصلاة فانزوى في الحنية الجنوبية من الكنيسة وصلى بخشوع واجلال في هذا المكان المقدس شاكراالله ومتجها بصلاته نحو قبلة مكة المكرمة . وكانت الحنية آنذاك مرصوفة بالفسيفساء الفاخرة ارضا وجدرانا . وسمح للمسلمين بالصلاة فرادى في الكنيسة مانعا التجمع والاذان فيها . كما اوصى بعدم تغيير اى شيء فيها .

وزاول المسلمون الصلاة في الكنيسة لقرون لحقت ، كما كانوا يحجون الى بيت لحم مولد عيسى . وكان ان اجتمعت الطائفتان المسيحية والاسلامية لتقيما الشعائر الدينية كل منهما بمناسبة عيد الميلاد في هذه الكنيسة . ومع ان هذه الاوامر والتعليمات لم تتبع فيما بعد الا ان السلطة التامة على الكنيسة بقيت في يد اصحابها .

ونكث بعض الولاة العرب العهود السابقة بعد موت عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان فضيقوا الخناق على المسيحيين وهدموا الاديرة والكنائس التي لم تذكر في عهدة عمر . واسلم العدد الاكبر هربا من الموت او ترك البلاد وتركها قسم آخر حتى تضاءل عدد المسيحيين في البلاد في اول حكم الدولة الاموية وبعد حكم معاوية بن ابي سفيان الى ثلاثة واربعين الفا فقط بعد ان كانت البلاد جلها مسيحية . وزاد الاضطهاد والملاحقات

زمن عبد الملك بن مروان وابنه الوليد بن عبد الملك واخيه سليمان ثم عمر بن عبد العزيز (٧١٧ = ٧٢٠ م) والخليفة العباسي المتوكل ٨٤٧ – ٨٦١ فهدمت الكنائس والاديرة واجبر السكان على اعتناق الاسلام او نرك البلاد مما يتنافى والخلق العربي وسماحة الاسلام والعهود المقطوعة من النبي محمد وخليفته عمر بن الخطاب وسواهما (٢٢) .

العهدة العمرية : اجتمع عمر بن الخطاب بالبطريرك صفرونيوس في جبل الزيتون بعد فتح اورشليم بايام قلائل ومنحه العهدة المعروفة بالعهدة العمرية بخط يده على رق بعرض شبر وطول ستة اشبار لا تزال محفوظة على سلامتها في البطريركية الارثوذكسية في القدس كأثر جليل حمى الكنائس والطوائف المسيحية من شر المتطرفين من امراء وسلاطين . وهذا هو نص العهدة وهي اصلا بالخط الكوفي : (٢١)

"بسم الله الرحمن الرحيم"

الحمد لله الذى شرفنا بالاسلام واكرمنا بالايمان ورحمنا بنبيّه محمد صلى الله عليه وسلم ، وهدانا من الضلال وانقذنا به من التهلكة ، ووحد قلوبنا ، ونصرنا على الاعداء ، وثبت ايدينا وجعلنا اخوة متحابين ، فاحمدوا الله يا عباد الله على هذه النعمة .

اما بعد فهذا عهد مني انا عمر بن الخطاب ، اعطي للشيخ الوقور بطريرك الامة الملكية صفرونيوس على جبل الزيتون بمقام القدس الشريف في الاشتمال على الرعايا والقسس والرهبان والراهبات حيث كانوا واين وجدوا . وان يكون عليهم الامان لان الذمّي اذا حفظ احكام الذمة وجب له الامان والصون منا نحن المؤمنين والى من يتولى بعدنا ولتقطع عنهم اسباب جوانحهم كحسب ما قد جرى منهم من الطاعة والخضوع ، وليكن الامان عليهم وعلى كنائسهم ودياراتهم وكافة زياراتهم التي بيدهم داخلا وخارجا وهي القيامة وبيت لحم مولد عيسى (عليه السلام) الكنيسة الكبرى والمغارة ذات الثلاثة أبواب قبلي وشمالي وغربي ، وبقية اجناس النصارى الموجودين هناك وهم الكرج والحبش والذين يأتون للزيارة من الافرنج والقبط والسريان والارمن والنساطرة واليعاقبة والموارنة تابعين للبطريرك المذكور ، ويكون متقدما عليهم لانهم اعطوا من حضرة النبي الكريم والحبيب المرسل من الله وشرفوا بختم يده الكريم (اشارة الى العهدة الممنوحة من النبي محمد لرهبان طورسينا) وامر بالنظر اليهم والامان عليهم . كذلك نحن المؤمنين نحسن اليهم اكراما لمن احسن اليهم ويكونون معافين من الجزية والغفر والمواجب ومسلمين من كافة البلايا في البر والبحور وفي دخولهم للقيامة وبقية زياراتهم لا يؤخذ منهم شيء . واما الذين يقبلون الى الزيارة الى القيامة يؤدى النصراني الى البطريرك درهم وثلث من الفضة . وكل مؤمن ومؤمنة يحفظ ما امرنا به سلطانا ام حاكما ام واليا يجرى حكمه في

الارض غني ام فقير من المسلمين المؤمنين والمؤمنات ٠ وقد اعطي لهم مرسومنا هذا بحضور جم الصحابة الكرام عبد الله وعثمان بن عفان وسعد بن زيد وعبد الرحمن بن عوف وبقية الاخوة الصحابة الكرام ٠ فليعتمد على ما شرحنا في كتابنا هذا و يعمل به ويبقى في ايديهم ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله واصحابه والحمد لله رب العالمين حسبنا الله ونعم الوكيل ٠"

في العشرين من شهر ربيع الاول سنة ١٥ للهجرة النبوية ٠ وكل من قرأ مرسومنا هذا من المؤمنين وخالفه من الان الى يوم الدين فليكن لعهد الله ناكثا ولرسوله الحبيب باغضا" ٠ (٢٢)

ونصب عمر بن الخطاب اميرا على النصف الجنوبي من فلسطين هو علقمة بن مجزِّز كانت قاعدته ايليا (القدس) كما كانت بيت لحم وجوارها تحت امرته (١٤) ٠

وشغر مركز البطريرك صفرونيوس لمدة نصف قرن بعد وفاته لحراجة الموقف ٠ وكان يقوم مقامه نائب ٠ وحدث زلزال عام ٦٥٩ م هدم الكثير من المدن والقرى والاديرة ومنها اريحا ودير القديس افتيموس الى الغرب من البحر الميت ٠ وكان افتيموس قد زار البلاد واستقر فيها متنقلا في اديرة متعددة حتى استقر نهائيا مع صديقه ثاوكيستوس في برية زوفا غرب البحر الميت ٠ آمن بتعاليمها العرب البدو المجاورون ونصب شيخهم اسبافيت اسقفا عليهم باسم بطرس ٠ وساعد هذا معلمه افتيموس في بناء ديره القريب من مقام النبي موسى في الغور ٠ ومات افتيموس عام ٤٧٣ ودفن في ديره (٢٢) ٠

وحدث زلزال مدمر آخر في عهد الدولة الاموية زمن الخليفة مروان الثاني (٧٤٤ــ ٧٥٠ م) دمر العديد من المدن والقرى بما فيها من اديرة وكنائس ومات الالوف من السكان ٠

وتسلم العباسيون الحكم وحدث جدب لسنين متوالية في البلاد فهجرها العديد من سكانها الى ما بين النهرين زمن الهادى هرون الرشيد (٧٨٦ ــ ٨٠٩) ٠ كما اشتعلت الحرب الاهلية بين القبائل العربية فدمرت مدن غزة وعسقلان وسرفيه (سوفير شرق عسقلان) وبيت جبرين ٠ وهوجمت الاديرة من عصابات دمرت وقتلت الرهابين في اديرة مار سابا وخريطون ، وثيوذوسي (ابن عبيد) ومنهم العربي واليوناني والكرجي والارمني

والسرياني . وتلاحق اضطهاد المسلمين للمسيحيين حتى جاء هرون الرشيد عام ٧٨٦ م واصبح صديقا للملك شارلمان : فأمن المسيحيين ومقدساتهم وعاملهم معاملة حسنة في فلسطين . وسمح للامبراطور شارلمان بترميم وبناء كنيسة العذراء حيث تقوم مكانها كنيسة المخلص اللوثرية في الدباغة اليوم . وشيد بجانبها ديرا لايواء الحجاج الفرنج . واهدى هارون الرشيد صديقه شارلمان عام ٧٩٦ م فيلا وساعة واقمشة نفيسة ، كما ارسل اليه مفاتيح كنيسة القيامة وتعهد بحماية الحجاج المسيحيين القادمين لزيارة القدس (١٤) .

وما ان مات هرون الرشيد حتى عاد اضطهاد المسيحيين وهدم اديرتهم وكنائسهم بتوالي الخلفاء العباسيين الى ان تسلم الفاطميون زمام الحكم عام (٩٩٥م) .

ذكر برنارد الحكيم الذى جاء القدس عام ٨٧٠م بعد نواله رضا بابا روما مارا بالاراضي الابطالية الخاضعة للنفوذ العربي ، فحمله صاحب بارى الامير خفاجة (الذى انتدبه ابو الغرافيق محمد الثاني لاتمام فتح ايطاليا عام ٨٦٥ م) رسائل الى امراء الشرق يوصيهم به خيرا . وصف برنارد اورشليم وما حولها من قرى حيث الاماكن المقدسة "ان المسلمين والمسيحيين فيها على تفاهم تام والامن مستتب ، حتى ان المسافر ليلا عليه ان تكون بيده وثيقة تثبت هويته والا زج في السجن حتى يحقق في امره ويتضح عذره ..الخ (١٤) .

وكانت بيت لحم تعيش من الحجاج الذين كانوا يأمونها سنويا من الشرق والغرب . وهذا ما اوجد بين سكانها صناعات وحرف متنوعة مع الزمن تتناسب وأذواق وتديّن هؤلاء الحجاج .

فوصف اسقف غاليا اركولوف بيت لحم في زيارته للارض المقدسة عام ٦٧٠ م قال "ان البلدة مبنية على حافة تلة تمتد حوالي الف خطوة من الغرب الى الشرق ، يحيط بها سور منخفض دون ابراج . اما التلة فضيقة الظهر حتى لتجد بيوت الاهلين في صفوف طويلة من الغرب الى الشرق ، ويخترق البلدة شارع واحد من الطرف الاخر ، وفي نهايتها الشرقية توجد المغارة المقدسة بشكل نصف مغارة ، مسنودة من الداخل باعمدة ومسقوفة بالحجارة لتتحمل ثقل بناء الكنيسة الكبير فوقها . وحفرت المغارة الى شكل مربع الزوايا وفيها المذود وبقربه وجد الموضع الذى تناقلت عنه الاخبار انه مكان مولد المسيح . وهو

مرصوف بالرخام الفاخر لا الفضة والذهب . اذ يغلب ان ازيلت هذه الزينة المعدنية النفيسة خوف نهبها قبل دخول الفرس والعرب الى البلاد " .

وقال البطريرك اوتيخيوس المتوفى عام ٩٤٠م ان عمر ابن الخطاب اوصى اتباعه ان يصلوا في كنيسة الميلاد افرادا ، لكنهم نسوا هذا الامر في المستقبل .. فصلوا في الحنية الجنوبية جماعات كما أزالوا الفسيفساء المسيحية واضعين مكانها آيات وكتابات عربية" . وهكذا ذكر ياقوت عام ١٢٢٥ م ان المسلمين حفظوا حقهم في الحنية الجنوبية من كنيسة الميلاد حتى في ايام الصليبيين .

وذكر المؤرخ العربي ابو اسحق الفارسي الاستخرجي بيت لحم عام ٩٥١ م زمن حكم العرب لفلسطين بانها قرية . كما ذكرها المقدسي كذلك عام ٩٨٥م .

وافتتح عهد الفاطميين ابن العزيز الحاكم بامر الله الفاطمي عام ٩٩٦ م وهو في الحادية عشرة من عمره وكانت امه مسيحية . أصيب هذا الفتى بجنون القياصرة حين رأى نفسه حاكما مطلق الارادة يأمر يوما بالخير والصلاح ويصب نقمته في اليوم الثاني على من يشاء حتى اقرب المقربين اليه والعاملين معه مسلما كان ام مسيحيا او يهوديا . وسيرته سلسلة من الغرائب والشذوذ . فأمر صباح ١٨/١٠/١٠٠٩ بحرق كنيسة القيامة في القدس وضرب المسيحيين في كنائسهم في جميع انحاء مملكته . فدمر ونهب وحرق ثلاثين الف كنيسة ونكل بالمسيحيين شر تنكيل فقتل الطفل والمرأة والرجل واجبر الباقين على لبس السواد معلقا كل صليب خشب بطول ذراع في عنقه . واعتنق الكثيرون الاسلام قسرا وخوفا كما هاجر العديد البلاد الى المملكة البيزنطية .

اما بيت لحم فيغلب ان احترم مولد المسيح فيها فصانها من الدمار مع كنيستها (١٨) وكان عدد الرهابين المحليين في بيت لحم في القرن التاسع خمسة عشر من كاهن وناسك وكتبة واثنان من النساك اتباع سمعان العمودى يعيشان فوق عمودين امام كنيسة الميلاد . وطائفة مسيحية صغيرة تعيش في بيت لحم متجمعين على قمة التلة الضيقة الى الغرب من الكنيسة حيث كانت تنحصر حدود البلدة الصغيرة . (١١) ، (٢٤) .

ولم تمض فترة قصيرة على التنكيل بالمسيحيين والحرق والدمار من الحاكم بامر الله

حتى جاء ليشابهالخلفاء العادلون من قبله فاصدر عهدة اورد نصها ابن البطريق (٢٥) هي :

"بسم الله الرحمن الرحيم . امر امير المؤمنين بكتب هذا المنشور لينقوفور بطريرك بيت المقدس بما رآه من اجابة رغبته ، واطلاق بغيته من صيانته وحياطته ، والذب عنه وعن أهل الذمة من نحلته وتمكينهم من صلواتهم على رسومهم في افتراقهم واجتماعهم وترك الاعتراض لمن يصلي منهم في عرصة الكنيسة المعروفة بالقيامة وخربتها ، على اختلاف رأيه ومذهبه ومفارقته في دينه وعقيدته واقامة ما يلزمه في حدود ديانته وحفظ المواضع الباقية في قبضته داخل البلد وخارجه والديارات وبيت لحم ولد وما برسم هذه المواضع من الدور المنضوية عليها . والمنع من نقض المصلبات بها ، والاعتراض لاحباسها المطلقة لها ،ومن هدم جداراتها وسائر أبنيتها ، احسانا من امير المؤمنين اليهم ، فمن قرأه او قرئ عليه من الاولياء والولاة ومتولي هذه النواحي وكافة الحماة وسائر المتصرفين في الاعمال ، والمستخدمين على سائر منازلهم وتفاوت درجاتهم واستمرار خدمتهم او تعاقب نظرهم ، في هذا الوقت وما يليه ، فليعلم ذلك من امير المؤمنين ورسمه ويعمل عليه وبحسبه ، وليحذر من تعدى حده ومخالفة حكمه ، ويتجنب مباينة نصه ومجانبة شرحه . وليقر هذا المنشور في يده حجة لمودعه يستعين بها على نيل طلبته وادراك بغيته ان شاء الله تعالى .

وكتب في جمادى الاخرى سنة احدى عشرة واربعمائه" وفي اعلاه بخط الحاكم توقيع "الحمد لله رب العالمين" .

وقتل الحاكم بأمر الله بتحريض من اخته عام ١٠٢١ م وحكمت فلسطين من امير حلب صالح بن مرداس الى ان اعادها الفاطميون عام ١٠٢٩م . وعقدت معاهدة مع البيزنطيين وعاد كثير من الاهلين الى نصرانيتهم وازدهرت الاوضاع الى فترة قصيرة في منتصف القرن الحادى عشر ، ليأتي السلاجقة لمدة ثلاث سنوات عام ١٠٧٧ معملين السيف في رقاب المسيحيين وعاد الفاطميون لكن الصراع بقي بينهم سجالا فباغتهم الصليبيون وهم منهوكي القوى والبلاد فوضى والجيش هزيل سئم الحروب وزهد في القتال (١٥) .

تنبذ التعاليم المسيحية القوة وتحبذ السلام ، وتنهى عن القتل وتأمر بالمحبة والتآخي . وهذا ما اعتنقته الدولة البيزنطية والتزمت به . اما الغرب فلم ير في الحروب رذيلة اذ بشر القديس اوغسطين ان الحروب ربما اشتعلت بأمر الهي ، وكانت هجومات الشعوب البربرية على المملكة المسيحية الغربية مبررا لصد هذه الهجمات والقتل والدمار كحرب مقدسة للذود عن الدولة والدين والسلام المقدس . فقد اعلن البابا يوحنا الثامن في القرن العاشر ان من يسقط في هذه الحروب المقدسة فهو شهيد مغفورة له خطاياه .

والتقى البابا اوربان في اواخر صيف ١٠٩٥ في فرنسا وعدد من الامراء والاشراف ورجال الدين والخبراء بمسيرة الحجاج الذاهبين الى فلسطين . واكدوا له الصعوبات والاهانات التي يلقاها الحجاج في اسيا الصغرى في طريقهم الى فلسطين . كما ان الارض المقدسة قد اغلقت في وجوههم . وكانت افواج السياح تتقاطر على البلاد فزارها عام ١٠٢٧ سبعمئة حاج نورماني بقيادة الدوق ، كما زارها حوالي اثنى عشر الف حاج بقيادة اسقف رومبرغ عام ١٠٦٥ م وجاءها عدد آخر عام ١٠٩٣ بينهم الراهب الفرنسي بطرس التقى بالبطريرك الاورشليمي سمعان وتحدثا في تخليص القدس من يد المسلمين الذين اظهروا تعصبا وكرها للمسيحيين فاضطهدوهم وقتلوهم وارغموهم على اعتناق الاسلام . وكانت المذابح قد تكررت هذا القرن عام ١٠٠٩ و ١٠٦٣ ثم على يد السلاجقة التركمان عام ١٠٧٦ م .

ولما عاد الناسك بطرس الى بلاده اخذ معه رسالة من بطريرك اورشليم يستغيث بها بالبابا اوربان الثاني ان يخلص قبر المسيح من قبضة المسلمين ويعتق المسيحيين من ربقة العبودية (١٤) (١٨) .

وانعقد المجمع الكنسي في كليرمونت ما بين ١٨ تشرين الثاني والثامن والعشرين منه عام ١٠٩٥ خطب فيه البابا حاثا على انقاذ قبر المسيح . ومنح المشتركين في الكفاح غفران ذنوبهم ومن مات الملكوت السماوي . كما اعفى المحاربين من دفع ديون الكنيسة عليهم .

وخطب الناسك بطرس في هذا المؤتمر مدعيا انه رأى المسيحيين مثقلين بالسلاسل

الحديدية يعاملون كالاسرى والعبيد في الارض المقدسة • والقبر المقدس مهانا وكهنة الرب اذلاء يجرون خارج كنائسهم حيث يعذبون ويقتلون • وصدر القرار في ١٠٩٥/١١/٢٦ بالقيام بحملة صليبية واسعة لتخليص القدس وقبر المسيح من يد المسلمين • وتدفق المتطوعون من كل طبقات الشعب دون خطة او قيادة او تنظيم او استعداد • يقود كل فئة امير او كاهن او شريف منهم الاعزل والمدجج بالسلاح • وقاد الناسك بطرس متطوعي فرنسا وغودفرى دى بويون امير اللورين خمسين متطوعا من مقاطعته • والكاهن النمساوى غوتشالك متطوعي بلاده والكونت اميكون بوهيموند المتطوعين الالمان وثارنتوم وتنكريد ريموند من . تولوز فرنسا واوستاكيوس متطوعي بولونيا ، وبالدوين وروبرت ابن وليم الفاتح قوادا على فئات اخرى مروا في شرق اوروبا فالبلقان الى آسيا الصغرى قاتلين وناهبين ليؤمنوا القوت لانفسهم وانحدروا الى سوريا فالارض المقدسة فلسطين •(١٤) (١٨) •

اما اسباب الحرب الحقيقية فيختلف في سردها المؤرخون • فمنهم من ادعى انها تخليص المقدسات من يد المسلمين • ويعتقد الروم الارثوذكس ان افعال الصليبيين دلت على غايتهم وهي تخليص المقدسات من ايديهم والقضاء على الارثوذكسية • بينما هناك من يدعي انها غاية تجارية محضة وآخرون يعتقدون ان البابا اوربان اراد التخلص من الامراء والاشراف الاقطاعيين الذين كانوا مصدر شغب واقتتال دائم بينهم فدعاهم "ان كان لا بد من اراقة الدماء فهاكم الكفار اذهبوا واغمسوا ايديكم في دمائهم فيا جنود الجحيم كونوا جنود الله الذى لا يموت" (١٤) ، (١٨) ويعتقد آخرون انه عندما احتل السلاجقة اورشليم ١٠٧٠ وآسيا الصغرى عام ١٠٩٢ طلب امبراطور بيزنطية من بابا روما اعادة توحيد الكنيسة التي انشقت عام ١٠٥٤م كي يقاوم الخطر السلجوقي على امبراطوية بيزنطية كما وتخليص فلسطين ومقدساتها منهم (٦٣) •

ومرت جحافل الصليبيين من جبال الناقورة شمال البلاد آخذة عكا وحيفا وقيصرية وعرطوف ثم اتجهت الى الداخل فاخذت الرملة مركز الحكم العربي في البلاد يوم الثالث من حزيران عام ١٠٩٩ م وكان سكانها قد هجروها ودمروا كنيسة القديس جريس الفاخرة انتقاما من المهاجمين المسيحيين • وبسقوط الرملة تشجع الصليبيون لمتابعة الحرب •كما امروا باعادة بناء الكنيسة الشهيرة واسسوا اسقفيةللرملة واللد معينين الكاهن النورماني روبرت الروني أسقفا عليها •

وترك الافرنج حامية صغيرة تحت امرة روبرت الفلاندرى في الرملة واتجهوا نحو

القدس محتلين عمواس المشرفة من الغرب عليها . وهنا تريث غودفرى دى بو يلّون مجمعا قواه . وكذلك حشد العرب قواهم لحماية القدس مما اخاف اهالي بيت لحم خوفا على اقدس ما لديهم ـ كنيسة الميلاد ، التي كثيرا ما نجت بدفع فدية باهظة فاتفقوا على ارسال وفد الى الصليبيين يطلبون النجدة قبل ان يهاجمهم المسلمون انتقاما من الزحف الصليبي . وتسلل وفد بيت لحم الى عمواس تحت جنح الظلام وطلب النجدة السريعة لتخليصهم وكنيسة الميلاد من الخطر المحتوم . (١٥) ، (١٨) ، (٧٠) فاختار الدوق غودفرى مئة فارس من الشجعان تحت امرة تنكريد وبلدوين دى لي بورج وارسلهم للحال مع وفد بيت لحم مارين فوق الجبال والوديان الغربية للقدس ودخلوا بيت لحم الهاجعة حوالي منتصف الليل . فدب الرعب في قلوب الاهلين ظانين قدوم جيش مصر لنجدة القدس ضد الصليبيين . وما ان بزغ فجر السادس من حزيران عام ١٠٩٩ م وعرفت هوية الفرسان حتى خرجت المدينة بكاملها يتقدمهم رجال الدين بحللهم الكهنوتية والصلبان والبيارق من كنيسة الميلاد لاستقبال المنقذين ، مقبلين ايديهم ومتبركين منهم . وساروا يحتفون بهم حتى دخلوا مغارة الميلاد حيث اقاموا صلاة الشكر والنجاة . ورفع الاهلون علم تنكريد فوق مدخل الكنيسة . فاعتبر النورمانديون كنيسة الميلاد ملكا لهم . (٢٤) اما الجيوش الرئيسية فكانت تتدفق باتجاه القدس ليل نهار . وحدث كسوف للقمر هذه الايام فاتخذه العرب نذير شر لهم اما الصليبيون فبشير نصر . (١٨) .

وانضم تنكريد مع فرسانه المئة قادمين من بيت لحم الى رفاقهم في عمواس . واقتحموا مرتفعات النبي صموئيل مطلين من الغرب على القدس باسوارها وأحيائها ، وعسكروا حولها ما بين السابع والسابع عشر من تموز عام ١٠٩٩ م يوم اقتحموها الساعة الثالثة بعد الظهر مدمرين وحارقين وناهبين وقاتلين ما وصلت اليه ايديهم . فقتل المسلم واليهودى . وطغت اعمالهم على محصور كل، فهم متحدين تعاليم سيدهم المسيح الذين ادّعوا انهم جاءوا لرفع رايته ـ المحبة والسّلام . فزرعوا الحقد والضغينة في قلوب العرب المسلمين الذين اتصفوا بالتسامح واحترام الديانات الاخرى ومقدساتها . وفي اندحار العرب عن منطقة بيت لحم تركوها مع الاديرة والكنائس العديدة ردما وخرابا عدا كنيسة الميلاد . فواجه الصليبيون المتاعب الكثيرة في البناء والاصلاح بعد استلامهم المدينة والبلاد . (١٤) . (١٨) .

وبدأ النزاع بين الامراء والقواد الصليبيين على الحكم في بيت لحم والقدس . اذ ادعى تنكريد ملكية بيت لحم وهو الذى احتلها ، وعارض رجال الدين اذ رفضوا ان تكون

الاماكن المقدس ملكا للاسياد والحكام لكن تنكريد ثبت ادعاءه رغم المعارضة واخيرا ترك الامر دون حل ليبدأ النزاع على حكم وملكية القدس . فثار رجال الدين قائلين "وهل من ملك ارضي يحكم المكان الذى توج وتألم فيه المسيح الملك" .

وانتخب غودفريد ملكا على مملكة اورشليم لكنه رفض لتقواه التاج واللقب ودعى نفسه "حامي وبارون القبر المقدس" . استاء رجال الدين لهذا الانتخاب لكنه لم يستمع لتذمرهم فعملوا على تنصيب بطريرك لهم في القدس رغم وجود البطريرك الارثوذكسي سمعان الذى كان سببا في اشعال الحروب الصليبية بحملته المشهورة ، فطرد من منصبه فالتجأ الى بيت لحم ومنها الى قبرص فالقسطنطينية حيث مات عام ١١٠٦ حزينا شريدا

وسبب الخصام الدائم بين الامراء والقواد ورجال الدين ياسا وندما بين الكثير من الجنود الصليبيين مما حدا بهم الى مغادرة فلسطين عائدين الى حيث أتوا .(١٨)

وطلب الفاطميون النجدة من مصر فانجدتهم الا انهم اندحروا امام الصليبيين في عسقلان ، ولما لم يكن للمسيحيين زمن الحكم الفاطمي الحق في حمل السلاح والدفاع عن النفس ، سهل هذا على الصليبيين دخول البلاد المسيحية دون مقاومة .(١٨) . ومع ذلك فقد حارب عدد غير قليل من مسيحيي الشرق مع العرب المسلمين ضد الصليبيين الغربيين الغزاة . (٦٣) .

وتنفس السكان الصعداء مستبشرين باستبدال الحكم الظالم بالجديد ، لكن الى مدة قصيرة حيث ندموا على هذا التبديل . مقتنعين ان الرحمة واللين كانت من صفات العرب المسلمين ابناء جنسهم وليست في الغرباء المسيحيين ابناء دينهم ، فصدق قول ارميا النبي القائل (٨ : ١٥) "انتظرنا السلام ولم يكن خير ، وزمان الشفاء واذا رعب"

وامتدت سلطة غودفرى من سهل جزريل شمالا حتى النقب جنوب حبرون . وحصن الفرنج هذه المدينة ليحفظوا الامن والسيطرة في هذه المنطقة التي معظم سكانها عرب مسلمون . توفي غودفرى بعد قليل . وفي عيد الميلاد عام ١١٠٠ م زار اخوه بالدوين البطريرك دايمبارت في بيت لحم فتوجه ملكا على مملكة اورشليم خلفا لاخيه . وفي عام ١١٢٢ توج بالدوين الثاني وزوجته في كنيسة الميلاد ايضا ملكا على هذه المملكة (١٨)

وفي هذا القرن من الزمن اسندت ادارة الكنيسة في القدس وبيت لحم الى رئيس ووكلاء من اتباع النظام الاوغسطيني • بني لهم خلايا وقاعة طعام وكنيسة صغيرة قامت مكانها كنيسة القديسة كاترينا فيما بعد ، حول مربع من الممرات تحيطها الاعمدة المزدوجة ذات الرؤوس الجميلة الى الشمال من كنيسة الميلاد • (اكتشفت الاعمدة بعد حريق شب في تلك البقعة في الثلاثينات) •

ووصف سيفولف بيت لحم في رحلته (عام ١١٠٢ ــ ١١٠٣ م) قال "وجدت القرية بيت لحم مردومة حيث دمرها العرب كباقي البلدان في الارض المقدس خارج اسوار اورشليم ، عدا كنيسة مريم العذراء التي كانت فخمة وجميلة" (١٠) •

وكتب بالدوين الاول عام ١١٠٩ م يحث البابا ان يجعل بيت لحم مركزا اسقفيا فاجابه على ذلك في العام اللاحق ضاما منطقة عسقلان ايضا ، وكانت تحت يد العرب بعد ، تحت سلطة الاسقف الدينية • كذلك قدم بالدوين قلعة الزوافير في منطقة عسقلان منحة غفران لاسقف بيت لحم عام ١١١٠ م • وانتخب الراهب أنسلم (Anselm) اول اسقف لاتيني على بيت لحم • وانتشرت املاك هذا الكرسي الاسقفي في كل انحاء فلسطين وفي فرنسا وايطاليا واسبانيا واسكتلندة • (٢٤) •

وأقام الصليبيون اسقفيات اخرى في مراكز اسقفيات الارثوذكس عدا اللد والرملة وغزة وحبرون • اما البطاركة الارثوذكس فكانت القسطنطينية مكان سيامتهم واقامتهم بعد ان طردهم الصليبيون •

وفي مدة الاحتلال الصليبي هذه نقلت رفاة القديس سابا من ديره شرق بيت ساحور الى كنيسة القديس مرقص في البندقية بايطاليا (٢٢) لكنها ارجعت بعد الاتفاق بين البابا بولس السادس والبطريرك المسكوني اثينا غورس عند التقائهما في زيارتهما للاراضي المقدسة في القدس عام ١٩٦٤ • واعيدت البقايا الى دير مار سابا في ٢٥/١١/ ١٩٦٥ باحتفال مهيب •

ودام احتلال الفرنج للقدس ثمانية وثمانين عاما ، انتعشت فيها بيت لحم اقتصاديا وتوسعت وزاد عدد سكانها من الحجاج القادمين مع عائلاتهم او تزاوجوا وانصهروا • كما زاد عدد الحجاج من كل بقعة في الارض جالبين الهدايا للكنيسة معهم ومبتاعين الهدايا

التذكارية من التجار التلاحمة والغرباء التي كانت حوانيتهم امام الكنيسة . وشيد الصليبيون سورا مع برج حول الكنيسة لحمايتها ، لا يزال قسم صغير من السور في الزاوية الغربية الجنوبية من ساحة المهد . كما رمموا القرية المهدمة التي لم يعتقدوا انها ستتسع يوما .

ووصف الرئيس دانيال عام ١١٠٦ - ١١٠٧ م في زيارته الى بيت لحم قال : "يحيط كنيسة الميلاد الواقعة في بقعة متروكة غير مأهولة سور ، كما يحيط البلدة بيت لحم سور ايضا . وكانت بيت لحم القديمة بعيدة عن الكنيسة (١٠) ويصادق هذا القول وصف اركولفو السائح وياقوت المؤرخ العربي .

وصوبت شهرة بيت لحم النامية والمتزايدة انظار العالم الى الكنيسة المتهاوية فيها . وصادف لحسن الحظ اتفاق وتفاهم بين المملكة اللاتينية والامبراطورية البيزنطية في هذه الفترة ، بسبب تصاهر بين المملكتين اذ اقترن بالدوين الثالث ملك مملكة اورشليم من ثيودورا ابنة اخ الامبراطور البيزنطي مانويل كومنينوس . والتقى العاهلان لقاء وديا في معسكر الامبراطور في انطاكية . ويغلب ان يكون اسقف بيت لحم راوول قد حضر هذا اللقاء وشرح لهما وضع كنيسة الميلاد . وخلف اماورى المملكة بعد بالدوين الثالث عام ١١٦٢م بينما بدئ في اصلاح الكنيسة عام ١١٦٥ و ١١٦٩ م تحت اشراف الامبراطور البيزنطي وملك اورشليم اللاتيني اماورى والاسقف راوول وهو انكليزى نورماني ومستشار المملكة اللاتينية وصفه وليم من تاير قائلا "يأخذ هذا المستشار الملكي الكلمة بمعناها وحذافيرها وله حكمة عالمية ، انكليزى الجنس حر ولطيف ، جميل المنظر ومحبوب لدى الملك والملكة والحاشية" .

وبفضل الاسقف راوول توثقت العلاقات بين تانكريد النورماني والاماكن المقدسة . فكان لراوول الفضل في تمكين اول حلقة من العلاقات الطيبة بين كنيسة الميلاد وانكلترا النورمانية (٢٤) .

وكان الترميم شاملا للكنيسة الكبرى والمغارة ، للارض والجدران والسقف . فنزع البلاط العادى ليحل مكانه بلاط رخامي ملون . وغطيت جدران الكنيسة بالرخام المصقول حتى مستوى رأس الاعمدة ، وما فوق ذلك بفسيفساء مذهبة او ملونة من الزجاج والصدف . اما السقف فمن جذوع وسوق شجر ارز لبنان الضخم ، غطي من الاعلى بصفائح رصاصية .

وصفحت جدران مغارة الميلاد بالرخام والفسيفساء ووضعت مائدة رخامية مكان مولد المسيح تاركة فجوة تظهر ضخر المغارة الاصلي من خلفها • واخذ البابان الشمالي والجنوبي للمغارة شكلهما الحالي من اعمدة جانبية رخامية وزخرف من ذلك الحين •

ونصب نجم نحاسي كبير ومذهب فوق ظهر كنيسة الميلاد يرى بريقه من بعد شاسع • كما شيد برج جرسية وهيكل داخلي ملاصق لزاوية الكنيسة الجنوب شرقية (كنيسة مارجريس اليوم) واقيمت بنايات الى الغرب من رواق الكنيسة السابق (٢٤) (دير الارمن اليوم) •

وحدث هذا الازدهار والعمار في عهد كانت فيه مملكة اورشليم اللاتينية آمنة مطمئنة لالتهاء صلاح الدين الايوبي في توحيد البلاد العربية (مصر والشام) ولما مات منافسه نور الدين تاركا وراءه فتى صغيرا وريثا للحكم ، تمكن صلاح الدين من استملاك بلاده حلب وبهذا احكم الخناق على مملكة الصليبيين (١٨) الذين خانوا العهد واخذوا في مضايقة القوافل العربية وسلبها • وحدث ان سلبوا قافلة كانت اخت صلاح الدين فيها ، فثار غضبه وصمم على الانتقام • ونجح في اثارة الصليبيين للمبادرة بالهجوم بعد مهاجمته مدينة طبريا التي كانت ملكا لزوجة امير طرابلس ريموند • فتقدمت جيوش الافرنج نحو طبرية وتوقفوا عند قرية حطين في منتصف الطريق حيث اشتد بهم العطش ، فاخذتهم سهام المسلمين • وقتل وأسر الكثير • وأسر ملكهم وصحبه من امراء وقادة • وقتل صلاح الدين بيده ريجنالد جزاء غدره وحجز الباقين في قلعة دمشق (١٤) • (١٨) • ثم وجه صلاح الدين جيشه صوب المواني والحصون ، فاخذ عكا وحيفا وقيصرية ويافا وصفورية وسبسطية ونابلس وصيدا وبيروت وجبيل والرملة وبيت لحم وعسقلان وبيت جبرين • ثم حاصر القدس واخذها في ٢ تشرين الاول عام ١١٨٧ م • وبهذا تبددت مملكة اورشليم اللاتينية ولم يبق سوى مدن صور وطرابلس وانطاكية • وخرج البطريرك اللاتيني ايراكليوس وحاشيته مع الملكة سابيلا وحاشيتها الى صور وطرابلس • وعاد معظم الصليبيين الى بلادهم • كما تاه كثير منهم في فلسطين واندمجوا مع اهلها لطول مكوثهم تعلموا اللغة وصاهروا اهلها وامتزجوا بهم واخذوا عاداتهم فتعربوا واصبحوا وطنيين كباقي العرب المسيحيين الارثوذكس• (١٥)

وبانتصار صلاح الدين الايوبي تنفس مسيحيو البلاد الشرقيون الصعداء • لما لاقوه من ظلم واجحاف واغتصاب حقوق من الصليبيين ، مما جعلهم ينتظرون هزيمتهم بفارغ صبر ومصير البطريرك سمعان برهان واضح على ظلم تصرفاتهم • كما رحبت الكنيسة

الارثوذكسية اليونانية بعودة الحكم الاسلامي الى الارض المقدسة لما عرف عنهم من تسامح واحترام للاديان الاخرى ، كما وللعداء التقليدى بين القسطنطينية وروما ، وعداء الامبراطورية البيزنطية للصليبيين ولا سيما بعد وفاة مانويل . وجنح اندرونيكوس كومنين الى اقامة تحالف مع المسلمين مرسلا اسحق كومنين لتهنئة صلاح الدين بالاستيلاء على القدس ، كما طلب تجديد التحالف ضد الفرنج ، وعودة رجال الدين الارثوذكس المبعدين الى الاماكن المقدسة (١٨) .

ومنح صلاح الدين الايوبي المصرى رعاياه الاقباط وجيرانه الاحباش حقوقا في كنيسة القيامة بالقدس . كما ومكانا للصلاة في كنيسة الميلاد في بيت لحم قرب باب المغارة الشمالي . وانشأوا لهم غرفا في حضير الكنيسة المهدّم . (١٤)

وبعودة العرب الى البلاد انقطعت العلاقات المتينة التي كانت تربط بيت لحم بالغرب وسببت لها الازدهار والنمو متأثرة بعاداته وصناعاته وازيائه . وخرج منها الاسقف اللاتيني وحاشيته الى ان عاد وطلب اسقف سالزبرى هوبرت والتر مبعوثا من ريكاردوس قلب الاسد الى صلاح الدين عام ١١٩٢ م ان يسمح لكاهنين مع شماسين لاتين السكن في بيتلحم لاقامة الشعائر الدينية مع الكهنة الوطنيين للحجاج الغربين . (٢٤)

وفرضت الحكومة الاسلامية ضريبة على الحجاج المسيحيين يدفعونها لجاب مسلم على مدخل الكنيسة . وذكر بعض الحجاج مدينة بيت لحم عام ١٢٢٥ م بأنها مزدهرة ولها سوق وبازار" . بينما ذكرها ارناول السائح عام ١٢٣١ م "انها وان كانت مدينة الا انها صغيرة وفيها شارع واحد فقط" .

ومات صلاح الدين عام ١١٩٣ م ودفن في دمشق وتولى اخوه الملك العادل ، الحكم فعاد الاضطراب الى البلاد وتفشى الظلم وملاحقة المسيحيين . وحنث بالعهود المقطوعة لهم وقتل منهم الاعداد الكبيرة عام ١١٩٧م . كما ادعى المسلمون حق التجمهر والصلاة في كنيسة الميلاد رغم المعاهدة المبرمة في يافا بين السلطان كامل محمد وفريدويك الثاني امبراطور المانيا عام ١٢٢٩ م ولعشر سنوات ، والتي بموجبها اعيدت بيت لحم والقدس والناصرة للفرنج تحت حكم فريدريك الذى كان يتقن اللغة العربية وذا حنكه سياسية واسعة اذهلت العرب والفرنج على السواء . (٤٩) وما ان ترك فريدريك فلسطين حتى اندلعت ثورة اهلية فيها بين الفرنج واتباع الامبراطور الالماني حتى عام ١٢٤٣م

(٦٠) • وعاد الاسقف اللاتيني الى بيت لحم مع عدد من رجال الدين • وحصن الصليبيون مدينة بيت لحم والمدن الاخرى التي في يدهم •

وجددت هذه المعاهدة بعد مفاوضات بين الكونت كورنوول وريتشارد والملك الصالح نجم الدين خلف الملك الكامل عام ١٢٤١ م • واخيرا احتل الاتراك المماليك القدس وبيت لحم عام ١٢٤٤ م (٦٠)

وكتب الاسقف الالماني اركلفوس عام ١٢١٧م عن بيت لحم قال : "ان سكان بيت لحم كلهم مسيحيون ومحذور على المسلمين سكناها ، الا ان جباة الضرائب على باب الكنيسة كانوا عربا مسلمين • وكانت الكنيسة بجمالها وعظمتها والقرية سالمة غير مأذية (١٠) •

كذلك وصفها الكاهن الاوغسطيني جياكومو الفيروني عام ١٣٣٥ م قال :"وبجانب كنيسة بيت لحم التي فوق جبل جميل تحيطه اشجار الكرمة والتين والزيتون ، هناك قرية بيت لحم الكبيرة التي تبعد ستة اميال عن اورشليم وفيها الكثير من المسبحيين ، مكان جميل انتقاه المسيح ليولد فيه" (١٠)

وجاءها بعد عام جوجليلو من بولد نسيله ليعطي نفس الوصف تقريبا حيث قال : "ان بيت لحم بلدة صغيرة الحجم لا يتناسب والسر العظيم الذى حدث فيها • وهي مستطيلة ضيقة العرض ، لها حماية طبيعية من الوديان العميقة المحيطة بها • معظم سكانها مسيحيون ارثوذكس • وبعملهم للارض التلحمية المحيطة بها تعطي الوافر من النبيذ الجيد" (١٠)

وصعفت الكنيسة وازداد فقرها في العشرة الاعوام اللاحقة تحت ادارة الاسقف الابطالي الاصل جيوفاني رومانو وحاشيته ، اذ استغلوا الكنيسة لمصلحتهم الخاصة فباعوا الكثير من الاثار الكنسية الهامة فافقروها في محتوياتها (٢٤) وكملت الكارثة على البلاد باحتلال الخوارزميين لها زمن جانكيزخان عام ١٢٤٤ م فقتلوا ودمروا ونهبوا ما امكنهم وهدمت بيت لحم والقدس على ايديهم •

وخلف الاسقف الجشع جيوفاني رومانو اسقف نفي هو غودفرى دى بريغنتي حاول

انتشال الكنيسة من الافلاس فجمع التبرعات من فرنسا وانكلترا واسكتلندا واعاد املاكها لها في فرنسا ، ثم عاد الى فلسطين عام ١٢٥٣ م ٠ (٢٤)

ولسوء طالع البلاد اسقط الحكم الايوبي في مصر واستلمته المماليك عام ١٢٥٠م ٠ وباستلام السلطان ركن الدين بيبرس الملقب بالظاهر عام ١٢٦٠ بدأ الظلم والملاحقات ضد المسيحيين ومقدساتهم ٠ فاصدر امرا عام ١٢٦٣ بهدم سور بيتلحم وابراجه اما الكنيسة فنجت باعجوبة من دماره ٠ وتروى القصص الخيالية عن كيفية نجاتها ٠ روى بورخارد من جبل صهيون بعد عشرين عاما من محاولة تدميرها القصة التالية : عندما رأى السلطان بيبرس زينة الكنيسة الفاخرة والرخام والاعمدة امر باخذها الى بابل (القاهرة) راغبا ان يبني لنفسه منها قصرا ، وبدأ العمل بحضور السلطان مع جمع غفير ٠ وللحال ظهر ثعبان امسك بفكيه البلاط الرخامي المقتلع من ارض الكنيسة وحطمه قطعا قطعا الواحدة تلو الاخرى مما افزع الحضور ٠ فامر السلطان بايقاف العمل فاختفى الافعوان للحال ، ولم يكن في الجدران ثقوب ٠ وهكذا بقيت الكنيسة سالمة كما هي (٢٢) (٢٤) ٠

كذلك امر السلطان بيبرس بابعاد رجال الدين الغربيين الفرنسيكان عن البلاد عام ١٢٦٦ م وبهذا ابعد التأثير الاوربي عن بيت لحم واعادها تحت التأثير الشرقي ولذلك لنقمته على المملكة اللاتينية وحسن علاقته بالمملكة البيزنطية ٠ وبقيت هكذا حتى عاد التعادل السياسي بين الفرنج والسلطان بمعاهدة عام ١٢٧٢م ٠ ومنع بيبرس المسلمين من التجمع والصلاة في كنيسة الميلاد بعد ان شكاهم له الروم ٠ واستغل السلاطين الاماكن المقدسة لاشباع جشعهم وغاياتهم السياسية مبتزين الاموال تحت طائل التهديد والقوة٠

وكان عهد الايوبيين لتاريخ بيت لحم خريفا فاصبح عهد المماليك شتاء طويلا ، ساد فيه الظلم والاستبداد والابتزاز وطرد الاسقف اللاتيني منها ، وتبددت املاك الكنيسة في اوروبا حتى تدخل البابا يوحنا الثاني عشر مع ادوارد الثالث ملك انكلترا ودافيد الثاني الاسكتلاندى وسيمون رئيس اساقفة كنتربرى طالبا منهم عضد اسقف بيت لحم ليتمكن من تحصيل ايجارات املاك كنيسة بيت لحم في انكلترا واسكتلندا ، ليعود ويرمم الكنيسة المتهاوية ٠ لكن هذه الوساطة لم تفلح كما كانت الفرامانات الصادرة عن السلاطين بشأن اصلاح الكنيسة عائقا لا مشجعا على ذلك ٠

وحضر الراهب الايطالي يعقوب دى فيرونا احتفالات عيد الميلاد في بيت لحم عام ١٣٣٥م فوصفها بقوله : "يتقاطر المسيحيون من كل نواحي الارض المقدسة والاقاليم الاخرى من سوريا ومصر وفلسطين حيث يقدسون اليوم الذى جاءت فيه العذراء مريم ليلة ميلادها الى بيت لحم • ويأتون باعداد كبيرة" • ثم يقول : "حضرت حقا مساء ذلك السبت حيث تجمهر اكثر من خمسة الاف نسمة من مختلف الجنسيات لنرتل التسابيح المسائية كل بلغته وفي قسم خاص من الكنيسة • وفي صباح العيد استلمت كل جماعة مائدة صلاة عينت لها • اما المائدة الكبرى والعليا فللروم الارثوذكس والتي في الاسفل الى جانب المذود فللمسيحيين الفرنج حيث احتفلت معهم بالعيد ايضا • وكنا اكثر من مئة افرنجي مسيحي ، منهم ناسكون واعظون وناسكون صغيرون وعدد من رجال الدين والعلمانيين الحجاج ، اقمنا احتفالا لمجد الله • وكانت في الجانب الايسر من الكنيسة ثلاث موائد حيث يحتفل الهنود والنوبيون والنساطرة • والى اليمين مائدة واحدة ، حيث قبور اربع وعشرين طفلا بريئا ، لليعاقبة حيث يحتفل السريان ، اما الجورجيون والموارنة فعلى موائد خارج الكنيسة" •

وتدهورت بيت لحم الى مستوى خربة بالرغم من عدد لا باس به من السكان المسيحيين الذين اصلحوا بيوتهم بعد ان اظهروها من تحت الردم • ووصف المسكون منها عام ١٣٤٥م بانه "بطول ضربه مقلاع وعرض رمية حجر" • ومر منها السائح نقولا دى بوجيبونسي عام ١٣٤٧ ووصفها قائلا : "معظم سكان بيت لحم مسيحيون مع قليل من العرب ، ويصنع النبيذ فيها باذن من السلطان ، والبلدة مدمرة تقريبا • اما البيوت التي يسكنها المسيحيون فقد اعادوا بناءها • وتقوم البلدة فوق هضبة صخرية ، وامامها الى الشرق توجد الكنيسة التي ولد فيها المسيح" كما ذكر انه حضر دخول الفرنسيسكان الى بيت لحم بأمر وعطاء السلطان المملوكي المظفر • وسكنوا دير الاوغسطينيين الذى اصبح ديرا لهم بعد الان • (٥٤) (٣٨) واسس اليونان في نفس الوقت اسقفية في بيت لحم : دمجت فيما بعد مع مهمة البطريرك الاورشليمي حتى عام ١٨٨٦م (٣٨)

اما الارمن فقد اقاموا مركزا اسقفيا في بيت لحم في القرن السابع عشر (١٠) (٣٨) وكتب المحامي مارثوني عن بيت لحم عام ١٣٩٥ م يقول "اما كنيسة مريم في بيت لحم فقد كانت عظيمة وجميلة قبل تخريب العرب لها ، فكانت لها قلعة عظيمة وامامها بنايات جميلة متعددة الا انها دمرت بكاملها وكانت بيت لحم مدينة كبيرة ، اما الان وبعد ان

خسرها المسيحيون فقد دمرت وفيها ربما ثلاثون بيتا حقيرا يسكنها المسلمون والمسيحيون من المناطق المجاورة • وحول سفوح الجبال اشجار زيتون كثيرة" •

وزار ابن بطوطة محمد ابن عبدالله المراكشي بلاد الشام قادما من مصر في تموز عام ١٣٢٦ م فزار مدينة خليل الرحمن وذكر انها مدينة صغيرة المساحة كما ذكر مسجدها وموقعها الطبيعي ، وعرج على تربة يونس (يونان) ووصل الى بيت لحم موضع ميلاد عيسى عليه السلام وبه اثر جذع النخلة ، وعليه عمارة كبيرة • والنصارى يعظمونه اشد تعظيم ويضيفون من نزل به" (٢٧) (١٤) •

وذكر ياقوت الحموى في معجم البلدان (ج ١ ص ٧٧٩) : "بيت لحم بلد قرب بيت المقدس عامر حافل فيه سوق ومزارات ومكان مهد عيسى بن مريم • ولما ورد عمر بن الخطاب الى بيت المقدس أتاه راهب من بيت لحم فقال له معي منك امان على بيت لحم فقال عمر ما اعلم ذلك • فأظهره وعرفه عمر فقال الامان صحيح ولكن لا بد في كل موضع للنصارى ان نجعل فيه مسجدا • فقال الراهب ان في بيت لحم حنية مبنية على قبلتكم فاجعلها مسجدا للمسلمين ولا تهدم الكنيسة • فعفا عمر عن الكنيسة وصلى الى تلك الحنية واتخذها مسجدا وجعل على النصارى اسراجها وعمارتها ولم يزل المسلمون يزورون بيت لحم ويقصدون الى تلك الحنية ويصلون فيها • وينقل خلفهم عن سلفهم انها حنية عمر بن الخطاب وهي معروفة الى الان ، لم يغيرها الافرنج لما ملكوا البلاد • ويقال ان فيها قبر داود وسليمان" •(٥٥)

واعتلى العرش الملك الظاهر جقمق عام ١٤٣٨ م وارسل الى القدس خاصكيا اسمه اينال باى يطلب من الشيخ محمد المشمّر ان يزوده بكشف عن الاديرة المسيحية • فهدم ما استجد بدير صهيون وسواه في القدس وانتزع قبر داود من ايدى النصارى ، ونبشت عظام الرهبان المدفونين قرب النبي داود يوم الاثنين الثاني عشر من جمادى الاخرة عام ٨٥٦ هـ (١٤٥٠م) وبطش وقتل واخرج المسجد من دير السريان واستلمه الشيخ محمد المشمّر ليجعل منه زاوية اسلامية وهدم البناء المستجد ببيت لحم • وهدم كل ما استجد من اديرة النصارى • وسمح المماليك بهجرة اليهود لمقاومة المسيحيين (١٤) ويعتقد ان الجرسيات من الكنائس ازيلت في هذه الفترة•

وساء وضع الاهلين زمن الحكم المملوكي وعم الفقر بينهم اذ انقطع سبيل رزقهم من

تجارة التحف التذكارية للحجاج . ومنع عنهم اى رزق حتى الزراعد . وساء وضع الكنيسة جدا فوصفها لويس دى روشيشوارت عام ١٤٦١ م قائلا "ان العوارض الخشبية المثبتة للسقف قد نخرت وتتساقط يوما وبالاخص القسم الذى ما فوق المرتلين" . (١٤) . وبعد عشرين عاما من هذا التاريخ كان سقف الكنيسة مسنودا باخشاب لنمنع تداعيد . والعصافير والحمام يتطاير في اجواء الكنيسة من فجواتد . وكان الامبراطور البيزنطي اليكسيس الرابع كومنينوس قد حاول ترميم الكنيسة عام ١٤٣٥ م ، لكن المماليك منعوه . كما منعوا اليونان من المراكز الدينية في البلاد وحتى منعوا لغتهم من الاستعمال واضعين اللغة العربية مكانها . واصبح العرب اصحاب السلطة الدينية في البلاد ولغتهم لغة الكنيسة لمدة ثمانين سنة .

ومنح السلطان قونصوه الغورى المملوكي البطريرك الاورشليمي مرقص الثالث حق حيازة مفاتيح كنيسة القيامة في القدس والمزارات المسيحية كلها . وكان هذا البطريرك يحمل لقب "بطريرك المدينة المقدسة اورشليم اساقفة بيت لحم وصهيون المقدسة وسورية والعربية وعبر الاردن . مما يظهر انه لم يكن لبيت لحم اسقفا في هذه الايام . (١٤) ، (٢٢) .

رفض طلب الدوق بورجوندى لترميم الكنيسة عام ١٤٤٨ م . واخيرا نجحت مساعي الغرب عام ١٤٨٠ بالحصول على اذن للوكيل الفرنسيسكاني جيوفاني دى توما سيلي من السلطان قايت بك لاصلاح الضرورى اصلاحه لتأمين الكنيسة من الانهيار والمصلين من الاذى . وللحال شحنت حمولة سفينتين من الخشب طلبت من البندقية وحملتها سفن الجمهورية مع صفائح الرصاص التي بعث بها ادوارد الرابع ملك انكلترا . كما ساهم دوق بورجوندى فيليب بالعمال والخشب والحديد والالات الاخرى اللازمة للعمل الذى انتهى بدقة وسرعة وحفظ الكنيسة من الانهيار . وحصل الفرنسيسكان على ادن من السلطان قايت بك عام ١٤٨١ م لبناء العاضدة الخارجية من الغرب ، وشمال مدخل الكنيسة الصغير ، لدعم جدار الكنيسة الغربي خوف سقوطه . بينما رفض السلطان ترميم الفسيفساء والزينة الداخلية التي اوشكت على الزوال .

وأبى السلطان الاشرف قايت باى الا وان يذكر في التاريخ فامر بهدم السور من حول مدينة بيت لحم عام ١٤٨٩ م وكان المنفذ نائبه في القدس الامير خضر بك السيفي فهدم السور وملاء الخندق المحيطة بالسور ترابا . (٢٢) .

وتدهور وضع الطائفة المسيحية وزاد فقرها . ونهبت محتويات الكنيسة وزينتها رويدا رويدا حتى اصبحت عارية من كل زينة فاخرة وجمال في نهاية القرن الخامس عشر ، فوصفها فيليكس فابرى : "انها بيدر دون قش وصيدلية بلا قوارير ومكتبة خالية من الكتب" . (٢٤)

وكتب قاضي القضاة ابو اليمن القاضي مجير الدين الحنبلي في كتابه الانس الجليل بتاريخ القدس والخليل ٩٠١ هـ عن بيت لحم قال : قرية قريبة من القدس وهي عنها نحو ربع بريد من جهة القبلة وبها ولد سيدنا عيسى عليه السلام وقد ورد في حديث المعراج الشريف ان جبريل عليه السلام قال للنبي صلى الله عليه وسلم حين اسرى به انزل فصل فنزل فصلى . قال أتدرى اين صليّت ، صليّت ببيت لحم حيث ولد عيسى عليه السلام . وكان عبدالله بن عمرو بن العاص يبعث بزيت يسرج في بيت لحم حيث ولد عيسى عليه السلام . وهذه القرية غالب سكانها في عصرنا (١٥٣١ م) نصارى وبها كنيسة محكمة البناء بها ثلاثة محاريب مرتفعة أحدها موجه الى جهة القبلة الشريفة والثاني الى جهة الشرق والثالث الى جهة الصخرة الشريفة . وسقفها خشب مرتفع على خمسين عمودا من الصخر الاصفر الصلب غير السوارى المبنية بالاحجار وارضها مفروشة بالرخام وعلى ظاهر سقفها رصاص في غاية الاحكام . وهذه الكنيسة من بناء هيلانة والدة قسطنطين كما تقدم وفيها مكان مولد عيسى عليه السلام وهو في مغارة بين المحاريب الثلاثة . وللنصارى فيها اعتقاد ويرد اليها من بلاد الافرنج وغيرها الاموال لها وللرهبان المقيمين بالدير المجاور للكنيسة . (٦٩) ص ٤١٤/٤١٥ .

وسقطت ثلوج قوية عام ٨٧٧ هـ (١٤٩٢ / ١٤٩٣ م) دام اكثر من عشرين يوما في شوارع القدس كما سقط ثلج قوى عام ٨٩٨ هـ (١٥٢٨ م) في المنطقة ايضا سبب الكثير من الخسائر وردم البيوت (٦٩) ص ٦٩٧ ج ٢ فلا بد وان حصلت خسائر كبيرة في الارواح في بلد فقير ومدمر مثل بيت لحم .

وكتب السائح كاسولا الذى جاء بيت لحم عام ١٥٩٤ م بعد الاحتلال التركي بثلاثة ارباع قرن يقول : "في البلدة قليل من الجنود يسكنون الاماكن المردومة التي لا تصلح سوى للحيوانات مأوى ، ويقترب الهدم والدمار من مكان الكنيسة" .

وبقي الحال في البلاد مضطربا بين المماليك البحرية والجراكسة . وساء وضع

المسيحيين اكثر فاكثر ، وقل عددهم في بيت لحم فذكر الاب سوريانو "ان القرية تحوى حوالي مئة وخمسين موقدا فقط" (١٠) وهكذا انحطت قوة الكنيسة في فلسطين عامة ٠ وفي عهد طومان خليفة قونصوه انحلّت دولة المماليك الجراكسة وحلت محلها دولة الاتراك العثمانيين عام ١٥١٧ م ٠

العهـد التركـــي العثمانـــي

خلع سليم العثماني اباه عن الحكم وتبوأ السلطنةعام ١٥١٢ م مما اغاظ اخيه قورقود الذى التجأ الى سلطان مصر المملوكي قونصوه الغورى لينصره على اخيه . فزوده قونصوه بعشرين بارجة ليهاجم بها القسطنطينية . وهذا ما اثار غضب اخيه السلطان سليم فصمم على فتح الشام ومصر والقضاء على سلطة المماليك . وزحف الجيش التركي نحو سوريا اشتبك مع قونصوه الغورى في معركة قرب "مرج دابق" في سوريا انتصر فيها الاتراك واستلم السلطان سليم حلب دون حرب ثم احتل حمص حيث قتل قونصوه . واخذ حماه فدمشق وتوجه بعدها صوب فلسطين فاشتبك مع طومان باى ابي النصر ، الذى خلف عمه قونصوه ، في معركة اللجون انتصر فيها الاتراك لحنكة قوادهم وحسن تسلحهم وفظاظتهم ودخل السلطان سليم القدس دون قتال عام ١٥١٧ م (٩٢٣ هـ) وتابع سيره جنوبيا ففتح مصر واعدم السلطان طومان باى وبهذا انتهت دولة المماليك التي وان خلف ملوكها الكثير من الاثار والمعاهد العلمية والمساجد والملاجيء اينما ملكوا الا ان مظالمهم طمت على حسناتهم فكم قتلوا بريئا واعانوا ظالما وسلبوا مالا فالقول ما قالوه والحكم ما اصدروه فنسي الناس خيرهم وذكروا ظلمهم وشرهم وحمدوا الله على زوال حكمهم .(١٥) .

ومن هذا العام ١٥١٧ م بدأ الاحتلال التركي لفلسطين ليدوم اربع مئة عام بالتمام وبه انتهت محاولات الغرب لاسترجاع البلاد بحروب صليبية عامدين بعد الان الى التقرب للباب العالي عن طريق دبلوماسي ليحظى بصداقته ، فارسل فرنسوا الاول ملك فرنسا اول قنصل فرنسي الى القدس عام ١٦٢١ م ليحافظ على حقوق ومصالح المسيحيين الغربيين في فلسطين ويرعاها .

وانعم السلطان سليم على بطريرك القدس عطالله عند دخوله المدينة واستقباله الفاخر فيها فرمانا ملكيا نظير العهدة العمرية وعرفت "بالخط الهمايوني" هذا نصه:

" بحسب تحديدى هذا المقدس ليعمل . وكل من خالفه ليقع تحت سيف الله العادل بمعونة الله العلي ورسوله الحبيب جئت الى بيت المقدس مدينة الهي وامتلكتها في ٢٥ صفر فمثل امامي بطريرك ملة الروم المدعو عطالله مع رهبانه وحاشيته والتمس ان تكون الكنائس التي ضمن اورشليم وخارجها مع الاديرة والمزارات كما كانت قبلا في ملكيتهم وتحت تصرفهم بمقتضى العهد الشريف المعطى لهم من عمر بن الخطاب (رضه) واوامر الملوك السابقين . فأمرت انا ايضا بهذا الفرمان ان يستولوا على المغتسل مع

الشمعدانين القديمين والقناديل وعلى طابقي الحلجند العلوى والسفلي المحتويين على اربع غرف وعلى الغرف السبع العلوية والسفلية الواقعة في المكان المعروف بالسدة مريم وعلى كنيسة القبر المقدس الكبرى والقبر وقبنه مع كل المزارات والكنائس الثلاث الواقعة خارج كنيسة القيامة وفي ساحتها وكنيسة القديس يوحنا الواقعة مقابل هذه وكنيسه القديسة هيلانة التي فوق الدرج وكنيسة القديسة تقلا وصيدنايا واديرة القديسين باسيليوس ونيقولاوس وديميتريوس واديرة القديسين افيميوس وجيورجيوس ودير ستنا مريم ودير القديس يوحنا زبدى الذى للكرج مع كنيسته وبستانه وزيتونه ودير مار يعقوب الذى للكرج ودير القديس جيورجيوس والجسمانية وكنيسة صهيون وحبس المسيح وبيت القديسة حنة والقبور التي في القبو ودير الصليب الذى للكرج مع بستانه وزيتونه ودير القديس سمعان ودير مار الياس مع كروم العنب والزيتون ودير مار سابا ودير مار جريس الواقع بقرب بيت جالا . ومغارة سيدنا عيسى (عليه السلام) ومفتاحي البابين الشمالي والجنوبي وقطعتي البستان الذى حولها وزيتونه والمقبرة والاديرة والكنائس التي في القرى . وعلى الكرج والحبش والصرب الخاضعين للبطريرك مع كل اوقافهم . وان يمتلك مخلفات المطارنة والقسوس والرهبان وان يعفوا من رسومات الجمارك والباج في دخولهم الى المدينة وخروجهم منها ، كذلك عند الماء المدعو بماء زمزم وعند اخذ الجزية من زوار العرب وعلى الدرج ولدى اجراء الكشف وان يعفوا من كل رسم اجبارى ولا تعتدى عليهم امة اخرى بموجب امرى هذا المقدس بل يكون لبطريرك الروم الاولية والتقدم على غيره . فاني بناء على عهد عمر بن الخطاب وبحسب أوامر الملوك الذين قبلي هكذا انا اعطيت وحددت في امرى هذا المقدس لكي يعمل بموجبه على الوجه المذكور اعلاه . وان كان احد من الان فصاعدا من الملوك او الوزراء او العلماء او القضاة او رؤساء بيوت المال او متولي الاوقاف او .. او .. الخ حتى خدم وعبيد بلاطي الملوكي يريدون ان يغيروا او يحوروا هذا التحديد المعطى من قبلي فمثل هؤلاء مهما كانت وظيفتهم ورتبتهم فليكونوا مسؤولين امام غضب الله العلي وعداباته . وما دام هذا الفرمان في ايديهم فيجب ان يظهروا كل خضوع وطاعة .

في سنة ٩٢٣ هـ الموافقة لسنة ١٥١٧م ــ(١٥) .

واستتب الامن اول عهد العثمانيين ، واعطيت حرية العبادة فانتعشت الكنيسة المسيحية ، وقطع السلطان سليم ضريبة الحجاج التي كان عمر بن الخطاب قد فرضها لصالح البطاركة الارثوذكس .

وتولى السلطان سليمان القانوني الحكم خلفا لابيه سليم عام ١٥١٩ م وحفظ هذا العهود المقطوعة من ابيه للمسيحيين • ومنح البطريرك الارثوذكسي حق اقامة حفلة النور قبل عيد قيامة المسيح بيوم (سبت النور) كما وسمح بترميم الكنيسة ودق نواقيسها •

الا ان السلطان سليمان هذا عمل على هدم هذه العهود فهدم دير القديس يوحنا المعمدان الذى في نزل الملكةافذوكية ووضع حجارته في سور القدس الذى بناه ،ورمم الحرم الشريف واخذ البلاط الرخامي من كنيسة الميلاد في بيت لحم واضعه في الحرم المذكور وسلم مفاتيح كنيسة القيامة لعائلة نسيبة المقدسية (١٤) ، (٢٢) واقامها حراسا على باب الكنيسة واحتفظوا بهذا الحق حتى اليوم • ومنح السلطان سليمان خطوطا شريفة الى البطريرك عطا الله بشأن دير مار الياس واملاكه عام ١٥٣٠م وبشأن دير مار سابا واملاكه عام ١٥٣٣ م •

وعاقب السلطان سليمان الرهبان الفرنسيسكان في القدس وبيت لحم عام ١٥٣٧ م فسجنهم اولا في برج داود في القدس ثم ابعدهم الى دمشق لمدة ثلاث سنوات انتقاما من جمهورية جينوه التي هزمت اسطوله وحطمته في نفس العام (٥٤) ولما كانت فرنسا قد عقدت معاهدة صداقة وتجارة مع تركيا في ١٥٣٥/٢/١٥ تضمن حماية وحقوق اللاتين في الاماكن المقدسة اعاد الرهبان الى اماكنهم وأقرّ السلطان سليمان ومن بعده المبدأ التالي وهو ان لا يتعرض احد للرهبان الفرنسيسكان في اقامة شعائرهم الدينية في كنيسة القبر المقدس • وان احتاج ذلك المكان الترميم فعلى الحكومة التركية ان تسمح بذلك على طلب السفير الفرنسي • وبقيت حماية فرنسا هذه حتى ١٩٢٣/٧/٢٤ م حين اصبحت البلاد تحت الانتداب والحماية البريطانية (٦٨) •

واستقال البطريرك العربي عطالله من مركزه عام ١٥٣٤ وخلفه شاب يوناني من المورة يدعى جرمانوس ، درس اللغة العربية وأتقنها حتى ظنوه عربيا •

وبدأت المشاحنات والنزاعات بين اللاتين الغربيين واليونان على ملكية الاماكن المقدسة اذ اعتقد الغربيون انه كما يحق لليونان ان يكون لهم بطريرك في القدس فلماذا لا يحق لهم ذلك (٢٢) •

وزار كاهن فرنسيسكاني البلاد المقدسة عام ١٥٣٥ م وذكر ان عدد سكان بيت لحم

من مسيحيين ومسلمين يقارب المئتين بفضل الاضطهاد المتلاحق وسوء المعيشة زمن المماليك والاتراك (١٠) ٠

وجدد السلطان سليم الثاني العهد للبطريرك اليوناني جرمانوس عام ١٥٣٨ م بحق ملكية الاماكن المقدسة والاعفاءات من الجمارك والرسوم المتعددة ، كما وتقدم بطريرك الروم على سواه من رؤساء الطوائف المسيحية الاخرى ٠ وهذا ما دعا الرهبنة الفرنسيسكان التفكير جديا في كيفية نجاحها واستمرار بقائها في البلاد واستملاك بعض الاماكن المقدسة فيها ٠ ووجدوا ان لاحظ لهم في ذلك ما لم يكن لهم طائفة من العرب المواطنين تدعمهم ٠

وكان موقف اليونان المعادى للعرب آنذاك مشجعا للفرنسيسكان وللعرب ايضا ان ينضموا الى الكنيسة اللاتينية ٠ اذ اعلن البطريرك جرمانوس عداءه السافر اذ منع العرب من المراكز الكهنوتية الرفيعة مستبدلا اياهم بيونان كلما شغر مركز ٠ واصدر مرسوما قبل وفاته يمنع سيامة اساقفة غير يونان ٠

واسس اللاتين لهم طائفة في بيت لحم عام ١٥٥٠ م بالتحاق اثنين بالمذهب اللاتيني كانا يعملان في دير اللاتين ، ثم انضم اليهما شاب ثالث ابن كاهن ارثوذكسي لم يرسم كاهنا خلفا لابيه فالتحق باللاتين احتجاجا ٠ وباهتمام الفرنسيسكان باتباعهم واهمال اليونان للكنيسة والطائفة العربية اخذ عدد الملتحقين بالكنيسة اللاتينية يزداد وينمو ، ولو انهم كانوا يضعون الشروط على الكنيسة اللاتينية بان يحافظوا على الكثير من طقوسهم الارثوذكسية كالعماد حتى الجيل الرابع (٢٢) ٠

وكان عدد طائفة اللاتين قبل القرن الخامس عشر عدة مئات جلّهم اجانب ، وذكر المؤرخ العربي مجير الدين ان سكان بيت لحم جلهم مسيحيون ٠ وزالت طائفة اللاتين من بيت لحم عند احتلال الاتراك البلاد عام ١٥١٧ م ، وعاد بعضهم حتى وصل عددهم المئة نفس عام ١٥٩٨ م ٠ وبعد نصف قرن آخر اصبحوا مئتين ٠ وفي عام ١٦٤٥م كان عدد طائفة اللاتين خمسين عائلة فقط ٠ وفي منتصف القرن الثامن عشر بلغ عددها الى سبعمئة وعشرين نسمة كما ذكرهم "اليعزر هورن" ٠ اما في بداية هذا القرن العشرين فاصبح العدد اربعة آلاف لينقص عام ١٩٤٧ الى ثلاثة الاف ومئتي نفس (٢٨) ٠

وحدث زلزال عام ١٥٤٥ م اسقط جانبا من قبة اجراس كنيسة القيامة في القدس واوقع اضرارا في قبة اجراس كنيسة الميلاد التي كانت فوق كنيسة مار جريس . وليست الجرسية الحاصرة الى الجنوب الغربي من الكنيسة والتي شيدت فقط عام ١٨٧٧ م . ورمم الخراب البطريرك جرمانوس .

وحدث يوم سبت النور لعام ١٥٦٥ وزمن البطريرك جرمانوس ، ان حضر رهبان اليونان الموكول اليهم ادارة كنيسة الميلاد في بيت لحم . الى القدس لحضور العيد ، مسلّمين مفاتيح الكنيسة والمغارة لرهبان الفرنسيسكان كي يشرفوا على اضاءة القناديل والشموع في المهد لتبقى مشتعلة دون انقطاع وعند عودة اليونان رفض الفرنسيسكان تسليمهم المفاتيح . فتقدم البطريرك بشكوى الى الحكومة المحلية فحصل على مفتاح الباب الجنوبي للمغارة فقط .

واستقال البطريرك جرمانوس من منصبه عام ١٥٧٩ موليا ابن اخيه صفرونيوس خلفا له . وكان البطريرك العربي الاسبق لا يزال حيا .

وعقدت فرنسا معاهدة مع تركيا عام ١٦٠٤ م زمن السلطان احمد الاول . تمكن فيها سفير فرنسا دى بريفوس (Des Brevos) من تجديد ما سبق من معاهدات وحصل على امتياز خاص لاتباع المملكة الفرنسية لزيارة الاماكن المقدسة دون عراقيل . كما اجازت المادة الخامسة منها لرهبان الفرنسيسكان في بيت لحم حق التجول في كل انحاء فلسطين اسوة بغيرهم من الرهبان . وهي اول معاهدة خولت اللاتين حقوقا جوهرية في الاراضي المقدسة (١٤) .

وانتعشت بيت لحم بعودة الحجاج للتدفق عليها لكنها كانت فقيرة ولم يعمّر الكثير فيها فذكرها بيترو دالافالي عام ١٦١٦ م بانها مهدمة ,ويرى المرء من الردم ان البيوت كانت كبيرة وجميلة . بينما هي الان قرية صغيرة يسكنها الرعاة وفقراء الناس" (١٠) . كذلك جاءها ج بريموند (G. Bremond) عام ١٦٦٦ م فوصفها يقول "يسكن بيت لحم ثلاثمئة عائلة معظمها من المسيحيين وغالبيتهم لاتين . وقد قاوم الاشداء منهم تعسف الاتراك بفرض الضرائب الغير شرعية عليهم" . وأيد هذا القول السائح لافي (laffi) عام ١٦٦٨ كما ذكره له الاب فرنسيسكو انطونيودى ريميني . (١٠)

وجاء ثيوفانوس عام ١٦٠٨ حتى ١٦٤٥ على كرسي البطريركية خلفا لصفرونيوس . ونصب ابن عمه اثناسيوس اسقفا على بيت لحم . ثم ذهب يجمع التبرعات من الخارج ليسدد ديون البطركية . وفي اثناء غيابه تمكن السفير الفرنسي سيسي (Cesy) من الحصول على فرمان من السلطان مصطفى الاول عام ١٦٢٢ م يسرد فيه ان كنيسة بيت لحم ومغارة الميلاد والحديقة هي ملك اللاتين منذ القدم لذا يجب ان تعطى لهم . وفي عام ١٦٢٩ م منع اللاتين بطريرك الروم من دخول مغارة الميلاد قافلين الباب الشمالي اثناء احتفال عيد الميلاد . فذهب البطريرك الى استانبول وقابل السلطان مراد الرابع الذى اقتنع من صحة الوثائق التى بيده وان كنيسة الميلاد والمغارة والحديقة خلف الكنيسة هي ملك الروم . كما نهى السلطان في بيانه اللاتين من محاولتهم اكتساب طائفة لهم من طائفة الروم ، مصدرا اربعة فرمانات بهذه الحقوق وصلت القدس في اول كانون الاول عام ١٦٣٢ م لكنها لم تنفذ حتى عام ١٦٣٤ في ١٥ تموز ، حيث اعيدت الكنيسة والمغارة والبستان للروم . اما الدير الذى يسكنه الفرنسيسكان شمال كنيسة الميلاد فقد سمح اسقف بيت لحم ببقائه مع الفرنسيسكان لسكناهم رغم ما ورد في الفرمان بانه ملك للروم ايضا (٢٢) واليكم نص الفرمان :

"ان البطريرك الاورشليمي ورهبانه رفعوا عريضة لاعتابنا الملوكيه مضمونها ان كنيسة القيامة ومشتملاتها والجلجثة والمغتسل والشمعدانات والقناديل وكنيسة ميلاد عيسى ومفتاحي المغارة والحديقة والعرف هي لهم من عهد عمر بن الخطاب ودعموا حجتهم بالمستندات الكتابية القوية المصدق عليها من السلاطين السابقين وان الفرنج استولوا عليها بطريق الاستبداد والقوة واغتصبوا منهم مفاتيح المغارة الثلاثة وقذفوا بهم من هناك . وعلاوة على ذلك فقد استولوا على دير بيت لحم وخدعوا الكثيرين منهم فادخلوهم في المذهب اللاتيني وارسلوا اولادهم الى بلاد الافرنج لكي يعلموهم التعاليم الغربية فالتمس البطريرك واتباعه منا ان ترد اليهم جميع مسلوباتهم وان تسلم لهم مفاتيح المغارة . فجرى التحقيق على ذلك في عاصمة السلطنة بحضور شيخ الاسلام والوزراء الفخام . وبعد البحث والتنقيب علمنا بكل جلاء ان الاماكن المذكورة والمفاتيح كانت منذ البدء للارثوذكسيين فاصدرنا هذا القرار النظامي في جانبهم لانهم يدفعون كل سنة الف غرش لجامع والدى المغفور له السلطان احمد خان بخلاف الافرنج الذين قد خالفوا العوائد القديمة لكي تسلم الاماكن المذكورة لايدى الارثوذكسيين واعني بها كنيسة بيت لحم والمغارة ومفاتيحها والدير والبساتين وكنيسة القيامة ومشتملاتها . واذا اراد الافرنج زيارة الاماكن المذكورة يجب ان يكون ذلك باذن وارادة البطريرك الارثوذكسي

بدون ادنى تعد ولاجل احاطة علمكم بذلك اصدرت ارادتي هذه المقدسة لكي يعمل بها فلا يصير للارثوذكس اقل ازعاج من اللاتين ضد الترتيب القديم والعادة الجارية وضد منشورنا هذا السامي .

حرر في الفسطنطينية ١٠٤٧ للهجرة في اواسط جمادى الاولى . (٢٢) وصدق السلطان محمد الرابع خلف مراد الرابع على هذا الغرمان ايضا عام ١٠٥٤ هـ وارسل السلطان مراد مندوبا عنه مع البطريرك تيوفانوس الى القدس واجتمع مع القاضي والمتسلم والمفتي وجميع اولياء الامر في كنيسة القيامة حيث قرأ المندوب الفرمان علانية وفك الختم والقفل عن باب القبر ومغارة الميلاد . وكانا مقفلين طيلة تسعة شهور بأمر السلطان حتى يتم التحقيق . وسلمت مفاتيح القبر والمهد الى البطريرك . وعادت الاماكن المقدسة الى ايدى اليونان . ونزع اللاتين والارمن كل الاواني والستائر والقناديل ملكهم . وفي مدة استيلاء اللاتين على المهد يدعي اليونان ، انهم ابدلوا النجم اليوناني من مكان الميلاد بنجم افرنجي عام ١٧١١ م . (٢٢) .

وابتاع الارمن بيوت اليعاقبة (السريان) في بيت لحم استولوا على قسم منها بالاغراء ووسعوها . كذلك اتفقوا مع الاقباط فسمح لهم هؤلاء باقامة الصلوات على مائدتهم في الحنية الشمالية من كنيسة الميلاد فامتلكوها . الا انهم فقدوا كل هذه الاماكن بأمر من السلطان محمد الرابع عام ١٦٥٧ واستلمها الروم .

وبشروق القرن السابع عشر أشرق الازدهار والرخاء على بيت لحم وسكانها . فاختلاطهم بالحجاج المسيحيين من الغرب در عليهم المرابح وعرفهم على طباع واخلاق ومدنية الغرب فازدهرت التجارة وصناعة التحف التذكارية الدينية كالصدف الذى ادخل صناعته الفرنسيسكان الى بيت لحم في القرن السادس عشر . وصناعة التحف الخشبية من خشب الزيتون كالزاوير والتماثيل البسيطة والصحون والملاعق والشمعدانات والمسابح من بذور الزيتون . وتوصل الامر بالاهلين الى ان استغلوا الحجاج باسعارهم ومضايقاتهم للحجاج ليجبروهم على شراء تحفهم مما اثار الانتقاد والتذمر العلني في القرن الثامن عشر .

ووصف كويسميوس الوكيل الفرنسيسكان بيت لحم عام ١٦٢٨ م وقبل ان نهبت كنيسة الميلاد وجردت من جمالها ، ملحقا بالوصف صورة حفرية صنعها الراهب الفرنسيسكان اميكو

برناردو عام ١٥٩٦ م تظهر فيها بقايا السور الحصين حول الدير والكنيسة ، وترى خرابة الساحة الامامية لها ، والنقص الظاهر في الزاوية الشمال غربية . بسبب ازالة التحصينات من حول الدير . وذكر في وصفه نشاط اهل بيت لحم ومهارتهم في صناعة وحفر الصدف والمسابح الخشبية المصنوعة من بذور الزيتون ، كما ذكر الانتعاش الاقتصادى بين السكان . (٢٤) (١٠) .ووجدت تماثيل خشبية مرصعة بالصدف للقبر المقدس ومغارة الميلاد من القرن السابع عشر .

واختل الامن زمن الحكم التركي للظلم والفقر في البلاد . فانتشر الاشقياء وقطاع الطرق يوقفون السابلة وينهبون ما لديهم من امتعة ونقود . وازدادت الضرائب وشدد على التحصيل فزاد التذمر والفوضى والعصيان وزاد النهب والسلب حتى اخذ هوءلاء المارقون على القانون يخربون ينابيع ومجارى المياه ليقطعوها عن المدن حقدا وانتقاما من السلطات . فذاق اهل القدس الامرين لانقطاع الماء عنهم والبلد قليل الماء قليل الابار يتكل على الماء المسال اليه من الجنوب منذ القدم . فاقام السلطان مراد الرابع فاتح بغداد ، قلعة دعيت باسمه عند برك سليمان جنوبي بيت لحم وعلى طريق الخليل عام ١٦٢٢ م اقام على حراستها دزدارا واربعين جنديا بمدافعهم واسلحتهم ومهماتهم الحربية . وانشأ داخل القلعة مسجدا وخمسين غرفة صغيرة لسكناهم (١٤) وكان الجنود مسوءولين على المحافظة على مجرى الماء بين العروب وبيت لحم مسيرين دورية من الخيالة تغدو وتروح على طول الطريق .

واهتم السلاطين اللاحقون ايضا بهذه القلعة والينابيع والطرق حافظينها من المخربين واللصوص وقطاع الطرق . ومن غرائب ما يذكر عن السلطان مراد الرابع انه اصدر امرا عام ١٦٣٣ يحرم بيع الخمرة ، ويمنع شرب القهوة وتدخين التبغ . وكانت عادة التدخين قد دخلت البلاد لاول مرة في عهد السلطان احمد الاول بن محمد الثالث عام ١٦٠٣ م . (١٤) .

ونزع الاتراك صفائح الرصاص من على ظهر كنيسة الميلاد عام ١٦٤٦ م وزمن السلطان ابراهيم الاول صاهرينه لصنع الرصاص لبنادقهم . وكان ظهر الكنيسة هذا من ترميم عام ١٤٨٠ م . وطلب البطريرك الاورشليمي سماحا من السلطان محمد الرابع بترميم الكنيسة فأذن له عام ١٦٧٠ .

جمع البطريرك التبرعات من الخارج واحضر الاخشاب نقل الخفيف منها على ظهور الجمال من يافا الى القدس فبيت لحم . اما الثقيلة فعلى عربات نقل جرتها عشرون زوجا من البقر اشتراها البطريرك لهذه الغاية حتى وصلت الرملة برفقته . وعبد المسيحيون الطريق من وادى سلامة في برهة خمسة اشهر دون مقابل وكان العمال من مسيحيي القدس واللد والرملة ورام الله . فسقف الكنيسة ورتق رصاص سطحها وكلس جدرانها وفتح نوافذها وفرش جناحي المغارة بالبلاط العادى ودشنها عام ١٦٧٢ م . كما امر بابعاد رفات موتى الافرنج المدفونين جنوب الكنيسة زمن استيلائهم عليها . وحضر سفير فرنسا نوانتل في هذه الفترة لزيارة القدس وحاول الاستيلاء على المهد والقبر ، لكنه فشل اذ خشي جمهرة الاهلين من بيت لحم داخل الكنيسة فعاد الى القدس (٢٢) .

ويذكر ان النجارين الذين اصلحوا سقف الكنيسة وعملوا الايقونسطاس الفاصل بين الهيكل ومكان المرتلين والشعب هم من مدينتي خيوس وميتيلينه(Mitylene + Chios) اما المتبرع بالتكاليف فكان اللحام اليوناني مانولاكيس كاستوريانوس . تبرع بمئة الف كراون لترميم الكنيسة وعشرين الف كراون للسلطان التركي ليسمح بالترميم (٢١) (٢٢) (٥٤) .

وبقيت المنازعات سجالا بين الروم واللاتين على ملكية الاماكن المقدسة ، يستغل كل منهم نفوذه لدى سلاطين تركيا وعن طريق نفوذ السفارات في الاستانة ، فاستولى اللاتين عليها عام ١٦٨٩ حتى عام ١٧٥٦ م حين اصدر السلطان عثمان الثالث فرمانا يمتلك هو نفسه هذه الاماكن . ومنح حق الزيارة فقط للطائفين المتنازعتين . اما الحقوق فوزعها حسب الفرمانات السابقة . فبقيت كنيسة الميلاد مع سطح المغارة للروم اذ تثبت المستندات التي بحوزة الجانبين ذلك . اما المغارة فهي مزار للفريقين ومفتاحاها في يد اللاتين ، لذا وجب صنع مفتاح ثالث بمعرفة المتسلم ليكون في يد الروم كي يقوموا بصلواتهم دون معارضة ، اما الحديقتان التي يدعى اللاتين ملكيتهما ويرد ذكرهما في فرمانات الروم فقط فيجب ان تكونا مشتركة للفريقين بالتساوى" .

حرر في القسطنطينية في اواخر ذو القعدة من سنة ١١٧٠ للهجرة . واقيم ايقونسطاس لكنيسة الميلاد فوق المغارة في عام ١٧٥٦ م ايضا بعد ان استلمها الروم ، ومن تبرع عائلة قيصر روسيا .

ويذكر التاريخ مجمعا كنسيا ارثوذكسيا انعقد في بيت لحم في ١٦٧٢/٣/١٦ لدحض تعاليم كالفين (٦٨) .

عين السلطان سليم الثالث ابن مصطفى الثالث احمد الجزار واليا على بيروت عام ١٧٨٨ م فاعلن العصيان هناك فنحّوه ، فعاد واعلن الولاء للسلطان فالحقوه بالاسطول تحت لواء حسن باشا فانقلب عليه واخيرا استمالته الدولة ثانية وعينته وزيرا وسلطته على الشام وفلسطين حتى عريش مصر . وهذا ما ازعج : نابليون في مصر فصمم ان يحتل بلاد الشام ليوطّد حكمه في مصر . واتخد من تسلط الحزار المتمرد على بلاد الشام عذرا للهجوم . فأخذ العريش عام ١٧٩٩م ثم الرملة ويافا وحيفا وكتب الى اهل القدس بطلب منهم الاستسلام فرفضوا ما دامت العاصمة عكا غير خاضعة له. فهاجم عكا واندحر وعاد لتوه الى مصر عام ١٧٩٩.

وزاد احمد الملقب بالجزار في ظلمه وتنكيله بالاهلين المسيحي منهم والمسلم انتقاما لهجوم نابليون واشباعا لغريزته المجرمة ، وعدم ثقته بأحد ، حتى شوى زوجاته بالنار لارتيابه بهن . كما وضع وتدا كان يجلس عليه كل من خالف رأيه . ومات الجزار عام ١٨٠٤ م عن عمر يناهز الرابعة والثمانين (١٤) .

وعزمت تركيا على اخراج نابليون من مصر فارسلت محمد علي باشا ، واصله تاجر تبغ من قوله في البانيا ، في حملة عام ١٧٩٩ ضده ، ونجح محمد علي عام ١٨٠١ وعين واليا على مصر عام ١٨٠٥ . وتمرد على السلطان عام ١٨١١ م فعزله . فعاد واعلن الولاء للسلطان محمود الثاني متحينا فرصة انسب فأتته عام ١٨٣١ م اذ ارسل ابنه ابرهيم باشا في حملة الى فلسطين بحجة الرغبة في التخلص من عبدالله باشا الجزار الذى رفض تسليم الجنود المصريين الملتجئين اليه . دخل ابرهيم باشا غزة والرملة ويافا ثم حاصر عبدالله الجزار في عكا ستة اشهر واخذها عام ١٨٣١ م ثم انطلق في سوريا فالاناضول حتى وقف امام ابواب القسطنطينية وهددها . فانبرت انكلترا مقنعة روسيا والنمسا ثم فرنسا على مساعدة تركيا ضد هذا المتمرد فطلبت معا من ابرهيم باشا اخلاء سوريا وفينيقية وفلسطين حالا للسلطان واخيرا عقدت معاهدة بين تركيا الهزيلة ومصر في نيسان ١٨٣١ م اصبحت فيها "من اضنة الى غزة تحت سلطة مصر . اى اصبحت سوريا وفلسطين تحت حكم بيت محمد علي الكبير (١٤) . (٦٧) .

ولنعد بعض السنين الى الوراء لنرى ماذا يحدث في هذه المنطقة من اعمال وتطورات ففي عهد السلطان العثماني محمود الثاني نشبت ثورة في اليونان ضد تركيا استغلها المتسلم سليمان افندى اليهودى المسلم ليشعل الثورة في فلسطين عام ١٨٢١ واخذ ينتقم من مسيحيي البلاد شر انتقام حتى جاءه الامر من درويش باشا بامر السلطان ان يوقف القتل والفوضى . وقرئ الامر بعد صلاة الجمعة في الحرم الشريف يوم ٨ تموز ١٨٢١م فهدأت الامور ليثيرها سليمان افندى من حديد عام ١٨٢٣ منتقما من المسلم والمسيحي حتى لقب ببيلاطس القرن التاسع عشر (١٤) (٦٧).

ومن اعماله التعسفية القاء القبض على عدد من افراد العبيدية شرق بيت لحم لمتاجرتهم بالملح ليسدوا رمق جوعهم عام ١٨٢٣ م فاحتل بقية افراد القبيلة دير مار سابا مجبرين الرهبان على رهن املاك الدير ليقدموا النقود لسليمان افندى فدية للمساجين فاصبح الدير في مأزق مالي شديد .

واضطرمت الثورة في البلاد ثانية عام ١٨٢٤ لارتفاع الضرائب الفاحش التي فرضها والي الشام الجديد مصطفى باشا ، اذ رفض اهالي القدس ونابلس وبيت لحم دفعها. فحضر الباشا الى نابلس وحصل الضرائب بالقوة . ثم جاء القدس فوجدها خالية . فشدد النكير على الرهبان في الاديرة والاهلين المختبئين فيها من مسلمين ومسيحيين وجمع المال بالقوة فعم البؤس والفقر . ثم توجه بقوته الى بيت لحم بامرة موسى بك حيث اضطرمت الثورة وقتل عدد من جنود تركيا . واشترك اهل منطقة بيت لحم من مسلم ومسيحي وتعمرى . وكانت ثورة القدس قد خففت من ضغط الجيش على بيت لحم . وطرد الاتراك من القدس وعين يوسف عرب رجيجب آشي وهو من البكتاشيين من جبل صهيون واحمد آغا الدزدار لجنة لتسيير الامور في المدينة . فوثقا أواصر المحبة والاخوة بين المسيحيين والمسلمين ورفعت الاعشار والضرائب المفروضة على بيت لحم وقراها والسكان المسيحيين . الا ان هذا الهدوء لم يدم طويلا اذ ارسل السلطان قائده عبدالله باشا مع جيش قوى اخضع القدس وبيت لحم والقضاء وسلمها لوالي الشام الذى ارسل متسلما جديدا الى القدس عام ١٨٢٧ م وحصل الضرائب المتأخرة عن عامين سابقين مما زاد في الفقر والنقمة والتذمر .

ولما استلم محمد علي السلطة في البلاد كانت النار تحت الرماد . وبتصرفاته التعسفية اشعلها عالية ، اذ جمع الضرائب الباهظة والمتنوعة . واخذ يحاصر المدن

والقرى ليلتقط شبابها للخدمة الاجبارية في جيشه . وطلب تسليم السلاح . وازال نفوذ العائلات والزعماء ونفى عددا منهم . ولا ننسى تحريض تركيا ضده وعداء الانكليز لمصر فاجتاحت البلاد موجة عارمة من السخط والاحتجاج تلاها حمل السلاح واعلان الثورة مشتعلة اولها في السلط ويافا ونابلس ثم انتشرت . فجرت معارك دامية في سعير وسيريس وباب الواد ولفتا وبيت جالا وبيت لحم ونابلس والخليل . وضيق الخناق على حامية القدس ونهبت معداتها ومؤنها من القلعة . فطلب ابراهيم باشا النجدة من بيروت وعكا وطرابلس والشام وكان هو في يافا . وعلم الثوار بذلك فتربصوا للنجدة واوقعوا فيها خسائر فادحة . ودخل ابراهيم باشا ومن بقي معه القدس ، ففر الثوار ومناصروهم الى رام الله شمالا والعيزرية شرقا . واعلن الباشا العفو العام شرط تسليم السلاح فرفض طلبه فلاحق الثوار في مخماس شمال القدس ودحرهم في ٢٠/ ايار ١٨٣٤ لكنهم تجمعوا متنادين للقتال متحصنين في الجبال خلف الصخور وفي الكهوف وبين الاشجار الكثيرة بين القدس وبيت لحم وبيت جالا في ٢١/ ايار / ١٨٣٤ فاقتفى الجنود اثرهم فتراجعوا نحو الجنوب . ودخل الجيش بيت جالا حيث وجد بعض معداته وحاجياته التي نهبها الثوار في القدس فاعمل الجيش البطش والقتل قاتلين ثلاثا وثلاثين نسمة ونهب المواشي وحيوانات النقل والمؤن والمتاع الى ان جاء ابراهيم باشا بنفسه واوقف المجزرة والسلب . وعم الفقر والبؤس اهل البلدة . (٦٧) ، (١٤)

وتجمع الثوار ثانية يوم الاثنين ٤ حزيران ١٨٣٤ في منطقة مار الياس فطاردهم ابراهيم باشا باربعة آلاف جندى ومدفع واحد فارتدوا الى الجنوب الغربي من بيت لحم متحصنين في الجبال خلف الصخور والاشجار والمتاريس التي اقامها الرجال والنساء . وكانت النساء في مأمن من جنود المصريين اذ من العار على الجندى ان يطلق النار على النساء . ونشبت معركة قصيرة هنا دهش فيها جنود ابراهيم باشا من كثرة الاشجار فيها فقالوا "دى هيشة" . وعرفت تلك المنطقة باسم "دهيشة من ذلك الحين .

واندحر الثوار امام الجيش وتابع سيره باتجاه ارطاس فعسكر ابراهيم باشا مع حاشيته عند برك سليمان بينما جاء القائد رشيد بك مع الف وخمسمئة جندى مع ميرالاتهم الى عين ارطاس في الواد الضيق مع خيولهم وهنا ترجلوا يستقون ويستريحون واضعين اسلحتهم جانبا لاعتقادهم ان الثوار فروا وتلاشوا . واذا بوابل من الرصاص يداهمهم من كل جانب فقتل واسر ثماني مئة بينهم الضابط رشيد بك صديق الباشا . وحاول الباشا نجدتهم ثم عاد بمن تبقى الى القدس حزينا مدحورا واختبأ هناك ينتظر النجدة من ابيه

الذى جاء بجيش كبير اخضع البلاد ونفى زعماء القدس الى مصر واحتل الخليل واسر شبابها مدخلهم جيشه عنوة . وطلب تسليم السلاح وشدد التعسف والانتقام فهدم حارة الفواغرة في بيت لحم مجبرا المسيحيين على هدم بيوت المسلمين بالفؤوس . وقطع الاعداد الكبيرة من اشجار الزيتون والتين والعنب في المنطقة ليوقد بها نار المخابز (١٤) ، (٦٧) .

وفر قسم من مسيحيي الكرك الى الخضر غرب بيت جالا من حرب ابراهيم باشا سكنوا الخيام وعملوا كحطابين لكسب لقمة العيش وكان دير الروم يزودهم بالطعام واخيرا اعادهم الى بلدهم . وقد مات منهم الكثير للفقر وصعوبة الحياه . وهكذا فر عرب العبيدية من مضاربهم شرق بيت ساحور وهاموا على وجوههم غرب البحر الميت فمات العديد منهم بسبب سوء المناخ وفتك الامراض بهم . كما حلت كارثة عظيمة لشباب فلسطين المسلمين الذين جندهم ابراهيم باشا في حربه ضد مكة عام ١٨٣٧ م اذ مات معظمهم او فقدوا ولم تعرف اماكن دفنهم (٦٧) .

وتراكمت المصائب فحدث زلزال في المنطقة في ١٣ ايار عام ١٨٣٤ سبب تشققا وعطبا في بناية كنيسة الميلاد وسقفها من الجهة الشمالية مما احوج تصليحها بعد ثمانية اعوام . فاصلح السقف وغطيت الجدران بالملاط وفرشت الارض بالبلاط . كما اقيم حائط فاصل بين قاعة الكنيسة المعمدة وظهر المغارة عام ١٨٤٢ . وسبب الزلزال تصدعا في اديرة اللاتين والارمن وانهار برج يوحنا الدمشقي في دير مار سابا .

وانتشر وباء الكوليرا في البلاد في اوائل تشرين ألاول من عام ١٨٣٨ حتى اواخر حزيران من العام اللاحق وحصد العديد من السكان والجنود المصريين والمجندين الفلسطينيين (٦٧) .

واخيرا اجبر ابراهيم باشا تحت ضغوط دولية على العودة بعد عشر سنوات من الكفاح الى مصر تاركا وراءه العديد من المصريين الذين استوطنوا المدن والقرى الفلسطينية حتى اليوم معروفين بالمصرى . وترك ابراهيم باشا الاثار الكثيرة في البلاد فبنى قشلاق القدس ورمم قلعة مراد قرب برك سليمان . وسير الدوريات على طريق القدس ـ الخليل لحفظ الامن ومجرى الماء من المخربين والثوار . (١٤)

حــــرب القـــــــــرم

كانت فرنسا قد عقدت معاهدة مع تركيا عام ١٧٤٠ م لها فيها حق حماية مسيحيي الشرق فاشتد ازر اللاتين واستولوا على الاماكن المقدسة والكنائس في فلسطين مما اثار الضغينة عند الارثوذكس واغضب روسيا التي تعتبر نفسها حامية المسيحيين في الشرق . وتوالت الاحداث اذ استلم اللاتين مفاتيح مغارة الميلاد في بيت لحم بأمر من السلطان عام ١٨٥٢ م وسمح لهم بوضع نجم فضي يحمل شعار فرنسا مكان مولد المسيح . فاحتجت روسيا وطلبت سحب الامر ثم ارسلت الامير منتشيكوف سفيرا منتدبا ليفاوض الباب العالي اما الاتراك فماطلوه ثم رفضوا طلبه . فاعلنت روسيا الحرب ضد تركيا في ١٨٥٣/٥/٩ بحجة البقاء على حقها لحماية المسيحيين ومقدساتهم . وانحازت انكلترا وفرنسا الى تركيا في الحرب فهزمت روسيا وعقدت معاهدة باريس في ١٨٥٦/٣/٣٠ التي من اهم بنودها :

حياد البحر الاسود قفل الدردنيل في وجه السفن الحربية حرية الملاحة في الطونة واحترام املاك تركيا وسيادتها باستثناء امارتي الافلاق والبغدان(في رومانيا) اذ اعطيتا الحكم الذاتي تحت سيادة السلطان العثماني . (١٤) ، (٥٣) ، (٧١) .

واصدر السلطان عبد المجيد بن محمود الثاني (١٨٣٩ – ١٨٦١م) خطا هيمايونيا يقضي بالمساواة بين جميع الرعايا العثمانيين في الحقوق والواجبات دون تفرقة بين العناصر والمذاهب فانتظم المسيحيون على أثر ذلك في الجندية اسوة بالمسلمين . وسهل هذا الامر شؤون الحجاج المسيحيين .

ويروق للمرء قراءة وصف لبيت لحم والحياة فيها من سائحة نمساوية تدعى ايدا بفايفر جاءتها يوم ٢ حزيران ١٨٤٢ م قالت : "ركبت يوم الثاني من حزيران بصحبة النبيلين ب . وس . والاب باول باتجاه بيت لحم . وتحتاج المسافة رغم وعورة الطريق الى حوالي الساعة والنصف . اما المنظر الذى نشاهده في هذه الرحلة فعظيم وفريد في نوعه . فاينما وقع بصرك وفي كل اتجاه ترى صخورا جرداء وارضا قاحلة تتخللها اشجار الفاكهة من كل نوع . فالكرمة الممدودة فوق الارض والحقول المزروعة بالحبوب ينمو زرعها ببطء بين الحجارة ولايمكن للمرء ان يتصور ان هذه البقاع والجبال كانت يوما

مثمرة جميلة . ربما كانت كذلك قبل هذا العهد وقبل ان امتص الباشوات وموظفوا الدولة دم هؤلاء السكان الفقراء بل ربما لم تكن يوما مكسوة بالاحراش والحقول الخضراء . ومن دير مار الياس ترى المدينتين القدس وبيت لحم التي تظهر غير ذات اهمية وكذلك القرى حولها . وعلى يمين طريقك تجد قبر راحيل . بناية مهلهلة ذات قبة صغيرة .

ونقع بيت لحم فوق تلة تحيطها تلال متعددة اخرى . وباستثناء الدير لا ترى في البلدة بناية جميلة . اما السكان وعددهم الفان وخمسمئة نسمة نصفهم من اللاتين ، يعيش قسم منهم في الكهوف ومساكن نصف ظاهرة من تحت الارض . يشتغلون في صنع المسابح والمنحوتات الصدفية وعجم الزيتون .. الخ اما البيوت فربما لا تزيد عن المئة عددا . ويجب ان يكون الفقر عظيما بين السكان ، اذ لا تجد مكانا آخر يحيط بك الاطفال المستعطون كهذا البلد ، فلا يكاد المرء يصل باب الدير حتى يهرعوا من كل صوب ، يمسك الواحد بالحصان والثاني بالركاب والثالث والرابع يمد يد المساعدة للركوب والباقون ينفرجون حتى اذا ما امتطيت جوادك مد الجميع يده يطلب البخشيش . فلا اجدى من ان يكون لدى السائح نقود صغيرة او سوط صغير ليتخلص بطريقة او اخرى من تطفل هؤلاء الصغار الفاقد النظير . ولحسن الحظ فقد الفت الخيول هذه المناظر والتجمهرات والا لجفلت واسرعت مبتعدة منها . اما الدير والكنيسة فقريبة من البلدة ومبنية فوق مكان ميلاد المسيح ، ومحاطة جميعها بسور حصين وبوابة منخفضة صغيرة تؤدى الى الداخل .

ونحص الكنيسة العظيمة هذه في بيت لحم ككنيسة القبر المقدس في القدس طوائف اللاتين والارمن واليونان معا . شيد كل منهم له ديرا ملاصقا لها " .(٢٩) .

واعاد البابا بيوس التاسع تأسيس بطريركية اللاتين في القدس عام ١٨٤٨ م ومنذ هذا التاريخ اخذ البطريرك اللاتيني يقوم بمراسيم عيد الميلاد في بيت لحم بدل حارس الاراضي المقدسة الذى كان يقوم بها حتى الان .

الادارة والاقتصاد والحياه والتطور في منطقة بيت لحم زمن العثمانيين

تبعت بيت لحم القدس اداريا زمن الحكم التركي . اما القدس فتبعت مرة ولاية الشام واخرى مصر كما كانت زمن حكم مراد الرابع (١٦٢٨ م) ثم عادت لتتبع الشام مرة اخرى زمن السلطان محمود الاول (١٧٣٠م) . ثم تبعت صيدا وعادت لترتبط مع الباب العالي مباشرة بعد خروج ابرهيم باشا منها عام ١٨٤٠ م . بعدها تبعت ولاية سوريا ومركزها الشام عام ١٨٦٠ م تحت اسم متصرفية القدس . واخيرا اصبحت متصرفية مستقلة تتصل مباشرة بالباب العالي عام ١٨٧١ م .

وفي آخر العهد التركي اصبحت القدس سنجقا يضم اربعة اقضية هي : يافا ، غزة ، بئر السبع والخليل . وكان سنجق القدس يضم تسع قبائل ومئة وواحدا وعشرين قرية ومزرعة وخمس نواحي هي : بيت لحم ، رام الله ، اريحا ، عبوين وصفا .

ويدير كل قضاء قائمقام يرجع في سلطته الى متصرف القدس الذى كان بأمر آخر الحكم التركي بأمر وزير الداخلية في استانبول .

اما الناحية كبيت لحم فيديرها مدير يرجع في المسؤولية الى القائمقام . وتتألف الناحية من عدة قرى في كل منها مختار او اكثر يساعدهم وجهاء القرية . وكانت ناحية بيت لحم تتألف من بيت جالا بيت ساحور ، الخضر ، ارطاس وبتير .

وكانت مالية سنجق القدس المستقل مع اقضيته الاربعة يافا وغزة والخليل وبئر السبع تدار مباشرة من وزارة المالية في الاستانة ، واليكم بعض انواع الضرائب التي كان يجبيها الاتراك من الاهلين :

١ ــ الويركو (المسقّفات) . ٢ ــ الاعشار عن محصولات الاراضي . ٣ ــ الاغنام : خمسة غروش عن رأس الغنم وثلاثة عشر غرشا وعشرين بارة عن الجمل . ٤ ــ التمتع : ضريبة الدخل السنوى (من ٢ ــ ١٠ بالمئة) ٥ ــ الكروسه: ستة غروش سنوى لتعبيد الطرق . ٦ ــ المعارف : ٥ بالمئة من قيمة المسقّفات للمدارس . ٧ ــ العسكرية : بدل خدمة عسكرية لغير المسلمين وقدرها ٢٨ غرشا سنويا . وكثير غيرها من الضرائب .

وجدير بنا ان نعرف المقاييس والاوزان التي كانت مستعملة في منطقتنا هذا العهد وهي : الذراع للقماش = ٦٧ سنتمترا ، والذراع للارض والمباني = ٧٥ سنتمترا .

الدونم = ١٦٠٠ ذراعا مربعا = ٩١٩ مترا مربعا ، اما العرف فيساوى الدونم الف متر مربع .

الدرهم للوزن = ٣٫٢٠٥ غراما . الاقة = ٤٠٠ درهم = ١٫٢٤٨ كيلو غراما .

القنطار = ١٠٠ رطل = ٢٢٥ أقة = ٢٨٨ كيلو غراما

الرطل = ١٢ اوقية = ٢٫٢٥ اقة = ٩٠٠ درهم = ٢٫٨٨ كيلو غراما .

اما المكاييل فهي الطبة للقمح = ٢ مد = ٤ صاعات = ٨ ربعيات = ٢٣ كيلو غراما = ٨ ارطال .

طبة الشعير = ١٦ أقة = ٢٠ كيلو غراما .

جرة (للزيت) = ١٦ أقة = ٢٢ لترا = ٢٫٢٠ كيلو غراما ، جرة زيت في القدس وبيت لحم تساوى = ٩ ارطال = ١٧٫٥ كيلو غراما ، كيل شعير = ٧ ارطال = ٢١ كيلو غراما .

اما النقد فكان : البارة والقرش والبشلك والمجيدى والليرة العثمانية . (١٤)

وعندما ارسل العثمانيون مأموريهم لحكم البلاد مباشرة ، استلم هؤلاء دفة الادارة وتقربوا من اصحاب النفوذ وراعوا امتيازاتهم القديمة لاستمالتهم وضمان ولائهم . بينما اتخذ هؤلاء الحكومة وسيلة لبلوغ مآربهم وتحقيق مطامعهم واشباع جشعهم . فظلموا الاهلين ابتغاء رضا الحكام . فاغدق عليهم الحكام الهبات من اراض واملاك مسروقة من الشعب ، عدا ما ابتزوه من اموال كضرائب ورشوات . وكان الحاكم يضمن القضاء او الولاية من الدولة بكذا الف غرش سنويا بينما هو يجمع اضعاف اضعاف ذلك المبلغ من الشعب المستضعف البائس ولمن الشكوى وغربمك السلطان" ؟

وقصة الخمسة في بيت لحم مثل ساطع للظلم والفوضى زمن الاتراك

فحدث ان تسلط على بيت لحم في اواسط القرن الثامن عشر رجل يدعى البرقي ويمت الى قبيلة الكعابنة بصلة قرابة سكن مع قبيلته في المنطقة ما بين بيت لحم والبحر الميت . وكان هذا الشيخ يرسل رجاله في كل مناسبة او عيد ليجمع الضرائب التي كان يفرضها على الاهلين غصبا وظلما ويحصلها بالاضطهاد والقتل ، وحدث ان عجزت البلدة عن دفع ما طلب منها ، فطلبت الرحمة والوقت فلم تنلهما بل احتجز رجاله طفلين من

ابناء بيت لحم رهينة حتى تدفع لهم مطالبهم . واتجهوا مع الرهائن شرقا نحو عشيرتهم مارين بخلّة حمد حيث التقى بهم رجال عشيرة الخمسة ونصحوهم باعادة الطفلين فرفضوا ونشبت مشّادة بينهم انتهت بخصام قتل فيه رجال البرقي الثلاثة واعيد الطفلان .

بعدها اتفق التلاحمة مع قبيلة الخمسة على خلع البرقي واحلال زعيم الخمسة مكانه لحمايتهم . فهاجم المتحالفون قبيلة البرقي وكسروها وجاء الخمسة الى بيت لحم وسكن زعيمهم برج دير الروم فدعي بالديرى . وسكنت عائلته واولاده حائط القناه وحاكورة الارمن . واقتسم الخمسة اراضي بيت لحم بالتناصف مع اهلها .

ويعتقد ان جاء الخمسة اصلا من العراق اتجهوا غربا ثم تشعبوا الى فرعين الواحد سكن حلب والثاني وادى موسى في شرق الاردن ومن هؤلاء نزح قسم ليسكن خلة حمد قرب بيت تعمر جنوب شرقي بيت لحم .

واعترى الخمسة الغرور واخذهم الطمع فزاد ظلمهم وسلبهم من سبقهم ، فسلب زعيمهم املاك الاهلين واغتصب اعوانه اموال الناس وجمعوا الضرائب والخاوة في كل مناسبة ويروى ان جاء عميد عائلة حزبون هدية لعدة القهوة وهي ابريق نحاسي وفناجين عباديات ومحماصة ومهباش من مصر ، فعلم بها الديرى وطلبها اعارة لايام العيد . لكنه لم يعدها لاصحابها قائلا هذه تليق بالعظماء مثلي وليس بعيسى حزبون" .

كما كان الديرى يلزم وجهاء الحمايل مرافقته في تجواله لخدمته . وحدث يوما ان زار عوض الدلو زعيم الفواغرة رئيس دير الروم لتهنئته بمناسبة عيد ديني . فعلم الديرى بالامر فاستقدمه ووبخه على هذه الزيارة خلف ظهره ثم طلب منه الجلاء مع عشيرته عن بيت لحم وفي غضون اسبوع قصاصا له . فسقط الدلو امام الديرى يسترحمه طالبا العفو دون جدوى . فالتجأ الى أمير اليمانية المسعودى ــ ساكن منطقة اريحا ــ ليتواسط له ، دون جدوى . فغضب الامير لكسف وجاهته وأقسم ان يقتل الديرى قبل ان يترك بيت لحم . وعندما جاء ليرحل وقبلّ ان يمتطي جواده استل خنجره وطعن الديرى طعنة قاضية ، بينما انقض الفواغرة على رجال الديرى وسقط الكثير من الجانبين . وقام ديرى آخر مكان المقتول وجلا الفواغرة عن بيت لحم الى القرى الغربية الغير خاضعة للديرى . وزاد الظلم والانتقام والابتزاز كما زاد التصميم في نفوس الاهلين على التخلص

من هذا العهد المظلم . ويقال ان السلطان محمود الثاني (١٨٠٨ م) سمع بظلم الديرى وطلب منه رفعه فاجاب الديرى : "للسلطان سلطانه في بلاده ولي سلطاني في بلادى فلماذا التدخل في شؤوني" .

واختمرت فكرة الثورة بين الاهلين ورتبت الخطط استعدادا ليوم الخلاص . وحاول الاهلون اغتيال سليمان فريج صديق الديرى فاصابت الرصاصة امرأة من عائلة فريج قتلتها على طريق مغارة الحليب وكانت تسير بجنبها طفلة دعوها حزينة . اصبحت جدة عائلة حزينة في بيت لحم فيما بعد . ونتيجة محاولة قتل صديقه سليمان فريج وازعاج نواقيس كنيسة الميلاد لجبر الديرى حيث يسكن قريبا منها اخذ يضرب قارع الجرس ويهدد بالانتقام وحرق الكنيسة ، وقربت ساعة الصفر واتفق الاهلون مع خادم دير اللاتين ان يشعل شمعة يطل بها من شباك جهة مقبرة اللاتين (التي كانت مكان الكازانوفا اليوم) عندما يكون الديرى خارج البرج ، مسكنه . وكان الاهلون يجتمعون في مقعد لهم في بيت ابو خليل ينتظرون الاشارة للبدء بالهجوم .

وصادف احتفال عرس ابناء الديرى الثلاثة الذى اقيم في ساحة المهد وكان جبر الديرى مع اهله وعشيرته هناك ولم يبت في البرج تلك الليلة . فاشعل خادم الدير وهو من عائلة ميكيل الشمعة واطلها من الشباك . وللحال اقتحم خمسون شابا مسلحا برج الدير متسلقين من جهة دير اللاتين من الشمال فالتقوا بخمسة عبيد كانوا حرسا على البرج ، أجهزوا عليهم واخذوا المفاتيح منهم ثم استحكموا على اسوار الدير من جميع جهاته واشعلوا النار من هناك ليعلنوا للمنطقة ان الثورة اندلعت ، فانقض الاهلون بكل ما لديهم من اسلحة على الخمسة المجتمعين في ساحة الدير كالصاعقة ، فتبلبلوا واضطرب امرهم وحاولوا الهرب طلبا للنجاه نحو الجنوب فلاحقهم الثوار وكسروهم شر كسره وقتل جبر الديرى وما يزيد عن مئة رجل من رجاله عند واد القواس اول واد معالي وفر الباقون الى غير رجعة . بعدها عاد الفواغرة المنفيون واستقبلهم اهل البلدة بحفاوة بالغة مقسمين على العيش بحب واتحاد . واقتسموا اراضي البلدة حسب الحارات فاخذ الفواغرة ما هو غرب بيت لحم ، الدهيشة ، بينما التلاحمة اراضي البقيعة شرق بيت لحم حتى البحر الميت . ولا يزال في بيت فجار من قرى بيت لحم نسل من بقايا الخمسة لهم صلة بعشيرتهم الاصلية قبيلة حماد الطقاطقة في وادى موسى في شرق الاردن (٣٠) (٣١) .

واليكم بعض الحوادث والاعمال والتطورات التي جرت في بيت لحم زمن الحكم العثماني نرى فيها واقع الحياة فى بيت لحم تلك الايام .

هاجر منصور جد عائلة القواوسة مع زوجته هند من مدينة تقوع عام ١٥٥٢ م الى بيت لحم في بداية الحكم والظلم التركي واصبحوا من اهلها حتى اليوم .

كذلك هاجر جد عائلة حنضل في نفس الفترة من تقوع الى بيت لحم وتروى القصة التالية عن جد عائلة حنضل وجد القواوسة ، والسلعوس كيف لجأوا الى بيت لحم وهي : عندما اشتد ظلم الاتراك على المسيحيين اراد الجد الهرب من جورهم والاحتماء في بيت لحم التي كان المسيحيون فيها تحت حماية روسيا وفرنسا . فاتفق مع اولاده بان يفتعلوا بينهم شجارا امام اهل البلدة فيقسم ان يحرمهم من اى ارث في املاكه جزاء عصيانهم وفظاظتهم له . وحدث الخصام واقسم الاب ان يبيع جميع املاكه ولم يفلح الحاضرون في اصلاح ذات البين وبيعت الاملاك ، وذات يوم وجد بيته خاويا متروكا فدخله جيرانه فوجدوا باطية في وسط الغرفة مغطاه بطبق قش . وما ان رفعوا الطبق حتى طارت حمامة واختفت في الاجواء واخرى حاولت الطيران وسقطت مكانها لان اجنحتها مقصوصة ، بينما ثالثة ميتة لا حراك فيها ، فادركوا المغزى الواقعي عليهم ، من فر نجا والا فالموت نهايته وهكذا اخذت العائلات المسيحية تتسلل الواحدة تلو الاخرى هاربة الى بيت لحم . ومنها ابو جارور وزرزر ودار البحرى . كذلك لجأ عدد من اجداد عائلات بيت لحم المختلفة من مناطق اخرى ، فجاء جد عائلة انسطاس من جفنا قضاء رام الله ، وجاء جد عائلة حزبون مع عائلة القزحة في بيت سأحور من شرق الاردن ويغلب من مدينة حصبون القديمة شمال مادبا . خطف له عروسا من دير ابان والتجأ بها الى دير اللاتين في بيت لحم حيث تزوج وبقي فيها منذ اكثر من قرنين ونصف .

روى لي رئيس دير ارطاس المرحوم الخورى عيسى الياس البندك عام ١٩٧١ م عن اصل عائلة البندك قال : "بعث لويس الرابع عشر ملك فرنسا سفيره في الاستانة الى فلسطين عام ١٧١٢ م ليتفقد احوال المسيحيين فيها . فذكر هذا في تقريره ما يلي : استغربت جدا ان اجد مستعمرة بندقية تسكن قرب المهد في بيت لحم ، والاغرب ان لهم قنصلا بندقيا في القدس . وعندما اخرجت دولة المماليك الرهبان الفرنسيسكان من فلسطين وسجنتهم في دمشق عام ١٤٨٩ اجبرت البنادقة الباقين على اتباع المذهب

الارثوذكسي فاصبحوا روما. وذهب قسم منهم الى شفا عمرو وحيفا في شمال فلسطين وعرفوا بدار التلحمي" .

وفي النصف الثاني من القرن التاسع عشر نشطت السياحة الى الارض المقدسة وبالاخص بيت لحم فقامت فيها المباني والمؤسسات والكنائس من مختلف الرهبنات والجمعيات واليكم بعضا من هذه الاحداث التي اصبحت من معالم المدينة :

فقد شيد الجامع العمرى في غرب الساحة الفسيحة غرب كنيسة الميلاد فوق بقايا كنيسة مار يوحنا الانجيلي . وهب المكان للطائفة الاسلامية دير الروم الارثوذكس زمن البطريرك كيريلوس عنوانا للصداقة بين الطائفتين وتذكارا لزيارة عمر بن الخطاب لبيت لحم وصلاته داخل كنيسة الميلاد . وشيد البناء ما بين ١٩ آذار و ١٩ تشرين الاول من عام ١٨٦١ م وكان من شروط الهبة ان لا تقام له مأذنة حسب عهدة عمر . لكن هذا الشرط لم يراع لاحقا وشيد دير الروم الحوانيت الى الغرب من هذا الجامع عام ١٨٦٤ (٣٠) لكنها ازيلت عام ١٩٥٦ م بعد ان طلبت الطائفة الاسلامية توسيع الجامع فوهب دير الروم هذه الممتلكات للطائفة الاسلامية .

وفي ١٨٦٣/٩/٣ م جاء كاهن من دير اللاتين بالقدس يدعى انطونيو بيلوني واتفق مع مريم ارملة منصور عيسى البطارسة ان يجمع في بيتها بعض الايتام لتربيتهم مع ابنها الوحيد عيس واختيه . ويقع البيت ما بين مسكن راهبات الساليزيان ومدخل كنيسة هذا الدير . ولما كبر الابن عيسى واختاه اراد الاب بيلوني امتلاك بيت البطارسة لقاء تربية الاطفال فرفضت الام لانها ربت عددا آخر من الايتام لقاء تربية واعالة اطفالها . وكان ابنها عيسى قد تيتم قبل اربعين يوما من ميلاده ولما اصبح شابا ذهب الى ايطاليا وفاوض المؤسسة التي تبنت اعمال الاب بيلوني ومن خلفه في العمل فدفعوا له ثمن بيت ابيه الذى كان نواة مؤسسة الساليزيان الزاهرة في بيت لحم . ولما جاء الساليزيان الى البلدة عام ١٨٩١ استلموا الميتم ووسعوه وشيدوا ديرا مع كنيسة جميلة وواسعة ومدرسة صناعية ذات اربعة فروع هي الخياطة والنجارة والميكانيكا والكهرباء . والساليزيان هم اول من ادخل الكهرباء الى بيت لحم زودت بعض البيوت فيها . كما واول من اقام مخبزا كبيرا لبيع الخبز الشيء الذى لم يكن معروفا من قبل . وفي المؤسسة قسم داخلي وآخر خارجي وتتمتع المدرسة بسمعة طيبة ومستوى عال (٣٢) . وتوفي الاب انطون بلوني في ٩ آب عام ١٩٠٣ . وشيد الساليزيان جرسية لكنيسهم عام ١٩٠٢.

وحظيت البلاد وبالاخص بيت لحم بزيارات شخصيات عالمية مرموقة تركت بعضها معالما في بيت لحم والبلاد . فزار الغرندوق قسطنطين نقولا فتش شقيق الاسكندر قيصر روسيا مع زوجته اليكساندره ونجله نقولا وعدد من حاشيته مدينة بيت لحم عام ١٨٥٨ ثم دير مار سابا . وشيد الروس بعد هذه الزيارة عمارات المسكوبية في القدس ثم ديرا وكنيسة قريبا من بلوطة ممرا في الخليل (٣٠) .

كذلك زار البلاد امبراطور النمسا فرانس يوسف عام ١٨٦٩ حيث كان في طريقه لحضور حفل افتتاح قناة السويس في ١٨٦٩/١١/١٩ وعند زيارته لبيت لحم التمس منه الفرنسيسكان مساعدتهم لتوسيع كنيسة القديسة كاترينا . فأمر بتوسيعها على نفقته وجرى ذلك عام ١٨٨١ م . وزار القدس وبيت لحم نجلا ملكي ايطاليا وبروسيا في نفس العام . كذلك نجل قيصر روسيا عام ١٨٧٢ ونجل امبراطور النمسا في ١٨٨١/٣/١٧ وابناء قيصر روسيا الثلاثة في ١٨٨١/٥/٢٣ م . (٣٠) .

وصدر امر من السلطات التركية بتشييد القشلة في بيت لحم . فاقيمت الى الشمال الغربي من ساحة المهد ، مكان دائرة البوليس اليوم عام ١٨٧٣ م ، ازيلت في عهد الانتداب البريطاني بعد ان احتلها الثوار الفلسطينيون واحرقوها عام ١٩٣٨/١٩٣٧ م واقيم مكانها عمارة "تجارت" للبوليس .

والغيت "ساحات" بيت لحم حيث كان الاهلون يجتمعون للتداول في امورهم وفض مشاكلهم وصرف اوقات فراغهم وذلك من اول كانون الثاني عام ١٨٧٦ م . وفي ١٥ ايلول من نفس العام الغيت مقبرة اللاتين شمال دير الفرنسيكان حيث قامت الكازانوفا مكانها عام ١٩٠٨ .

وبدىء في تشييد جرسية كنيسة الميلاد للروم جنوب الكنيسة وفي الطرف الجنوب غربي من الساحة الجنوبية من الكنيسة وذلك بنشاط المطران انتيموس لكنها اكملت في عهد المطران سبيريدوس في بيت لحم الذي كان آخر بطريرك يوناني في الشام فيما بعد وكان التشييد في ٢٣ تشرين الثاني لعام ١٨٧٧ م .

ورممت برك سليمان في ١٧ تشرين الاول عام ١٨٧٧ . كما انتشرت الحصبة في شتاء هذا العام وسببت العديد من الوفيات بين اطفال المنطقة . (٣٠)

وتأسس مجلس بلدية بيت لحم في ١٥ شباط عام ١٨٧٨ ٠ ويصادف اتمام عمارة البلدية الضخمة الى الجنوب من الجامع العمرى غرب ساحة المهد العيد المئوى لتأسيس المجلس ٠

ونكبت البلاد بزحف الجراد عليها في ٢٠ ايار ١٨٦٦ فاكل كل ما توصل اليه من مزروعات حتى الشجر باغصانه وقشوره في منطقة القدس وبيت لحم وكان الزرع في ارضه بعد ٠ وعاد جراد طيار الى البلاد عام ١٨٦٩ ٠ وكانت البلاد عرضة لزحف الجراد ونكباته منذ اقدم العصور حتى احدثها ٠

واجتاحت البلاد موجة مرض الكوليرا في اوائل صيف ١٨٦٥ اودت بحياة الكثيرين دفن معظمهم دون مراسيم دينية لضيق الوقت ٠

وحدث شجار بين عائلتي المصو والحذوة في بيت جالا عام ١٨٧٢ قتل فيه ثلاثة رجال من عائلة الحذوه فجلت عائلة المصو ملتجئة الى بيت لحم للحماية ٠ وانتقمت عائلة الحذوة من جريس اسحق المصو اذ ربطوه واسقطوه في برك سليمان اخذا للثأر ٠ وبقيت معظم عائلة المصو منذ ذلك الحين في بيت لحم ٠

وذكر الاب فالنتينر (Fr. Valentiner) في كتابة "الارض المقدسة كما كانت وكيف هي ، والذى كان يرأس الطائفة الانجيلية الالمانية في القدس (١٨٥٢ – ١٨٦٦) قال : شيدت جمعية القدس البرلينية في غرب البلدة بيت لحم بيت الجمعية التبشيرى وذلك للاخطار المتكررة التي تعرضت لها حياة المبشر الالماني ميلر وزوجته ٠ وكان البيت حصينا يحوى المسكن للمبشر وكنيسة صغيرة للخدمة الالهية الانجيلية لمن قبل الانجيل من الاهلين ٠ ومعهد يحوى اثنتي عشرة طفلة من عائلات فقيرة ٠ (٢٦) ووضع دير اللاتين يده على مغارة الحليب عام ١٨٦٨ اذ كانت خربة مهجورة لاباب لها ، واخذوا في اعمارها وتشييد الابنية حولها عام ١٨٧٢ م ٠

وحضرت من فرنسا عام ١٨٧٥ اثنتي عشرة راهبة اسس لهن ديرا عظيما الى الجنوب الغربي من بيت لحم مع كنيسة جميلة دعين براهبات الكرمل وتوفت اول راهبة عربية تدعى مريم بواردى من عبلين قضاء عكا في دير الكرمل في ٢٥ آب ١٨٧٨ م (٦٨) (٣٠) ٠

وحدث انشقاق بين رجالات دير الروم الارثوذكس عام ١٨٧٢ ابعدت السلطة التركية على اثره البطريرك كيريلوس الى استانبول وعين بروكوبوس مكانه . فاستاءت الطائفة وانشقت عن الدير واخذ الاهلون في بيت لحم يقيمون الصلاة في بيت الخوري خليل البندك لمدة عامين ، وكان الكهنة يتلقون الاعانات لاعالتهم من روسيا ، حتى تفاهموا مع الدير اخيرا وفي ١٨٧٢/١٢/٢ ايضا توفي اول بطريرك لاتيني جديد في القدس عرف باعماله الطيبة واسمه يوسف فاليركا .

وبدئ في شق واصلاح طريق بيت لحم الخليل في العاشر من تشرين الثاني من عام ١٨٨١ م واتفقت طائفة الروم في بيت لحم على وضع صندوق لجمع التبرعات لاعانة فقراء الطائفة في الكنيسة يوم ٢٤/ كانون الاول ١٨٨٤ .

وشيدت راهبات المحبة في ٢٢ شباط ١٨٨٩ المستشفى الفرنسي في باب الزقاق على مدخل بيت لحم من طريق القدس الخليل . وهو مربع الشكل يتوسطه حديقة جميلة وتقوم في متوسط القسم الشرقي منه وفوق الطابق الارضي كنيسة جميلة وبسيطة .

وزار البلاد وليم الثاني امبراطور المانيا مع زوجته وحاشيته في ١٨ تشرين الثاني ١٨٩٨ حيث افتتح عدة مشاريع وبنايات في القدس وبيت لحم منها الميتم الارمني في الجنوب العربي من بيت لحم ، وهو مستشفى الامراض العقلية اليوم ، ثم كنيسة الميلاد الانجيلية والمدرسة في غرب البلدة ، وكان المهندس ومقاول البناء باول فارديناند بالمر الالماني من المسؤولين في تشييد كنيسة الميلاد الانجيلية ومدرستها ومدرسة بيت جالا وبعض عمارات القدس .

وبدأ دير الروم في ترميم دير ثيوذوسي (ابن عبيد) شرقي بيت ساحور ، وبناء كنيسة الاباء والاجداد في بيت ساحور شرق البلدة عام ١٨٩٣ م .

وبدئ في مد قناة الماء الحديدية من برك سليمان الى بيت لحم فالقدس في تموز عام ١٩٠١ في عهد السلطان عبد الحميد واشراف المهندس اليوناني "افرنقاد" .

وزار بيت لحم والبلاد وليّ عهد امبراطور المانيا مع عدد من حاشيته عام ١٩٠١ كما حضر احد كرادلة روما الى بيت لحم في ٣٠ ايلول ١٩٠٢ م .

وحدث جدب ومجاعة في منطقة القدس وبيت لحم وقراها عام ١٩٠١ مما اجبر العديد من السكان على الهجرة الى امريكا طلبا للعيش في اواخر ايلول .

وعاد وباء الكوليرا وتفشى في منطقة القدس وبيت لحم في تشرين الاول عام ١٩٠٢ و ١٩٠٣ واعلن الحجر الصحي ، ولم تحدث في بيت لحم خسائر تذكر في الارواح .

وحدث شقاق بين حمائل بيت لحم بسبب تعيين المخاتير عام ١٩٠٢ مما دعا ميخائيل ابن الخورى الياس بنايوت ان يترك طائفة الروم مع عدد من أقربائه ليصبح روميا كاثوليكيا . اشتروا بعدها قطعة ارض من جاد الله جريس بربارة شرقي الاديرة جعلوها مقبرة لطائفة الروم الكاثوليك واول من دفن فيها طفلة من عائلة الحزين في ١٤ آب ١٩٠٢ .

واتفقت طائفة الروم مع الدير على منع الدفن في مقبرة الروم الواقعة شمال غربي كنيسة الميلاد في ٢٤ تشرين الاول (١٩٠٥) واقيم سور حولها في هذا العام وكرست المقبرة الجديدة الواقعة شرق مغارة الحليب ، بحضور الطائفة ومطران بيت لحم صفرونيوس في ٢٧ تشرين الاول ١٩٠٥ ، واول من دفن فيها فريدة جريس حنانيا في ١٩٠٥/١٠/٢٨ .

وانتشر داء الحصبة هذا العام وكان خطيرا سبب وفاة العديد من اطفال بيت لحم والمنطقة . واعلنت تركيا الحرية في منطقة القدس في ٢٦ تموز ١٩٠٨ فاحتفل بهذه المناسبة في كل مدينة وقرية تابعة للقدس ، حيث قرئ اعلان الحرية على المحتفين .

وشيد الفرنسيكان عمارة الكازانوفا شمال دير الفرنسيسكان ، كمسكن للحجاج المسيحيين بعد ازالة مقبرة اللاتين من هناك ، عام ١٩٠٨ م .

حدث انشقاق وخصام بين طائفة الروم العربية ودير الروم اليوناني لانكار اليونان حقوق العرب . وطلبت السلطات التركية من الطائفة العربية ان ترسل عنها ممثلين لبحث مطالبهم ، وكان البطريرك ذاميانوس يميل للعرب فقرر المجلس الكنسي اليوناني تنحيته عن مركزه فثارت الطائفة على اليونان فاحتل اهل القدس البطركية واحتل اهل بيت لحم دير الروم فيها في ٧ كانون الثاني ١٩٠٨ وقتل راهب يوناني كان يخدم كنيسة بيت

ساحور • كما قتل ارشمندريت روسي في الطور والقدس • فاذعنت السلطات واعادت البطريرك ذاميانوس من منفاه (٣٠) •

وفي هذا العام اسقط السلطان عبد الحميد عن الحكم لمعارضة حزب الاحرار وتولى اخوه محمد رشاد السلطة ، وتأسست في بيت لحم جمعية الاحرار بعد اعلان الحرية صيف ١٩٠٨ • وقدم ثمانون شخصا من الضباط الاحرار وباشا القدس وعدد من افراد جمعية الاحرار فيها وجمعية احرار يافا لزيارة جمعية احرار بيت لحم مع موكب موسيقي بديع في ٢٦ نيسان ١٩٠٩ م •

وقدم البلاد ولي عهد بروسيا فزار القدس يوم الاربعاء في ٢٤ آذار ١٩١٠ وزار بيت لحم يوم الجمعة في ٢٦ آذار ١٩١٠ م •

الحـــرب العالميـــة الاولى

نشبت الحرب العالمية الاولى في الثاني من آب ١٩١٤ م فى اوروبا على اثر اغتيال ولي عهد النمسا على يد طالب سلافي في مدينة سيراجيفو في الصرب (يوغوسلافيا اليوم) . وكان الاغتيال الشرارة المشعلة لما تكدس من اسباب ومنافسات تجارية وسياسية وتكتلات دولية واحتلال وبسط نفوذ وتسابق في القوة والتسلح . كذلك تقارب المانيا من تركيا ومساندتها اقتصاديا وعسكريا وسياسيا آثار حقد بريطانيا وخوفها على مصالحها في الشرق الادنى والهند ، ثم تحول انظار روسيا بعد هزيمتها من اليابان في الشرق الاقصى الى البلقان حيث عظم نفوذ النمسا بتأييد المانيا . فكان هذا الاحتكاك بين النفوذين النمساوى والروسي هو مشعل الحرب التي شملت العالم باسره تقريبا . اما الكتلتان المتحاربتان فهما :

١ ـ النمسا مع المانيا ثم انضمت اليها بلغاريا وتركيا والثانية كتلة الحلفاء وهي من الصرب وروسيا ثم انضمت اليهما بريطانيا وفرنسا واليابان والصين والبرتغال وبلجيكا والجبل الاسود واليونان ورومانيا ثم ايطاليا وانضمت اخيرا عام ١٩١٧ اليها الولايات المتحدة الاميركية .

وكان الحكم التركي قبل هذه الحرب قد فسد وانتشر الظلم والتعسف مما اثار حقد الشعوب المحكومة فاعلنت الثورة والانفصال هنا وهناك ، وكانت المطالب ان يكون لهذه الشعوب حكم ذاتي تحت ظل الدولة العثمانية فرفضت المطالب وفرق الاتراك الكتائب العربية في جيشهم وشتتوها في انحاء مختلفة من الامبراطورية اضعافا لقوتها . كذلك شتتوا الضباط العرب من مراكزهم ليهدموا نفوذهم ، واسست تركيا ديوانا في عالية من اعمال لبنان لمحاكمة الزعماء العرب الذين طالبوا الدولة بالاصلاح وحكم العديد منهم بالاعدام من سوريا ولبنان وفلسطين والعراق ونفي آخرون وهذا ما زاد الكره ضد الاتراك وخمر فكرة الاستقلال . وما كاد الحسين بن علي شريف مكة يعلن الثورة على تركيا واستقلال البلاد العربية عام ١٩١٥ حتى تبعه معظم الزعماء العرب وفر العديد من الجنود العرب من جيوش تركيا ملتحقين بالجيش العربي الذى قاده الشريف حسين واولاده الاربعة علي ،فيصل ، عبدالله وزيد .

واليكم وصفا واقعيا للاوضاع في منطقة بيت لحم بعد اعلان الحرب حيث اغلقت

انكلترا وفرنسا البحار ، واغلقت المصارف الاجنبية والتركية في البلاد واخرج الاجانب . واغلقت الاعمال والمشاغل في المنطقة مثل مشاغل الصدف وقطع الحجارة والبناء . وعم الضيق والفقر حتى بين الاغنياء الذين لا نقود بين ايديهم ، فارتفعت اسعار المؤن والحاجيات ارتفاعا فاحشا . وزادت فوائد الديون من خمسين الى ستمئة بالمئة ، وزاد البلاء مصيبة زحف الجراد على البلاد في آذار ١٩١٥ وتجريدها من مزروعاتها واشجارها وثمارها . فزاد الغلاء وشحت المؤن وزاد الجوع والفقر مما اجبر العديد من اهالي بيت لحم وبيت جالا وبيت ساحور على الهجرة من المنطقة الى شرق الاردن طلبا للقوت والعمل . وابتدأت الهجرة في ٢٥ آذار ١٩١٥ وهاجر من بيت ساحور وحدها اربع وستون عائلة اما من بيت لحم وبيت جالا فاكثر بكثير ، ولا تزال بعض هذه العائلات تسكن مختلف المدن والقرى في شرق الاردن الى اليوم .

وزادت اجراءات الحكومة في مكافحة الجراد من فقر ومصائب الاهلين اذ اجبرتهم على حرث ارضهم المزروعة حتى يدفن بيض الجراد دون جدوى سوى مخاسر المزروعات ثم اجبرتهم على جمع البيوض في آبار خربة مما انهك الناس دون جدوى ، ثم فرضت غرامة مالية بدفع ليرة عثمانية لمن لا يجمع البيض . واخيرا دفع الله المصيبة بمطر غزير في الثالث والعشرين من نيسان ١٩١٥ قتل الكثير من بيوض الجراد الا ان خسائر المزروعات والشجر كانت تامة . ولم يكن هذا كافيا اذ انتشر وباء الكوليرا والتيفوئيد في اشهر آذار ونيسان وايار من نفس العام قضت على افواج من السكان دفنوا في مدافن جماعية ودون مراسيم دينية .

وهاكم صورة من اعمال تركيا ترى الحياة زمن حكمهم . افاق السكان يوم الجمعة العشرين من آب ١٩١٥ في بيت لحم وبيت جالا وبيت ساحور واذا بهم محاصرون بخمسة آلاف جندي مسلح منعوا حتى خروج المواشي الى مراعيها الى ان حضر عزات باشا ابن عاصم بك ، فأمر باحضار المخاتير ووجهاء البلدان الثلاثة الى قشلة بيت لحم فاستقبلهم بالشتم والضرب ثم امر جنودد بضربهم ثم سجنهم . وامر باحضار كل الرجال من سن الخامسة عشر فما فوق الى القشلة فساقهم الجنود بالسياط امام الخيل الى قشلة بيت لحم حيث قوبلوا بالضرب والتهديد دون معرفة السبب وفي اليوم التالي امر القائد العام ان يحضر عزات باشا مع جنوده الى القدس ، فذهب ومعه السجناء الذين اتهمهم بالعصيان لكن القائد امر بتسريحهم دون اعتذار ، واليكم نموذجا آخر حدث في الخامس والعشرين من آب ١٩١٥ لرئيس بلدية بيت لحم انذاك حنا منصور ليظهر الحكم التركي بواقعه .

القي القبض عليه صباحا واغلقت بيوته ومنعت عائلته من مغادرة البيت ، وفي اليوم التالي ٨/٢٦ فتش مسكنه وصودرت اوراق عديدة منه وارسل حنا منصور يوم ١٩١٥/٨/٢٧ مكلبشا الى القدس للمحاكمة بتهمة الخيانة والاتصال بجمعية فرنسية يزودها باخبار ضد تركيا . وفي التحقيق سأله الحاكم العرفي من هو فاجاب اناحنا منصور رئيس بلدية بيت لحم فواجهه الحاكم بتهمة الخيانة والاتصال بالعدو بمراسلات ضبطت بتوقيعه . فانكر التهمة . وللحال ابرز الحاكم رسالة قدمها له ممهورة باسمه فانكر ان يكون هذا خطه او توقيعه وعند مقابلة الرسالة وتوقيعها مع الاوراق التي صودرت من بيت رئيس البلدية اتضح التزوير فافرج عنه مساء ١٩١٥/٨/٢٨ عائدا الى بيته .

وحضر الوزير الاول للسلطان محمد رشاد وهو انور باشا الى القدس في ٢٥ شباط ١٩١٦ وزار بيت لحم التي اقامت له الزينات واستقبالات حافلة ، وزع على خدم كنيسة الميلاد من روم ولاتين وارمن ليرتين عثملي للفرد .

وعاد انتشار الكوليرا في ايار ١٩١٦ من جديد حاصدا المئات من السكان وزاد الفقر والجوع والغلاء وهاجرت موجة جديدة من سكان المنطقة الى شرق الاردن . وانتهى الوباء في آب ١٩١٦ لكن الجوع اودى بحياة المئات الذين نجوا من المرض .

وانضمت رومانيا الى روسيا في الحرب في شهر آب ١٩١٦ م وضاقت الحياه اكثر فاكثر بالاهلين في آب وايلول من هذا العام حتى لجأ الفقراء الى تفتيش روث الخيول عن الشعير لينشفوه ويطحنوه ويأكلوه ، وباع المثرون كل ما لديهم من غال وثمين ليضمنوا القوت الضرورى الذى اصبح نادرا وفاحش الثمن .

وجندت الحكومة الشباب الذين دفعوا اول بدل في شهر شباط ١٩١٧ وارسلتهم الى الجبهة في ٨ آذار ١٩١٧ وكان الطقس ممطرا وقارس البرد ، ثم جند من دفع البدل الاول والثاني والحقوا بالجبهة عن طريق سكة حديد القدس ، واجبر من لم يجند لسبب او محسوبية بدفع مبلغ اربعمئة ليرة عثملية .

وزار البلاد هذا العام جمال باشا حاكم سوريا وفلسطين مع نجل السلطان محمد رشاد والقائد الالماني الاعلى ، واستقبلوا بحفاوة في القدس وبيت لحم . وانعم على كهنة روم بيت لحم بثلاثة آلاف كيلو غرام من القمح وكذلك لكهنة ورهبان الارمن .

وتدهور الوضع الحربي للاتراك وساءت حالة الجنود لسوء الادارة والمواصلات والتموين والانهزامات المتتالية على مختلف الجبهات ، فلاذ الكثيرون بالفرار عائثين في البلاد فسادا نهبا وسلبا لاشباع جوعهم وعمت البلاد الفوضى . ودخل الانكليز البلاد في اول تشرين الثاني ١٩١٧ محتلين يافا والرملة واللد في ١٦ تشرين الثاني ١٩١٧ بعد هزيمة الجيش التركي النكراء في بئر السبع والظاهرية وفي المربعة قرب الرملة في واد الصرار . وتجمع الاتراك المنهزمون في القدس فحاصرها الانكليز عشرين يوما اما بيت لحم وقضاها فلم تحاصر . وهاجم الانكليز القدس من الغرب والجنوب من جبل النبي صموئيل حتى برك سليمان جنوب بيت لحم فدخلوا القدس وبيت لحم والقضاء يوم الاحد ١٩١٧/١٢/٩ ففرح الاهلون بزوال كابوس الظلم ولم يعرفوا ما يخبيء لهم القدر في جيوب الحلفاء .

ودخل قواد الحلفاء الثلاثة الانكليزى والفرنسي والايطالي مدينة بيت لحم يوم الثلاثاء ١٩١٧/١٢/١١ وموسيقى الجيش تصدح والاناشيد الحماسية وزغاريد وهتافات الاهلين تشق عنان السماء فرحا تدفقت بعدها الجيوش على المدن والقرى .

.

وكان الانكليز قد حشدوا (٣٠٠ر٠٠٠) جندي في مصر مقابل (٤٠ر٠٠٠) من الاتراك موزعين بين مصر جنوبا واضنة في تركيا شمالا . وكان الاتراك يحاربون على خمس جبهات هي فلسطين العراق ، القوقاس ، رومانيا والدردنيل . واقتحم الانكليز سيناء وغزة ويافا ثم القدس من الغرب والجنوب حيث كانت الفرقة الستون جنوب طريق العنب ـ القدس والفرقة الثالثة والخمسون على طريق الخليل لتقتحم خطوط الدفاع التركية في بيت لحم في ١٩١٧/١٢/٧ وتحتل القدس في ١٩١٧/١٢/٩ . وبهذا انتهى عهد الظلمة والظلم التركي بعد اربعمئة عام (١٥١٧ ـ ١٩١٧ م) ليبدأ عهد ظلم وتشريد جديد على يد المنقذين الحلفاء . (١٤) ، (١٥) .

عهـد الانتــداب البـريطانـــي

احتل الحلفاء فلسطين الجنوبية مع القدس ما بين ٧ – ١٩١٧/١٢/٩ شمال فلسطين فعام ١٩١٨ وبقيت الادارة عسكرية حتى عام ١٩٢٠ حين اصبحت مدنية ، ولما كانت انكلترا قد حنثت بوعدها للعرب واصدرت وعد بلفور المعروف ، والذى وضعه وايزمن والبارون ليونيل والتر روتشيلد زعيم الاتحاد الصهيوني الانكليزى ولويس برانديس زعيم الحركة الصهيونية الاميركية . واقنع برانديس رئيس الولايات المتحدة ولسن ان تدخل امريكا الحرب الى جانب الانكليز ان هم اصدروا هذا الوعد لليهود ففعلوا (٦٣) وهذا ما اعترف به تشرشل بعد اكثر من عشرين عاما قال "نتيجة لهذا الوعد وعلى اسسه تلقينا مساعدات هامة في الحرب كما اعطينا من الحلفاء ومساعديهم الانتداب على فلسطين : "هذا ما جعل العرب يستقبلون انتداب انكلترا بالريبة وعدم الثقة والرفض ، فاتسم هذا العهد بالاضطرابات والثورات منذ بدء الاحتلال حتى نهايته عام ١٩٤٨ ، وكي يكون التاريخ محايدا نأخذ ما كتبته اللجنة الملكية البريطانية لفلسطين عام ١٩٣٧ (٣٤) : ان الحكومة البريطانية كانت قد قطعت بعض الوعود للعرب واليهود مدفوعة الى ذلك بضغط الحرب العالمية الاولى رغبة منها في الحصول على معاضدتهم ، وقد علق كل فريق منهما بعض الامال على هذه الوعود "كما ذكر مستر لويد جورج للجنة "ان الزعماء الصهيونيون قطعوا لنا وعدا اكيدا مآله انه اذا اخذ الحلفاء على عاتقهم تسهيل انشاء وطن قومي لليهود في فلسطين فان الزعماء الصهيونيين سيعملون كل ما في وسعهم لايقاظ عاطفة اليهود في كافة انحاء العالم وتأليبهم لمعاضدة قضية الحلفاء ، وقد بروا بوعدهم هذا . "ووزع التصريح بالطائرات فوق المدن الالمانية والنمساوية والمنطقة الممتدة من بولونيا حتى البحر الاسود حيث يكثر اليهود" . وهذا هو العامل الرئيسي في اسباب الاضطهاد النازى لليهود انتقاما .

وتسرد اللجنة الملكية : نشأ نزاع مستعصي الحل بين شعبين مختلفي القومية يقيمان ضمن بلاد واحدة صغيرة ضيقة الحدود . لقد كان النزاع ملازما للموقف منذ البدء وكان الانتداب يعمل على تثبيته" . فبريطانيا بحاجة لصداقة العرب الوثيقة والدائمة على ان لا تستهين بثقة الشعب اليهودى ايام السلم ايضا ، واشتدت وطأة النزاع صحبته سلسلة من الاضطرابات الدامية . وكانت منطقة بيت لحم كغيرها من مناطق فلسطين مسرحا لاعمال متعددة من الاضطرابات ضد الانتداب البريطاني . كما جرت عدة معارك في ضواحيها بين الثوار الفلسطينيين والجيش البريطاني . وعجت المنطقة بالجنود لمكافحة

الثورة وفرضت الغرامات المالية ونسفت البيوت واستشهد عدد من خيرة الشباب في هذه المعارك . وفي ١٣ آب ١٩٣٨ احتل الثوار مركز بوليس بيت لحم (القشلة) امام ساحة المهد وسرحوا السجناء وحرقوا محتويات العمارة وهذا ما دعا حكومة الانتداب الى ان تهدم العمارة القديمة وتشيد مكانها عمارة جديدة اشبه بالحصن عام ١٩٤٠ . واقامت عمارة اخرى للادارة والجيش جنوب غرب بيت لحم على طريق الخليل في نفس العام تدعى عمارة "تيجرت" (T e g e r t) وهو مهندس استراتيجي بنى امثالها في كل انحاء فلسطين .

واول ما قامت به سلطة الانتداب في بيت لحم عام ١٩١٨ وبامر من رونالد ستورس هو هدم الحائط الفاصل بين قاعة كنيسة الميلاد وظهر المغارة الذى شيد عام ١٨٤٢ لمنع طائفة اللاتين من المرور من الكنيسة الى دير الفرنسيسكان وكنيسة القديسة كاترينا . وذلك بعد الاتفاق مع روساء الطوائف المعنية (٢٢) (٢٤) .

واليكم بعضا من تطور مدينة بيت لحم عمرانيا واجتماعيا في هذه الفترة . وكانت بيت لحم من ارقى مدن فلسطين حضارة وصناعة وكان عدد سكانها ثمانية الاف نسمة منهم نحو الالفين من المسلمين والسريان والارمن والباقي من الروم واللاتين بالتناصف .

اول مجلة ظهرت في بيت لحم هي مجلة بيت لحم عام ١٩١٩ لصاحبها الاستاذ عيسى الخورى باسيل البندك وكانت مسرحا للعاملين في حقل السياسة والثقافة في فلسطين . واختفت في آخر العشرينات لتخلفها جريدة "صوت الشعب" . للاخوين عيسى وسابا البندك .

وأنشئت في المدينة دائرة صحة عام ١٩٢٢ يشرف عليها طبيب وعدة موظفين يراقبون ويحافظون على النظافة ووقاية السكان من الاوبئة .

وتأسست الجمعية الوطنية الخيرية الارثوذكسية في المدينة عام ١٩١٩ لمساعدة الفقراء والمحتاجين من الطائفة . اصبح لها فيما بعد فرقة كشافة عاملة وفرقة موسيقية نشطة دامت سنوات كما تأسست الجمعية الانطوائية عام ١٩١٣ بنشاط رعاة الكنيسة اوقفت نشاطها ابان الحرب العالمية الاولى لتعود الى الظهور والنشاط عام ١٩١٨ وتأسس منها فرع للسيدات عام ١٩٢٩ م .

وجلبت سلطة الانتداب مضخات المياه الضخمة والتي استعملها الجيش البريطاني لضخ المياه من مركز روماني عبر شبه جزيرة سيناء في خط انابيب القنطره فلسطين ووضعتها اولا في العروب ثم نقلتها الى برك سليمان لضخ المياه منها الى بيت لحم والقدس (١٤)
وفتح الشارع الجديد المار من شمال غربي ساحة المهد شمالا مارا بسفح جبل آبار داود على شكل نصف دائرة متجها غربا ثم شمالا ليلتقي بشارع القدس بيت لحم القديم المؤدى الى رأس افطيس. ولفتح هذا الشارع ازيلت مقابر اللاتين والارمن والغرباء التي كانت الى الشمال من القشلة. ونذكر ان مقبرة اللاتين الاولى كانت مكان عمارة الكازانوفا نقلت الى موقعها شمال القشلة عام ١٨٧٦. ولما فتحت الطريق الجديدة هذه نقلت جميعها الى الجنوب الشرقي من المدينة.

واستعملت النقود المصرية في فلسطين بعد الاحتلال البريطاني من ١٩١٧/١٢/١٥ حتى اول عام ١٩٢٨ حيث سكت عملة فلسطينية باللغات العربية والانكليزية والعبرية.
وكان دخل بلدية بيت لحم عام ١٩٢١/١٩٢٠ يساوى ٢٩٣٧ جنيها مصريا اما مصروفاتها فكانت ٢٨٣٧ جنيها مصريا لنفس العام المالي (٥).

وادخلت الكهرباء الى البلدة عام ١٩٢٧/١٩٢٦. وكانت مؤسسة السالزيان تملك مولدا كهربائيا قبل ذلك تزود منه المستشفى وبعض البيوت في بيت لحم.
وضع غبطة بطريرك السريان الارثوذكس اغناطيوس الياس حجر اساس كنيسة العذراء للسريان الواقعة شمال درجات السوق في وسط المدينة في ٩ آذار ١٩٢٦.
وشيدت طائفة الروم الارثوذكس عمارة للجمعية الخيرية الارثوذكسية الى الجنوب من دير الروم على طريق مغارة الحليب عام ١٩٢٧ لتكون مركز نشاطات الجمعية والشبيبة.

وحدث زلزال بعد ظهر الثامن والعشرين من حزيران ١٩٢٧ صدع ودمر الكثير من العمارات وسبب قتل ٢٧٢ شخصا وجرح ٨٠٠ في انحاء فلسطين معظمها في نابلس.
اجرت حكومة الانتداب حفريات في ساحة المهد امام الكنيسة في آيار ١٩٣٢ عثرت على الكثير من الجدران والاعمدة تدل على شكلها الاصلي قبل ردمها. كذلك اجريت حفريات في داخل قاعة الكنيسة والحنايا عثرت فيها على الفسيفساء الاصلية من زمن قسطنطين وهيلانه. وهي تحت مستوى البلاط الحالي بثمانين سنتمترا بعضها سليم يظهر الجمال والالوان الاصلية بزخارفه الهندسية وصلبانه ونباتاته وثماره وحيواناته وطيوره.

وكشف ذلك في ١٩٣٤/٦/٢٤ (٢٤) ٠

واستملكت طائفة الروم العربية ارض مقبرتها شمال غربي كنيسة الميلاد والتي اوقف الدفن فيها منذ عام ١٩٠٥ اذ بنى ابناء الطائفة غرفة في زاويتها الشمال غربية على طريق بيت ساحور ليلا ثم تم تخليصها نهائيا من دير الروم وشيدوا عليها مركز الجمعية الخيرية الارثوذكسية وفندقا وعددا من الحوانيت والقاعات والمخازن عام ١٩٥١ بفضل جهود الجمعية ورئيسها الصيدلي جودة صالح زرزر وجود المحسنين من الاهلين والمغتربين وعلى رأسهم سابا ابو جارور ٠

واقيم السوق الجديد وسط مدينة بيت لحم ومكان مجمع من البيوت القديمة في حارة الفرحية معظمها اصبح غير صالح للسكن بعد زلزال عام ١٩٢٧ ٠ وافتتح السوق تحت رعاية المندوب السامي البريطاني تشانسلر ورئيس بلدية بيت لحم نقولا شاهين في ٢٧ ايار ١٩٢٩ م وبعد السوق اقيمت درجات السوق بعد توسيع الشارع جنوب دير وكنيسة السريان الحالي وفي هذا التوسيع وجد جدار قديم يعتقد انه من بقايا سور بيت لحم القديم (١١) الذى ردمه السلطان قايت باى المملوكي عام ١٤٨٩ م ٠

وافتتحت سلطة الانتداب دائرة للبريد وادخلت الهاتف (التلفون) الى المدينة ٠ واشترت طائفة السريان الارثوذكس ارضا من جودة ذوابه عام ١٩٢٩ على طريق بيت ساحور جعلوها مقبرة لموتاهم الذين كانوا يدفنون في القدس سابقا ٠

وحولت سلطة الانتداب الميتم الالماني للارمن جنوب غربي بيت لحم الى مستشفى للامراض العقلية في فلسطين كان حتى عام ١٩٤٨ يحوى المرضى من العرب واليهود ٠

وزار المدينة رئيس اساقفة كنتربرى حيث استقبل استقبالا حافلا ٠ ووعظ في كنيسة المهد حاثا على اتحاد الكنيستين الارثوذكسية والانجليكانية ٠

كما زارها في ٢٩ / كانون الثاني ١٩٣١ الامير الهندى شوكت علي شقيق الامير محمد علي الذى توفي في لندن ودفن جثمانه في حصيرة الحرم الاقصى في القدس في ٣ كانون الثاني عام ١٩٣١ م ٠

وشبت النار في سينما داخل ديرالفرنسيسكان صباح ٢٧ شباط ١٩٣١ دمرت الكثير من محتويات الغرف هناك . وعند الترميم عثر على اعمدة متوجة برؤوس جميلة من بقايا الصليبيين من القرن الثاني عشر ميلادى تراها في الممر المربع امام كنيسة القديسة كاترينا .

وفتحت حكومة الانتداب سجنا للنساء في عمارة حنضل شمالي بيت لحم وعلى المنحدرالشمالي من تلة آبار داود . وكان السجن خليطا للعرب واليهود حتى عام ١٩٤٨ حين اغلق وسكن العمارة اللاجئون من مدن وقرى فلسطين في الحرب الاهلية عام ١٩٤٨ ثم استأجرتها جمعية التقارب المسيحية الامريكية ومركزها في كانساس ميتما. ثم انشيء مستشفى للاطفال المقعدين في عمارة نور سالم واولادها . ثم زيد البناء من جهة الشمال ليكون مستشفى للعظام يعرف بمستشفى جبل داود . وقد بديء بتشييد عمارة جديدة لهذا المستشفى عام ١٩٨١ .

وزار المدينة النجاشي هيلاسيلاسي امبراطور الحبشة عام ١٩٣٧ عندما احتلت جيوش ايطاليا زمن موسوليني بلاده فنزح ليسكن القدس موءقتا .

وكان قضاء بيت لحم يتبع اداريا لواء القدس زمن الانتداب . ويتألف من اربع مدن هي بيت لحم ، بيت جالا ، بيت ساحور واريحا ثم ست عشرة قرية هي ارطاس ، بيت فجار ، بيت عطاب ، البحر الميت ، الخضر ، حوسان ، راس ابو عمار ، دير الهوى ، السفلى ، علار ، العوجا ، القبو ، المغطس ، نحالين ، النويعمة ووادى فوكين . كما وسبع عشائر بدوية هي الرشايدة ، العبيدية ، التعامرة ، الديوك ، العريقات ، السعايدة ، والنصيرات. ومع هده اربع مستعمرات يهودية هي كوتسات هاهوكم ، كفر عصيون ، ماسوت ، وكاليا ، وكان عدد سكان هذا القضاء عام ١٩٤٦ يبلغ ١٩٫٤١٠ نسمة . وكان عدد انفار الشرطة في المدينة هكذا ٣٢ بريطانيا و ٥٥ عربيا وضابطا واحدا بريطانيا وآخر عربيا . وكان في سجن النساء واحد واربعون سجانا ضابطهم بريطاني وخمسة انفار انكليز وخمسة وثلاثون عربيا .

وفي حرب عام ١٩٤٨ دخلت فرق من الجيوش العربية المختلفة والمتطوعين الى فلسطين . تمركز قسم من المصريين في بيت لحم وشمالها وكذلك قسم من الجيش العربي

الاردني . اما الجيش العراقي فتمركز قسم منه في سهل بيت ساحور الشمالي لكنه لم يشترك في اية معركة في هذه المنطقة .

ويجب ان لا ننسى عن ذكر الازدهار الاقتصادي الهائل الذي حدث لكل فلسطين لكثرة ما حشد الانكليز فيها من جيوش بمشاغلهم استوعبت الالاف من العمال المحليين مما انعش اقتصاد البلاد .

وعلينا ان نذكر شيئا عن مخطوطات قمران التي وجدت عام ١٩٤٧ في خربة قمران غرب البحر الميت . واحدثت ضجة عالمية واسعة لاهميتها التاريخية والدينية ولان لاكتشافها ولمجرى الحوادث اللاحقة صلة ببيت لحم وبعض سكانها نروي ما ذكره الدكتور جون س كريفر في كتابه "قصة قمران التي لم ترو بعد" الصادر عام ١٩٦٥ وترجمة الدكتور عيسى مصو من بيت لحم قال : (٣٦) .

اصبح حدثنا (قبل ١٩٤٧) تندق عصري في اقصى الطرف الشمالي الغربي للبحر الميت الذي ينخفض ١٢٨٥ قدما عن سطح البحر . وعند مستى كاليا الذي يقع حوالي ستة اميال جنوب شرقي اريحا . ومن كاليا حتى سفح الفسخة سهل صحراوي مثلث قاعدته شمالا ورأسه عند منحدر الفسخة الصخري الشاهق حوالي ستة اميال جنوب كاليا (فندق البحر الميت الان) . ويسير مسلك قديم بمحاذاة البحر الميت مارا بعين الفسخة ومتسلقا منحدر رأس الفسخة الشاهق ومؤديا الى هضبة البقعة الواسعة (والمعتقد انه وادي عاخور في سفر يشوع ٧:٢٤ ــ ٢٦) ويستمر المسلك هناك في الصعود منعرجا الى الغرب خلال اودية جافة ليتصل في النهاية بحقول الرعاة المعروفة وصولا الى بيت لحم وكان هذا الطريق معروفا لدى البدو لتهريب البضائع من شرق الاردن الى فلسطين ومن الابتداء والمنطقة معروفة لديهم كمراعي لاغنامهم دائما . وحدث ان نزل ثلاثة من قبيلة التعامرة اوائل خريف عام ١٩٤٦ مع اغنامهم الى عين الفسخة وهم خليل موسى وابن عمه جمعة محمد خليل واصغرهم محمد احمد الحمد الملقب بالديب . هو ابن عمهم ايضا . وكان جمعة مغرما بارتياد المغر .

وفي احد ايام الشتاء ١٩٤٦/١٩٤٧ عثر جمعة على تجويف في جانب نتوء احدى الصخور فوق هضبة كانت اغنامهم ترعى قربها . وكان النفق الاسفل صغيرا اما الاعلى فامكان شخص نحيل دخوله . والقى جمعة بحجر من الفتحة السفلى وذهل لسماعه صوت

فخار يتحطم في الداخل ، ولما كان الوقت متأخرا تركوا المغارة لليوم الثالث . وفي هذا الصباح سبق محمد احمد الذيب الى المكان ووضع حجارةتحت رجليه ليتمكن من امساك الصخر العلوى فوق الفتحه . رفع جسمه منزلا قدميه وزالقا على ظهره داخل المغارة ، وهنا وجد حوالي عشر جرار طويلة الشكل مصفوفة عند جدران المغارة ، بعضها مغطى ولبعضها مقابض وبعضها فارغة سوى اثنتين . الاولى ملاءى تراب احمر والاخرى مغطاه فتحها واخرج منها رزمتين مغلفتين بقماش ضرب لونه الى الاخضرار . وتبين انها مخطوطات الكبير منها جلدى هو مخطوط اشعيا والاخران تفسير حبقوق والنظام الداخلي للمجموعة . وبعد ايام حمل جمعة محمد المخطوطات الثلاثة الى مركز التعامرة جنوب شرقي بيت لحم ، حيث تركت معلّقة على عمود احدى الخيام عدة اسابيع .

وفي شهر آذار ١٩٤٧ اخذ جمعة وخليل موسى المخطوطات الثلاثة والجرتين الى بيت لحم ووضعاها عند النجار جودة ابرهيم اجحا للبيع ، عرضها هذا على تاجر عاديات اسمه فيضي صلاحي في بيت لحم فرفضها لاعتقاده انها مسروقات من كنيس يهودى فاعاد النجار اجحا المخطوطات الى جمعة لانها غير ثمينة وبقيت الجرتان عنده .

والتقى جمعة ومعه المخطوطات بالتاجر جورج اشعيا شمعون السرياني الاورثوذكسي فوعده هذا تدبير بيعها ، وذهب جمعة وجورج اشعيا مع الشيخ علي صبح الى خليل اسكندر شاهين كندو وكان اسكافا في ساحة المهد ، حيث تم الاتفاق ان يحصل التعامرة على ثلثي الثمن الذى يستطيع كندو وجورج شمعون الحصول عليه ثمنا للمخطوطات . وبقيت هذه في عهدة كندو . وبعد اسابيع عثر جورج شمعون وخليل موسى التعمرى على اربعة مخطوطات جديدة تحت التراب على ارض المغارة احضراها الى كندو الذى احتفظ بمخطوط واحد ضمانا لسداد المال الذى قدمه لجورج شمعون نفقات رحلتيه الى المغارة . بينما اخذ خليل موسى وجمعة محمد المخطوطات الاخرى وباعاها الى فيضي صلاحي بسبعة جنيهات فلسطيني . كما اشترى الجرتين الواحدة بعشرين قرشا . وهذه المخطوطات والجرتان اشتراها الدكتور ى .ل . سوكينيك من فيضي صلاحي للجامعة العبرية في القدس يوم ١٩ تشرين الثاني عام ١٩٤٧ .

اما المخطوطات الاولى التي بقيت عند كندو فرتب ان يعرضها على مطران السريان الارثوذكس صموئيل في القدس الذى وعد ان يدفع للتعامرة ثمنا حسنا . وفي ١٩ تموز ١٩٤٧ دفع كندو للتعامرة ستة عشر جنيها فلسطينيا . وعندما سلم كندو المخطوطات

للمطران في دير مار مرقص تسلم مبلغ ربع وعشرين جنيها حسب الاتفاقية .

مدرسة شنلر في بيت لحم :

بعد نشوب الحرب الاهلية عام ١٩٤٨ احتل اليهود وصادروا مدرسة واملاك ومصانع مؤسسة شنلر في القدس فالتجأ قسم من طلابها الى بيت لحم في عمارات الكنيسة الانجيلية وقسم الى الناصرة ، واخيرا تمكن القس هيرمان شنلر من اقناع المسؤولين في المانيا على تشييد مؤسستين كبيرتين لشنلر الواحدة في الاردن شمالي عمان والاخرى في لبنان ـ البقاع في خربة قنافار .

قررت هيئة الامم المتحدة ، وكأنها صاحبة البلاد ، تقسيم فلسطين الى دولتين عربية ويهودية وتمكن اليهود المدربون والمسلحون من طرد مليون وربع عربي من ديارهم ليصبحوا لاجئين مشردين عام ١٩٤٨ يسكنون العراء والكهوف وملاؤا المدارس والجوامع والكنائس . فسكن بيت لحم ومنطقتها عشرات الالوف بأسوأ حال ، ولما رفض الاسرائيليون تنفيذ قرار هيئة الامم باعادتهم الى ديارهم ، جاء الصليب الاحمر الدولي ليجمعهم في مخيمات ويرعاهم .

وكان في بيت لحم ثلاثة مخيمات وهي الدهيشة وهو اكبرها وفيه ما يزيد عن اثني عشر الفا ثم عائدة والعزّه عدا المئات التي سكنت البيوت المهجورة والمغر او استأجرت لها مكانا في المنطقة ، فسكن بيت لحم نفسها حوالي الفين وخمسمئة نسمة ، وبيت ساحور ستمئة نسمة . ومرت الاعوام والمصائب تتكرر على سكان الخيم البالية . ثم استلمت منظمة اغاثة وتشغيل اللاجئين التابعة لهيئة الامم المتحدة اعالتهم . وبعد الكوارث غيرت الخيم البالية بغرف من الطوب والاسمنت واقامت المدارس والعيادات الطبية . وهكذا حافظت الامم المتحدة على بقاء اللاجئين عضوا شالا في جسم المجتمع العربي مدة خمس وعشرين سنة الى ان جاء الاحتلال الاسرائيلي عام ١٩٦٧ فشرد معظمهم الى شرق الاردن من جديد .

وانضم الجزء الهزيل الباقي من فلسطين الى مملكة شرق الاردن واصبحتا المملكة الاردنية الهاشمية التي لم يكن الاستقرار السياسي فيها بعد وثيقا . فقامت الاضطرابات مرارا نتيجة النكبة سقط فيها عدد من القتلى . ففي عام ١٩٥٦ سقط في بيت لحم ستة قتلى عدا الجرحى من الطلاب والسكان . ولحقتها موجات من الاعتقالات والملاحقات لاعضاء بعض الاحزاب السياسية وفر عدد من الشباب الى خارج البلاد وزج بالعديد في السجون والمعتقلات .

وقامت بيننا الحياة النيابية وانتخب ذوو الجاه والمرضي عنهم لا ذوى العلم والمقدرة . ورويدا رويدا هيمن الاستقرار وبدأ التطور والازدهار والاعمار في بيت لحم ومنطقتها ففتحت السلطات الاردنية طريقا جديدا الى القدس ، بعد احتلال اليهود لجنوب القدس واغلاق طريق القدس بيت لحم القديم ، مارا ببيت ساحور فجمعية

الشباب المسيحية على الطريق الروماني القديم الى دير ثيوذوسي (ابن عبيد) فوادى النار ثم ابو ديس فالعيزية ليلتقي بشارع القدس اريحا • وذلك عام ١٩٤٩ • وعادت السلطات فاختصرت المسافة بفتح طريق جديد عام ١٩٥٢ مارا بالطريق القديم تجاه القدس ومن جنوب مار الياس شرقا الى ام طوبي فالقسم الشمالي من صور باهر فجبل المكبر فواد النار الى رأس العمود ليلتقي بطريق القدس اريحا ايضا •

ووسعت وزارة الصحة زمن الدكتور توفيق التوتنجي مستشفى الامراض العقلية مقيمة عدة عمارات جديدة الى الجنوب الغربي من العمارة القديمة التي كانت الميتم الالماني للارمن •

واقامت الادارة الاردنية عمارة ضخمة خاصة بالبريد والبرق والهاتف في الجنوب الغربي من المدينة وشرق عمارة تيجرت للادارة • ناقلة دائرة البريد من عمارة البوليس في ساحة المهد اليها • وكانت دائرة البريد سابقا في عمارة الغزاوى قبل ساحة النجمة •

وشيدت الجمعية الوطنية الخيرية الارثوذكسية عمارة ضخمة على ارض المقبرة القديمة شمال غرب كنيسة الميلاد اجرت للمدرسة الثانوية الحكومية ثم فندقا • يتبعها عدد من المخازن والقاعات والحوانيت عام ١٩٥١ كذلك شيد السيد حنا انطون حنضل فندقا ضخما وعصريا غرب المدينة سد حاجة ملحة للبلدة • كما شيد الصيدلي جودة صالح زرزر مع ابو قورة سينما فخمة على ابتداء نزلة باب الزقاق • وتبعه عتيق اخوان ببناء سينما الى الشمال الغربي من الاولى وعلى نفس الطريق •

وشيدت راهبات الفرنسيسكان ديرا الى الغرب من قبر راحيل يحوى روضة اطفال • كما شيدت راهبات البندكتين ديرا شمال بيت لحم وشرق قبر راحيل في المنحدر الشرقي للجبل • وشيدت الجمعية الانطونية العمارة الشمالية من دار العجزة اجرت كفندق اولا ثم استأجرتها مؤسسة كارتياس مستشفى للاطفال بعد ان بدأ صغيرا في المستشفى العربي (مستشفى الحسين اليوم) ثم انتقل الى عمارة شمال المستشفى الفرنسي تابعة له • كذلك شيدت الجمعية الانطونية كنيسة جميلة للملجأ •

وجاء دور التجميل لساحات بيت لحم • وكان في التجديد تجميل لبلد عريق في

القدم لكل حجر فيه قصة وفي كل ذرة تاريخ . فهدمت حارة باكملها الى الغرب من ساحة المهد وطمرت تحتها آثار عديدة هي فصل من حياة بيت لحم وقصتها .

وكذلك هدم الجامع العمرى الاول عام ١٩٥٦ والمبني من عام ١٨٦١ ليوسع ويقوم مكانه مجموعة من الحوانيت والمكاتب اقيم الجامع فوقها تعبيرا لواقع الحياة بمعانيها . فالارض للدنيويات والعلى للسماوات . وعثر عند الهدم على آثار كنيسة مار يوحنا الانجيلي بجدرانها وحنيتها الشرقية حيث الهيكل ومعمودية كبيرة . من حجر احمر مثمن الشكل كالمعمودية داخل كنيسة الميلاد . حطمت المعمودية ووضعت في اساسات البناء الجديد ، بدل حفظها في متحف للمدينة .

كذلك عثر تحت عمارة فريد الياس مسلم واخوانه التي كانت تقابل عمارة البوليس تقريبا الى الجنوب الغربي ، على آثار كنيسة واعمدة وقاعات واسعة كما ذكرنا . يعتقد انها كنيسة القديس ميخائيل التي ربما اقيمت على آثار خان كمهام .

وشيد الفرنسيسكان عمارة كلية تيراسانطا الفخمة الى الشمال من كنيسة الميلاد ودير الفرنسيكان وبين الشارعين المؤديين من بيت لحم الى بيت ساحور .

كذلك شيدت الجمعية المشيخية المسيحية الامريكية كنيسة وبيتا لراعي الكنيسة الى الغرب من شارع القدس الخليل غرب بيت لحم .وهي الجمعية التي اقامت مستشفى العروب ـ البركة ـ للسل وحولته اخيرا الى مؤسسة اشعة لم تفتح بعد .

وشيد الاب الفرنسي بييركوتييه حيا من العمارات الكبيرة تحوى عدة مساكن توزع على فقراء المدينة لقاء دفع اقساط زهيدة يصبح المسكن ملكا لهم بعد سنوات . وتقع هذه الحارة جنوب البلدة وجنوب بئر القناه في فسحة كانت سوقا للحيوانات سابقا .

وحظيت البلاد بزيارة البابا بولس السادس رئيس الكنيسة الكاثوليكية في العالم وقدم بيت لحم في ١٩٦٤/٢/٤ بحفاوة لا نظير لها واقام الصلاة في كنيسة المهد . وهي زيارة تاريخية التقى فيها مع البطريرك الارثوذكسي المسكوني اثينا غورس والبطريرك الاورشليمي بناديكتوس في جبل الزيتون في القدس . وصار الاتفاق على العديد من الامور . ومنها اعادة رفات القديس سابا من كنيسة مار مرقص في البندقية الى ديره شرقي بيت ساحور وجرى ذلك في الخامس والعشرين من تشرين الثاني عام ١٩٦٥ م .

واقامت جمعية قرى الاطفال العالمية ومركزها النمسا والمانيا فرعا لها في بيت لحم ١٩٦٧ فشيدت قرية من اثني عشر بيتا واسعا وعمارة كبيرة للادارة وروضة الاطفال والمخازن والمشاغل ومسكن القائمين على ادارة القرية • وتقع القرية شمال شرقي بيت لحم في منطقة "البصيلة" والكركفة • اشترت الجمعية العالمية الارض من السيد انطون جادالله سمور ، كذلك منحت حراسة الارض المقدسة قطعة ارض مجاورة الى الغرب لاستعمالها للقرية شيدت العمارات فوقها كلها • وتشرف الجمعية العالمية لقرى الاطفال على تسيير وتمويل القرية النموذجية من كل النواحي • وتدير كل بيت ام رؤوم تعتني بعدد من الاطفال الايتام والاجتماعيين يتراوح عددهم بين السبعة والتسعة في البيت الواحد وهي مستقلة ببيتها واطفالها • ويشرف على ادارة القرية الاخت انجليتا اتفنجر والدكتور توما بنورة (المؤلف) وقد انتخب الاخير عام ١٩٧٢ عضوا في لجنة رئاسة قرى الاطفال العالمية واعيد انتخابه عام ١٩٧٥ ، ومنح المؤسس الدكتور هرمان جماينر النمساوى مواطن شرف لبيت لحم •

وبنشاط الاب باسيليوس كاناكرى راعي طائفة الروم الكاثوليك في بيت لحم تمكن من اشادة دير كبير وكنيسة جميلة واسعة في الستينات مكان كنيسة صغيرة وبيت للسكن كان فى نفس الموقع •

كذلك شيد الساليزيان عمارة ضخمة الى الغرب من ديرهم السابق ومدرستهم الصناعية وسعوا فيها اقسام المدرسة بفروعها المتعددة وكذلك المخبز المشهور •

واشترت جمعية المانية باسم مار اندريا يشرف عليها عدد من فاعلي الخير منهم الاب بيترز والاستاذ كريسهاجن الالمانيان ، ارضا واسعة الى الشمال من ملجأ الجمعية الانطونية كان الغاية منه مساعدة الطلاب العرب الفقراء • واقيمت في الارض عمارة لم تكمل • ولصعوبة الاوضاع الاقتصادية بيعت الممتلكات لجامعة الطنطور اللاهوتية عام ١٩٧٥ •

ووسع شارع مدخل بيت لحم من اتجاه القدس بداية من آخر منطقة جرون الحمص حتى مفترق الطرق بيت لحم والخليل بمساعدة النقطة الرابعة الاميركية • كما شيد الدوار والنافورة عند هذا المفرق نادى اسود بيت لحم زمن العهد الاردني • ومدت شبكة خطوط مياه داخل المدن الثلاث •

وزار المدينة بيت لحم عدد من ملوك وعظماء الدول زمن العهد الاردني مثل الملك فيصل بن غازى ملك العراق وعمه الامير عبد الاله . والملك محمد الخامس ملك المغرب وبطريرك روسيا اليكسي وعديد من روؤساء الدول .

وازدهر الوضع الاقتصادى في بيت لحم لكثرة الحجاج المسيحيين فاتسعت المدينة وانتشرت فيها الصناعات المختلفة واهمها صناعة التحف التذكارية والدينية من خشب الزيتون والصدف ثم معامل النسيج ومصانع الاثاث المعدني والخشبي ومعامل قطع وصقل الحجارة ، والميكانيكا وكثير غيرها .

وتأزم الوضع السياسي بين الدول العربية واسرائيل وفوجيء العالم بهجوم اسرائيل صباح الاثنين ٦/٥ /١٩٦٧ على الدول العربية واحتل الجيش الاسرائيلي مدينة بيت لحم العزلاء بعد ظهر الاربعاء ١٩٦٧/٦/٧ بعد ان قصفت بالمدفعية وقتل من جراء ذلك اكثر من ثلاثين مدنيا ودمرت عدة بنايات كما اصيبت عدة اماكن تاريخية ومقدسة باضرار فادحة . فاصيبت كنيسة الميلاد واشتعل ظهرها لولا نشاط الحاضرين واولهم المطران كلاوديوس الذين اطفأوا الحريق . ثم كنيسة الميلاد الانجيلية ومدرستها وكنيسة الروم الكاثولبك وكلية الفرير والمستشفى الفرنسي وغيرها من العمارات .

وعندما دخل الجيش الاسرائيلي اعلن بمكبرات الصوت امرا الى السكان باخلاء المدينة حالا باتجاه اريحا ولهم من الوقت ساعتان . فهام الكثير على وجوههم مع اطفالهم في اتجاه الشرق نائمين الليل في المغر خوف تعرضهم لنيران الجيش . وخرج جماعة من روؤساء الدين والوجهاء برئاسة السيد الياس عيسى البندك رئيس بلدية بيت لحم آنذاك وسلموا المدينة . وبعد ايام اقيم حاكم عسكرى للمنطقة واستلم الجيش الادارة .

وبعد اسابيع من الاحتلال افاق الاهلون من صدمتهم وبدأوا في العمل والاصلاح لما دمر واصلاح خطوط الكهرباء التي قطعت من جراء القصف المدفعي للمدينة .

وضيق الجيش الخناق على مخيمات اللاجئين فرحل عدد كبير منهم الى شرق الاردن ، ثم اجرى احصاء السكان في الضفة الغربية ومن لم يكن حاضرا في بيته فقد الحق في وطنه .. وبدأ تنفيذ القانون الاردني والاسرائيلي على الشعب ، ما هو في صالح السلطة الادارية من الاثنين .. واعطيت الهويات . وخف التضييق على التنقل رويدا

رويدا ثم بدأت موجة البناء في اسرائيل ساحبين معظم عمال الضفة الغربية . وفرضت المكوس والضرائب على كل منتوجات الضفة الغربية حتى حجارة البناء . وانتشرت موجة الاستيطان فطرد العرب من اراضيهم لتقوم عليها مستوطنات يهودية في اماكن استراتيجية . ففي هذه المنطقة صودرت املاك الاهلين في شرافات والصليب والرأس في بيت جالا وتقوع وكفار عصيون وبيت ساحور لتقوم عليها مستعمرات يهودية حصينة وكبيرة رغم الاحتجاجات ومعارضة دول العالم لذلك .

وازداد عدد الحجاج من مسيحيين ويهود فأنعش قطاع الصناعات التذكارية في بيت لحم ومنطقتها كصناعة الصدف وخشب الزيتون والتطريز ونسيج الصوف فازدهر الوضع الاقتصادى وازدادت المتاجر والمصانع وشيدت البيوت وكثرت السيارات . ومن اهم العمارات في بيت لحم مركز السوق التجارى الى الجنوب من ساحة المهد الذى شيد بقروض اردنية واسرائيلية . ثم عمارة البلدية في اقصى الغرب من ساحة المهد وجنوب الجامع العمرى وهي اشبه بالقلعة واصبحت جاهزة عام ١٩٧٨ على ذكرى المئة عام لتأسيس المجلس البلدى في بيت لحم . وعمارات خاصة كثيرة كمعمل سمور ومتاجر قنواتي وابو عيطة ونيسان وحزينة .. الخ .

ومن المشرف ان ندون اسماء رؤساء المجلس البلدى الذين توالوا منذ تأسيسه على خدمة هذا البلد المقدس . الا انه يؤسفنا عدم معرفة سنيّ خدمتهم ولا ترتيبهم بالتمام وهم :

١ ـ ميخائيل ابو سعادة
٢ ـ يعقوب خليل جقمان
٣ ـ سليمان يوسف جاسر
٤ ـ عيسى عبدالله مرقص (الكتعة)
٥ ـ يعقوب خليل الياس (زبلح)
٦ ـ حنا منصور ١٩١٥
٧ ـ سليم عيسى البطارسة (سلم المدينة للانكليز عام ١٩١٧)
٨ ـ صالح جريس جقمان ١٩١٨
٩ ـ موسى القطان (ابو متيا) ٩٢١ ـ ٩٢٥
١٠ ـ حنا ابرهيم ميلاده ٣٤
١١ ـ نقولا عطالله شاهين حتى ١٩٢٩ ـ ٣٣
١٢ حنا عيسى قواس ١٩٣٨
١٣ ـ عيسى باسيل البندك ١٩٤٠
١٤ ـ الياس عيسى انسطاس البندك
١٥ ـ عفيف سليم بطارسة ٥٢ ـ ١٩٥٣
١٦ ـ الياس عيسى انسطاس البنك٥٣
١٧ـ أيوب مسلم رئيس لجنة ١٩٥٨ ـ ١٩٦٠ ـ ١٩٦٣
١٨ ـ الياس عيسى انسطاس البندك ١٩٦٤ ـ ٧٢

١٩ ـ الياس مترى فريج ١٩٧٢ حتى اليوم ٠

وسكن الحاكم الانكليزى عام ١٩١٨ عمارة حزبون الواقعة امام جامعة بيت لحم والتي فيها مدرسة اللاجئين اليوم ٠ وحدث ان وجد حصانه يرعى بين الاشجار الى الغرب من مسكنه فأمر رئيس البلدية صالح جريس جقمان الذى رأى الحصان من بيته الكائن الى الجنوب من هذه الاشجار ، بجلب الحصان الى دار البلدية حيث مركز البوليس ـ امام الدير ـ اليوم ، ولما علم الحاكم بالامر جاء الى دار البلدية معتذرا وشاكرا استقامة رئيس البلدية وجرأته ٠

نالت بيت لحم شهرتها منذ القدم بسبب ما جرى فيها من حوادث هامة • ففيها بنى الكنعانيون هيكلا "لايلي لاحاما" اله الخصب على الهضبة الشرقية المطلة على السهول الخصبة التي اعطت المنطقة اسمها افراتا • كما اخذت بيت لحم اسمها من بيت ايلي لاحاما • وعلى طريق بيت لحم افراتا دفنت راحيل زوجة يعقوب بن اسحق بن ابرهيم حوالي عام ١٧٣٠ ق • م (٩) (تكوين ٣٥) • وفي بيت لحم تزوج الغني بوعاز من راعوت الارملة فكانوا اجداد داود النبي • ويذكر العهد القديم من التوراة ان بيت لحم هي بيت داود الذى دعي من وراء غنمه ليمسح ملكا على يهوذا واسرائيل في نهاية القرن الحادى عشر قبل الميلاد (صموئيل الاول ١٦) • وحصنها رحبعام بن سليمان ابن داود (الاخبار الثانية ١١:٦) واخيرأ وقع الحدث العظيم حيث فيها وفي مغارة بهائم حقيرة ولد المسيح بن مريم زمن هيرودس الملك ، الذى لحقده أمر بمجزرة اطفال بيت لحم والقضاء • وكان ميلاد المسبح تاج الشهرة لبيت لحم الصغيرة التي اصبحت منذ ذلك اليوم تنتشر شهرتها وتزداد بانتشار الديانة المسيحية في ارجاء العالم كله وحتى اصبح اسمها يتردد على لسان الملايين يوميا وتهفو القلوب العامرة بالايمان ان تزورها يوما •

اما المغارة التي ولد فيها المسيح والمعروفة بمغارة الميلاد اليوم فهي هي التي تعارف عليها الاولون وقدسوها وبنوا فوقها هيكلا للعبادة زمن الرومان ، حتى جاء الامبراطور الروماني هادريان (١١٧ – ١٣٨م) وعلى اثر ثورة اليهود ، فهدم الكنيسة المسيحية فوق المغارة وشيد هيكلا لالهه ادونيس مكانها وكما رأينا فالاماكن المقدسة تتوارث ويحافظ على قدسيتها •

وذكر المغارة الشهيد يوستين (١٥٥ – ١٦٠ م) في جداله مع رئيس الكهنة اليهودى تريفون كما ذكر اويسيبيوس بامفيلوس (Euseb ius Pa mph i lus) الفلسطيني المولد عام ٢٦٥ م والذى اصبح فيما بعد اسقف قيصرية ، عن تشييد قسطنطين وامّه هيلانه لكنيسة الميلاد قال : "واختيرت المقامات الثلاثة التي كرس لها ثلاث معر فريها باجمل البنايات لقداستها وهذه المقامات هي مكان الميلاد ومكان القيامه ومكان الصعود الى السماء • (٢٤) ويتابع الاسقف حديثه قائلا : "وحتى هذا اليوم عندما يسأل احد عن مكان الميلاد يريهم سكان البلده هذه المغارة شاهدين بانها مغاره الميلاد وهو تراث انحدر لهم من الاباء والاجداد • ويؤكدون الحقيقه بأن العذراء مريم وضعت

ابنها في هذه المغارة" . لذا يؤكد اويسيبيوس ان معرفة مغارة الميلاده اكيده وسابقة لعهده .

ونشرت كتابه لاوريجين (Origen) عام ٢٤٨ م تحت عنوان كونتراسلسوم (Contra Celsum) جاء فيها "اما عن ميلاد المسيح في بيت لحم فعدا ما ذكر في الاناجيل الموضوعة من تلاميذ المسيح فيكفي ما يصرح به ويريه الناس ، المغارة في بيت لحم حيث ولد والمذود الذى قمط واضجع فيه . فهو برهان قاطع مشهود له بالصحة من الاهلين وحتى من الغرباء عن المسيحية ، اذ يرونك انه في هذه المغارة ولد المسيح الذى يقدسه ويعبده المسيحيون" (٢٤) ومن المفروغ منه ان اوريجين قد تعرف على المغارة وسجد وصلى فيها في زيارته لفلسطين عام ٢١٦/٢١٥ م حين قال : "كان الجميع يدلون على مكان ميلاد المسيح في بيت لحم والمكان ظاهر وشهرته منتشرة حتى بين الامم التي لم تؤمن بيسوع المسيح" . (٢٤) .

كما كتب هيرونيموس عام ٣٩٥ م ، وهو الذى سكن بيت لحم لسنين عديدة في الكنيسة والاديرة المحيطة بها يقول : "بيت لحم والتي هي لنا الان ، واقدس بقعة في الارض ، كان يظللها حرش تموز الذى هو ادونيس ، وفي المغارة التي بكى فيها لاول مرة الطفل يسوع كان يبكي فيها على حبيب الالهه فينوس" . (٢٤)

وعندما اعتنق قسطنطين الكبير الديانة المسيحية وجعلها دين الدولة ، حول المعابد الوثنية في مملكته الى كنائس مسيحية . وعندما جاءه مكاريوس اسقف اورشليم يحدث عن الهياكل الوثنية الجاثمة على اقدس البقاع التي لها علاقة مباشرة بمولد المسيح وحياته وسيرته ، اوفد للحال امه الملكة العجوز هيلانة مع وفد من المهندسين والخبراء الى فلسطين عام ٣٢٦ م ليطهروا هذه الاماكن ويشيدوا الهياكل المسيحية فوقها . ولم يتردد المهندسون في تحديد مكان الميلاد في بيت لحم الذى كان محاطا بحرش كثيف حينذاك . وكانت الاماكن المقدسة معروفة ومكرمة من الجميع ، فبدأ العمل بالتخطيط في الحال ، جاعلين مغارة الميلاد المعروفة منذ اجيال ، مركزا لهذا البناء التذكارى العظيم الذى بدأ عام ٣٢٦م . (٢٤) . واول ما شرع به هو قطع الاشجار المحيطة ثم ازالة الصخور من حول تلك البقعة . ثم اصلحت المغارة لتكون بشكل مربع مستطيل تصلح لمكان عبادة كما ازيل سقفها الصخرى لتسقف بحجارة متينة تاركين في وسط السقف ثغرة مستديرة يدخلها النور ولتكون مطلا ينظر منه المؤمنون البقعة التي ولد فيها المسيح دون تدنيسها بأرجلهم . وأقيم فوق ظهر المغارة وحول الفجوة هذه هيكل ثماني الشكل طول

ضلع المثمن ٧٫٨ المتر واتساع المثمن ثمانية عشر مترا ، مسقوف بالخشب على شكل قنديل . ارضية الهيكل مرصوفة بالفسيفساء الجميلة ويصعد الى الفجوة بثلاث درجات . وكان هذا الهيكل المثمن هو هيكل كنيسة الميلاد العظيمة ذات القاعة الفسيحة المعمدة باربعة صفوف من الاعمدة ذات الحجر الاحمر والواحد والمقطوع من المحاجر الى الشمال الغربي من بيت لحم . يتوج الاعمدة روءوس كورنتية جميلة . ورصفت القاعة بالفسيفساء الجميلة الزاهية وكذلك الجدران . وامام الكنيسة الى الغرب رواق مربع على جوانبه صفا اعمدة وهو مسقوف الممرات ، ارضيته بعضها مرصوف بالفسيفساء .

وكانت الكنيسة في القرن الرابع والخامس ميلادى تقع الى الشرق من نهاية الشارع الرئيسي لبيت لحم الذى يخترق القرية من الغرب الى الشرق . وكانت الكنيسة غنية بمحتوياتها الثمينة من ذهبية وفضية ونفائس فاخرة اخرى في كل زاوية منها . ولما ثار السامريون عام ٥٢٩م زاحفين على كل بلد ودير وكنيسة قاتلين وحارقين وناهبين ومدمرين ليمحوا الدين والمعالم المسيحية اصاب بيت لحم نفس المصير ونهبت كنيسة الميلاد وجردت من نفائسها وزينتها الى ان جاء جيش بيزنطية فاعاد الامن والاستقرار وعاقب السمره ومسانديهم اليهود شر عقاب .

وما ان خمدت ثورة السمرة المدمرة هذه حتى بعث البطريرك بطرس الاورشليمي مبعوثا خاصا الى الامبراطور يوستنيان هو القديس سابا ، ليطلعه على ما حل بالاديرة والكنائس والاهلين من دمار ويطلب عونه ، فلبى طلبه . واليكم ما رواه اويتيخيوس (Eutychius) بطريرك الاسكندرية في القرن التاسع قال ": امر الامبراطور يوستنيان مبعوثا خاصا ان يهدم كنيسة بيت لحم التي كانت صغيرة ويشيدها ثانية بحجم وفخامة وجمال اعظم لتكون مميزة عن سواها حتى في المدينة المقدسة . ولما حضر المبعوث الى القدس بنى منزلا للحجاج وانهى بناء الكيسة الجديد ، وشيد الكنائس التي دمرها السمره ، كما اقام عددا من الاديرة الجديدة . ثم هدم كنسة بيت لحم وشيدها من جديد كما هي اليوم . وعاد بعد انتهائه من العمل ليصف للامبراطور كنيسة بيت لحم الجديدة ، سمع الامبراطور الوصف فلم يرق له وغضب من مبعوثة متهما اياه ببعثرة الاموال لمصالحه الخاصة ، فالكنيسة معتمة وضعيفة البناء ، ولم تشيد حسب التعليمات الامبراطورية . ولكون المبعوث هذا غير مخلص ولا امين حكم عليه بقطع الرأس". (٢٢) ، (٢٤) .

وثبت ما رواه اويتيخيوس عن توسيع وترميم الكنيسة في بيت لحم عندما اجريت الحفريات الحديثة فى الثلاثينات من القرن العشرين ، داخل الكنيسة وخارجها : فظهرت اساسات وجدران وقواعد الاعمدة وفسيفساء الارض للبناء القسطنطيني الاول .

ورمم يوستنيان في هذه الفترة ايضا سور المدينة مقيما فيه ابراج دفاع . كما احاط الاديرة باسوار لحمايتها (٣٨) . وشيد عددا جديدا من الاديرة .

اما الاصلاحات التي ادخلت على كنيسة الميلاد فهي توسيع قاعة الكنيسة ذات الاعمدة نحو الغرب بمسافة مترين وثمانين سنتمترا وزاد عدد الاعمدة من ست وثلاثين الى ستة واربعين عمودا . وازاح الاعمدة الاولى عن قواعدها لينتظم ترتيبها . وبنى الايوان الحالي ما بين القاعة ومدخل الكنيسة من الغرب زيادة على الكنيسة ، كما كانت العادة في بناء الكنائس في القرن السادس . ولذلك هدم رواق قسطنطين امام الكنيسة واعاد بناءه مبعدا اياه نحو الغرب عما كان اصلا . وطمر الفسيفساء الارضية في الكنيسة لان قسما منها تشوه او زال رافعا الارض بمستوى ستين سنتمترا ، وراصفا اياها ببلاط رخامي جميل (٢٤) اما من الشرق فالغى الهيكل المثمن فوق المغارة مغلقا الفجوة في سقفها ووسع القسم الشرقي من الكنيسة بحنايا ثلاث على شكل صليب وبطول القاعة الغربية ذات العمدان .

اما ابواب الكنيسة فكانت ثلاثة من الغرب ، بقي منها الاوسط المدعو بالباب الصغير اليوم بينما اغلق البابان الاخران بالحجارة ، والايوان المقام بعد الباب الصغير ، له باب نحو الجنوب حيث المدخل الى دير الارمن وآخر شمالا الى غرفة كانت سابقا اول مدرسة لابناء طائفة الروم لتعليم الدين والقراءة والكتابة . وهي اليوم غرفة الشرطي الحارس الذي يداوم وجوده في الكنيسة ليل نهار ، لها نافذة محددة نحو الغرب ، ترى وسط الحائط السائد لجدار الكنيسة .

وفي المجمع الكنسي المنعقد في القدس في القرن التاسع اتخذت القصة التالية عن صور و فسيفساء كنيسة الميلاد ذريعة لتبرير استعمال الصور والتماثيل الدينية في الكنائس والقصة هي : "عندما اقامت الملكة هيلانة الكنيسة العظيمة باسم العذراء مريم في بيت لحم طلبت ان يرسم بالفسيفساء على الواجهة الغربية صورة ميلاد المسيح وامه مريم ملقية الطفل على صدرها وامامه المجوس يسجدون له . وعندما غزى الفرس الكفرة

مدن الامبراطورية الرومانية وسوريا مدمرين وقاتلين ، حرقوا اورشليم واسروا بطريركها زكريا . ولما جاءوا بيت لحم عام ٦١٤ م اندهشوا لرؤية صور المجوس بلباس كهنة اله الفرس متراس . فلم يدمروا الكنيسة واكتفوا بنهب ما فيها من مجوهرات واواني ثمينة" (٢٢) ، (٢٤) .

ووصف المؤرخ برنارد كنيسة الميلاد في القرن التاسع قائلا "ان كنيسة بيت لحم عظيمة وفي وسطها توجد مغارة تحت الارض مدخلها من الجنوب ومخرجها من الشرق . في الجهة الغربية منها يوجد المذود المقدس" (٢٤) " وفي شرقها المكان الذى بكى فيه السيد" (٥٤) .

ونجت الكنيسة من الدمار عهد الملك اخشيد التركي عام ٨٧٨ م الذى احتل سوريا ومصر وهدم الاديرة والكنائس واعمل السيف في رقاب المسيحيين ، وهكذا نجت ايضا من دمار الحاكم بامر الله عام ١٠١٢ م عندما دمر كنيسة القيامة وكنائس عديدة غيرها .

ودهش الصليبيون عند دخولهم بيت لحم ووجدوا الكنيسة عامرة بعكس كنيسة الرملة وتوج بالدوين الاول في احتفال عيد الميلاد عام ١١٠١م ملكا على مملكة القدس اللاتينية في كنيسة بيت لحم .

وكتب سافولف (Savoul fe) عند زيارته الاراضي المقدسة عام ١١٠٣ م قال ": كل شيء في بيت لحم مدمر مهدوم سوى الكنيسة التي هي بناء فخم وجميل وفي وسطها تقريبا وتحت مكان المرتلين توجد المغارة التي ولد فيها المسيح . واوطأ بقليل نحو اليمين يوجد المذود الشريف" .

ورممت كنيسة الميلاد زمن الامبراطور البيزنطي اما نويل كومنينوس (١١٤٣–١١٨٠م) والملك اللاتيني اماورى ، زينت الجدران بالفسيفساء والصور الملونة ، كما غطى السقف الخشبي بصفائح الرصاص . ويذكر يوحنا فوكاس في مؤلفه عن الاماكن المقدسة قائلا "وهذا الهيكل الاعظم انشأته يد ملكي السخية ، حامي الجميع ، وزينه بالفسيفساء الذهبية . لهذا اظهر راعي الكنيسة اللاتينية في البلدة اعجابه وتقديره فكافأ عمل الامبراطور البيزنطي بتعليق رسمه في اماكن متعددة من الكنيسة حتى وفي الهيكل فوق المغارة المقدسة ، احتراما" . (٢٢) ، (٢٤) .

وجدد اليكسوس كومنينوس ملك طرابزون سقف الكنيسة الخشبي عام ١٤٣٥ م . وفي عام ١٤٨٢ نبرع ملك انكلترا ادوارد الرابع وامير برجوند فيليب بما يلزم لتجديد السقف المتهاوى فاعطى ادوارد صفائح الرصاص اما فيليب فالاخشاب اللازمة . وبدأت الفسيفساء آنذاك بالتساقط والزوال لاهمالها . كما نزع البلاط الرخامي الابيض المصقول من ارضها وجدرانها زمن السلطان التركي سليمان الثاني القانوني ونقل الى الجامع الاقصى في القدس . وذكر دانيال الروسي ان الكنيسة الكبرى كانت مبلطة بصفائح رخامية ، وذكرها كذلك س.براسكا(١٤٨٠م) في كتابه رحلة في الارض المقدسة وصف ارض الكنيسة كلها من بلاط رخامي ابيض وذكر راهب فرنسيسكاني اسباني عام ١٥٥٣م "كانت الارض مفروشة بالبلاط الرخامي الممتاز الابيض لكن الاتراك اخذوه كله الى هيكل سليمان الذى هو جامع لهم . (٥٤) (٢٢) (٤٠) ونزع الاتراك صفائح الرصاص من على السقف عام ١٦٤٦ ليحولوه الى رصاص بنادق .

وجدد البطريرك الارثوذكسي ذوسيثيوس سقف الكنيسة مع اصلاحات اخرى عام ١٦٧٢ بقيت الى يومنا هذا . وهنا وشى حاكم بيت لحم التركي الى الاستانة مدعيا وجود قبور اسلامية في كنيسة الميلاد . فكلفت الاستانة مأمورا خاصا جاء مع متصرف القدس وحاكم بيت لحم للتحقيق . ولما لم يجدوا ما ادعاه الحاكم عزل من منصبه وأمر السلطان عدم التعرض لكنيسة بيت لحم ولاالباقي المزارات الاخرى . (٢٢) .

واصبح اليونان منذ عام ١٦٧٢ م اصحاب الحق الرئيسي في ملكية الاماكن المقدسة . الا ان تدخل نابليون الثالث عام ١٨٥٢ اعاد للاتين بعضها . وكان البابا بيوس التاسع قد أنشأ بطريركية لاتينية في القدس عام ١٨٤٧ نصب يوسف فاليركا اول بطريرك عليها . حاول هذا بسط سلطته على ما يملك اللاتين لكن الفرنسيسكان قاوموه . واخيرا جلب العديد من الرهبان الى البلاد وشيد الاديرة والكنائس الكثيرة ونصب رعاة للطائفة الوطنية يتقنون العربية وعادات الشعب . وأسس المدارس والمياتم والمستشفيات والجمعيات وأغدق الهبات على أفراد الطائفة فسحب العديد من ابناء طائفة الروم المعوزين الى طائفته .

وسبب زلزال عام ١٨٣٤ م بعض الخراب في الكنيسة رمم في عهد السلطان عبد المجيد وزمن ابرهيم باشا (١٨٣٦ - ١٨٥٧) وجدّدت صفائح الرصاص . وجلب بلاط رخامي من جزيرة مرمرة بينما ارض القاعة المعمدة فهو من بلاط حجر محلي . ورممت

الحدران بالملاط والجير مكان الفسيفساء المتساقطة . وأقيم حائط جديد يفصل القاعد المعمدة عن القسم الشرقي له ثلاثة أبواب عام ١٨٤٢ ليمنع مرور اتباع الطوائف الاخرى من المرور من الكنيسة ازيل هذا الحائط بوساطة ممثل الانتداب البريطاني رونالد ستورس وموافقة الجهات الدينية المختصة عام ١٩١٩ . وكان البابان الجنوبي والاوسط لاستعمال طائفة الروم بينما الشمالي يفتحه الروم لمرور الارمن فقط عند اقامة الصلاة . (٢٤) ، (٣٨) .

وصـــف الكنيســـة

ِتتقدم الى مدخل كنيسة الميلاد من الغرب مارا بساحة واسعة ، القسم التابع للدير منها مبلط ببلاط حجرى . وكان الحزء الشرقي منها يكون ممرا مربعا مسقوفا تقف على جوانبه ازواج الاعمدة الفاخرة لتكون مدخلا لائقا لكنيسة الميلاد بقي حتى زمن الصليبيين . وكان هذا الرواق موقفا للمتنصرين الحدد قبل عمادهم . وكان الرواق بعرض ٢٧ مترا كالكنيسة . اما الابار الكنعانية القديمة التي كانت فيه فكانت تستعمل للغسيل والعماد .

وتدخل الكنيسة من باب صغير جدا هو الباب الرئيسي لها الان . ومن يتأمل فى واجهة الكنيسةالغربيةيرى انه احد ثلاثة ابواب عالية وواسعةاغلق الشمالي والجنوبي منهما وصغر الاوسط مند زمن الصليبيين في القرن الثاني عشر ثم صغر الىحالته اليوم زمن المماليك عام ١٥٠٠ لمنع دخول الجمال والخيول الى الكنيسة . وكذلك الباب الداخلي الموءدى الى كنيسة القديسة كاترينا من القاعة المعمده.

ومتى دخلنا الباب الصغير نقف في ايوان ضيق معتممنخفض السقف قسم حديثا الى ثلاثة اقساموكانتله ثلاثة ابواب عالية واسعة بموزاة المداخل الاصلية للكنيسة ، أغلقت كذلك عدا الاوسط منها . ونرى فوق رأسك عند عبور هذا الباب بابا خشبيا منقوشا عليه بالعربية والارمنية الكلمات التالية : "صنع باب كنيسة ام الاله المباركة عام ٦٧٦ بايدى ابرهيم والاب أراكل زمن هيشوم ابن قسطنطين ملك ارمينيا ليرحم الرب ارواحهم" . والتاريخالارمني ٦٧٦ يقابل عام ١٢٢٧ م اما الكتابة العربية فتقرأ : "انهي صنع هذا الباب بعون الله تعالى في ايام سيدنا السلطان المالك المعظم في شهر محرم عام ٦٢٤ هجرية" (٢٤) والباب المذكور من مدينة بلسيان وتدخل القاعة الواسعة التي تقسمها اربعة صفوف من الاعمدة الى خمسة اقسام اوسعها الاوسط وطول القاعة واحد وستون مترا وعرضها سبعة وعشرون مترا . والاعمدة وعددها ٤٦ في اربعة صفوف مصنوعة من حجر أحمرموحد ، مأخوذة من محاجر بيت لحم (الصليب) . طول العمود مع القاعدة والتاج الكورنثي ٥٫٧٠ مترا (١٩ قدما) . ويقف كل عمود على قاعدة مربوعة تبرز عن دائرة العمود . اما تاج العمود فكورنثي النقش فيه صليب بارز النقش . وتمتد على روءوس الاعمدة هذه عوارض خشبية ضخمة منقوشة من اسفلها ايضا يقوم فوقها حائط من الجهتين الشمالية والجنوبية ارتفاعه (٩٫٦٠ مترا) ، ويتخلل كل حائط عشر نوافذ متوسطة الحجم اعلاها قوسي الشكل . ويرتكز على اعلى الحائط من كل جانب العوارض الخشبية الساندة

لسقف الكنيسة الخشبي الذى قدمه ادوارد الرابع ملك انكلترا مع فيليب البرجوندى ·وكان السقف سابقا مصبوغا ومطليا بالذهب · كما كانت الجدران مزينة بالفسيفساء الفاخره التى تبرع بها الامبراطور البيزنطي كومنينوس والتي تمثل الكثير من تاريخ المسيحية وقرارات المجامع المسكونية· وقد زال معظم هذه الفسيفساء سوى القليل عن الجدران العليا · بينما زالت تماما عن الجدران السفلى التي طليت بالملاط والجير البسيط عام ١٨٤٢م · وترى رسوما بالالوان الطبيعية على القسم الاعلى من الاعمدة الاربعة والاربعين الظاهرة للعيان ، هي صور آباء وقديسي الكنيسة بينهم صورة " كانوته " ملك الدينمارك واخرى لاولاف ملك النرويج ·

اما محتويات الفسيفساء الباقية على الجدران العليا فترى على الواجهة الشمالية رسوم نباتات خيالية، ثم نسخ عن ثلاث كنائس شهيرة منها كنيستي انطاكية وسرديس (سارت جنوب تياتيرا على بعد ٤٥ ميلا من ازمير- تركيا عاصمة الملك قارون الغني (٢٢) وفي هذه الكنائس ترى الهياكل والانجيليين اما اللوحات الاخرى فتمثل المحامع الكنسية المختلفة وتدون قراراتها· وهناك كتابة يونانية زال معظمها من الرسم الاصلي · والفسيفاء على ثلاثة صفوف (٢٤) · أما فسيفساء الجدار الايمن الجنوبي ففيها سلسلة من انصاف اشخاص يمثلون اجداد المسيح ، يظهر منهم سبعة فقط بوضوح وهم اجداد يوسف خطيب مريم وتحوى الكتابة اليونانية التي تعلو ذلك مختصرا من قرارات المجمع الكنسي في القسطنطينسة عام ٣٨١م (٢٢) (٢٤) ·

وفي الحنايا بقايا فسيفساء تظهر شيئا من حياة المسيح · ففي الحنية الشمالية رسم للمسيح القائم من القبر وبجانبه توما تلميذه يتفحص آثار المسامير في يديه· اما في الحنية الجنوبية فرسوم لدخول المسيح الى الهيكل في القدس، وصعوده الى السماء ومريم امه بين تلاميذه· والرسوم غير دقيقة الصنع (٢٤) ·

وفي الجهة اليمنى من مكان المرتلين فوق مغارة الميلاد كتابة يونانية هذا نصها : "تمّ هذا العمل بيد الراهب المؤرخ والمرتل في عهد الملك امانويل بروميرلا جنيطوس كومنينوس وفي ايام الحاكم الاورشليمي العظيم السيد اموري وفي زمن الكلّي القداسة اسقف بيت لحم المقدسة السيد راوول عام ١٠٢٦م الانديكتي الثاني" (والاندبكتي تعني دورا مدته خمسة عشر عاما) · (٢٢) (٢٤) ·

ويتوسط ظهر المغارة الحنايا الثلاث لشرقي الكنيسة وهو اعلاها وهو مرصوف بالرخام الابيض· ويفصل جدار خشبي منقوش ومزين بحميل النقوش والايقونات الدينية الثمينة التي تمثل حياة المسيح وامه والقديسين (ايقونسطاس) مكان المرتلين فوق ظهر المغارة عن الحنية الوسطى الشرقية التي هي هيكل الكنيسة· والايقونسطاس الحالي هو من عام

١٧٦٤ م طلي بالذهب عام ١٨٥١ م ٠ اما الايقونات فهي مقدمة من العائلة المالكة القيصرية الروسية آنذاك ٠ اما الشمعدانتان الكبيرتان امام الهيكل فهما من صنع مدينة نورمبرغ في المانيا وبطلب من بنيامين رئيس الدير عام ١٦٦٧ م ٠

اما ارضيتا الحنيتين الشمالية والجنوبية وهما بمستوى ارضية القاعة الكبرى ، ينزل اليهما والى القاعة باربع درجات من كل جهة وتسند سقف الحنايا اعمدة ضخمة منها اربعة اكبر وبشكل يختلف عن اعمدة القاعة الكبرى ٠

ويصعد درج من جنوب الهيكل (الحنية الشرقية) الى كنيسة صغيرة باسم القديس جريس ، يصعد منها بدرج الى برج يوستنيان ٠

وللكنيسة عدة ابواب داخلية الاول بمستوى العمود الرابع من الغرب في الحائط الجنوبي يوءدى الى الحديقة جنوب الكنيسة ، كان سابقا مخرجا للاساقفة ورجال الدين والشعب بعد الاحتفالات الدينية الى الدير وقرب هذا الباب حجر معمودية احمر مثمن الشكل تزينه نقوش صلبان اربعة على جوانبه ٠ وفوق الصليب المواجه لوسط الكنيسة كتابة يونانية هذا نصها : "من اجل تذكار ونياح وغفران خطايا العبيد الذين يعلم السيد اسماءهم " ٠

اما الباب الثاني فهو صغير وفي بداية جدار القاعة الشمالي ، يدخل منه الى الممر المربع امام كنيسة القديسة كاترينا للاتين ٠ والباب الثالث في الحنية الشمالية يدخل منه الى كنيسة القديسة كاترينا الملاصقة للحنية ٠ بينما في الحنية الجنوبية درجان يكوّنان نصف دائرة على جوانب الحنية ينتهيان الى باب مرتفع يخرج منه جنوبا الى ساحة امام كنيسة مارجريس والجرسية الحاضرة ٠

هذا عدا ما ذكرناه سابقا عن البابين في الحائط العارض بين القسم الشرقي من الكنيسة والقاعة الكبرى ٠ يدخل منهما الى الحنايا الشمالية والجنوبية ٠ بينما ازيل الحائط الاوسط الفاصل بين ظهر المغارة والقاعة الكبرى مع الباب الاوسط فيه منذ عام ١٩١٩م ٠

ولم يكن للكنيسة قبة أجراس اذ لم تستعمل الاجراس في الكنائس الارثوذكسية الا بعد

عام ٨٧٦ م الا ان الصليبيين بنوا للكنيسة جرسية أوجرسيتين فذكر ج٠دى دماونديفيل عام ١٣٢٢ م "ان للكنيسة جرسية او جرسيتين (٥٤)" ٠ كما ذكر برنارد دى نالي وهو تاجر من البندقية عام ١٤٩٢ م ان للكنيسة جرسية جميلة وذات فن ٠ وهكذا ذكر فيليكس فابر (١٤٨٠ – ١٤٨٣) "ان العرب (المماليك) منعوا المسيحيين من استعمال الاجراس الكبيرة والصغيرة فاجبروا على ابعادها حتى من القبر المقدس" (٥٤) وقد وجدت الاجراس مدفونة في ديرالفرنسيسكان في بيت لحم ظهر قسم منها عام ١٨٦٣ م والاخر عام ١٩٠٦ اما الجرسية الحالية فحديثة العهد ، بنيت عام ١٨٧٧ م ٠

يدخل الى المغارة الان من بابين شمال شرقي وجنوبي . ويعتقد ان الباب الاصلي والوحيد لها هو الشمال شرقي بينما قطع الجنوبي فيما بعد من عهد يوستنيان . وذكر البابان في القرن التاسع ميلادى فذكرهما السائح برنارد الحكيم عام ٨٧٠م . واتخذ البابان شكلهما الحالي زمن الصليبيين الذين اقاموا للبابين قوسين ووضعت اعمدة رخامية تدل على المخرجين . وكذلك البلاط الرخامي للارض والجدران ثم الدرجات والخمسة اعمدة الرخامية قرب المذود ومسجد المجوس ، كلها اقيمت اكراما للمكان المقدس وسندا لصخر المغارة . وكما ذكرنا فقسم من جدرأن المغارة ثم سقفها مبني بالحجارة المبنية من زمن قسطنطين الملك كي تتحمل ثقل البناء الضخم فوقها . وعدد درجات المدخلين كان سبعا من كل جهة كما ذكرها الرئيس الروحي دانيال عام ١١٠٦ م بينما هي الان ست عشرة درجة من الشمال الشرقي وثلاث عشرة درجة من الجنوب . (١٣) وجعل قسطنطين المغارة مربعة الزوايا . اما طول المغارة من الشرق الى الغرب فهو ١٢ر٣٠ مترا (٤٠ دما) وعرضها ٣ر١٥ مترا (١٢ قدما) وارتفاعها ٣ امتار (١٠ اقدام) وهي معتمة يضيئها ثلاثة وخمسون قنديلا منها تسعة عشر للاتين وفي طرف المغارة الشرقي حنية مرصوفة حيطانها بالفسيفساء مع كتابة يونانية ربما من عهد يوستنيان وهذه الحنية هي المكان المتعارف عليه ان فيه وضعت مريم ابنها يسوع . وفي ارضية الحنية بلاطة رخامية وضعت فيها نجمة فضية ذات اربعة عشر شعاعا نقش عليها باللاتينية الكلمات التاليه : " Mar ia Jesus Chistus Natus Est .1717
" Hic De Virgine

ومعناها : هنا وضعت العذراء مريم ابنها يسوع المسيح ، ١٧١٧م . ومعلق فوق وحول النجم خمسة عشر قنديلا زيتيا من الفضة دائمة النور ، منها ستة للروم وخمسة للارمن واربعة للاتين .

ولهذا النجم قصة يدعي الطرفان الروم واللاتين الحق فيه . قد اختفى النجم يوم ١٢ تشرين الاول عام ١٨٤٧ م فتدخلت السلطة التركية وامر الباب العالي بأن تضع السلطة التركية مكانه نجما يحمل نفس الكتابة ، كي لا تتقدم طائفة على الاخرى بحق ملكيته . ويقوم شرطي حارس بحراسة المكان خوف تكرار الحادث او اغتصاب طائفة حقوق الاخرى .

والى الجنوب الغربي من موقع الميلاد متسع في المغارة نحو الجنوب ينزل اليه

بثلاث درجات ، وفي غربة مكان المذود حيث اضجعت مريم فيه طفلها • وترى اليوم بلاطه رخامية فوقها طفل من الشمع يرمز الى الطفل يسوع • وفي الخلف صورة زيتية كبيرة لميلاد المسيح من رسم الفنان شملز SchmLz والمكان مغلق بمشبك حديدى • ويدعي اهل روما ان حجر المذود الاصلي قد نقل الى روما في كنيسة القديسة مريم العظمى • وقد رآه وذكره العديدون في القرن الثامن ميلادى • ويروى هيرونيموس في "وعظات الميلاد" . لوقدر لي فقط ان ارى المذود الذى اضطجع فيه السيد •• الان وكأنه في سبيل اكرام المسيح ازلنا المذود الوضيع لنضع مكانه مذودا فضيا • اما بالنسبة لي فالمذود المزال أثمن • ان الذهب والفضة للكفرة بينما يتناسب المذود الوضيع والايمان المسيحي •• انني احب الرب الذى وهو خالق العالم اختار ان يسطع نوره بين الفقر والبوءس لا بين الفضة والذهب" • (٥٤) •

ويقابل مكان المذود شرقا مكان كرس لذكرى المجوس الثلاثة الذين سجدوا له مقدمين اللبان والمرّ والصورة الموجودة هنا حديثة العهد من رسم جون باجليوني من رافنا عام ١٨٧٥ وضعت هنا عام ١٨٨٥ م • وتجد في الشمال الغربي من المغارة فوهة بئر يقال ان يوسف ومريم شربا منها • كما نشر الصليبيون القول ان النجم الذى دل المجوس الى مكان الميلاد سقط فيها وان البئر لا قرار لها • ومن أدار نظره في المغارة يرى ستائر اسبست غير قابلة الاشتعال تغطي الحيطان هي مقدمة من رئيس جمهورية فرنسا مارشال ماكماهون عام ١٨٧٣ م بعد الحريق الذى شب في المغارة عام ١٨٦٩ وأتى على كل ما فيها من مخلفات القرون الوسطى الصليبية من فسيفساء في السقف والجدران وأغطيتها النفيسة ومحتوياتها الثمينة • (٢٤) (٥٤) •

وفي جدار المغارة الغربي باب مغلق يتطرق الى نفق يوصل الى مغر الى الشمال والشمال الغربي دعي سابقا بالممر السرى من الراهب فابر • وكان الحارس توما سيلي (Tomacelli) قد امر بحفره عام ١٤٧٩ م ليوصل بين مدفن هيرونيموس والاخرين ومغارة الميلاد ليوفر على الحجاج دفع الضريبة المفروضة من سلطة المماليك على زوار الكنيسة • وكان الحفر قبل زيارة "توخر" (Tucher) من مدينة نور نمبرج بقليل (٧٠) •

ونمرّ باول مغارة بعد النفق كرست للمكان الذى سمع فيه يوسف الامر باللجوء مع الطفل وامه الى مصر هربا من هيرودس • واقام حارس الارض المقدسة الاب توماس من

نوفارا هيكلاعام ١٦٢١ باسم القديس يوسف • والى الشمال الشرقي من هذه المغارة مغر فيها مدافن قديمة كرست منذ القرن الخامس عشر فقط على اسم اطفال بيت لحم الذى قتلهم هيرودس • وذكر هذه المغر عدد من الحجاج ايام وبعد الصليبيين بان فيها مدافن الاطفال تحت كنيسة الميلاد • فمنهم من رآها تحت الحنية الشمالية • اما الحقيقة التاريخية فلا يمكن إثباتها • فالديانة المسيحية لم تكن منتشرة زمن هيرودس كما لا بعتقد ان جمعت جثث الاطفال لتدفن في مكان واحد بينما غضب الطاغية منصب على المنطقة بل يغلب ان دفن كل طفل في مدفن عائلته في اطراف متعددة من بيت لحم وبالاخص في الجهة الشمالية الغربية منها حيث عثر على عدد من المدافن من زمن المسيح • ولربما دفن بعضهم في هذه المغر التي شيدت فوقها كنيسة الميلاد والاديرة المحيطة بها • وما تخصيص مكان معين تحت كنيسة الميلاد كمدفن لهؤلاء الابرياء الا للذكرى والاكرام لمن قتل من اجل المسيح •

وامام هذه المدافن نحو الغرب نجد ممرا فيه قبر اوسيبيوس الكريموني تلميذ هيرونيموس ، مع ان التاريخ لم يذكر انه توفي في بيت لحم ، وذكر هذا القبر كل من مورسيني واميكو عام ١٥١٤ م والى الغرب من هذا الممر في مغارة صغيرة تجد فيها قبر هيرونيموس ملاصقا لجدارها الغربي وتوفي هيرونيموس في بيت لحم عام ٤٢٠ م ويذكر بعضهم ان رفاته نقلت الى كنيسة مريم العظمى في روما عام ٤٦٠ م بينما يذكر اخرون ان رفاته نقلت بواسطة تيوذوسيوس الصغير الى القسطنطينية • والى الشرق من هذا القبر تجد قبرين هما لباولا وابنتها اوستيخيا تلميذات هيرونميوس • وذكر هيرونيموس في رسائله عام ٤٠٤ م بعد دفن باولا قائلا : "بعد ذلك حفرت حجر قبرك حتى حيثما ذهبت كلماتي يعلم القارئ انني كرمتك وانك في بيت لحم دفنت" • (٥٤) • وقد عين لهما هذان القبران اكراما في القرن السادس عشر •

والى الشمال من مغارة باولا وابنتها تدخل الى مغارة اوسع رممت جدرانها بالحجارة امام الصخر الطبيعي ويقال انها المغارة التي كان يسكنها هيرونيموس والتي فيها ترجم التوراه بعد تعمقه في درس اللغة العبرية ، من العبرانية الى اللاتينية المعروفة بال (Vulgata) • وذكر المؤرخون المغارة لاول مرة عام ١١٢٩ م • كما عرفت وظهرت للعيان عام ١٤٤٥ م فقط وكان قبر هيرونيموس انذاك فيها •

ويذكر المؤرخون ان بابا فتح لمغارة الميلاد من الغرب عام ١٦٢١ عاد اليونان

فاغلقوه عام ١٧٥٢ لعشرات السنين ٠ (٧٠) ويقوم رجال الدين الفرنسيسكان بجولة دينية في هذه المغر كل مساء مقيمين الصلوات التذكارية لكل مناسبة وذكرى لهذه المغر ٠

والى الجنوب من كنيسة الميلاد وتحت حنيتها الجنوبية توجد مدافن عديدة وفي مغر متطارقة ومتفرقة يعتقد انها بيزنطية وصليبية ، كرست ايضا لذكرى أطفال بيت لحم ٠

وشب حريق في غرف تقع الى الغرب من كنيسة القديسة كاترينا وسبب الكثير من الدمار ٠ وعند الترميم ظهرت اعمدة صليبية في جدران الممر المربع امام كنيسة كاترينا منها الكامل ومنها التيجان الجميلة لتلك الاعمدة فقط وهي من القرن الثاني عشر ٠ اما كنيسة القديسة كاترينا فقد شيدها الفرنسيسكان كنيسة للطائفة عام ١٨٨١ م على بقايا كنيسة القديس نقولا التي كانت في القرن الثاني عشر ميلادى ٠ وقد ساعد فرانس يوسف امبراطور النمسا في اقامة كنيسة القديسة كاترينا ٠ اما باب هذه الكنيسة الغربي فهو تحفة فنية من صنع الفنان الايطالي أ ٠مورتييت ، ويظهر على واجهته الخارجية صورا برونزية بارزة في الاعلي لهيرونيموس واويسيبيوس وفي الاسفل لبولا واستوخيا ، وقد عرض هذا الباب في معرض الفنون المقدسة في روما عام ١٩٥٠ قبل جلبه وتركيبه ٠ (٥٤) ٠

واقام الصليبيون في عهدهم ديرا فخما حول كنيسة الميلاد بقيت لنا آثاره وقسم من جدرانه تحيط بالكنيسة كحفاظ مقدس ٠ اما الجرسية فقد زالت ودفنت الاجراس (١٠) ويذكر التاريخ ان صفوف الاعمدة في رواق الكنيسة قد دمرت في اثناء الاحتلال العربي ثم الصليبي ٠ وقد ذكرت في كتاب كاسيس دى "عام ٨٠٨م ٠ كما عاش راهبان على عمودين امام الكنيسة للتنسك وكان رجال الدين والرهبان الخمسة عشر في الدير يقومون بخدمتهما واعالتهما ٠

وعندما شيد الفرنسيسكان ديرهم الجديد عام ١٨٦٩ شمال كنيسة الميلاد عثر على اوان وآثار دينية صليبية مدفونة ، منها وعاءان معدنيان منقوشان بدقة يظهران اشياء من حياة القديس توما ، وشمعدانات فضية مطلية ذهبا ومماسك مشاعل وصولجان اسقفي واواني صغيرة متعددة مدفونة في خرائب الدير القديم ٠ وقرئت جملة باللاتنية على الشمعدانات هي :"ليكن ملعونا من يبعدني عن مكان الميلاد المقدس في بيت لحم" ٠ كما عثر عام ١٩٠٦ على كنز آخر وفي مكان آخر من الدير هو اثنى عشر جرسا نحاسيا صغيرا من كاريلون (Car illon) ومجموعة انابيب ارغن نحاسية هي الان في متحف

ديرالفرنسيسكان في القدس (دير جلد المسيح) ٠ قسم منها مصنوع في القرن الثاني عشر والاخر من القرن الثالث عشر ميلادى ٠ ويعتقد ان هذه الكنوز قد دفنت على مراحل آخرها عندما امر السلطان قايتباى المملوكي الفرنسيسكان بترك البلاد عام ١٤٨٩ على امل العودة واخراجها ثانية (١٠) ٠

وكانت كنيسة الميلاد محاطة بسور ضخم اشبه بالقلعة له باب من الغرب اكتشفت عتبته في بداية فسحة الكنيسة الى الشرق من المنارة والنجم اليوم ٠ ثم البلاط الحجرى للفسحة من القرون الوسطى ٠ وترى جزءا من السور في الزاوية الشمالية الغربية لدير الارمن في اتجاه الشمال حيث كان يحيط بالساحة غربا وشمالا حيث سور مقبرة الروم القديمة التي قامت مكانها عمارة الجمعية الارثوذكسية والفندق حيث ترى بقايا السور على ارضية السور الجديد ٠

وعندما شيّدالفرنسسكان عمارة الكازانوفا لتكون نزلا للحجاج ازالوا مقبرة اللاتين من هناك الى الشمال من عمارة البوليس اليوم ٠ وفي الحفريات عثروا على مقبرة صليبية واخرى بيزيطية تحتها بعمق خمسة امتار عن سطح الارض (١٠) ٠

وكذلك عندما وسع الشارع المؤدى الى بيت ساحور شمالي ديرالفرنسيسكان عثر في الزاوية الشمالية الغربية على نصب قبر من الحجر مهشم نوعا بارتفاع ٢٤ سنتمترا وعرض ٣٠ سنتمترا منقوش عليه باليونانية القديمة اسمي بوعاز وراعوت ٠ كما وجدت آنية معدنية صغيرة دون غطاء في قبر آخر تحوى بقايا فحم ربما كانت للبخور من زمن البيزنطيين ان لم تكن أقدم عهدا (١٠) ٠

اما الابنية المحيطة بكنيسة الميلاد وهي دير الروم والفرنسيسكان والارمن فهي تراث قام على العرف القديم منذ بداية القرن الرابع ميلادى ٠ اما دير الارمن الواقع الى الجنوب الغربي من الكنيسة فهو من زمن الصليبيين ٠ وتجد في جدرانه بعض الاعمدة القديمة من اروقة الكنيسة السابقة ٠ وفي القسم الشرقي من دير الارمن غرفة معمدة ربما هي التي يدعوها الارمن بمكتبة هيرونيموس ٠ وتحت دير الارمن قاعة واسعة كانت سابقا معصرة زيتون ثم خانا للحيوانات زمن الاتراك فيها عدد من قطع الاعمدة القديمة مطروحة في اماكن مختلفة منها ، وللقاعة باب في نهايتها الى الشمال غربية يفتح على ساحة

الكنيسة . كما فتح باب واسع من جهة الغرب كان يقصد منه فتح متاجر في الواجهة الغربية من القاعة ثم منعت في أواخر الخمسينات من هذا القرن .

ولنذكر ما هو معروف عن تاريخ الطائفة الارمنية في بيت لحم فهو غامض شيئا . هناك من يقول ان الطائفة الارمنية تأسست في القرن الخامس للميلاد وكان لها علاقة متينة مع الكنيسة اللاتينية في القرن الثالث عشر ، كما كان لها علاقة طيبة مع السلطات الاسلامية كما يظهر في الكتابة المحفورة في خشب باب كنيسة الميلاد من عام ١٢٢٧م والموجود فوق مدخل قاعة الكنيسة الكبرى زمن السلطان المالك المعظم ابن اخ صلاح الدين وعادت بيت لحم بعد عامين من هذا التاريخ الى السلطة الفرنجية بعد عقد معاهدة بين العرب والفرنج . ويذكر التاريخ ديرا للقديس انانياس في بيت لحم في القرن السابع كان يخص الارمن (٢٤) . وذكر انسطاس ورتابت المؤرخ الارمني الذى زار البلاد المقدسة اواسط القرن السابع ، ان للارمن ديرا باسم القديسة مريم قرب قبر راحيل على طريق بيت لحم ، وديرا للقديس سركيس الى الغرب من دير مار الياس .

وتأسست بطريركية الارمن في القدس عام ١٣٣٧ م . وامتلك الارمن ممتلكات اليعاقبة (السريان) في بيت لحم . كما سمح لهم الاقباط باقامة الصلوات على مكانهم في كنيسة الميلاد واخيرا امتلكوه الى ان اعاده السلطان محمد الرابع التركي الى الروم عام ١٦٥٧م . لكن الارمن تمكنوا من تثبيت وجودهم في كنيسة الميلاد بين عامي (١٨١٠ و ١٨٢٩ م) حيث امتلكوا الحنية الشمالية من الكنيسة واقاموا فيها هيكلا (٥٤) . كما اغلقوا الباب الشمالي في الحنية الموصل الى كنيسة القديسة كاترينا عام ١٨١٩ لكن اعيد فتحه بواسطة القنصل الفرنسي عام ١٨٣٦ .

مغارة الحليب : ذكرت هذه المغارة قديما بانها مدافن اطفال مجزرة هيرووس ، فذكر صفرونيوس المتوفي عام ٦٣٨ م ان المقدسات الثلاثة في بيت لحم هي مكان الميلاد والمذود ثم مغارة الاطفال كذلك جاء في تقرير ارمني عام ٦٦٠ م "أنه الى يمين كنيسة الميلاد هيكل للشهداء حيث تجد بقايا الاطفال ضحايا هيرودس محفوظة فيها" . وقال برنارد عام ٨٧٠م : "قريبا من كنيسة الميلاد والى الجنوب تجد كنيسة الشهداء الابرياء ثم يذكر انه من هناك نزل الى حقل الرعاة . وهذا يؤكد لنا ان المعني هي مغارة الحليب ويقول بعضهم ان باولا صديقه هيرونيموس بنت كنيسة هناك فوق المغارة .

ويسرد بيوس دى كونستانتينو (B ios D i Const ant ino) في القرن التاسع والعاشر " أن الملكة هيلانةشيدت كنيسة الميلاد ثم خرجت من بيت لحم تبحث عن مدافن الاطفال لتجدها في مغارة بنت فوقها كنيسة ، ثم انحدرت الى حقل الرعاة لتكرمه بالطريقة نفسها. وهذا ينفي أن تكون مدافن الاطفال تحت كنيسة الميلاد (١١) (١٣) .

وذكر الحجاج الاقدمون هذه المغارة في رسائلهم وكتاباتهم في القرن الثاني عشر بين عام ١١٢٧و١١٥١م مثل كواريزموس وجرايتان ودى كاسترو . كما كانت المغارة معروفة ومطروقة قبل دخول الصليبيين وكان فوقها كنيستان احداهما باسم القديس نقولا ، ولا يزال من بقاياها بعض الفسيفساء والجدران . وذكرت الكنيستان في القرن الخامس بانهما محاطتان بحرش . كذلك ورد ذكرهما في تفويض من البابا غريغور الحادى عشر عام ١٣٧٥م لبنائهما من جديد من الفرنسيسكان ولكن ذلك لم يتم في حينه اذ امتلكوها عام ١٤٩٣ فقط وبعد فترة من دخولهم بيت لحم عام ١٣٤٧ وامتلاكهم كنيسة الميلاد .

اما البناء الذى تراه اليوم فشيده الفرنسيسكان عام ١٨٧٢ واثناء ذلك ظهرت اثار دير من عهد الصليبيين . وذكرت المغارة باسمها الحالي مغارة الحليب لاول مرة في القرن الثالث عشر . اذ ذكر السائح اليوناني بيرديكاس (Perd ikkas) قصة ارضاع المسيح عام ١٢٥٠م .

بينما انتشرت قصة تساقط نقط الحليب عندما ارضعت مريم ابنها في المغارة فتحول صخرها الى كلس ابيض في القرن السابع والتاسع في بلاد الغرب . وانتشرت العادة أن يؤخذ بعض من ترابها الى كل بقاع الارض واخصها الكنائيس الاوروبية تبرّكا. ويذكر التاريخ ان جيرارد الثالث اسقف بيت لحم اهدى بعضا من ترابها للملك بالدوين الثالث اثناء محاصرته مدينة عسقلان عام ١١٥٣م تبركا . وتيمّنا . كما جرت العادة ان تتناول المرضعات بعضا من ترابها ليغزر حليبهن مسيحيات كن ام مسلمات . لذا تتسع المغارة من جراء الحفر الدائم حتى من رجال الدين .

كنيسة مار يوسف : على الطريق المنحدر من بيت لحم الى حقل الرعاة شرق مغارة الحليب تجد كنيسة باسم القديس يوسف شيدها الفرنسيكان بعد ان اشتروا الارض عام

١٨٧٣ ، على آثار كنيسة قديمة وجد منها بقايا جدران ونحت في الصخر وقاعدة مائدة الهيكل القديم ، طليت بالملاط للحفاظ عليها عام ١٩٠٨ واعتقد اولا ان كان ليوسف بيت في تلك البقعة كما ذكر متى الانجيلي (٢:١١) "واتوا الى البيت وراوا الصبي مع مريم" . لكن علماء الدين والتاريخ شككوا في ذلك فعلل كواريزميوس (Quaresmius) هذه التسمية بانها للذكرى والاكرام فقط ولا علاقة لها بحياة يوسف وبيته. وايد المؤرج نيكوفوروس كاليستوس(INicephorus Callistus) هذا الرأى في القرن الرابع عشر. وادعى ان الملكة هيلانة هي التي بنت الكنيسة اكراما ليوسف خطيب مريم . وقد نسب هذا المؤرخ معظم الكنائس في فلسطين لعمل الملكة هيلانة .

آبار داود : الى الشمال من بيت لحم تلة تدعى اليوم جبل داود وجد فيها عدد من الابار القديمة منحوته في الصخر اكبرها بئر لها خسمة ابواب ، وجد بقربها فسيفساء تحوى كتابة يونانية من المزامير . وفي هذا المرتفع تنتشر الابار في اماكن متعددة ، منها ما هو في ملك الفرنسيسكان واخرى الى الشمال الغربي من هذا المكان في ارض يملكها دير الروم واخرى في ارض ساحورى حنضل الملاصقة . والاغلب ان يكون منها الكنعاني البيزنطي الاصل . وقد عثر على اثار دير بيزنطي قديم وكنيسة باسم داود وفسيفساء . وتحت الكنيسة مدافن ينزل اليها من فوهة في مكان اليهكل . والمدافن مغر متطارقة تحوى الواحدة منها من قبرين الى ستة منحوتة في الصخر بجانب بعضها حسب وضع المغارة وليس حسب العادة المسيحية اليوم ان يكون الرأس الى الغرب ، والمدافن مسيحية بيزنطية في سقف احداها كتابة يونانية باللون الاحمر . وعدد القبور ستة وتسعون قبرا ربما كانت لسكان الدير الذين عاشوا في القرن الخامس ميلادى هناك . وظهر ان الكنيسة من عمل يوستنيان لذكرى داود . واعتقد ان مدافن يسى والد داود واجداده هناك . فكتب سائح بوردو يقول "ليس بعيدا عن كنيسة الميلاد ترى نصبا لحزقيال وآساف ويوءاب ويسّى وداود وسليمان . وفوق القبر كتابه عبرانية" .

كذلك ذكر هيرونيموس ان باولا وابنتها اويستيخيا صلتا في مقام قبر داود في بيت لحم مع ان هيرونيموس يعلم ان التوراه تردد ان داود مدفون في اورشليم خمس عشرة مرة ، وبقي الاعتقاد بوجود قبر داود في بيت لحم من القرن الثالث حتى الثامن ثم اتضح الخطأ وتركت الفكرة . (١١) .

ويعتقد ان سبب هذا الخطأ التاريخي هو عندما دمرت اورشليم على يد تيطوس عام ٧٠ م منع اليهود من دخولها فاخذوا يحيون ذكرى داود وسليمان عند قبر آبائهم في بيت لحم مما جعل الكثير من الحجاج يعتقدون بان داود وسليمان مدفونان ايضا فيها . وتأثر المسيحيون بهذه المخلفات اليهودية فبنوا كنيسة باسم داود . كما وجد من الاكرام ان تكون بقايا ضحايا هيرودس قريبة من بقايا هذا التلحمي الشهير (١١) . وكان اول من ذكرها سائح مجهول من بياسينزا عام ٥٧٠ م قال "هناك كنيسة قبل بيت لحم بنصف ميل تحوى رفات داود وابنه سليمان تدعى كنيسة داود . وهناك ايضا بقايا الاطفال ضحايا هيرودس ، حيث تفتح المدافن ليراها الحجاج" الا ان هذا السائح لم يحدد الموقع او الاتجاه ، الى ان جاء اركولف عام ٦٧٠ فذكر ان كنيسة داود تقع الى الشمال من بيت لحم وفي واد مجاور" . (١١) وذكر اوبسيبيوس (٢٦٥ – ٣٤٠) وسائح بوردو (٣٣٣)وهيرونيموس كذلك انهم رأوا قبر عائلة داود في بيت لحم .

وعرفت هذه الابار "ببئر بيت لحم التي عند الباب" منذ القرن الخامس عشر فقط وهي قصة داود المشهورة في التوراه عندما طرده الفلسطينيون من بيت لحم وسهل رفائيم (البقعة) وهام في الجبال مع فلول جيشه في منطقة مغارة عدلام فتأوه حسرة على شربة ماء من البئر التي عند الباب . فتطوع ثلاثة من رجاله متسللين بين صفوف الفلسطينيين وجلبوا له الماء المطلوب (اخبار الايام الاولى ١١ : ١٥ – ١٩) (وصموئيل الثاني ٢٣ : ١٤ – ١٧) . (٩)

وشيدالفرنسيسكان في هذه البقعة بنايات ضخمة للعمل الكاثوليكي هي مجمع مركز ثقافي واجتماعي ورياضي للاحداث والعائلات في المدينة .

قبر راحيل : توفيت راحيل زوجة يعقوب بن اسحق بن ابرهيم حوالي عام ١٧٣٠ ق م وذكرت التوراه في سفر التكوين (٣٥ : ١٦) قائلة : "ثم رحلوا من بيت ايل ولما كانت مسافة من الارض بعد حتى يأتوا الى افراته ولدت راحيل وتعسرت ولادتها وحدث حين تعسرت ولادتها ان القابلة قالت لها لا تخافي لان هذا ايضا ابن لك وكان عند خروج نفسها ، لانها ماتت انها دعت اسمه بن اوني (ابن الالام) واما ابوه فدعاه بن يامين (ابن اليمن والحق) فماتت راحيل ودفنت في طريق افراته التي هي بيت لحم فنصب يعقوب عمودا على قبرها وهو عمود قبر راحيل الى اليوم ، ثم رحل ونصب

خيمته وراء برج ايدر" • كما تذكر مصادر اخرى انه بعد ان سار يعقوب من بيت ايل واقترب من كبراتا في اتجاه افراتا ماتت راحيل ودفنت على طريق ميدان الخيل التابع لافراتا • واقام يعقوب نصبا على قبرها وتابع سيره ونصب خيمته خلف مجدل ايدو • وميدان سباق الخيل لا بد وان يكون بقرب مكان بعل مقدس حيث كان الشعب يجتمع ويحتفل حوله ، ودحرت ذكريات وفاة راحيل الذكريات الكنعانية السابقة الى خلفية النسيان • (٧٠)

ويروى يعقوب قصته امام فرعون فيقول ماتت راحيل في ارض كنعان حيث كنت اقترب من ميدان الخيل في المنطقة المؤدية الى افراتا وحفرت لها قبرا قريبا من ميدان السباق في الطريق باتجاه بيت لحم • (٧٠) وتذكر التوراه في سفر التكوين ايضا (٤٨:٧) على لسان يعقوب : "وانا حين جئت من فدّان ماتت عندى راحيل في ارض كنعان في الطريق اذ بقيت مسافة من الارض حتى آتي الى افراته فدفنتها هناك في طريق افراته التي هي بيت لحم " • وكانت وفاتها في فصل الربيع •

ومن الطبيعي ان تدفن راحيل في ارض سبط بنيامين كما يستنتج من الطريق التي سلكها يعقوب من بيت ايل نحو الجنوب فتذكر التوراه في صموئيل الاول (١٠:٢) بعد ان مسح صموئيل رأس شاول بالزيت منصبا اياه رئيسا على اسرائيل يقول له : "في ذهابك اليوم من عندى تصادف رجلين عند قبر راحيل في تخم بنيامين في صلصح" ويلتقي تخم بنيامين بتخم يوسف الى الشمال الشرقي من اورشليم • اما بيت ايل فهي برج بيتين (بيت ايل ايضا) وتقع شمال شرق البيرة بكيلو مترين فقط • ويثنى على هذا القول ارميا (٣١:١٥) حين يولول ويقول "صوت سمع في الرامة ، نوح وبكاء مرّ ، راحيل تبكي على اولادها وتأبى ان تتعزى لانهم ليسوا بموجودين" • ويعني النبي ان اضطهاد واحزان شعبها وابادتهم قد افاقها من رقادها ، وتقع الرام اليوم على بعد تسعة كيلو مترات من القدس الى الشرق من طريق القدس رأم الله شمالا •

يعتقد العلماء ان قبر راحيل الحقيقي ليس هذا المعروف اليوم على طريق بيت لحم (٨) اذ كيف انتقل من ارض بنيامين الى ارض يهوذا على ابواب بيت لحم • ولم يعين مكان القبر في الرامة ولا بجوارها اذ يغلب ان اندثر وزال ايام الحصار البابلي او في الاعوام السبعين اللاحقة للدمار والسبي ، زمن القفر والانعدام • ويرجح ان اليهود بنوا القبر الحالي على مدخل بيت لحم بعد عودة بعضهم من السبي البابلي

تذكارا لراحيل وبدلا للقبر الزائل والمنسي مكانه ، متخذين من رحلة يعقوب باتجاه افراته ذاهبا الى حبرون موجها لعملهم التذكارى هذا (١١) ٠

واول ما ذكر قبر راحيل الحالي في "كتاب اليوبيلات (٣٢ :٣٤) (Jubilaen Buch) اذ قال "اقترب يعقوب من ارض كابراتان وهناك تتوفى راحيل على ميلاد بنيامين ٠ راحيل دفنت في ارض افراتا التي هي بيت لحم ، وبنى يعقوب ٠ فوق القبر نصبا على الطريق" ٠ بينما يذكر يوسفوس فلافيوس المؤرخ اليهودى زمن المسيح ، قبر راحيل مع قصة مسح صموئيل للملك شاول دون ان يذكر الموقع (Jos . Ant .4 . 2 : 56) بينما يجد التلموذ صعوبة في التوفيق بين موقع قبر راحيل الحالي وما تذكره التوراه ٠ (Neubauer 133) ويروى سائح بوردو (٣٣٣ م) "ان النصب فوق القبر يقع حوالي اربعة اميال جنوب القدس وحوالي ميلين الى الشمال من مقدسات بيت لحم" ٠ وهكذا يذكر هيرونيموس واوريجين واويسيبيوس ان قبر راحيل يقع قرب بيت لحم (١١) ٠

ورأى القديس تيوذوسيوس نصبا حجريا فوق القبر عام ٥٣٠ م بينما ذكر اركولف عام ٦٧٠ م ان النصب كان كالهرم ٠ كذلك يذكر المؤرخ العربي الادريسي والحاخام بنيامين من توديلا وفريدريك وكلهم من القرن الثاني عشر ان الهرم كان من اثني عشر حجرا تمثل ابناء يعقوب الاثني عشر وكذلك اسباط اسرائيل ٠ (١١) ويذكر هؤلاء المؤرخون ان الصليبيين شيدوا غرفة فوق المقام هي عبارة عن اعمدة تعلوها اقواس مسقوف بينها وفي وسط السقف قبه ٠

وحول البيزنطيون المكان الى كنيسة مسيحية باسم راحيل اقاموا فيها الاحتفالات الدينية في ايام معينة (٥٤) ويدعي بعض المؤرخين ان وضع الاثنى عشر حجرا فوق القبور هي عادة كنعانية ليكون المكان مقدسا يسكنه البعل ، اخذ الاسرائيليون هذه العادة عنهم ، ثم انتقلت الى المسيحية حيث كان الحجاج يجمعون الحصى حول قبر راحيل كما يذكر فريد ريكوس عام ١١٧٢ كي يحجز لهم مكان في الاخرة (٧٠)

واختفت الحجارة الاثني عشر في القرن الخامس عشر والسادس عشر ورمم المقام عدة مرات ٠ وأقام باشا القدس محمد الجدران بين الاعمدة ومغلقا الاقواس وحول القبر الى مقام اسلامي (ولى) وغير الهرم الى قبر اسلامي ٠ ويذكر ابو اليمن القاضي

مجير الدين الحنبلي في كتاب الانس الجليل بتاريخ القدس والخليل عام ٩٠١ هجرية (١٥٣١م) صفحة ٤١٥ عن قبة راحيل قال "وبين بيت المقدس وبيت لحم قبة راحيل والدة سيدنا يوسف الصديق عليه السلام وهو الى جانب الطريق بين بيت لحم وبيت جالا في قبة موجهة لجهة الصخرة ، وهي مشهورة تزار وقد قيل ان تسمية بيت لحم وكذلك بقية القرى مما حول بيت المقدس كبيت جالا وبيت نوبه وكل مكان اوله بيت انما سمي بذلك لانه كان مسكنا لنبي من انبياء اسرائيل فيقال بيت فلان نسبة لساكنه والله اعلم" .

وتمكن المثري اليهودي الانكليزي موشي حاييم منتفيوري من الحصول على مفتاح المقام من الاتراك لطائفة اليهود عام ١٨٤١ م وبنى الرواق الشرقي البسيط ملاصقا للمقام . وفي الرواق محراب اسلامي للصلاة . (٣٨)

ويحيط بقبر راحيل مقبرة اسلامية منذ القدم حتى اليوم . وكان البدو يجلبون موتاهم ليدفنوا هناك تيمّنا وتبركا . ولا تزال المقبرة تخص الطائفة الاسلامية في بيت لحم عامة . والمقام محترم من الاديان الثلاثة . وقد رمم الاسرائيليون العمارة بعد احتلال عام ١٩٦٧ وهي محج لهم ويقيمون لوفاة راحيل عيدا في السادس من تشرين الاول .

جرون الحمص : ليس لهذا المكان صلة تاريخية بحياة المسيح سوى الاقاويل التي تناقلتها السن المتدينين فنسجوا القصص الخيالية . ويقع المكان الى الشرق من مرتفع الطنطور وهو المنحدر شرق الطريق العام ومنه قسم لقطع الحجارة ويقال ان منه اخذت الحجارة الضخمة لبناء سور هيكل سليمان ، والقسم الاخر ارض زراعية ، وجاءت التسميه في القرن الثالث عشر لمغاز دينية منها ان يسوع المسيح مر برجل يفلح ارضه فسأله ماذا تزرع فاجاب بتهكم ازرع حجارة فاجابه المسيح وستحصد حجارة ايضا . وجاء موسم الحصاد ولم يجد المزارع ثمرا بل حصى كالحمص جزاء كذبة . ويذكر السائح ماوندريلي (Maundrelli) الذى زار البلاد عام ١٦٩٧ قصة اخرى وهي ان مرت العذراء مريم من هناك وطلبت من المزارع بعض الحمص لتخمد جوعها فرفض وعند الحصاد وجد المحصول قد تحول حصى جزاء قساوة قلبه (١٣) .

الطنطـــور : وهو المرتفع الاخير قبل دخول حدود بيت لحم من اتجاه القدس

والى الغرب من الشارع العام والى الغرب من جرون الحمص • ويعتقد ان المكان كان مقاما للبعل زمن الكنعانيين • وقد اكتشف فيه غراف برنارد كابوجا (Cabo ga) قنصل النمسا الذى اشترى التلة في اثناء حفر اساسات لبناء مستشفى وكنيسة تبرع باشادتها القيصر فرانس يوسف النمساوى ، حجر نيزك من جرم سماوى طوله قدمان وعرضه قدم وحجاره نارية مستديرة وحوالي عشرة آبار ماء أحدها بشكل بركة طولها ٤٧ قدما وعرضها ١٧ قدما وارتفاعها خمسة امتار لها خمس درجات منحوتة في الصخر تنزل الى داخل البركة ، وقناة من الشرق الى الغرب بارتفاع القامة تدعى بئر الزيتونة ، اما النيزك فيعد من اهم الاكتشافات الفلسطينية • ويقدس مثل هذا الحجر عند امم وشعوب متعددة ولا بد ان كان لهذا النيزك تاريخا مقدسا منذ اقدم العصور في تاريخ فلسطين • (٧٠) ودون التاريخ ان ديرا باسم القديس سيرجيوس كان في اعلى الجبل جدده يوستنيان مع باقي اديرة وكنائس فلسطين عام ٥٣٠ م كما حفر فيه بئرا • وروى السائح يوحنا موشوس في كتابه "جنائن النفوس" ان ديرا باسم القديس سيرجيوس يقوم فوق التلة ويبعد ميلان عن بيت لحم • وكان يدعى ايضا بالسيل الجاف (Xeropotamos) ويقصد بذلك المنحدر الشرقي تجاه جرون الحمص • وكانت التلة تعرف سابقا ببرج يعقوب وِافرتا •

وشهد اسقف راغوسا أنه رأى بقايا ردم الدير والكنيسة عام ١٥٦٠ ، كما ذكر هيرونيموس ان قبر ارخيلاوس ابن هيرودس الكبير من زوجته الرابعة " مالطاكه" السامرية موجود في هذه التلة (١٣) • بينما حقيقة الامر ان ارخيلاوس نفي الى مدينة فيين في بلاد الغول (فرنسا) عام ٢٦م وهو العام التاسع من حكمه ، وصودرت املاكه ولا يذكر اين مات (١٦) •

وتبرع القيصر النمساوى فرنس يوسف بمبلغ (١٥٠٠٠) جولدن لبناء مؤسسة في الطنطور عند زيارته فلسطين عام ١٨٦٩ فشيدت الكنيسة ودشنت في ايلول ١٨٧٦ وبدئ في بناء مستشفى للعيون وعيادة خارجية ، منتظرين قدوم طبيب مقيم من اوروبا لادارته لكن المعهد توقف عن العمل لقلة الزائرين ووفاةمؤسسه عام ١٨٨٨م •

واستلم فرسان مالطة الانكليز المؤسسة وادارو المستشفى والكنيسة في القرن التاسع عشر استلمته بعدهم مؤسسة اخوه القديس يوحنا اخي الرب ثم استلمه الساليزيان عام ١٩٢١م • وتحول المكان في الحرب العالمية الثانية الى سجن للسلطات

البريطانية ، ثم نقلت اليه مدرسة طاليتا قومي الالمانية ، حيث اغلقت المدرسة ابوابها داخل القدس عام ١٩٤٠م وحجزت الراهبات المسؤولات عنها ابان الحرب واصبحت المدرسة في الطنطور تحت اشراف حكومة الانتداب ثم اغلقت . وبقيت عمارات الطنطور خالية حتى سكنها اللاجئون من حرب عام ١٩٤٨ واستلمها في الخمسينات الجيش الاردني .

ولما زار البابا بولس السادس البلاد المقدسة عام ١٩٦٤ قرر استملاك المكان لتقام عليه جامعة لاهوتيه لمختلف الطوائف المسيحية بقصد البحث والحوار والتقارب بينها وقد تم اقامة بناء حديث جدا باشراف مؤسسة امريكية عام ١٩٧٢ وبدأ النشاط العلمي فيها .

مار الياس: دير يقع في منتصف الطريق بين القدس وبيت لحم وعلى مرتفع يكشف البلدين معا . وهو على بعد بضع مئات من الامتار جنوب بئر قادسمو . ويشبه الدير بسوره احدى قلاع القرون الوسطى . ويعتقد ان بانيه هو انسطاس بطريرك اورشليم عام ٤٨٦م بينما يقول مصدر آخر انه البطريرك ايليا عام ٤٩٤ ـ ٥١٦ ويجزم مصدر ثالث انه القيصر البيزنطي هركل داجر الفرس في اوائل القرن السابع ٦١٠ ـ ٦١٤ . ولكن لماذا بني الدير في هذا الموقع ؟

لذلك تفسيران ، الاول وهو ان ايليا في هربه من نقمة ايزابيل الفنيقية زوجة آخاب ملك اسرائيل فر الى المملكة الجنوبية مجتازا اورشليم استراح على هذه التلة بين القدس وبيت لحم ونام فظهر له الملاك في منامه طالبا منه القيام والاكل فالمسافة طويلة عليه حيث كان في طريقه الى بئر السبع وعاش ايليا بين عامي ٨٧٥ ـ ٨٥٣ق.م . بينما يعارض آخرون هذا الرأي مثل كواريزميوس (١٦٢٣م) بقوله أن الملاك ظهر لايليا جنوب بئر السبع بسفرة يوم (الملوك الاول ١٧ : ٣ ـ ٨) (٩) .

اما التفسير الثاني فهو ظهور الملاك ليوسف خطيب مريم وهما في طريقهما الى بيت لحم حيث خامره الشك واضطرب مترددا في الذهاب مع مريم الحبلى الى بيت لحم فقال له الملاك : "لا تخف يا يوسف ان تأخذ مريم امرأتك لان الذى حبل به فيها هو من الروح القدس." لكن يبقى السؤال مفتوحا ، لماذا ادعى الدير باسم القديس ايليا ؟ ولا علاقة للتسمية باسم اسقف بيت لحم ايليا الذى دفن في كنيسة مار الياس عام

١٣٤٥م٠ والاغلب لحقت التسمية بانيه البطريرك ايليا الاول ، وهو عربي من نجد ٠

وهجر الدير في القرن السابع ميلادى ٠ كما التجأ اليه من نجا من رهبان دير القديس سابا من مذبحة الفرس عام ٦١٤م٠ وتنصر جندى فرسي وتنسك وسكن دير مار الياس تحت اسم انسطاس ٠ لكن الجنود الفرس طاردوه وتمكنوا من قتله في مدينة قيصرية على شواطيء البحر الابيض المتوسط ٠

ويروى يوحنا فوكاس ان الامبراطور اما نويل كومنينوس بنى الدير عام ١١٦٠م بعد ان دمره زلزال قوى٠ ، وأخذ اليونان يظهرون صخرة مجوفة في القرن الخامس عشر كانت الى الغرب من الدير ادعوا ان النبي ايليا جلس عليها ٠وقال آخرون ان العذراء مريم اختبأت في تجويفها ، والصخرة موجودة اليوم في كنيسة العذراء في بيت جالا ٠ ورمم الدير من دير الروم عام ١٦٧٨م وفي القرن التاسع عشر ٠ وجرى بعض الاذى للدير والكنيسة عامي ١٩٤٨ و ١٩٦٧ في المنازعات العربية اليهودية ، أعيد اصلاحه من بعدها ٠ وآخر ما اصلح ارضية الكنيسة وفتح لها مدخل واسع من الغرب ، ثم سور الدير من الشمال والغرب والجنوب عام ١٩٧٦٠ ورممت قاعات الى الجنوب تستعمل للاستقبالات والاحتفالات كانت سابقا معصرة زيتون ٠ وكان ذلك على نفقة الارشمندريت اركاذيوس ٠

والى الغرب من مدخل السور العربي وعلى جانب الطريق العام من الغرب ترى مقعدا حجريا نصبته السيدة أديت زوجة الرسام الانكليزى " وليام هولمان هانت" تذكارا لزوجها وبادن بطريرك الروم وكان زوجها قد عاش في القدس بين عام ١٨٥٤ و ١٩٠٢م ورسم الكثير من الصور الدينية المشهورة قرب هذا المكان مثل " الخروف الضال" و " نور العالم " وسواها٠ ونقش على جوانب وظهر المقعد من الداخل آيات انجيلية باللغات الاربع العربية والانكليزية واليونانية والعبرية ٠

والى الجنوب من هذا الموقع مرتفع يعلو ٨٠٠ متر عن سطح البحر تكثر فيه الحجارة وجدت فيه بعض المدافن اليهودية ٠ ويذكر كواريزميوس ان رأى هناك عام ١٦٢٣م بقايا كنيسة باسم النبي (حبقوق)٠

بئر قادسمو : او بئر مريم ، وبئر المجوس وبئر النجم وبئر زمزم كلها اسماء تطلق

عليها وهي بئر قديم على منتصف الطريق تقريبا بين القدس القديمة وبيت لحم . وهو مكان استراحة عرف قبل العهد المسيحي . وسمي كذلك للاعتقاد ان مريم ويوسف استراحا بجانبه في طريقهما الى بلدهما بيت لحم . ويعتقد المسلمون ان هاجر مرت مع ابنها اسماعيل من هناك فطفح البئر ليشربا . وكلمة قادسمو يونانية معناها الجلوس والاستراحة بينما يظن البعض انها من اصل عبراني قداشيم وتعني المقدس . وكانت بقرب البئر اقدم كنيسة باسم العذراء مريم عام ٤٥١ م وصفها السائح انطونيو من بيازنسا عام ٥٧٠ م وذكر انها بنيت من المثرية ايكيليا (Ikelia) ، وذكر الكنيسة كل من سيريلوس من سكيثوبوليس (بيسان) ومتافراستيس ، كما ذكر ان القديس ثيوذوسيوس كان رئيسها . وذكر أ . م شنايدر في كتابة كنيسة كاتسمو عام ١٩٣٤ انه عثر على بقايا كنيسة بيزنطية في خربة ابو بريك حوالي ٤٠٠ متر الى الشمال الشرقي من البئر . كذلك عثر الاسرائيليون عام ١٩٥٤ على بقايا دير وكنيسة ثيوذوسيوس قرب مستعمرة رامات راحيل في نفس المنطقة (١١)

ويروى المؤرخون ان شجرة خروب كبيرة وارفة الظل كانت قرب البئر يستريح تحتها المسافرون الى ان احرقها صاحبها العربي عام ١٦٤٥ ليمنع المارة من دخول ارضه . (١٣) .

والبئر مهملة ومغلقة بالاسمنت بعد زوال خرزة بابها بعد الاحتلال الاسرائيلي عام ١٩٦٧ وهي على الطرف الشرقي من الشارع العام شمال دير مار الياس . راجين ان لا يزول هذا الاثر التاريخي .

الرهبنات في بيت لحم

بعد ان اعتنق الامبراطور قسطنطين الديانة المسيحية وأعلنها دين الدولة ، قام على كرسي اسقفية اورشليم مكاريوس الاول الذى بسعيه جاءت الملكة هيلانة وشيدت العديد من المراكز ألدينية المسيحية الهامة في فلسطين . بعدها انتشرت الاديرة والرهبنات في جميع انحاء البلاد منها اديرة مار سابا ، مار ثيوذوسي ، دير خاريطون دير الرعاه ، دير الصير ، ماريوحنا في واد القلط ، دير مار الياس ، دير افتيموس غرب البحر الميت ورهبنات في بيت لحم وكثير غيرها ، كانت كلها تابعة للكنيسة الارثوذكسية البيزنطية الى ان جاء الاحتلال الصليبي للبلاد عام ١٠٩٩ م وطرد البطريرك سمعان ونصب مكانه بطريركا غربيا تابعا لرومه .. فزال التأثير البيزنطي وزالت بقية الرهبنات الارثوذكسية التي صمدت للاحتلال العربي ثم الفاطمي . ثم عادت الحياة الى القليل منها مثل دير مار سابا وثيودوسي والياس .

الفرنسيكان : قدم رهبان الفرنسيسكان هذه البلاد عام ١٣٣٥ م حيث استقر وا مكان الصليبيين . وكان البابا كليمنت السادس قد منحهم عام ١٣٤٢ م حق المحافظة على الاماكن المقدسة باسم العالم المسيحي ، والعناية بالحجاج المسيحيين .(٤٥) دخلوا بيت لحم عام ١٣٤٧ م و منحهم السلطان المظفر المملوكي كنيسة الميلاد ملكا لهم . وبقيت في ايديهم حتى عام ١٧٥٧ م حيث ارجعها السلطان مراد الرابع بفرمان سلطاني الى الروم الارثوذكس . لكنه أبقى لهم حقوقا في مغارة الميلاد اهمها مكان المذود ، ومقام المجوس شرق المذود ، وعدة مغر الى الشمال من مغارة الميلاد كرست لذكرى حوادث واشخاص مشهورين في العصور المسيحية الاولى ، سكنوا وماتوا في بيت لحم .

والفرنسيكان هم اول من اسس طائفة اللاتين في بيت لحم . فكانت الطائفة الاولى هي جنود الصليبيين وعائلاتهم ، والمعتقد ان عددها لم يزد عن بضع مئات حتى القرن الخامس عشر . وذكر المؤرخ العربي مجير الدين ان سكان بيت لحم جلهم مسيحيون ، لكنه لم يفقط الطوائف (عام ١٥٣١) ويعتقد ان الطائفة اللاتينية تلاشت من البلاد عند دخول الاتراك عام ١٥١٧ م . بينما ذكر السائح كوتوفيك ، (Cotow ick) عام ١٥٩٨ ان عددها حوالي المئة نفس . ثم بدأالفرنسيسكان في

العمل فأخذوا من طائفة الروم عددا قليلا كون مع من بقي من المستوطنين الصليبيين طائفة تقارب المئتي نفس حتى عام ١٦٣١ م وزار بيت لحم السائح ناو (Nau) عام ١٦٤٥ وذكر ان اللاتين في بيت لحم يبلغون الخمسين عائلة . ولما زار المؤرخ اليعازر هورن بيت لحم في النصف الاول من القرن الثامن عشر ذكر ان عدد اللاتين فيها يبلغ سبعمئة وعشرون نفسا . الا ان هذا العدد ارتفع بعمل ونشاط رجال الدين اللاتين الى اربعة آلاف في القرن التاسع عشر .

ثم عاد وانخفض هذا العدد بسبب الاوضاع السياسية والاقتصادية في البلاد وازدياد الهجرة الى ثلاثة آلاف ومئتين عام ١٩٤٧ م من مجموع ثمانية آلاف مسيحي تلحمي يوم ذاك .

وتذكر سجلات كنيسة اللاتين ان عدد المرتدين من الكنيسة الارثوذكسية الى الكاثوليكية بين عامي ١٧٦٦ و ١٩٤٧ م بلغ ٢٧٦ نسمة منتشرين في بيت لحم وبيت جالا وبيت ساحور ، عاد بعضهم الى كنيسته الاصلية ثانية .

ومن الاعمال الهامة للفرنسيسكان في بيت لحم انشاء ثاني مدرسة لهم في البلاد للبنين باسم "مدرسة تيرا سانطا" وذلك عام ١٥٩٨ م كانت تعلم القراءة والكتابة العربية واللغة الايطالية واللاتينية والحساب والترانيم الدينية . وقد اثنى على هذه المدرسة الكثير من السياح عبر القرون اللاحقة ، ومنذ القرن التاسع عشر وقفت هذه المدرسة الى جانب المدارس الممتازة الاخرى في البلاد حتى اليوم . واخيرا شيدت لها عمارة حديثة ضخمة في المنحدر الواقع بين الشارعين المؤديين الى بيت ساحور وشمال دير الفرنسيكان وذلك عام ١٩٦٤ م .

كذلك تأسست مدرسة تيراسانطا للبنات باسم مار يوسف عام ١٨٤٢ م وهي رابع مدرسة شيدت من الفرنسيسكان للبنات في الارض المقدسة . وهي ثانوية كاملة هذه الايام وتنافس احسن المدارس في البلاد . وشيد طابق جديد فوق العمارة الاولى عام ١٩١٧ وطابق ثان عام ١٩٢٦ وثالث عام ١٩٤٥ . والمدرسة تابعة اليوم للبطريركية اللاتينية .

وتأسست الرهبانية الثالثة من ابناء الطائفة لممارسة الفضائل والبر والاحسان

والعبادة وكذلك اخويتي بنات مريم والامهات المسيحيات واخويه قلب يسوع لاسعاف النفوس المنسية .

وتأسست الجمعية الخيرية الانطونية نسبة للقديس انطون البادوى عام ١٩١٣م بنشاط رعاة الطائفة الفرسيسكان ورجالاتها . اوقفت الجمعية اعمالها مرغمة ابان الحرب العالمية الاولى لتعود وتجدد نشاطها عام ١٩١٨ ، كما تفرع منها قسم للسيدات عام ١٩٢٩ م .

وحققت هذه الجمعية النشيطة حلما وهدفا ساميا والاول من نوعه في هذه البلاد لخدمة المسنين والعجزة اذ شيدت عام ١٩٤٣ ملجأ للعجزة خدم ويخدم هذه المنطقة ويحل مشاكل اجتماعية ملحة . ثم شيدت نزلا الى الشمال من الملجأ استأجرته موءسسة كارتياس السويسربة الالمانية مستشفى للاطفال يعمل حتى الان . كما شيدت الجمعية كنيسة جميلة الى الجنوب الشرقي من الملجأ لتسهيل العبادة على العجزة فيه في الستينات .

وتأسست فرقة كشافة المهد عام ١٩٣٢ وكانت الاولى في بيت لحم والخامسة في فلسطين ، انضوت تحت لواء الجمعية الانطونية بعد عامين من تأسيسها (٢٨)

الفرير او اخوة المدارس المسيحية : وهي موءسسة فرنسية اسسها جان بابتست دى لاسال عام ١٦٧٩ في فرنسا . دخل الفرير هذه البلاد عام ١٨٧٦ م واسسوا لهم ديرا في القدس ثم جاءوا بيت لحم وحيفا ويافا والناصرة وعمان واسسوا فيها مدارس الاخوة المسيحبة المعروفة بمدارس الفرير التي لها باع طويل في نشر العلم والثقافة واللغات بين شاب البلاد . وهي ذات مستوى رفيع وسمعة طيبة .

وكانت كلية الفرير تشغل اعلى مرتفع في الشمال الغربي من المدينة بيت لحم وتشرف على محيط واسع من الجهات الاربع . في بنايتها كنيسة جميلة متوسطة الحجم وقد عثر في هذه البقعة على مدافن قديمة (٤٥) . ولما تأسست جامعة بيت لحم التي بدأ العمل فيها عام ١٩٧٣ م في عمارات ومركز كلية الفرير ، شيدت عمارة واسعة وحديثة على ارض دير الكرمل الى الجنوب الغربي من المدينة لتكون مركزا جديدا لكلية الفرير ذات الايدى البيضاء في تنشيئة وتثقيف الالاف من ابناء البلاد .

الساليزيان راجع صفحة ١١٠

راهبات الرحمة ـ الكرمل : جئن من روما ـ ايطاليا ، الى القدس عام ١٨٧٣ م وشيدن لهن ديرا واسعا في الجنوب الغربي من بيت لحم على جبل الكرمل . تعمل الراهبات فيه في تعليم الفتيات فن الخياطة والتطريز . كذلك تعمل بعض هذه الراهبات في مستشفيات بيت لحم .

والى الجنوب الشرقي من هذا الدير يقع دير آخر مغلق ومحاط بالاسوار العالية اشبه بقلاع القرون الوسطى الحصينة هو دير الراهبات الكرمليات . وكان محذورا عليهن روءية اى انسان حتى اقاربهن بعد دخولهن هذا الدير . الا ان البابا بولس السادس قد خفف عليهن هذا النظام الصارم بعد زيارته البلاد عام ١٩٦٤ م (٤٥) .

راهبات الوردية : وهي موءسسة عربية بحتة اسسها الاب يوسف طنوس الناصرى عام ١٨٧٩ لهن دير ومدرسة داخلية للبنات شمال بيت لحم في رأس افطيس .

الراهبات البيض : موءسسة فرنسية جئن القدس عام ١٩١٨ واسسن لهن ديرا واسعا ومدرسة اطفال الى الشرق من مغارة الحليب وعلى اول المنحدر الموءدى من مغارة الحليب الى مار يوسف وشمال مقبرة الروم الارثوذكس اليوم .

راهبات المحبة : (موءسسة فرنسية) ، جئن البلاد عام ١٨٨٦م واسسن في بيت لحم المستشفى الفرنسي والمدعو بمستشفى العائلة المقدسة ، على طريق القدس ـ الخليل في موقع عرف بباب الزقاق وذلك عام ١٨٨٩ م . وهو في موقع واسع جميل مبني بشكل مربع يتوسطه جنينة جميلة في وسطها الشرقي وفي الطابق الاول كنيسة يصعد اليها بدرج متفرع من الغرب . وقد رمم المستشفى وقسمت قاعاته الواسعة الى غرف صغيرة حديثة ومريحة للمرضى مع تدفئة مركزية . وجددت غرفة العمليات وادخلت تحسينات كثيرة في مجالات عديدة فيه . ويخدم المنطقة خدمة عظيمة . وفي المستشفى ملجأ للاطفال الاجتماعيين والايتام .

راهبات القديسة دوروثيا : (موءسسة ايطالية) . جئن البلاد عام ١٩٢٧ م ويشرفن على العمل في مستشفى الامراض العقلية جنوب غربي بيت لحم . منحهن البابا بولس السادس الاذن ببناء مدرسة للصم والبكم في بيت لحم فاشترين جزءا من

ارض المستشفى الفرنسي الى الشمال منه حيث شيدن عمارة ضخمة وعصرية جميلة لهذا الغرض ، بدأ العمل فيها كمدرسة من ١٩٧١/٦/٣٠ م

راهبات الرسل : (مؤسسة فرنسية) اشترين بيت خليل وعبدالله الدبدوب القديم على طريق القدس ـ الخليل جنوب قبر راحيل . شيدن فوقه عمارة كبيرة لعملهن ، بعد الحرب العالمية الثانية . يعتنين بالطالبات ويدربنهن على الفن والعمل .

راهبات الفرنسيسكان (عائدة) جئن بيت لحم بعد عام ١٩٥٠ م وابنعن لهن ارضا الى الشمال الغربي من بيت لحم وغرب قبر راحيل حيث شيدن ديرا وكنيسة جميلة وروضة اطفال لابناء المنطقة الصغار .

راهبات البندكتين : فرنسيات جئن من الجزائر بعد استقلالها عن فرنسا . اشترى لهن الكاردينال الالماني فرينجس (Fr in gs) ارضا على السفح الشرقي لمرتفع يقع شرق قبر راحيل حيث شيد لهن دير عمانويل الصغير مع كنيسة صغيرة عام ١٩٧٢ م ويقمن بتدريب الفتيات على الخياطة والتطريز والاعمال الفنية اليدوية المختلفة .

راهبات دورونيا : ويقمن الى اليمين من اول الشارع الداخل الى بيت جالا حيث أسسن ملجأ للاطفال ذوى العاهات العصبية (الصرع) ويشرف الاتحاد السويدى على نشاطهن .

آباء القلب المقدس : جاءوا الى القدس عام ١٨٧٩ م واشادوا لهم ديرا قرب بيت لحم ومدرسة اكليريكية نقلت الى فرنسا عام ١٩٤٨ م عهد اليهم ادارة المدرسة الاكليريكة التابعة للبطريركية اللاتنية ، في بيت جالا التي افتتحت في ١٨٥٧/١١/٧

رهبان مار يوحنا : جاءوا القدس عام ١٨٧٩ م واسسوا مستشفى في الطنطور على طريق القدس بيت لحم ، عمل حتى الحرب العالمية الاولى ثم توقف .

راهبات المخلص : جئن في الخمسينات ويشرفن على مدرسة ثانوية ومدرسة تأهيل للبنات في مدينة بيت ساحور في دير الروم الكاثوليك هناك .

راهبات الجنة المغلقة (ارطاس) : جئن من امريكا الجنوبية عام ١٩٠١ م وشيد لهن رئيس اساقفة مونتيفيديو عاصمة الاوروغواى السيد سوليرو ديرا كبيرا وكنيسة واسعة جميلة مع ميتم ومدرسة للبنات • ويقع الدير في سفح الجبل الى الجنوب من مدخل وادى ارطاس حيث الجسر القاطع للواد من الشمال الى الجنوب •

طائفة السريان : للسريان تاريخ قديم في هذه البلاد منذ اقدم العصور ـ زمن الاراميين ولغتهم الارامية هي التي كانت لغة البلاد زمن المسيح • وقد لعبوا دورا هاما في الحروب الصليبية وقد كان لهم هيكل للصلاة في الحنية الجنوبية من كنيسة الميلاد في بيت لحم • وتكون الطائفة السريانية جزءا هاما ونشيطا من سكان بيت لحم اليوم •

اما تاريخ الطائفة الحديث فروى لي المرحوم عبد الاحد يعقوب خميس وهو احد ابناء الطائفة المسنين والملمين بتاريخها واخبارها عام ١٩٦٩م ، قال : يروى ان حوالي ثلاثين الى اربعين عائلة سريانية جاءت قبل حوالي مئة ومئة وعشرين عاما لزيارة الاماكن المقدسة وسكن معظمهم بيت لحم والقليل منهم القدس • كذلك هرب من نجا من مذبحة الاتراك للارمن والسريان عام ١٩٠٨ قادمين الى سوريا ولبنان وفلسطين واستوطنوا هناك وكانوا فقراء جدا اشتغلوا عمالا لكسب العيش • وكان احد الرهبان السريان قد اشترى في بيت لحم بيتا قديما ذا ثلاثة طوابق الى الغرب من جامع عمر الحالي قبل الحرب العالمية الاولى بقليل بمبلغ مئتين وخمسين ليرة ذهبيا وهبه للدير ليكون مركزا ومسكنا لابناء الطائفة عند الضرورة فخصصت الغرفتان العلويتان منه ككنيسة للعبادة والطابق الاوسط مسكنا لراعي الطائفة وفي ردهة امام المسكن تأسست جمعية مار افرام عام ١٩٢٢ ، اما الطابق السفلي فاستعمل مدرسة لابناء الطائفة منذ عام ١٩١٣ الى ان اشترت الطائفة المنطقة المردومة غرب ساحة النجمة فازالوا القسم الشرقي من هذه الخرابة ووضع غبطة البطريرك اغناطيوس الياس حجر الاساس لكنيسة العذراء للسريان الارثوذكس يوم ٩ آذار ١٩٢٦م • وقد استعملت القاعة الارضية التي تحت الكنيسة الان مكانا للصلاة الى ان تم تشييد الكنيسة الجميلة فوقها وحولت القاعة الارضية للنشاطات الاجتماعية والثقافية والرياضية لابناء الطائفة ثم اصلحت بعض الغرف القديمة الى شمال الكنيسة لتصبح مقرا لجمعية مار افرام وصفوفا للمدرسة الابتدائية لابناء الطائفة • وكانت هذه المدرسة قد توقفت في الحرب العالمية الاولى عن العمل لتعود لنشاطها عام ١٩١٩ بعد الاحتلال الانكليزى للبلاد • وكانت

المدرسة تتلقى معونة مالية من حكومة الانتداب مقدارها ثمانية وعشرين جنيها مصريا سنويا .

وتوسع ملك الطائفة بشرائها عددا من البيوت المهجورة المجاورة للكنيسة من الاهلين . ازيل الردم ووسع الشارع الذى هو اليوم درجات السوق والطريق الذى يتوسطها من ملك الطائفة ، اذ كان الطريق الاصلي هناك ضيقا لا يزيد عن ثلاثة امتار كما هو امتداد الطريق نحو الغرب من الدرجات . وكان هذا العمار زمن رئيس بلدية بيت لحم السيد موسى قطان . اما العمارات القديمة الى الجنوب من الدرجات فامتلكتها بلدية بيت لحم واقامت مكانها سوق خضار وملاحم بيت لحم الاولى . وهو سوق مسقوف ومقسم الى بسطات من الاسمنت يحيط به عدد من الحوانيت .

واشترت طائفة السريان لها ارضا من السيد جودة ذوابة شرق بيت لحم وعلى طريق بيت ساحور الرئيسي جعلوها مقبرة لموتاهم عام ١٩٢٩م . اذ كانوا ينقلون موتاهم قبل ذلك الى القدس .

ومنشأ معظم العائلات السريانية في بيت لحم هو ماردين ودياربكر من اعمال تركيا ويبلغ عدد السريان الارثوذكس حوالي الالف والسبعمئة نسمة . هاجر منهم حوالي المئة نفر بعد الاحتلال الاسرائيلي عام ١٩٦٧ م . وتعمل جمعية مار افرام بنشاط ولها فرقة كشافة وفرقة رياضية ذات سمعة عالية .

السريان الكاثوليك : وهم من نفس المصدر والمصير . وعددهم حوالي المئتين . شيدوا لهم كنيسة ومدرسة ومنزلا ثم نزلا للحجاج المسيحيين وذلك الى الشرق من آبار داود وعلى الشارع الجديد من بيت لحم الى القدس .

ولغة الطائفة السريانية هي الارامية القديمة والعربية . وكان للسريان اول قدومهم الى البلاد لباس خاص وهو اللباس التركي ، سروال واسع وصدريه من الاعلى وقلبق جلدى اولفه من قماش ملون خاص على الرأس . تركت الا من البعض القليل حيث لبسوا القمباز والطربوش ثم البدلة الفرنجية الحديثة .

طائفة الروم الكاثوليك : لا يزيد عدد ابنائها عن مئة وخمسين نسمة . شيدت

بنشاط رعاتها ، وابرزهم الاب باسيليوس كاناكرى كنيسة واسعه ومركزا ثقافيا واجتماعيا للشباب . ونبرع البابا بولس السادس بمكتبة قيمة في قاعة واسعة من عمارة هذا الدير للمطالعة والاستعارة .

الطائفة الانجيلية اللوثرية حديثة العهد نسبيا . وكانت الجمعية المسيحية الامريكية (١٨١٨م) وجمعية يهود لندن (١٨٢٣) قد تعهدتا لرئيس اساقفة كنتربرى في انكلترا التعاون معه على انشاء اسقفية في القدس وتشييد كنيسة لها . وكان ذلك عام ١٨٢١م. اتحد مع هؤلاء فريدريك وليم الرابع ملك بروسيا الالماني وتأسس مركز اسقفي انجيلي متحد في القدس عام ١٨٤١ مع مستشفى لمعالجة اليهود المتنصرين . لكن هذا الاتحاد لم يدم طويلا اذ انفصل عام ١٨٥٢ بعد الاتفاق ان يبقى المركز القدس للمجموعتين على ان تقتصر نشاطات الجمعية الانجيلية الالمانية جنوب القدس في بيت لحم وبيت جالا وبيت‌ساحور والخليل بينما الجمعية الانكليزية الانكليكانية شمال القدس. وبدأت الجمعية الالمانيةبنشاطاتها عام ١٨٦٠- وكانت جمعية القدس الانجيلية الالمانية تمول انجيليا واحدا في بيت لحم استلم التبشير فيها ١٨٦١ ومدرسة كان المطران الانكليزى "جوبات" قد أسسها قبل الانفصال استلمها الالمان عام ١٨٦٩. وكان باول لودفيج شنلر من اول المبشرين لحقه القس عمانويل بوتخر (Boettcher) الذى الف طائفة صغيرة من سكان بيت لحم كانت تجتمع ايام الاحاد والاعياد في احدى غرف منزله للصلاة . وكان يعظهم بالعربية.

كان اول قس انجيلي فيبيت‌لحمهو لودفيج شنلر الذ ى بدأ التبشير والخدمة الدينية في منزله وموسعا اياها في مدينة الخليل . كذلك دشن كنيسة بيت جالا الانجيلية ثاني يوم عيد الميلاد عام ١٨٨٦ وأكمل بناء مدرسة ذكور فيها عام ١٨٧٠ وبدأ في مدرسة اناث عام ١٨٨٩ ومسكنا للمعلمين . ثم اخذ يعمل ويحضر ليقيم كنيسة في بيت‌لحم بلد الميلاد . فارسل مساعده "ميلر" الى المانيا وسويسرا لينشر الفكرة فلاقى تشجيعا وترحيبا كبيرين مع رغبة في التبرع لتنفيذ المشروع فنــــــسمعه يقول لاعضاء جمعية القدس في لقاء معهم : " ستكون الاموال جاهزة اذا ما قامت لجنتنا الموقرة بتحضير مخطط البناء في نفس الوقت". وعاد لودفيج شنلر الى كولون - المانيا فوجد الاموال جاهزة لكن اذن السلطات التركية غير متوفر بعد . لكن علاقة شنلر الطيبة بالبلاط الامبراطورى في برلين واضراب رحلة القيصر وزوجته لزيارة السلطان في القسطنطينية عام ١٨٨٩م قربت الامال . فيذكر القس شليخت

(Sc'.l ic‹t) انه عند انتهاء زيارة الامبراطور وزوجته للسلطان استفسر هذا من الامبراطور ان كان لها اى مطلب يلبيه لها فاجابت للحال ان تزال العقبات امام بناء الكنيسة وبرج جرسيتها في بيت لحم فاستجاب السلطان وارسل للحال تلغرافا يأمر بالسماح بالبناء . فكمل دون توقف والكنيسة بشكل صليب روماني ، لها قبة فوق المربع الاوسط بين اذرع الصليب . وبلغت تكاليف بناء الكنيسة ومسكن راعيها تحتها مئة وثلاثة واربعون الف مارك ، جمع اربعون الفا من اتحادطلبة فينجلوف ('lopstocks Ode W in glo f Bun d) في مدينة بون ، وكان القيصر وليم من مناصرى هذا الاتحاد منذ ايام تلمذته . وتبرعت الامبراطورة بعطاء سخي ، كما جمعت كنائس البلاد في المانيا مبلغ خمس وخمسين الف مارك عدا التبرعات الشخصية . وبعد الانتهاء قدم الامبراطور اواني الخدمة والتقدمه هدية منه وتوراة جميلة مصدرة بخط جلالتها لاية نبوة ميخا (٥:٢) أما انت يا بيت لحم افرته وانت صغيرة ان نكوني بين الوف يهوذا فمنك يخرج لي الذى يكون متسلطا على اسرائيل ومخارجه منذ القديم منذ ايام الازل." وممهوره بيدها الكريمة وذلك يوم التدشين في ١٨٩٣/١١/٦م وبحضور الرئيس د. باركها وزن (D. Barkhausen) .

وبعد صلاة التكريس أقيم حفل استقبال في حضير الكنيسة مع رئيس جمعية القدس غراف زيتن شفرين (Zieten Schwer in)واعضائها والمهندس المعمارى بانيها المستشار "اورت" (Orth) من برلين ، حيث رجا رئيس الجمعية من جلالتها وبرضي الامبراطور ان نكون جمعية القدس تحت رعايتها . وكما ذكر كان المهندس والمقاول باول فردبناند بالمر الالماني من المشرفين على البناء .

وبعد مذابح تركيا لرعاياها الارمن عام ١٨٩٦م وهرب من نجا الى سوريا وفلسطين قامت جمعية القدس الالمانية بتشييد ميتم للاطفال الارمن في الجنوب الغربي من بيت لحم على قاعدة جبل ظاهر من الشمال الشرقي عام ١٨٩٧ وانتهى عام ١٨٩٨حيث دشن في ١٨٩٨/١٠/٣٠ وقدنقل اول عشرةايتام ارمن الى بيت لحم في ١٨٩٧/١/٢٢ ادخلوا بيت القسيس ريثما يتم بناء الميتم . وقد عمل خرائط البناء واشرف على تنفيذ البناء المهندس المعمارى الكنيسي "شفار زكوبف" وبلغت تكاليف البناء آنذاك مئة وستون الف مارك واشرف على ادارته فيما بعد مساعد الواعظ ميلر (Muller) ويتسع لسبعين يتيما.

ويبلغ عدد الطائفة الانجيلية اليوم (١٩٧٧) اكثر من مئتين وخمسين نسمه .

اما المدرسة الانجيلية فهي ثانوية وذات مستوى رفيع وسمعة طيبة وهي تسمان داخلي وخارجي وتعلم اللغات الثلاثة ، العربية والالمانية والانكليزية .

وشيدت عمارة تجارية الى الشمال من الكنيسة تابعة لها وعمارة اخرى لسكني راعي الطائفة وقاعة اجتماعات لابناء الرعية موقعها ما بين الكنيسة وبناية المدرسة القديمة .

وللطائفة مقبرة غرب المدينة على طريق القدس ـ الخليل من الغرب ، وقد دفن فيها بعض الشخصيات المعروفة كالعالم اللاهوتي الاستاذ مارتن نوط المتوفي عام ١٩٦٧ م والطبيب المعروف الدكتور توفيق بشارة كنعان ابن اول قسيس تولى رعاية كنيسة بيت جالا الانجيلية .

سكـــان بيــت لحـــم

مرت على بيت لحم "بيت ايلي لاحاما" الكنعانية امم وأحداث منها القتل والدمار والتشريد عبر الاجيال ومنذ اقدم العصور ٠ وكان لمكانتها الاقتصادية والدينية السبب الرئيسي في هذا المصير ٠ كذلك التجأ اليها المستجير وسكنها المتدين وطمع فيها التاجر ٠ فاصبح سكانها المختلفو العرق والدين والمبدأ والهدف سكان بلد واحد صهرتهم بوثقة الدهر ودمجتهم مصائبه وتقلباته فكونوا وحدة صامدة حافظت على كيانها وتراثها رغم المحن حتى اليوم ٠

ومن سكانها الكنعاني والاسرائيلي واليوناني والروماني والعربي والصليبي والتركي والمصرى والسرياني والارمني والكردى وامم سواهم ٠

ويذكر المسنون من اهالي بيت لحم ما ردده اباءهم واجدادهم ان اصل سكان بيت لحم هم خمسة اخوة ممن اعتنق المسيحية من اليهود من سكانها اول بزوغها وهم دويرى ، فقوسة ، عصفورة ، صليبي وشحادة ، كونوا اول خمس عائلات فيها ٠ وكانت هذه العائلات تقاوم من حاول السكنى في البلدة غيرهم ٠ لكن بتكاثر النكبات على المسيحيين تكاثر اللاجئون الى مدينة السلام ٠ فالتجأ اليها المتدينون كهريونيموس وبولا وابنتها ثم لحقتهم موجة من روما يوم اكتسحها الريك الغوطي الغربي عام ٤١٠ م وقتل وشرد ودمر ٠ واستقبلهم الناسك هيرونيموس في بيت لحم ولم يكن لديه ما يساعدهم به سوى مشاركتهم الدموع (٥٤) ٠ كذلك جاءتها موجة من مشردى الشرق من نجران اليمن زمن عمر بن الخطاب ومن بواقي دولة الغساسنة ثم من لبنان ومدن وقرى فلسطين المختلفة ٠ عدا المستوطنين من تجار ايطاليين قبل الحملات الصليبية حيث كانت علاقات تجارية متينة مع مدن جينوه والبندقية وبيزا وامالفي (٦٠) ثم بواقي الصليبيين في البلاد ٠ ثم جاءت موجات الملاحقات الدينية الحديثة في تركيا ضد الارمن والسريان ولجوء من نجا منهم الى بيت لحم وسواها ٠

فالتجأ من نجران عائلة العلي ومرقص وزروق وسواهم ٠ وكانت نجران اليمن اهم موطن النصرانية في جزيرة العرب ، اعمل ذو نواس آخر ملوك حمير المتهود ، السيف في رقابهم عام ٥٢٢ م فاستنجدوا بالحبشة فانجدتهم عام الفيل وهزم ذو نواس ٠

واستمرت النصرانية في اليمن الى عهد عمر بن الخطاب الذى اجلاهم عنها لرفضهم اعتناق الاسلام فذهب معظمهم الى العراق وقسم نحو الغرب الى بيت لحم (٦٣٥ ـ ٦٣٦ م) (٤١) ، (٤٣) • ويذكر الامام جمال الدين ابو الفرج بن الجوزى في تاريخ عمر بن الخطاب (٤٤) عن ابي عبيدة عن عبدالله "ركب عمر فرسا فركضته فانكشف ثوبه عن فخذه فرأى اهل نجران على فخذه شامة سوداء فقالوا هذا الذى نجد في كتابنا انه يخرجنا من ارضنا •" ودعي من جاء من نجران بالنجاجرة •

وكذلك التجأ من وادى موسى من دولة الغساسنة المندثرة جد عائلة الفرحية فرح الى بيت لحم بينما سكن اخوه كولح حارة الصرار في بيت جالا ليكون حمولة الكوالحة هناك وذلك في القرن السادس ميلادى•وخلف فرح اربعة ابناء هم :

١ ـ موسى الذى خلف عائلتي جاسر ومسلم
٢ ـ غانم ، خلف اجداد عائلات ناصر ، زبلح ، مرة ، وماريا •
٣ ـ سلامة ، خلف اجداد عائلات سلامة ، الاعمى ، والزغبي •
٤ ـ مخلوف ، وخلف اجداد عائلات عتيق ، بابون ، سلمان ، بلوط ، ابو الدنين ، ودعيس •

اما العناترة ، وهم عائلات فريج وقنواتي واخليف ثم ذوابه وسلحي فقد جاءوا من تل عنتر الى الجنوب من جبل الفرديس حوالي عام ١٧٠٠ م وربما زمن السلطان مصطفى الثاني التركي وحفظ اسمهم العناترة مصدر اصلهم • ويقال ان قنواني واخليف من نفس عائلة فريج • اما القنواتي فاخذ هذا اللقب لكونهم كانوا حراسا على قناة الماء فدعوا قنواتية اما اخليف فعهد اليهم مد قناة الماء المعروفة بقناة الكفار بين برك سليمان جنوب بيت لحم الى القدس • ولما جربت وجدت غير صالحة لتسييل المياه ، فحكم عليهم بالاعدام • واشير عليهم ان يسلموا فيسلموا ، ففعلوا ذلك وسلموا من الموت فدعاهم اقرباؤهم اخليفات اذ اخلفوا دينهم وكان اسمهم عائلة فرج •

اما الحريزات فمنهم جماعة من مسيحيي ام طوبي جنوب غرب صور باهر وهم الحزين وابو حمامة ، بطو ، الحريزى ، وابو صبحة والقسم الاخر ينتمي لحمولة الحريزات لكنه جاء من تقوع وهم عائلات زرزر ، سلعوس ، ابو جارور ، دار البحرى ، صافية ، ريادى ، وسلامة •

وهناك رواية طريفة يرويها كل من عائلة حنضل والقواوسة والسلعوس عن طريقة لجوئهم الى بيت لحم وهي : لما اشتد اضطهاد المسيحيين في بداية واثناء الحكم التركي ، اراد الجد الهرب من تقوع واللجوء الى بيت لحم التي كانت تحت حماية دول مسيحية ، فافتعل شجارا مع اولاده امام اهل البلدة ، اقسم على اثره ان يبيع املاكه ويحرم انجاله من الارث جزاء عدم طاعتهم له . وفعل ذلك . وذات يوم وجد بيته خاويا متروكا ، فدخلوه يستطلعون الامر فوجدوا باطية مغطاة بطبق قش وسط الغرفة رفعوا الطبق فطارت للحال حمامة منه واختفت في الاجواء ، واذا باخرى مقصوصة الجناحين رفرفت وسقطت مكانها غير قادرة على الهرب . وثالثة مذبوحة لا حراك فيها . ففهموا المغزى من تمثيله هذا ولحقوه خلسة العائلة تلو الاخرى .

وتذكر شجرة عائلة قرنفل ان جدهم المنصور مع زوجته هند جاءا من تقوع الى بيت لحم عام ١٥٥٢ م اى بعد الاحتلال التركي للبلاد بفترة وجيزة ، بيما يذكر عن هيلانة يعقوب السلعوس المتوفاه قبل حوالي تسعين عاما وهي مولودة في تقوع روت قصة هرب جدها من تقوع قبل حوالي مئتي عام .

اما التراحمة فتدل تسميتهم على اصلهم وعملهم . فهم من بقايا الرومان والصليبيين ومن جاء قبل وبعد هذا العصر من متدينين او تجار وكان عملهم الترجمة للسياح الحجاج بلغتهم . وتؤلف هذه العائلات قسما كبيرا من سكان بيت لحم منها عائلات دعيق ، سوادى ، مكبل ، بطارسة ، ابو خليل ، منصور ، دبدوب ، صابات ابو جابر ، حبربة ، ابو العراج ، فليفل ، طلماس ، داود ، طارود ، وأبو فحيله . كما يعتقد ان عائلة جقمان وأبو اردينه من اصل ايطالي . كما ذكرت ان اصل عائلة البندك من البندقية في ايطاليا . اشتهروا في فن البناء وقطع وتحضير الحجارة . وكان البنادقة يؤخذون الى كل انحاء فلسطين وشرق الاردن لبناء الكنائس . واصل عائلة جحا من رومانيا ، بينما يعتقد ان عائلة الخرسان وهم الراهب ، يوسف متري ، بربارة شاهين وحزبند من اصل المانى .

وتشهد الروايات المتعددة عن بقاء عدد كبير من جنود الصليبيين في فلسطين حيث تزاوجوا مع عربيات مسيحيات او مسلمات تنصّرن او سريانيات وارمنيات وبقوا مع نسلهم الجيل الجديد المهجن الذى تكلم العربية وعرف بالبولان (Poulains) (٥٣) (٦٠) .

وجاءت عائلة انسطاس من جفنة شمال رام الله ، ويعتقد ان اصلهم يوناني كما هو اصل حمولة الغثايرة المكونة من عائلات سمور ، نينو ، ابو زعرور ، سقا ، حوش ، نصار وغطاس . كما وعائلتي اندونية واللوصي من حمولة القواوسة .

اما عائلة القطان فقد روى لي الاستاذ نقولا يعقوب القطان عن اصلها قال : جاء أخوان من بلدة الزوق قرب جونية في لبنان الى فلسطين وسكن الاول يافا واحترف مهنة بيع الدبس فدعي نسله بعائلة الدباس . بينما سكن الثاني مدينة اللد واحترف بيع القطن فدعي نسله بعائلة القطان ، جاء منهم فيما بعد اربعة اخوة الى منطقة بيت لحم سكن احدهم بيت جالا والثلاثة الاخرون في بيت لحم . وكانوا روما اورثوذكسا حسب كتاب راعي طائفة اللاتين في الرملة جوابا على استفسار عن احد ابناء عائلة القطان القادم الى بيت لحم قائلا ان الشاب يتبع طائفة الروم الارثوذكس .

اما عائلة ساحورى حنضل فجاء جدها نصرالله من دير حنا قرب الناصرة في الجليل قبل حوالي المئتي عام . تزوج من عائلة بدرة من حمولة المراشدة في بيت ساحور وخلف الياس الذى دعي بابن الساحورية . تزوج الياس هذا من عائلة حنضل وخلف خليل . وتزوج خليل من عائلة تويمه وخلف جريس . لكن زوجته ماتت فتزوج حلوة من عائلة سلمان وخلفت له ابرهيم ويوسف وانطون وعمرت حلوة طويلا بعد وفاة زوجها وتزوج يوسف ساحورى حنضل من مارى جريس انسطاس التي انجبت له نصرالله شبلي ، عادل ، شكرى وشفيق .

وجاء جد عائلة حزبون من بلدة حصبون الواقعة الى الشمال الشرقي من جبل نيبو والى الجنوب الغربي من عمان ، قادما مع حمولة القزحة الى بيت ساحور وسكن حزبون معهم مع اخيه نصرالله وامهما بعد قتل ابيهما الى ان خطف له عروسا من دير ابان ، كانت على بئر ماء في طرف البلدة التجأ بها الى دير اللاتين في بيت لحم حيث تزوجها وسكن بيت لحم قبل حوالي ثلاثمئة واربعين عاما تقريبا (١٦٣٠م) بينما نزح نصر الله الى حيفا وبقي هناك .

وجاءت عائلة اسكافي من نقبعة السكاف من اراضي السلط في شرق الاردن . وانقرضت بعض العائلات من بيت لحم مثل ابو مفحار ، والبارابار الذين بقي منهم عائلة ابتيم في امريكا ، ولهم املاك بعد في بيت لحم ملاصقة لعمارة السريان

الارثوذكس من الشرق ثم الدردحية أخ لعائلة السايح من حمولة الفرحية بقي منهم في الاسكندرية بمصر وفي دياربكر بالعراق · كذلك عائلة دعيس من حمولة الفرحية ، كلها في امريكا · وهكذا عائلات اخرى ·

ورحل قسم من عائلة البطارسة على اثر حادث قتل قبل ثلاثمئة وستين عاما تقريبا وسكن قرية السوف من قضاء اربد في شرق الاردن الى اليوم وكانت عائلة البطارسة في بيت لحم روما ارثوذكسا الى اقل من مئة عام مضى حسب سجلات العماد المحفوظة في مكتبة المرحوم الدكتور اسكندر دحبورة ·

اما طائفتي السريان والارمن ، فكان عدد منهم يسكن بيت لحم منذ عهد بعيد الا ان اكثرية السكان جاءت المدينة قبل الحرب العالمية الاولى وبعدها على اثر المذابح التركية المشهورة ·

وجاء الفواغرة من خربة فاغور جنوب غربي برك سليمان في العهد التركي الى بيت لحم حيث ساعدوا الاهلين في التخلص من حكم جبر الديرى · واقتسموا ارض بيت لحم بينهم فاخذ الفواغرة ما غرب البلدة والتلاحمة ما شرقها · اما عائلة الخطيب فكانت تسكن صوريف جاءت البلدة منذ القدم (من اصل عربي) · اما اصل الفواغرة فهم من كردستان جاء مع جبش صلاح الدين الايوبي الكردى وسكنوا فاغور والاخر من جنوب تركيا من مرعش شمال شرقي الاسكندرونة ، ومشيق ، وسكنوا كذلك فاغور وتتألف الفواغرة من ثلاث حمائل هي :

١ ـ العطايات وهي عائلات الهريمي وشوكة وزيادة

٢ ـ المراعشة ومنهم شخطور وشحادة وحمد ·

٣ ـ المطور ومنهم عابدة ، هرماس وحميدة ·

حـــارات بيـــت لحـــم اليـــوم

يقسم سكان مدينة بيت لحم الى ثماني حارات . تتألف كل حارة من مجموعة عائلات منها الاصلي ومنها من التحق بهذه الحارة او تلك . واليكم هذا التقسيم الذى يتبعه الاهلون في الانتخابات ايضا .

١ ـ حارة الفرحية وتتكون من العائلات التالية : ناصر ، جعار ، تويمه ، جاسر ، ابو عياش ، الجمل ، يونس ، الصقعان ، دويرى ، صليبى ، سلامة ، الاعمى ، الزغبي قطان ، حنانيا ، قراعة سالم ، ابو حمود ، ابو سعادة ، قزاقيا ، مرة ، ميلادده ، زبلح ماريا ، بلوط ، عصفورة ، فقوسة ، سلمان ، ابو الذنبين ، حرب ، مسلم ، الاعرج ، بابون ، شحادة ، سايح ، حيحي ، الجدى ، السعدى .

٢ ـ النجاجرة وهم العلي ، مرقص، جقمان ، حزبون ، حنضل ، زروق ، ابو اردينه ، بعبيش ، ابو زيد ، والتجأ اليهم عائلة المصو من بيت جالا وقطيمي ، ساحورى ، سلطي ، حكيم ويتبع حزبون : عالول ومهيوب ، حبش ، مصرية ، شريم وابو دوح .

ويعتبر الغثابرة ايضا من النجاجرة وهم عائلات انسطاس ، سمور ، سقا ، غطاس ، نبنو ، ابو زعرور ، حوش ، ونصار .

٣ ـ التراجمة وهم عائلات دعيق ، سوادى ، ابو خليل ، ميكيل ، بطارسة ، منصور ، دبدوب ، جابرية ، صابات ، ابو جابر ، ابو العراج ، داود ، فلبفل ، طلماس ، طارود ، وابو فحيلة .

٤ ـ العناترة وهم عائلات فريج ، قنواتي ، بندك ، (خبز ،طافش ، افطبش ، وسلمى) وشاهين ، يلتحق بهم الخرسان وهم عائلات مترى، حزبند ، الراهب ، وبربارة .

٥ ـ الحريزات وهم عائلات رررر ، بطو ، الحرين ، صافية ، البحرى ، ابو حامدة ، سلعوس ، ابو جارور ، ابو صبحة ، ربادي ، سلامه ، الحريزى ، والعزاوى .

٦ ـ القواوسة وهم عائلات قواس ، قرنفل ، جحا ، انضونية ، معمر ، مرزوقة اللوصي ، ثلجية ، عطوان ، ابو مقحار .

٧ ـ الفواغرة وهم العطايات وتشمل عائلات الهريمي ، شوكة وزيادة .

ثم المراعشة وهم شخطور ، شحادة وحمد. ثم المطور وهم عابدة ، هرماس وحميدة .

ثم عائلة الخطيب . ولا تدخل عائلة البلبول تحت الفواغرة اذ جاءت من صوريف قبل حوالي المئة سنة وسكن بعضها في بيت لحم والاخر في الخضر واحترفوا صنعة الحداده. وبينهم وبين عائلتهم الاصلية علاقة متينة .

٨ ـ السريان كان في المدينة عدد قليل من السريان منذ القديم الا ان معظم العائلات السريانية التي تكون الطائفة اليوم في بيت لحم جاءت بعد المذابح التركية قبل واثناء الحرب العالمية الاولى . والعدد الاكبر جاء من اسفس ثم معسرته وآزخ ومدو وكلها في تركيا .

ان هذا الصدام الحاد والدائم بين الشعوب والاجناس والمدنيات ، وهذا التغير المستمر بين السكان ، من قادم ونازح ، من فاتح ومندحر ، من لاجيء ومستقر ، وهذا المزج والصهر بين الاجناس والثقافات والمدنيات المتباينة والطباع والعناصر المختلفة وسع دون شك حقل المعرفة وافق التفكير وشحذ الهمم فخلق مواطنا ذا مهارة فائقة ونشاط دائب يلاحظه المرء بجلاء في سكان مدينة بيت لحم .

عـــدد سكـــان بيــت لحـــم عبـــر التاريــخ

حفظت لنا بعض المصادر ارقاما عن عدد سكان بيت لحم منذ اقدم العصور حتى القرون الوسطى فالحديثة مما هو جدير بالذكر والتدوين لانها تعكس لنا شيئا من تاريخ بيت لحم وما مرت به من مد وجزر مدى العصور .

فذكر لنا العهد القديم من التوراه عن تدمير نبوخذ نصر للبلدة واخذ اهلها اسرى الى بابل عام ٥٨٥ ق .م ولما خضعت بابل لكورش الفرسي عاد من بابل عام ٥٣٧ ق .م مئة وثلاثة وعشرون نسمة فقط الى بيت لحم . وعاد هادريان الروماني عام ١٣٥ م ليفرغها من سكانها اليهود تماما ولم يبق فيها سوى قلة مسيحية مع بعض الوثنيين ، اصلهم يهودى وروماني .

وعاد الدمار ليزور بيت لحم على ايدى السمرة واليهود عام ٥٢٩ م ثم على يد الفرس عام ٦١٤ م وبعد الاحتلال العربي عام ٦٣٨ م استقرت الامور فترة من الزمـــن الى ان جاء بعض المتعصبين الى الحكم فشددوا الخناق على المسيحيين مخيرينهم بين الاسلام او القتل او الرحيل . وكان اول ملك افرنجي وابنه الملك شارلمان (٧٤٢ ــ ٨١٤ م) قد عقد اول معاهدة مع الخليفة المسلم هرون الرشيد اصبحت فيها فرنسا حامية للمسيحية في فلسطين . (٦٣) .

وكان عهد الفاطميين اظلم العهود حين اعتلى ابن العزيز الحاكم بامر الله سدة الحكم حيث اصدر امره المشؤوم عام ١٠٠٩م بهدم كل المعالم المسيحية وقتل المسيحيين . فحرق ثلاثين الف كنيسة .

ودمر العرب بيت لحم عام ١٠٩٩م انتقاما لتقدم الصليبيين وانتصاراتهم . وكان معظم سكان القرى المحيطة بالقدس قد هجروها ملتجئين الى القدس التي حاصرها صلاح الدين واحرقها (٧٠) .

وجاء بيت لحم السائح نقولو من بوجيبونسي عام ١٣٤٧م فوصفها "بانها مدمرة تماما تقريبا وان البيوت التي يسكنها المسيحيون قد اعيد تشييدها" . وذكر ان معظم سكانها مسيحيون ، وقليل من العرب هناك" . وزارها المحامي مارتوني عام ١٣٩٥ م

فوصفها "بأن العرب دمروها وفيها الان ثلاثون بيتا حقيرا" • وكانت البلدة قد دمرها الملك الصالح ايوب الخوارزمي عام ١٢٤٤ م وقطع روؤس الكهنة فيها كما فعل بقبر المسيح وكهنة بيت المقدس •

ثم دمرها المماليك التتر خلفاء جنكيزخان عام ١٤٨٩ م زمن الملك قايت باى ، الذى ازال السور من حولها وملاء الخندق بالتراب من خلفه (٣٨) •

ذكرها الاب سوريانو في رحلته للارض المقدسة اواخر القرن الخامس عشر انّ فيها مئة وخمسين موقدا" • بينما ذكر كاهن فرنسيكاني عنها عام ١٥٣٥ م "ان عدد سكان بيت لحم من مسيحيين ومسلمين يقارب المئتي نسمة" • وكان هذا اول عهد الاحتلال التركي الذى اتصف بالعنف والاضطهاد والقتل والنهب والسلب الذى حدا بالكثير من السيحيين من المدن الفلسطينية المختلفة بالهرب واللجوء الى بيت لحم طلبا للنجاة والحماية الاجنبية (الفرنسية والروسية) ، فاصبح عدد سكان بيت لحم في منتصف القرن السادس عشر كما ذكره السائح ج • بريموند ثلاثمئة نسمه • ويذكر انهم قاوموا الظلم التركي ورفضوا دفع الضرائب الغير شرعية عليهم • (١٠)

ومنحت روسيا حق حماية المسيحيين والاماكن المسيحية المقدسة في فلسطين في معاهدة "كوتشوك كابنارجي" مع تركيا عام ١٧٧٤م • (٦٣)

ونصب سفير فرنسا في تركيا نفسه حاميا للكنيسة اللاتينية في فلسطين • وكانت المشاحنات بين روسيا وفرنسا على ملكية المقدسات المسيحية وحمايتها من اسباب حرب القرم (١٨٥٣م) (٦٣) •

وزارت بيت لحم السائحة النمساوية ايدا بفايفر عام ١٨٤٢ م وذكرت ان عدد سكانها يقارب الالفين وخمسمئة نسمة (٢٩) •

ورحل من بيت لحم عشرون عائلة عام ١٧٧٢ م استوطنت الناصرة سعيا وراء العيش بعد ما اصاب المنطقة من جدب وفقر • كما هجر بيت لحم عدد من المسيحيين الى عين كارم عام ١٦٨١ وسكنوا حول خرابة كنيسة القديس حنا المعمداني •

وذكر الكاهن الالماني فالانتينر عام ١٨٧٨ م ان عدد سكان بيت لحم بلغ الثلاثة

آلاف نسمة (٢٦) بينما ارتفع العدد عام ١٨٩٥ الى سبعة آلاف ٠ وكتب الاستاذ الدكتور سيب Proft.Dr. Sepp عام ١٨٩٦ م في كتابه "اكتشافات هامة في رحلتي الثانية لفلسطين " قال يبلغ عدد سكان بيت لحم حوالي ثماني الاف نسمة ، منهم ٣٨٠٠ لاتيني و ٣٦٠٠ ارثوذكسي و ٥٤ انجيلي ولا يهودى فيها ومن هوءلاء السكان خمسين حجارا و ٢٥٠ دقيقا للحجارة و ٩٠ عامل صدف ومسابح و ٣٠٠ مزارع وعشرة لبّانين ٠ وتتألف المدينة من ثماني حارات ويستعمل روث الحيوانات للمخابز والافران والطوابين ٠

ولم يزد العدد كثيرا عن الثمانية آلاف حتى عام ١٩٠٨ حتى وصل الاثني عشر الفا عام ١٩١٣ م ٠ وجاءت الحرب العالمية الاولى عام ١٩١٤ بويلاتها وعم الفقر والحاجة بين الاهلين مما اجبر العديد منهم الى الهجرة خارج البلاد الى الامريكتين والى البلدان المجاورة مثل شرق الاردن ٠ فهبط عدد سكان البلدة عام ١٩٢١ م الى ستة آلاف ومئة شخص ٠ واصبح بعد عام ستة آلاف وستمئة وثماني وخمسين نسمة ٠ وعاد عدد من مهاجرى البلدة بعد الاستقرار فوصل عدد سكانها الى ثمانية آلاف عام ١٩٢٤

وأثرت الاضطرابات السياسية في اثناء الانتداب البريطاني على البلاد جمعاء وعادت موجة الهجرة والنزوح فهبط عدد سكان البلدة عام ١٩٣١ الى ستة آلاف وثمانمئة واربعة عشر نسمة حسب التعداد البريطاني الثاني ٠ وفي عام ١٩٣٣ الى ستة آلاف ومئتي نسمة منهم خمسة آلاف وسبعمئة وثمان وسبعين مسيحيا واربعمئة وعشرين مسلما ووصل عام ١٩٣٨ الى سبعة آلاف وسبعمئة وواحد وخمسين نسمة ٠

وارتفع تدريجيا حتى وصل في ١٩٤٥/٤/١ الى ثمانية آلاف وثمانمئة وعشرين نسمة ٠ وكانت مساحة منطقة بلدية بيت لحم انذاك تساوى ١٦٩٤ دونما (٢٧) ٠

اما عام ١٩٤٦ فوصل العدد الى عشرة آلاف واربعمئة نسمة ٠ ثم عاد للهبوط نتيجة الحرب الاهلية بين العرب واليهود وتدهور الاوضاع الاقتصادية في البلاد على اثر قرار التقسيم عام ١٩٤٨ فعاد العدد الى تسعة آلاف وثلاثمئة وعشرة انفس (٤٦) والتجأ عدد من العرب المسلمين والمسيحيين من المدن والقرى التي احتلتها اسرائيل بعد قرار التقسيم فاصبح عدد سكان المدينة احدى عشر الفا وستمئة وست وتسعون نسمة مقسمين كالاتي : ٣١٣٩ لاتين مع ٤٨٦ لاجئ لاتيني و ٥٠٠ سريان كاثوليك و ١٦١

روم كاثوليك و ٢٥٠٠ روم ارثوذكس مع ٤٠٠ لاجيء ارثوذكسي و ١٢٠٠ سريان ارثوذكس و ١٥٠ ارمنيا و ٢٥٠ انجيليا و ١٣٠٠ مسلم مع ١٦٠٠ لاجيء مسلم وعشرة آخرين بينما سكن مخيم الدهيشة حسب احصاء عام ١٩٦١ ستة الاف وستمئة وثمان وسبعين نسمة وصل عام ١٩٦٧ قبل الحرب الاسرائيلية الى ٧٦١٥ نسمة . فعاد بعد هذه الحرب وانخفض الى ٤١٤٩ نسمة . بينما مخيم عائدة حوى في الخمسينات ١٧٦٥ نسمة ومخيم العزة ١٢٠٩ نسمة وكان مجموع عدد سكان بيت لحم مع مخيمات اللاجئين حولها يبلغ ٢٢٤٥٣ نسمة عام ١٩٦١ م اما سكان المدينة حسب تعداد عام ١٩٦٧ بعد الاحتلال الاسرائيلي (ايلول ١٩٦٧) فكان عددهم ١٦٣١٣ شخصا .

اما دخل بلدية بيت لحم عام ١٩٧٢/١٩٧١ فبلغ ٨٨ر١٦٤ دينار اردنيا بينما زادت مصروفاتها عن ٧٩,٣٧٧ دينارا اردنيا .

وبهذه المناسبة يجدر بنا ان نذكر ان مجلس بلدية بيت لحم منح شهادة مواطن شرف لمدينة بيت لحم للدكتور هرمان جمانير النمساوى الاصل وصاحب فكرة قرى الاطفال العالمية ومؤسس قرية اطفال بيت لحم (sos) . وذلك عام ١٩٧٢ م كما منحها للقاصد الرسولي الايطالي الاصل رئيس الاساقفة بيولاجي في ١٩٧٤/٥/٢٤ تقديرا لجهوده المشكورة في تأسيس جامعة بيت لحم التي افتتحت رسميا يوم الاحد ١٩٧٤/٦/٢ بحضور الكاردينال بول فيليب والقاصد الرسولي المذكور ورجالات المنطقة . كذلك منح الشهادة غوسطاف توماس شليزنجر النمساوى الذى اشرف على تنفيذ بناء قرية اطفال بيت لحم (sos) التابعة لموءسسة قرى الاطفال العالميـــة وكذلك الاب بولص رئيس كلية تيراسانطة في المدينة ورئيس جامعة بيت لحم الاخ جوزيف ليفنستاين .

وزار المدينة عدد من الشخصيات الكبيرة من روءساء الاديان المسيحية . فجاءها بعد ظهر يوم الخميس ١٩٧٥/٥/٢٢ غبطة بطريرك رومانيا الارثوذكسي يوستنيان كسائح ديني . كما زارها قداسة فاسكين الاول الكاثوليكوس الاعلى للكنيسة الارمنية في العالم قادما من روسيا يوم ١٩٧٥/٦/٢٤ وحضر معه بطريرك القدس الارمني وبطريرك اسطانبول وروءساء اساقفة الارمن في اوروبا وامريكا مع عدد من الشخصيات الارمنية في العالم ، اقيم لهم حفل غداء على شرفه في نادى الاتحاد العائلي .

كما زارها غبطة بطريرك روسيا السابق " مينية" مع حاشيته كحاج مسيحي للاراضي المقدسة يوم ١٩٧٢/٥/١٩ م .

واشتهرت بيت لحم كمركز تجارى منذ القدم لنشاط اهلها الصناعي والتجارى . فصنعوا التحف التذكارية الدينية من خشب وعجم الزيتون ثم الصدف الذى ادخله الرهبنة الفرنسيسكان في القرن الرابع عشر، فقد ظهرت تماثيل خشبية مصغرة للاماكن المقدسة مرصعه بالصدف من تلك الفترة . كما اشتهرت فيها صناعة النبيذ وحجارة وادى موسى السوداء (٤٦) ويقال ان داهود مسلم واخاه سلامة مسلم هما اول من بدأ صناعة التحف من حجر وادى موسى الاسود قبل حوالي ثلاثمئة عام في بيت لحم .

واشتهر شبان البلدة بالمغامرات والتجارة والمهاجرة الى انحاء المعمورة المختلفة ويقال ان عدد التلاحمة المهاجرين يزيد على ثلاثة اضعاف سكانها الحاليين معظمهم في الامريكتين والقليل في اوروبا وآسيا وافريقيا واستراليا والفلبين . ويذكر الاستاذ "سيب" (Prof . Sepp) عام ١٨٩٦ انه اكتشف جالية تلحمية في بابل (بغداد) واخرى في القاهرة ،يرسلون الاسلحة والمعدات والملابس بانتظام الى بلدهم الاصلي . بينما يتزود الراحلون من بيت لحم الى مصر بما يلزمهم لرحلتهم الطويلة كما كان الحال منذ اقدم الازمنة . ويشترى البدو البستهم ومعدات عملهم واسلحتهم من بيت لحم (٧٠) .

وعاد بعض من المهاجرين الموفقين الاثرياء الى بلدهم اول عهد الانتداب البريطاني وشيدوا العمارات الفخمة الجميلة فيها مثل عمارة سليمان جاسر وحنا الياس القواس وميخائيل صالح جقمان وحنضل وسواهم . وشيد الكثير غيرهم العمارات الجميلة في القسم الجنوبي من القدس استولت عليها اسرائيل عام ١٩٤٨ اكبرها عمارة الصنصور وسط شارع يافا في القدس .

وكانت الاضطرابات السياسية في فلسطين زمن الانتداب البريطاني عائقا للعمران والتطور وحجبت الازدهار وزادت من هجرة السكان الى خارج البلاد .

وما ان مر عام ١٩٤٨ بويلاته واستقر اللاجئون واستتب الامن بفضل الحكم الاردني حتى دبت الحياة والنشاط في المدينة من جديد . فانتعشت صناعاتها بفضل تدفق

السياح عليها واتسعت مساحتها وزادت عماراتها وقامت فيها مشاريع وصناعات متعددة ثم جاءت نكسة عام ١٩٦٧ واحتلال اسرائيل للضفة الغربية من الاردن وتشريد العديد من السكان من جديد . ومرت فترة من الركود والتدهور الاقتصادى الى ان عادت المدينة الى الهدوء وبدأت في النهوض والعمل . واليكم صورة عن وضعها الاقتصادى في عامي ١٩٧١ و ١٩٧٧ .

الحرفة	١٩٧١	١٩٧٧	الحرفة	١٩٧١	١٩٧٧	الحرفة	١٩٧١	١٩٧٧
بقال	١٠٠	١١٣	مصنع نسيج (تريكو)	١٠	٧	مكتب سيارات تكسي	٣	٣
بيع خضار وفواكه	٣٠	١١	حلاقين	١٤	١٧	بيع مصنوعات الاردض المقدسة	٢٤	٤٢
صيدليات	٦	٨	مشغل صدف	١٥	٢٠	مطعم	٨	؟
نوفوتيه اقمشة ، البسة	٥٠	٥٤	قصاب	٢١	١٧	مطعم مع مشروبات روحية		١٧
خياط	٢٦	٣٧	صائغ	٥	٨	مطعم بدون مشروبات		٧
حداد	١٢	١٠	دور سينما	٣	٣	مقهى	٢٧	
مشغل خشب زيتون	٢٤	٤٨	مصرف	٢	٢	مقهى مع مشروبات		١٠
افران لتجهيزالخبز	٩	١١	ادوات منزلية	٦	١٢	مقهى بدون مشروبات		٧
صانع احذية	—	٧	بيع وذبح دواجن	٨	١٢	تنجيد فرش السيارات		٤
بائع احذية جاهزة	٩	١٦	مطحنة بن	٤	٧	تنجيد مفروشات	٧	٥
مخرطة معادن	١	٧	مصنع سجاير	١		تنجيد موبيليات		٢
مصنع بلاط او طوب	٤	٢	معمل مشروبات روحية	٢	٢	بيع وتصليم ادوات كهربائية	١٠	٢٣
فندق	٢	٢	مختبر تحليل طبي		٣	منجرة بآلات		٢١
معمل شمع	١	١	صالون حلاقة للسيدات	٤	٥	منجرة باليد		٩
مستوده ادوية	٢	٢	كراج تصليح سيارات	١٣	١٥	منشار حجارة		٢
بيع مواد بناء	٩	١٨	بيع قطع غيار للسيارات	٣	٧	كسارة حجارة	٢	١
مصنع كلسات وملبوسات داخلية	١	١	معصرة زيتون	١	١	شركة باصات لنقل الركاب	٢	٢
مصنع حمامات شمسية		١	معمل الومنيوم		٣	مصنع معكرونة	٣	٣
معمل بلاستيك	١		صراف	٤	٦	مصنع جوارب	١	١
ميكانيكي اسنان		١	تحضير مواد كيماوية	١	١	بيع بترول وبنزين	٤	٤

وحرف بسيطة متعددة . ونرى من القائمة السابقة مدى التطور والنمو في المدينة . كذلك اتسعت رقعتها وازدادت عماراتها وزاد عدد سكانها وارتفع مستوى معيشتهم وزاد عدد المتعلمين فيها كما والجامعيين وازدهرت تجارتها وزاد عدد السياح الاجانب من عام الى عام .

ونذكر هنا عدد رخص البناء الصادرة عن دائرة مهندس بلدية بيت لحم . فكان في عام ١٩٦٥/١٩٦٦ ٩٨ رخصة وعام ٦٦/١٩٦٧ = ١٣٧ رخصة وعام ١٩٧٦/١٩٧٧ = ١٣٠ رخصة.

اما دخل البلدية عام ١٩٧٦/١٩٧٧ = ٣،٧٨٦٧٨٠ليرةاسرائيلي ، وخرجها = ٣٫٩٨١٢٨٦ ليرة اسرائيلي . اما رصيد الصندوق لعام ١٩٧٥/١٩٧٦ فكان ٥٦٢٩٢٥ ليرة اسرائيلي (الدينار الاردني = ٤٠٫٢٥ ليرة اسرائيلي في هذا العام) .

وفي المدينة عدد كبير من المدارس الاهلية يبلغ ثلاثة عشرة مدرسة منها ست مدارس للذكور وثلاث للاناث واربع مدارس اخرى مختلطة وروضتان للاطفال . اما المدارس الحكومية فخمس . مدرستان منها للبنين وثلاث للاناث (١٩٦٩) وتحوى المدارس الاهلية اكثر من ضعف ما تحويه المدارس الحكومية من طالبات وطلاب .

وكانت بيت لحم ولا تزال مصدرا دائم العطاء للنشاطات الاجتماعية والخيرية والثقافية والعلمية والرياضية . فتأسست فيها الجمعية الانطونية الخيرية التلحمية عام ١٩١٣ زمن الحكم التركي ، تفرع منها القسم النسائي عام ١٩٢٩ ، والنادى الادبي عام ١٩١٨ برئاسة حنا خليل دكرت ، ثم تلاه الكلوب التلحمي برئاسة الوكيل يوسف يعقوب الدبدوب عام ١٩١٩ (٥٢) ثم الجمعية الخيرية الوطنية الارثوذكسية عام ١٩١٩ والنادى الارثوذكسي المتفرع منها . وجمعية مار افرام للسريان الارثوذكس عام ١٩٢٢ والنادى الرياضي السرياني . والجمعية الخيرية الاسلامية عام ١٩٣٠ ثم جمعية حاملات الطيب الارثوذكسية عام ١٩٤٤ ومعهد الصليب المقدس الخيرى الارثوذكسي عام ١٩٤٦ والاتحاد النسائي العربي عام ١٩٤٧ الذى انبثق عنه النادى العائلي عام ١٩٦٧ . ونادى الجامعيين ونادى الاسود في اوائل الخمسينات . ولجنة الجمعيات الخيرية البيتلحمية لانعاش الاسرة عام ١٩٦٧ ومؤسسة العمل الكاثوليكي وجمعية الطلبة المسيحية وجمعية تنظيم الاسرة وغيرها . ولكل هذه الجمعيات والنوادى والمؤسسات اعمال ونشاطات قيمة وحيوية ساعدت وتساعد في تطور المدينة .

الصحافة في بيت لحم

لم يكن في بيت لحم عهد الاحتلال التركي اى نشاط صحفي او طباعي مطلقا . وما ان زال هذا العهد المظلم وحل محله الاحتلال البريطاني للبلاد عام ١٩١٧ حتى اخذ الشعب في التنفس فظهرت اول مجلة علمية ثقافية اجتماعية باسم "مجلة بيت لحم عام ١٩١٩ لصاحبها الاستاذ عيسى الخورى باسيل البندك ، اختفت في اواخر العشرينات لتحل محلها جريدة "صوت الشعب" في اوائل الثلاثينات للاخوة عيسى الخورى البندك وسابا البندك ، ناضلت سياسيا في اثناء الاضطرابات الفلسطينية ضد سياسة دولة الانتداب فاوقفت عن الصدور في اواخر الثلاثينات . وبقيت بيت لحم خالية من الصحف والمجلات المحلية فترة طويلة من الزمن . ثم صدرت مجلة مدرسية صغيرة الحجم باسم "الرائد" من المدرسة الاميرية الثانوية برئاسة الاستاذ عيسى عطا الله اسحق في اواخر الاربعينات . لم تعمر طويلا اذ عين الاستاذ عيسى عطا الله مدير المدرسة مفتشا فتوقفت المجلة عن الصدور .

وعادت جريدة "صوت الشعب" الى الظهور عام ١٩٥٤ للاخوة يوسف ومازن عيسى البندك لكنها عادت واختفت بعد فترة قصيرة بسبب الاضطرابات السياسية في الاردن وظهرت "مجلة المهد" عام ١٩٥١ للسادة ايوب مسلم وسابا البندك سدت الفراغ الصحفي لبضع سنوات ثم اختفت .

كذلك اصدرت الجمعية الانطونية الخيرية "مجلة بيت لحم" في اوائل الخمسينات لعدة سنوات ثم توقفت ايضا . وكان آخر ما صدر في بيت لحم منذ اوائل السبعينات هي جريدة "البشير" الاسبوعية لصاحبها السيد ابرهيم حنضل ناضلت حوالي الست سنوات ثم توقفت عن الصدور عام ١٩٧٦ .

عندما نتكلم عن البسة الاهالي نعني بذلك ما كان خاصابهم من البسة قبل ان اخذوا الالبسة الغربية الحديثة . فتميزت سيدات بيت لحم وبالاخص المسنات منهن بلباس خاص للرأس يكاد ينقرض تماما ، اعتقد البعض انه من آثار البسة زوجات الصليبيين اللواتي التحقن بازواجهن وبالاخص الفرنسيات من مقاطعة البورجوند حيث عرف هذا اللباس عندهن بالهينين (Henn in)وهو المعروف عندنا بالشطوة . ويعزو البعض هذه التسمية الى الكلمة الفرنسية "شاطو" التي تعني الطنطور . ولعلها جاءت من الكلمة العربية "شاطة" التي تعني حسنة القوام ومعتدلته (٦١) . وهناك من يقول ان زوجات الصليبيين الاوربيات والعربيات من مسلمات ومسيحيات وارمنيات وسريانيات نقلن هذه الازياء الشرقية الى اوروبا عند عودتهن اليها . وانا لنجد نوعا من الشطوة هذه منتشرا في جنوب البلاد وفي سوريا ايضا . وذكر مكسيم بتي في تاريخ الشعوب العام في كلامه عن فوائد الحروب الصليبية قال: "جهز ريكاردس فئة من العرب فرسانا وعقد انكحة بين الطائفتين ودخل التسامح المتبادل في الاخلاق . وقال ان الصناعات والهندسة والفنون والازياء واللباس والفنون الحربية لم تخل من تأثيرات الشرق وان المدنية الشرقية دخلت مدنيّة الغرب دون ان تستغرقها" (خطط الشام مجلد ٢ ص ١٢٩ (٢٥) .

كذلك ذكر كتاب تاريخ العرب (٥٣) عن العلاقات الثقافية للحروب الصليبية (ص٧٩٠) "لم تكن كل الاذواق الجديدة التي اكتسبها الغربيون مقتصرة على الماكل ففي مضمار الازياء والملابس وأثاث المنازل نشأت عندهم مطالب وعادات جديدة" . كما لم تظهر صورة لاية سيدة من الصليبيات بلباس رأس كالشطوة . (٦٠ص٩٩) كصورة هوج من فاوديمونت وزوجته أنّا من لورين من القرن الثاني عشر .

وتشبه الشطوة طربوشا صغيرا احمر اللون ايضا مرصوفا على دائرته العليا سلسلة من النقود الذهبية اوالفضية وعلى حافته السفلى صف آخر فوق الجبهة . ويغلب ان تكون هذه العادة متحدرة من العادات اليهودية ، حيث كانت الزوجة تحمل صفا من عشر فضيات فوق جبهتها ، دليل الاخلاص والوفاء لزوجها (٢) . فذكر الانجيلي لوقا ٨:٩ "او اية امرأة لها عشرة دراهم ان اضاعت درهما واحدا الا توقد سراجا وتكنس البيت وتفتش باجتهاد حتى تجده . واذا وجدته تدعو الصديقات والجارات قائلة افرحن معي لاني وجدت الدرهم الذى أضعته" (٩)

ويعلق من جانبي حافة الشطوة السفلى وامام الاذنين سلسلة فضية تتدلى على الصدر وقد علق بها العديد من القطع النقدية الذهبية او الفضية على الجانبين ، وفي نهايتها قطعة كبيرة من النقود الذهبية على الصدر تدعى الفطيرة . وتدعى هذه الزينة بالزناق .

وتلبس فوق الشطوة والرأس خرقة بيضاء كبيرة حريرية او قطنية تسدل فوق الكتفين والظهر حتى اسفله . وفي الاذنين أقراط من الذهب او الفضة وفي الذراع اسورة فضية

وترتدى السيدة ثوبا اسود فضفاض ، تتخلله شرائح جانبية مثلثة (بنايك) ليكون اسفله اوسع من وسطه . اما الاكمام فمن قماش حريرى مقلم وملون تنتهي بفتحة واسعة بشكل مثلث يزيد طوله عن النصف متر . ومطرز بالخيوط الحريرية الزاهية الالوان والخيوط الذهبية والفضية (القصب) . اما الصدر فتزينه قطعة مربعة واسعة يتوسطها لدخول الرأس شق حتى وسطها . وهذه "القبة" مطرزة باشكال هندسية وازهار زاهية وطيور ورسومات والوان جميلة ومتناسقة من الخيوط الحريرية والذهبية .

وفوق هذا الثوب ترتدى السيدة "التقصيرة" المخملية المطرزة ايضا وهي ما يدعى اليوم بالياقة الصليبية ، وهي من مخمل اسود او احمر او ازرق او سواه مطرزة على دائرها وصدرها وقبتها وذراعيها بالخيوط الحريرية والذهبية المتناسقة الجميلة وتمتد حتى الخاصرة فقط .

ويشد الثوب على الخاصرة بحزام من قماش حريرى او صوفي ملون مطوى يظهر جمال الجسم ويشد عضلات البطن من الارتخاء والهدول . اما الحذاء فعادى بسيط وكعبه منخفض .

وارتدت السيدات في الشتاء خصوصا عباءة صوفية منسوجة محليا من الصوف الاسود والاحمر غير واسعة والى ما تحت الركبتين . اشتهر في نسجها احد افراد عائلة القطان في بيت لحم .

اما الرجال فلبسوا التلوية على رؤوسهم وهي بمثابة طربوش قصير تلف حوله قطعة قماش حريرية ملونة ، يلبس المرء تحتها طاقية من القماش الابيض المطرز بالخيط

الابيض . وكانت التلوية مكانا لخزن الاوراق الهامة والنقود الورقية في الداخل ما بين الطاقية والتلوية .

اما في اواخر العهد التركي فقد تسرب الينا استعمال الطربوش الاحمر من تركيا في عهد السلطات عبد العزيز بن محمود الثاني عام ١٨٦١ م . والطربوش ، والاسم الاصح السربوش ، لباس مراكشي الاصل انتقل من مدينة فاس هناك الى تركيا فاليونان ففلسطين زمن السلطان عبد العزيز وفي نفس العام (١٤) واسم الطربوش باللغات الاجنبية فيز (Fez) نسبة الى مدينة فاس . ولم يكن الطربوش مبطنا بالقش في البداية كما نعرفه في المدة الاخيرة من استعماله .

اما لباس الجسم فثوب ابيض بسيط طويل حتى الخلخال . فوقه صدرية بيضاء او من قماش حريرى مقلم ، ومن فوقها القمباز او الصاية المصنوعة من القماش الابيض القوى كالجبة ، تشد على الخاصرة بزنار جلدى فوقه حزام من صنع عجمي ذو الوان ونقوش فرسية جميلة . وارتدى فوق هذه البشت المصنوع بدويا من الصوف الابيض غالبا وهو بمقياس الجسم غير فضفاف . ترك هذا البشت لتحل محله العباءة السوداء الفضفاضة تسدل فوق الكتفين وتغطي الجسم حتى القدمين .

وانتشر استعمال الحطة والعقال (الكوفيةوالشماغ) في البلاد اثناء الاضطرابات السياسية في عهد الانتداب الانكليزى لتسهيل فرار المقاومين لسياسة انكلترا . ويجدر بنا ان نذكر هنا ان الحطة والعقال ليستا باللباس العربي اصلا بل لباس رأس يهودى قديم انتقل الى القبائل العربية المسيحية اولا ثم اخذته القبائل العربية الاخرى (٤٢) .

ومع تطور السنين انتشر اللباس الغربي الاوربي الحديث والعملي داحرا اللباس العربي القديم والغير عملي بين الرجال والنساء على السواء ، فاصبح متعدرا عليك ان ترى ذلك الزى القديم سوى في الصور والرسومات التذكارية المعلقة على جدران البيوت ذكرى لاب او ام او جد او جدة او في متحف محلي "كبيتنا التلحمي القديم"

ومن الاحتفالات الدينية والشعبية المشهورة والخاصة بمدينة بيت لحم حفلات عيد الميلاد يوم ١٢/٢٤ و ١/٦ و ١/١٨ للطوائف العربية فالارثوذكسية فالارمن

وهي ايام استقبال قدوم بطاركة الطوائف المختلفة من القدس الى بيت لحم لاقامة القداس الديني ليلة ميلاد المسيح كل عام • وهو تراث قديم منذ العصور المسيحية الاولى • يخرج البطريرك من مقره في القدس مع رتل من سيارات المرافقين • ويلتقي بطريرك الروم الارثوذكس بعدد من ممثلي المدن الثلاث بيت لحم وبيت جالا وبيت ساحور في دير مار الياس حيث يستريح فترة قصيرة للسلام عليهم ثم يسيرون بموكب مهيب تتقدم سيارة البطريرك وتحيط بها ثلة من الشرطة الخيالة الى ان يصل الموكب وسط ساحة الدير حيث تقف سيارة البطريرك ليخرج منها ويهنئه الرسميون ووجهاء الطائفة ويرتدي ثيابه الكهنوتية ثم يسير ببطء وراء صفوف رجال الدين بالبستهم الدينية منشدين الترانيم الدينية يحف بهم من كل جانب آلاف الناس القادمين من كل انحاء البلاد عدا الحجاج الاجانب فتغص الطرقات والساحات وشرفات المنازل بحشود الشعب • وتقام صلاة فوق مغارة المهد بعد الظهر عند دخول البطريرك الكنيسة • اما في المساء فيقام احتفال ديني مهيب يحضره الرسميون وآلاف المصلين من وطنيين وحجاج اجانب ، يستمر حتى فجر الخامس والعشرين من كانون الاول • ويقفل البطريرك عائدا الى القدس بعد استقباله وفود المهنئين في صباح هذا اليوم •

وجرت العادة ان تذاع اصوات اجراس عيد الميلاد من كنيسة الميلاد على الاثير الى جميع انحاء العالم منذ عام ١٩٣٣ حيث نقلت واذيعت من اذاعة راديو لندن لاول مرة في ١٩٣٣/١٢/٢٥ (١٧) • اما هذه الايام فتحمل احتفالات العيد بالتلفزيون الى انحاء المعمورة لمشاهدتها وسماعها •

ويقام احتفال ديني وشعبي بعد ظهر الخامس والعشرين من كانون الاول في حقل الرعاة في بيت ساحور • يغص المكان بآلاف المحتفين والمصلين والباعة والمتفرجين وكانت هذه الحفلات تقام منذ اقدم العصور المسيحية حيث ذكرها عديد المؤرخين

ولطائفة اللاتين احتفال خاص يدعى "زفة الجسد" في اوائل صيف كل عام يترأسه عادة بطريرك الطائفة يحف به رجالات الطائفة وامامه صفوف المصلين من سيدات ورجال دين وطلاب وطالبات يلبسون الحلل الرمزية لفرسان القرون الوسطى يمثلي الهيئات والجمعيات الدينية ، بادئين الطواف من كنيسة الساليزيان في غرب المدينة مارين جنوبا ليصلوا الى الشارع الاوسط (شارع الحريزات) تتقدمهم فرقة موسيقى مدرسة الساليزيان تصدح بالانغام الدينية التي ينشدها االمحتفون اثناء مسيرتهم التي

تصل ساحة المهد ثم تعود الى ساحة النجمة فشارع "قوس الزرارة" الى "رأس افطيس" راجعين الى كنيسة الساليزيان من الجهة الشمالية منهين دورتهم الدينية هناك .
ويزين الاهلون جميع الشوارع وواجهات البيوت والحوانيت بالاغصان والزهور والصور الدينية ويقيمون اقواس الزينة على طول طريق المسيرة اكراما وابتهاجا .

المياه في منطقة بيت لحم

تخلو مدينة بيت لحم ومنطقتها من الانهر والينابيع الغزيرة سوى عدد قليل من الينابيع الصغيرة كعين ارطاس وبتير وبئر عونة في بيت جالا وبرك سليمان . وينضب بعضها اواخر الصيف او في السنين الشحيحة المطر . ولهذا حاول السكان حل هذا المشكل الحيوى منذ اقدم العصور فحفروا الابار لتجميع مياه الشتاء وخزنها لسد حاجاتهم على مدار العام . فهناك الابار الكنعانية (تثنية ٦ : ١١ من التوراه) "ومتى اتى بك الرب الى الارض التي حلف لابائك ابرهيم ويعقوب ان يعطيك ، الى مدن عظيمة جيدة لم تبنها وبيوت مملوءة كل خير لم تملأها وآبار محفورة لم تحفرها" .. (٩) . ثم الابار الاسرائيلية (الملوك الثاني ٢٦ : ١٠) "وبني الملك اوزياس البروج في الصحراء وحفر الكثير من الابار لانه كان يملك كثيرا من الاغنام والحيوانات" (٩) (وتكوين ٢٦:٣٢) "وحدث في ذلك اليوم ان عبيد اسحق جاءوا واخبروه عن البئر التي حفروا وقالوا له فد وجدنا ماء . فدعاه شبعه لذلك اسم المدينة بئر سبع الى هذا اليوم" (٩) .

واستعملت الابار المهجورة لغايات عديدة منها كسجون (ارميا ٦:٣٨) "فاخذوا ارميا والقوه في جب ملكيا ابن الملك الذى في دار السجن" . ومخابيء (صموئيل الثاني ١٧ :١٨) "فرآهما غلام واخبر ابشالوم فذهبا عاجلا ودخلا بيت رجل في بحوريم وله بئر في داره فنزلا اليها" . وللتخلص من الجثث : "ارميا ٤١ : ٧، ٩) "فالجب الدى طرح فيه اسماعيل كل جثث الرجال الذين قتلهم بسبب جدليا .." كذلك استعملها العرب زمن الحكم التركي لخزن الحبوب وتخبئتها عن السلطات المغتصبة .

وحفر اليونان والرومان والعرب الابار في كل ناحية لسد حاجاتهم وفي بيت لحم ومنطقتها العديد من هذه الابار القديمة مثل بئر قادسمو ، وآبار داود ، وآبار ساحة المهد ، وبئر السيدة وسط بيت ساحور وغيرها الى الشمال من هذه تحت بيوت عائلة منصور ومصلح وتحت عمارة السيد عيسى عطالله اسحق في مدخل البلدة وآبار سير الغنم ودير الرعوات وبئر الصنع وآبار ابو سمرة شمال شرقي بيت ساحور وكثير غيرها .

وكان حفر الابار الحل الاول والاسهل لمشكلة نقص المياه في المنطقة الى ان جاء

بعض اغنياء الملوك فحفروا وبنوا البرك الواسعة لجمع المياه للشرب والرى (الحامعة ٢ : ٤) قال سليمان بن داود "عملت لنفسي برك مياه لتسقي بها المغارس المنبتة للشجر" (٩) (والملوك الثاني ٢٠:٢٠) وبقية امور حزقيا وكل جبروته وكيف عمل البركة والقناة وادخل الماء الى المدينة" اورشليم في القرن السابع قبل الميلاد . كذلك حصن رحبعام بن سليمان مدن بيت لحم وعطام وفاغور . وصادف عندما رممت سلطة الانتداب الانكليزى برك سليمان ان عثروا على نتوء نافر في الجدار الغربي من البركة الشرقية ، حفروا عنه واذابه قناة ماء سدت من قبل تمر تحت ارضية البركة هذه نحو الجنوب الشرقي وتخرج منها الى مسافة مئة وخمسين مترا تقريبا لتصب في بركة مخفية تحت الارض عند خربة عطام هي من عمل تحصينات رحبعام لمدينة عطام لتأمين الماء لها عند المحاصرة .

وذكر المؤرخ اليهودى يوسيفوس عطام بقوله : "انها المكان المحبب لتنزهات الملك سليمان قادما من اورشليم يلبس حلة بيضاء فوق عربة في الصباح الباكر ، يصحبه حرس شجعان مدجج بالسهام . ويبعد المكان مسافة سبعة اميال عن اورشليم . ولما خلفه رحبعام ابنه حصن مدينة عطام التي تتحكم في مضايق الجبال .

ويغلب ان يكون سليمان هذا هو واضع اسس وفكرة بناء هذه البرك الى الجنوب من بيت لحم ، لكن الحقيقة المعروفة هي ان السلطان التركي سليمان القانوني هو الذى شيدها بشكلها الحالي تقريبا وزاد عددها . وهو الذى اشتهر بالبناء والعمران مدة حكمه في القرن السادس عشر ميلادى فهو باني سور القدس الحالي ومرمم بركة السلطان فيها . لكن نعود ونقول ان الفكرة وبداية العمل والتنفيذ من عمل سليمان بن داود الذى حكم من عام ٩٧٢ ــ ٩٣٣ ق.م . فتذكر التوراه في (الجامعة ٢ : ٤) هذا القول "فعظمت عملي ، بنيت لنفسي بيوتا ، غرست لنفسي كروما ، عملت لنفسي جنات وفراديس ، غرست فيها اشجارا من كل نوع ثمر . عملت لنفسي برك مياه لتسقى بها المغارس المنبتة الشجر" (٩) .

وكما نرى فقد اغدق سليمان على نفسه العطاء وعاش عيشة بذخ وترف وهذا يحتاج للمال فأثقل كاهل شعبه بالضرائب والتقدمات المفروضة فبدأ التذمر ، فعرف كيف يسكتهم ويكسب ودهم اذ اشاد لهم الهيكل . اما لنفسه فقد بنى القصور والحمامات في الفردوس المغلق وجلب الماء في قناة متقنة الصنع والتصميم من وادى العروب مسافة اربعة عشر كيلو مترا .

وفي واد العروب ثلاثة ينابيع هي عين فريديس وعد المزرعة والفوار تصب مياهها في بركة رومانية تدعى الشط . ومن هنا تجرى المياه في قناة الى برك سليمان . وفي الوادى ينابيع اخرى تجرى مياهها لتسيل في القناة الصادرة من بركة الشط وذلك لانخفاض مصدرها .

وفي وادى البيار الواقع حوالي ثماني كيلو مترات جنوب برك سليمان ، خمسة ينابيع غزيرة تسيل في قناة رومانية الى برك سليمان هي نبع رجم السبيط، نبع رأس العد ، عين فاغور ، نبع خربة القط ، ثم عين العصافير . وهناك نبع الى الشرق من قرية الخضر يدعى البالوع يسيل في برك سليمان . وتسمية هذه الينابيع كلها حديثة ومعروفة اليوم (١٤) . وتخرج المياه من برك سليمان لتضخ في قناة تمر بمياه عين ارطاس شرقا لتسيل نحو بيت لحم فالقدس .

ويذكر التاريخ ان بيلاطس البنطي شيد بركة العروب والقناة الصادرة منها الى برك سليمان مارة بمدينة تقوع لتصل بيت لحم واورشليم . واليكم ما جاء في رسائل بيلاطس نفسه الى صديقه سينكا في روما يروى فيها قصة مد القناه عام (٣٥ م) ان صدقت . قال في رسالته السادسة عشر من قيصرية (٣٩) "اعترف لي ايها الصديق بانني روماني قح ، فانني انا ايضا أحمل بركات ايطاليا الى الشرق المظلم ، لقد احضرت اثنين من المهندسين احدهما من الاسكندرية والاخر من انطاكية وامرتهما برسم الخرائط لانشاء بعض الطرق وتشييد بعض الحمامات في السامرة وجلب الماء الكافي الى القدس من الينابيع الموجودة جنوبي المدينة" .

وفي رسالته العشرين يقول : "انني بواسطة فتح هذه الطريق (من الساحل الى القدس ، ومن الاردن واريحا الى القدس) استطيع ان اجد المواد اللازمة من الحجارة لبناء قناة اورشليم . وسأكون فخورا جدا بهذه القناة وعليها اعقد في تخليد اسمي على صفحات التاريخ ولذلك تراني في هذه الاسابيع الاخيرة اصرف من الوقت بين هذه التلال الواقعة جنوبي اورشليم اكثر مما اصرف في قيصرية . فهناك اربعة وعشرين ميلا من اوعر ما تتصور لا بد من تمهيدها ولا بد من ان انتقل راكبا من مكان الى مكان لاراقب العمال في نسف الصخور وقطع التلول واقامة الجسور على الاودية ووضع الاسس لمستودعات المياه" .

"لقد استقدمت العمال من جميع البلاد المجاورة ، من الجليل ومن السامرة ومن

شرق الاردن ومن آدوم ، حتى ومن سوريا ، والقليل جدا من اورشليم وهي البلد التي تستفيد وحدها من هذا المشروع " .

وفي رسالته الحادية والعشرين يذكر بيلاطس عن اجتماعاته ومداولاته مع المجمع اليهودى السنهدريم والروءساء واقتراحاته "ما دامت القناة ستكون لكم عونا على اداء العبادات الدينية ، فلماذا لا تدفعون نفقتها من مال الهيكل" . فثارت ثائرتهم ورفضوا اى مشاركة في التكاليف حتى ولا تقديم سلفة ولا العمل ، رغم اقتناعهم بفائدة المشروع لهم . كما رفضوا عدة اقتراحات اخرى حاول بيلاطس اقناعهم بها للمشاركة في العمل على الاقل . فكتب في رسالته الثالثة والعشرين من اورشليم قائلا "منذ ثلاثة ايام وفي الصباح الباكر حجزت على خراج الهيكل . ومعظم الخراج يأتي نقدا مع مجوهرات وادوات الزينة من اليهود في الخارج ومن مصر وآسيا الصغرى وأقليم الفرات حيث تصل في أوائل ربيع كل عام ، فالصناديق التي وصلت قيصرية صادرتها دون جلبه .اما تبرعات اقليم الفرات فكانت قريبة من وصولها الى الهيكل فخرج ماركيوس من حصن أنطونيا المجاور وساق موكب أليهود داخل ألحصن واستولى على ألصناديق ، فجن جنون اليهود واخذوا في الشغب والفوضى فسمحت لجنودى السامريين والادوميين المتخفين بين الشعب مع سلاحهم بالفتك بالثائرين " ... "فاختفى الجمهور بعد سقوط قتلى كثيرين . وانني راض الان عن الحال ، فستتم القناة قريبا ولدى من المال ما يكفيها ويزيد" .

وكان بناء هذه القناة سببا في القضاء على حياة بيلاطس نفسه اذ شكاه اليهود الى القيصر تيبيريوس في روما فدعاه للتحقيق في الامر . ولما استولى كاليجولا على الحكم بعد عام ، حكم هذا على بيلاطس بالنفي الى "فيين" او "داوفينية" حيث انتحر هناك حزنا ويأسا (١٣) اما اسمه فخلد في فلسطين لسببين اولهما الانصياع لمطالب اليهود والحكم على المسيح بالصلب ، وثانيهما هو مد قناة الماء من العروب الى القدس مارة بمدينة تقوع حيث عرفت زمن الصليبيين بنهر تقوع ، فبيت لحم ثم القدس .

وذكر عاموس في كتاباته ان هيرونيموس ذكر الابار وقناة الماء المارة من بيت لحم تحت الارض والى الشرق من قرية بيت لحم . وان مصدر الماء الوحيد للقرية قبل هذا العصر الروماني هو الابار واهمها التي امام كنيسة الميلاد .

ويذكر المؤرخ جورج زيدان في كتابه تاريخ مصر الحديث (صفحة ٣٤٨) ان الملك الظاهر برقوق مؤسس دولة المماليك الشراكسة (١٣٨٢م) رمّم هذه القناة الموصلة الماء من العروب الى القدس وراحت تعرف بعدئذ بقناة السبيل . كذلك حاول الملك الظاهر خوشقدم (١٤٦٠م) تعميرها ايضا لكنه مات قبل أتمامها . ولما خلفه الملك الظاهر بلباى عام (١٤٦٧م) حاول اتمام التعمير فلم يفلح . وهكذا فعل الملك الظاهر تمريغا عام ١٤٦٧ ايضا . (١٤) .

أما برك سليمان والمسماه ايضا ببرك المرجيع ، والتسميه هذه كما يوردها مجير الدين الحنبلي في كتابه الانس الجليل في تاريخ القدس والخليل صفحة ٤٠٩ سببها قصة يوسف عندما اخذه اخوته مارين بقبر امه ، وهو قريب من الموقع ،القى بنفسه عن الناقة وقال يا اماه ارفعي رأسك وانظرى ما حلّ بولدك من البلاء . ولما فقده اخوته رجعوا يفتشون عنه فوجدوه عند البرك فدعيت المرجيع من ذلك اليوم . والبرك ثلاثة في سلسلة من الغرب الى الشرق تقع الى الجنوب من بيت لحم . قسم منها مقطوع في الصخر والقسم الاخر مبني بالحجر والطين . وكان القصد من بنائها كما ذكرنا تجميع مياه الينابيع المحيطة والامطار من الجبال والمنحدرات المتاخمة لتسقي الجنائن اولا ثمّ لسد حاجات السكان ثانيا وفيما بعد .

واليكم وصفا مقتضبا لهذه البرك لاهميتها التاريخية والاقتصادية مبتدئين بالبركة العليا الغربية وتعلو عن سطح البحر (٧٩٧،٥ مترا) . طولها من الغرب الى الشرق مئة وستة عشر مترا . وعرضها سبعون اما العمق فما بين السبعة والثمانية امتار . ينزل فيها بدرج مقطوع في الصخر من زاويتها الجنوبية الشرقية ، وجدرانها مسنودة بعواضد قوية من البناء .

والبركة الوسطى شرقي سابقتها وتبعد عنها تسعة واربعين مترا . ترتفع عن سطح البحر ٧٨٣،٢ مترا . طولها مئة وتسعة وعشرون مترا وعرضها سبعون ، أما العمق فأثني عشر مترا . وينزل فيها بدرجين مقطوعين في الصخر من الشمال الشرقي وزاويتها الشمال غربية .

اما البركة الثالثة والشرقية فتبعد عن الوسطى بخمسة واربعين مترا . وترتفع عن سطح البحر ٧٦٨ مترا . طولها مئة وسبعة وسبعون مترا والعرض ثلاثة وثمانين مترا غربا بينما تضيق تدريجيا نحو الشرق ليصبح عرضها خمسة وأربعين مترا فقط . وفي العمق فخمسة عشر مترا . وجدرانها مسنودة من الداخل بعواضد قوية متعددة . وفي جهتها الشمالية الشرقية نرى مصفاة في جدار ضخم ، منها يقود الى مخزن مسقوف حيث تتدفق مياه نبع ثالث في البركة ، وتمر من هذه البركة قناة نحو الشرق واصلة

عين عطان الموجودة في غرفة مسقوفة . وماء عين عطان اعذب هذه المياه جميعا . وتضخ المياه باتجاه بيت لحم والقدس بمضخة قوية جلبها البريطانيون اول الاحتلال البريطاني من سيناء كما ذكرنا . (١٣) (١٤) .

اما هيرودس الكبير فقد مد قناة ماء من عين ارطاس قرب جامع البلدة اليوم حتى حصن هيروديوم المنيع جنوب شرقي بيت لحم ، بطول عشرة كيلو مترات ، لتسقي حدائقه الغناء حول الحصن وتملاء البركة الى الشمال منه وتسقي الساكنين هناك . وطول البركة سبعون مترا وعرضها سبعة امتار وعمقها ستة . كما عثر في وسط واد ارطاس على اعمدة رومانية مع تيجانها يغلب ان تكون بقايا قصر او حمام من بناء هيرودس بين جناته المغلقة .

اما النبع المغلق المذكور في نشيد الانشاد من التوراة فالمعتقد انه عين صالح او رأس العين اليوم . وتجرى مياهه تحت الارض غرب برك سليمان مسافة مئة وعشرين مترا على مفترق المرتفع الفاصل بين الانحدارين ، الغربي حيث سيلان الماء غربا باتجاه البحر الابيض المتوسط ، والشرقي باتجاه البحر الميت . وهناك مدخل يفتح لتنزل ست وعشرين درجة الى غرفة مسقوفة بالحجارة اتساعها ١٢× ٥ر٤ مترا تتوسطها بركة مربعة . والى يمين هذه الغرفة غرفة اصغر ينبع من جانبها الغربي ماء عذب من صخر صم من اربعة منافذ تجمع في حوض صغير مستدير ومنه في قناة الى البركة المربعة في الغرفة الاولى . ومن هنا تسيل في قناة محفورة في الصخر مسقوفة لتصل الى خزان محاط بجدار مستدير قرب قلعة مراد حيث يلتقي بماء نبع اخر يخرج من الجهة الجنوبية الشرقية للقلعة . ومن هنا يفترقان ليجرى الواحد نحو برك سليمان والاخر في اتجاه القدس . ويرتفع مستوى البنع الاول ٨١٤ مترا عن سطح البحر وستون مترا عن منطقة هيكل سليمان ولهذا يسهل سيلان الماء الى القدس .

وكشف العالم الاثرى وارين (Warren) عن قناتين في اتجاه بيت لحم القدس في مستويين مختلفين ، السفلى تتكون من حجارة ، وكان الماء يجرى فيها حتى القرن الماضي نحو القدس ويغلب ان تكون هي قناة بيلاطس البنطي . اما الثانية فتأتي من واد البيار حوالي ستة اميال جنوب برك سليمان مارة غرب البركة العليا في اتجاه القدس . وتظهر في مسيرتها فوق الارض احيانا ، وهي من حجارة ضخمة محفورة الوسط كالخرزة تتداخل حافة الخرزة الواحدة في حفرة حول فتحة الخرزة الثانية . ويظهر

القناة مرت تحت اصلاحات متعددة في الاجيال اللاحقة • وهي من عمل الامبراطور الروماني سبتيميوس سيفيروس الذى ارتقى العرش عام ١٩٣ م وكان قبل ذلك قائد الفرقة السورية المولود في افريقيا والذى لم يتقن اللغة اللاتينية طيلة حياته • تزوج من الامبراطورة الحمصية "يوليا دومنا" التي حكمت سوريا باسم روما •(٤٩) •

وكان الامبراطور سبتيميوس سيفيروس قد امر اقساما من الفرقة العاشرة المتمركزة في القدس لتشيد القناة وتجلب الماء من نبع بئر الدرج جنوب برك سليمان الى القدس • وقد وجدت على هذه الحجارة الضخمة احرف واسماء قواد المئة من الفرقة العاشرة الذين اشرفوا على العمل • وقد احكم بناء حجارة القناة الضخمة بالرمل والجير • وترى قسما من هذه القناة في طرف حقل الزيتون الشرقي الواقع الى الشرق من طريق القدس ـ الخليل العام بعد مدخل شارع بيت لحم بقليل • كما وهناك عدد من هذه الحجارة الخرزية في حديقة المستشفى الفرنسي الوسطى مغروس فيها بعض الشجيرات • كذلك اخرج عدد من هذه الخرزات الحجرية عند توسيع الشارع الداخل الى بيت لحم شرق العمارة الفاصلة بين مدخل بيت لحم وطريق الخليل • وكنت ترى حجارة القناة مارة الى اعلى المرتفع من ارض محطة كهرباء بيت لحم وغرب عمارة مطعم سامر لكن توسيع وتزفيت الشارع هناك ازال معالمها ويا للاسف • وذكر بعض الحجاج المسيحيين ان القناة كانت عامرة ومستعملة عام ٥٧٠ م • ويغلب انه كان حوض للماء الى الجنوب من قبر راحيل يملأ من القناة ليستقي منه الناس والمواشي ، فحفظ الاهلون هذه الذكرى بتسمية المنطقة جنوب قبل راحيل بالموردة الى اليوم •

واختل الامن زمن حكم السلطان التركي مراد الرابع ، وانتشر الاشقياء وقطاع الطرق سالبين وناهبين وقاتلين ، وكم قطعوا الماء عن القدس انتقاما من السلطات ، مخربين الاقنية ومحولين الينابيع ، فقاسى الاهلون مرارة العطش وارتفع التذمر مما حدا بالسلطان مراد الى بناء قلعته المعروفة باسمه الى الشمال من البركة العليا من برك سليمان على طريق القدس الخليل عام ١٦٢٢ م • وأنشأ فيها مسجدا وخمسين منزلا صغيرا للجنود الحماة واقام على حراستها دزدارا واربعين جنديا بمدافعهم واسلحتهم ومهماتهم الحربية ومؤنهم (١٤) وكان الجنود يجوبون الطرق العامة ذهابا وايابا على ظهور خيولهم • حامين الطرق والمسافرين ومجارى المياه من النهب والتدمير • ولم

يأت سلطان بعده الا واولاها جانبا من اهتمامه محافظة على الطرق وصونا للقناه والينابيع ، كما عمل قياصرة روما والحاكمون في فلسطين من قبل ومن بعد .

وفي بيت لحم وجوارها بقايا قناة ماء فخارية من العهد التركي تدعى بقناة الكفار لها علاقة خاصة بتسمية بعض عائلات بيت لحم كما ذكرنا ، ترى قسما منها في المنحدر الجنوبي شمال بئر القناه . وكانت تمر من غرب ساحة باب الدير وتحت المسجد العمرى اليوم سائره شمالا مع المنعطف الجبلي عند مدرسة مار يوسف التحتا للبنات ، وتراها بعد مخازن شكرى جوده مبارك على الشارع العام ، وقد طمر قسم منها في جدار المخازن الخلفي ، وكانت تسير مع منعطفات الجبل والى الشمال حيث تظهر ولمسافة طويلة غرب عمارة وملجأ العجزة التابع للجمعية الانطونية ، جارية مع طريق قديم حول سفوح الجبال حتى منطقة جرون الحمص فسفح جبل مار الياس الشرقي ، ومنه غرب ام طوبي وصور باهر في اتجاه القدس والاقنية قطع فخارية بطول اربعين سنتمترا وقطر فتحتها خمسة واربعين سنتمترا ، متداخلة في بعضها ومثبتة بالطين والجير . ومع الاسف الشديد ان تكون البقية الباقية عرضة للتدمير المستمر .

واضطرت السلطة التركية عام ١٩٠١ الى مد قناة ماء حديدية من برك سليمان الى القدس لتخفيف وطأة نقص المياه فيها وكان ذلك زمن السلطان عبد الحميد واشراف المهندس اليوناني "افرنقاه" (١٤) . وترى قسما من هذه القناة في اماكن متعددة منها سفح الجبل المؤدى الى sos قرية اطفال بيت لحم في القرقفة شمال بيت لحم . وبعد الحرب العالمية الاولى اصلحت السلطة البريطانية هذه القناة واجرت المياه فيها الى القدس مستعينة بمضخات آلية .

ولما شحت الامطار ونضبت المياه في منطقة القدس وبيت لحم مدت حكومة الاردن خط انابيب حديدى جديد من الفوار في منطقة الخليل الى بيت لحم والقدس عام ١٩٦٣ وعلى وجه السرعة . وقد دمر هذا الخط في حرب الايام الستة الاسرائيلية عام ١٩٦٧ . ثم ازيل اذ اصبح لا حاجة له بعد ان عثرت سلطة موارد المياه الجوفية على بئر ارتوازية في اراضي قرية صعير قرب خربة تقوع ، مد منها خط انابيب حديدية جديد الى بيت لحم حيث تجمع المياه في خزانات توزع منها على المدن الثلاث بيت لحم ، بيت جالا وبيت ساحور في شبكة خطوط مياه داخلية . وتنتج هذه البئر حوالي سبعين مترا مكعبا من الماء في الساعة لم تكن كافية لتزويد المنطقة

باحتياجاتها . وثوبر البحث عن مصادر جديدة فعثر على بئر ارتوازية قوية في منطقة بطن الغول جنوب شرق بيت لحم وتابعة لاراضيها ، تنتج حوالي ثلاثمئة متر مكعب في الساعة . الا انها لم توصل مع قناة بيت لحم الا اواخر صيف ١٩٧٣ م .

ولحسن الحظ اكتشفت بئران جديدتان في منطقة جبل هيروديوم تنتجان اكثر من الف متر مكعب في الساعة تعرفان ببئر هيروديوم الاول وهيروديوم الثاني . فاصبحت المياه متوفرة وتزيد عن احتياجات المنطقة في آخر صيف عام ١٩٧٦ .

يذكر لنا التاريخ بمصادره المتعددة ومنها التوراه ان ارض كنعان (فلسطين) كانت مكسوة بالغابات الكثيفة والخفيفة من شمالها حتى جنوبها في بئر السبع . وكانت هذه الغابات مصدرا اقتصاديا للتجارة مع مصر . فذكرت مخطوطات اوراق بردى " جولينيشيف الهيروغليفية التي تعود بتاريخها الى ما بين ١١٥٠ الى ١١٠٠ قبل الميلاد والتي تذكر فيها عن رحلة تاجر الاخشاب المصرى او نوعمون (Uno Amon) من مصر الى ميناء دور جنوب جبل الكرمل شمال فلسطين (قرية الطنطورة اليوم) حيث ابتاع الاخشاب من التاجر الكنعاني "بيدير زاكارى (Bidir Zakkari) ليشحنها الى مصر كما فعل ابوه وجده من قبله (١٢) .

وتروى لنا التوراه بوضوح التأثير السيئ والمدمر لدخول القبائل الاسرائيلية البدوية على ارض كنعان الخضراء وغاباتها المنتشرة . فقد امرهم قائدهم يشوع بقطع الغابات واستغلال الارض الناتجة لزراعتها ورعي مواشيهم (يشوع ١٧ : ١٤ - ١٨) وذكر في (التثنية ٢٠ : ٢٠) "اما الشجر الذى تعرف انه ليس له ثمرا يؤكل منه فاياه تتلف وتقطع" . وكانت ارض كنعان مثمرة غنية (ارميا ٢ : ٧) "واتيت بكم الى ارض بساتين لتأكلوا ثمرها وخيرها" . وتثنيه (٨ : ٨) "ارض حنطة وشعير وكرم وتين ورمان ، ارض زيتون زيت وعسل . ارض ليس بالمسكنة تأكل فيها خبزا ولا يعوزك فيها شيء . ارض حجارتها حديد ومن جبالها تحفر نحاسا" . (٩) .

ورغم تجريد البلاد من غاباتها بقي قسم منها محروجا حول القدس وبيت لحم حتى جنوب الخليل حتى بعد استقرار الاسرائيليين في ارض كنعان . وكانت شجرة الصنوبر الحلبي والسرو منتشرا حول القدس وبيت لحم والعروب بينما غطت رؤوس هذه الجبال اشجار البلوط والبطم واللبنى والمستكا والخروب والغار والمر والزيتون البرى والسنط والزعرور والرمان والقرفة والسماق والناردين وسواها ، الى ان جاءت حروب الرومان ضد اليهود فجردت الارض من كسائها الاخضر الجميل . وهاكم ما كتبه شاهد عيان وهو المؤرخ والقائد اليهودى يوسيغوس فلاميوس عن الحرب الرومانية اليهودية عام ٦٩/٧٠م "بعد سبعة عشر يوما من العمل الجاد اكمل الرومان جسورهم حول اورشليم . اما الجسر المقابل لقلعة انطونيا فدمر على يد يوحنا جيشالا ، وذلك غرب المدينة على يد سيمون بن غيورا . لكن تيطوس احاط المدينة اخيرا بسور محكم

من الخشب يمنع اليهود من الخروج ويجبرهم على الاستسلام بالتجويع . وبنى الرومان اربعة جسور جديدة على قلعة انطونيا . وانهمك الرومان في جمع الاخشاب بلهفة وجد متمكنين من اكمال بناء الجسور في واحد وعشرين يوما ، مجردين بذلك منطقة المدينة وحولها من الاخشاب الى مدى تسعين غلوة (الغلوة = ثمن ميل) . فبدا منظر البلاد حزينا اذ خلت الجنائن والحدائق من زينتها النباتية وهجرت من سكانها ولا يقوى شخص عرفها سابقا بسحر جمال عاصمتها وضواحيها ، ان يحجب دموعه وتنهداته وحزنه الاليم للتغير العظيم فيها اليوم . فقد ازالت الحرب كل مسحة جمال عنها حتى يتعذر على ساكنها نفسه التعرف عليها .

وكان تيطوس قد اصدر امرا بصلب كل يهودى يفلت من المدينة المحاصرة والمتجولين المتضورين جوعا والمستسلمين لافراد جيشة . فعمل خمسمئة جندى بنصب الصلبان وتسمير المصلوبين امام اسوار المدنية يوما بعد يوم ، مما خلق غابة كثيفة من الصلبان الخشبية على التلال والمنحدرات . فسقطت الغابات واشجار الحدائق والركائز والحواجز خشبة خشبة وشجرة شجرة لنصب الصلبان وبناء الاسوار والجسور والتحصينات والسلالم والممرات حول المدنية وفي مضارب الجيوش حيث توقد النيران الدائمة للطهي والتدفئة والرؤيا ليل نهار ، حتى فقد جبل الزيتون كل ظل فوقه" (١٦) .

وهكذا جرد الرومان البلاد من غاباتها واشجارها من الشمال حتى الجنوب . اما الاشجار المثمرة التي كانت تغطي اطراف المدن والقرى وتلعب دورا هاما في تغذية السكان فاهمها الزيتونة عروسة الاشجار في هذه البلاد (١٢) ويعتقد ان بلادنا من البلدان الاصلية المنبتة للزيتونة ، فحجم الشجرة وضخامة ساقها وكثافة اغصانها وغزارة اوراقها وطول عمرها يدل ان المناخ والتربة في بلادنا لها . فتعمر مئات السنين وفي البلاد زيتون روماني العهد . وتثمر الزيتونة بغزارة عاما بعد عام ، وتنمو في كل انحاء فلسطين ومنذ عهد الكنعانيين . (تكوين ٢٨ : ٢٠) (٩) .

وتعقبها شجرة التين ، كنعانية الاصل وثاني شجرة هامة في البلاد ، كثيرة الانواع ويؤكل ثمرها ناضجا طازجا وجافا ، ورد ذكرها في التوراه في عهديها القديم والجديد وتشتهر في منطقة بيت لحم ورام الله ونابلس اليوم . وقد قل الاهتمام بها مؤخرا ، وتليها الكرمة وهي كنعانية الاصل ايضا ، اشتهرت بانواعها المختلفة

وجودتها ولذة طعمها وحلاوتها وطيبة نبيذها . تذكرها التوراة مرات ومرات ، فحمل الجاسوسان الاسرائيليان عنقود العنب على عمود خشب بينهما لثقله من ارض كنعان وهاكم (نحميا ٩ : ٢٥) يقول "اخذوا مدنا حصينة وارضا سمينة وورثوا بيوتا ملانة كل خير وآبارا محفورة وكروما وزيتونا واشجارا مثمرة بكثرة فاكلوا وشبعوا وسمنوا وتلذذوا بخيرك العظيم" . (٩)

ومضى عهد الرومان وحروبهم وحل عصر البيزنطيين الذين اعادوا الزراعة وشجعوها الى ان جاء الاحتلال العربي في اوائل القرن السابع ميلادى . وكان العرب بدوا رحلا ، لا علاقة بينهم وبين الشجرة كالموجات الاسرائيلية السابقة . همهم رعاية الماشية وزراعة الحبوب الضرورية لقوتهم . فدمروا الرصيد الباقي من الغابات والاشجار في البلاد حيث كانوا يقطعون الاغصان مكدسينها عند الساق ليوقدوا فيها النار فتموت الشجرة لتستغل الارض مكانها للزراعة (١٢) . كما عملت قطعان الماعز على تحريد الاشجار والشجيرات من اوراقها واغصانها فجفت وماتت . كذلك ابادت الانواع الكثيرة من الحشائش لاقتلاعها من جذورها اثناء رعيها .

ولما جاء الاحتلال الصليبي وجد هوءلاء مناطق لا تزال محروجة ، واشجارا مثمرة واعادوا نشر زراعة الكرمة وانواع كثيرة غيرها . وعرفت زراعة الحمضيات في البلاد من القرن العاشر ميلادى حيث جاءت من مقاطعة كوخنخينا في جنوب الصين عن طريق الهند فما بين النهرين الى سوريا ففلسطين (١٢) .

وبالاحتلال التركي عاد عهد الابادة والتجريد من اشجار البلاد حتى ولاثمن شجرة فيها ، الزيتونة (١٥) فقد قطعوا مئات الالاف من اضخم واقدم واثمن اشجار الزيتون في طول البلاد وعرضها ليوءمنوا لانفسهم ولقاطراتهم الحديدية الوقود . وفرضوا الضرائب الباهظة على الشجر والمزروعات فأهملها الاهلون قائلين "وهل نزرع ليجني غيرنا" ؟ (١٢) .ولضيق العيش وقلة العمل وتفشي الفقر انتشرت صناعة وتجارة الفحم بين القرويين . فازالوا الاشجار من الجبال والهضاب دون مراقبة او رادع او تعويض بزراعة اشجار جديدة لسد العجز ومقاومة التعرية والانقراض وتأمين استمرار مصدر الرزق لهم . وبهذا زالت بقايا الغابات وجردت الارض من كسائها الاخضر الجميل وفقد الفحامون رزقهم .

وكان في البلاد قليل من الشجر المثمر منتشرا هنا وهناك لكن ليس بالوفرة ليكون مصدرا اقتصاديا او موردا لغذاء ، منه التفاح والمشمش والكمترى والدراق والخوخ واللوز والرمان والتوت بنوعيه الاسود والابيض والصبر والخروب والنخيل (في السواحل والعـور) والزعـرور البـرى الـذى مـن اغصـانه صنع اكليـل المسيح عند صلبه (Zizyphus Spina Christi) (٣) .

اما الخضراوات فوافرة ومعروفة منذ اقدم الازمنة . فالقثاء والكوسا والقرع والكتان والقنب والحبوب بانواعها من قمح وشعير وذرة ودخن وعدس وحمص وفول وقطن وكراوية وغيرها .

اما الاعشاب والحشائش والازهار البرية والتوابل والعطريات كالنعناع والزعتر والزعماد والحصلبان وغيرها والازهار والرياحين الزاهية الالوان كالاقحوان وشقائق النعمان والنرجس بانواعه والسوسن وزهرة ادونيس والحندقوق وعصى الراعي وانوار الزهور البصلية والورود وسواها التي كما ذكر متى الانجيلي (٦ : ١٨) لم يكن لملابس سليمان زهوها وعظمتها .

وبزوال الغابات قلت رطوبة الارض وعملت عوامل التعرية في جرف التربة واظهار الصخور كما غارت الاملاح المعدنية من التربة السطحية وقلّت الامطار فقل خصب الارض واجدبت وقل نتاجها فهجرت مساحات شاسعة لقحلها .

اما الحيوانات فكانت كثيرة ومتنوعة منها الداجن كالبقر والاغنام والماعز والجمال والخيول العربية التي كانت معروفة وكثيرة الانتشار قبل المسيح ، ثم خيول ارزروم من اسيا الصغرى ، والنوعان جميلا الشكل صغيرا الحجم سريعا الحركة . ثم الحمير والبغال والكلاب والقطط . اما البرية فمنها الاسد والدب وقد قتلهما داود حول بيت لحم اثناء رعيه الاغنام .

وانقرض الاسد من البلاد في القرن الثاني عشر ميلادى (ذكر المتنبي الاسد في شعره في القرن العاشر) بعد زوال الغابات ، بينما اندحر الدب نحو الشمال الى الجليل وجبال لبنان . كذلك اضمحل حمار البر والنمر والمهى والفهد وندر الغزال والبدن والخنزير البرى والريم . ولا تزال الذئاب والثعالب وابن آوى والضبع والنيص

والغرة والارنب والنمس والقنفد موجودة باعداد قليلة (٣) ٠ (١٢) ٠

اما الطيور فممثله عندنا بانواع عديدة منها الدجاج والحمام داجن وبرى ، والصقر والغراب والنسر والعقاب والرخم والشاهين والبوم والبجع والهدهد والبلبل والفر والقبرة والحداة والزاغ والسمن والسنونو والخفاش وعدد غير قليل من انواع العصافير

اما الزواحف واهمها الثعبان الذى عرف منه ثلاثة وثلاثون نوعا ، منها ثلاثة انواع سامة ، ثم السلحفاه والحرذون والبرصع والساحلية والفأر والجرذون ثم العقرب بنوعيه ام قرص والاربعينية ، وعصا موسى والجراد والجندب وفرس الملاك ٠ ثم النحل والدبور ٠ وقد ادخلت تربية النحل لحني العسل هذه البلاد زمن الاسكندر الكبير (٣٣٠ ق م) بينما كان العسل قبلا يجني من النحل البرى ٠ (١٢) ٠ (٩) متى (٣:٤) حيث كان يوحنا المعمدان يقتات الجراد والعسل البرى ٠ وصموئيل الاول (١٤ : ٢٥) "وجاء كل الشعب الى الوعر وكان عسل على وجه الحقل" ٠

اما الجراد فكان كارثة طامة تنتاب البلاد بين فترة واخرى منذ اقدم العصور الى اليوم يوئيل (٢ : ١) "انه عدد لا يقهر" ٠ وهو على انواع ، منه ما يوءكل ٠ وكانت احدث كارثة جراد اصابت البلاد عام ١٩١٤ م فترك الارض قاحلة لا خضار عليها وجرد الشجر من ورقه ولحائد ٠ وقد زحف بعد هذا العام عدة مرات على البلاد لكند لم يسبب ذلك الضرر الفادح كالسابق اذ ان المكافحة اصبحت فعالة والتعاون الدولي اشمل ٠

هذا مجمل مقتضب عن نباتات وحيوانات البلاد ٠ واشتهرت منطقة بيت لحم بخصبها حتى دعيت زمن الكنعانيين بافراتا (الخصبة) ، وشيدوا لالهم بيتا دعي بيت ايلي لاحاما الذى تطور الى بيت لحم مع الزمن ٠

ومن يتذكر كيف كان محيط بيت لحم مقفرا تنتشر فيه الصخور العارية والحصى وتندر فيه الاشجار والمزروعات ٠ وتلاحظ فيها خرائب القصور المستديرة التي كانت سابقا للسكن والمراقبة في مواسم القطاف والحصاد ، وتجد المعاصر المنقورة في الصخر لعصر العنب منتشرة وعديدة في هذه الجبال القاحلة اليوم تنبيء بماض زاهر وحاضر كئيب (اشعيا ٥ :٢) "فنقب ونقى حجارته وغرسه كرم سورق وبنى برجا في وسطه ونقر فيه معصرة فانتظر ان يصنع عنبا ٠٠" (٩) ٠

اما اليوم فعادت الحياة لندب فيها من جديد فانتشرت زراعة الشجر المثمر والعبر

المثمر في وحول بيت لحم ومنطقتها . فزاد عدد شجر الزيتون بكميات كبيرة عما كان عليه آخر عهد الانتداب البريطاني حيث كان في منطقة بيت لحم خمسة واربعين الف شجرة زيتون عام ١٩٤٧ فاصبح عام ١٩٧٣ فوق المئة والثمانين الف شجرة . كما زاد انتشار زراعة الاشجار المثمرة الاخرى كالمشمش والتفاح والكمثرى والخوخ وانواع الكرمة المتعددة واللوز والدراق والكرز والتوت والليمون الحامض . والوضع في ازدياد مستمر لولا نكسة الاهمال للارض التي نتجت عن نزوح العمال من ارضهم للعمل في المدن بعد بداية السبعينات . اى بعد الاحتلال الاسرائيلي .

بيــــت جــــالا

هي البلد الكنعاني القديم جاليم التي ذكرت في التوراه الترجمة اليونانية السبعينية حيث يسرد يشوع (١٥:٥٨) اسماء المدن والقرى فيقول "تقوع، افراتا وهي بيت لحم ، بيور ، عطام ، كولون ، طاتام ، سوريس ، كاريم ، جاليم ، بيتير ومناخ احد عشر مدينة مع ضياعها" . والاسم آرامي معناه بساط الاعشاب والزهور والرياحين ذكرها اشعيا (١٠:٢٨) في التوراه في وصفه لزحف ملك آشور بجيشه من الشمال نحو الجنوب ليترك خلفه الدمار وينشر امامه الرعب فقال "قد جاء الى عيات ، عبر بمجرون ، وضع في مخماش امتعته ، عبروا المعبر . باتوا في جبع . ارتعدت الرامة هربت جبعة شاول . اصهلي بصوتك يا بنت جاليم . اسمعي يا ليشة .." (٩) .

وتقع بيت جالا الى الغرب والشمال الغربي من بيت لحم ، منتشرة على السفح الشرقي لجبال عالية منها جبل المراح والرأس (افرست اليوم) وخربة النجار على طريق دير كريمزان ويتبع لها ومن اراضيها خربة كابار جهة كلية طاليتا قومي للبنات جنوب غربي المدينة . ثم خربة القصير وهي غربي البلدة وشمال قرية الخضر ، ثم القاعة الى الشمال من الدهيشة والمخرور وترتفع بيت جالا عن سطح البحر بنحو تسعمئة متر ، اما جبل الرأس ٩٢٣ مترا .

واعتقد البعض ان بيت جالا هي "جيلوه" مدينة مستشار الملك داود الداهية ، اخيتوفل ، الذى انحاز لابشالوم المتمرد على ابيه وفي النهاية عند فشل ابشالوم وانكشاف امرد خنق نفسه فيها . الا ان البحوث العلمية اظهرت ان جيلوه ليست بيت جالا اليوم . فتذكر التوراه ان ابشالوم طلب من ابيه السماح له بالذهاب الى حبرون ليوفي نذره للرب (صموئيل الثاني ١٥:٧) ، بينما حقيقة الامر ان اراد ابشالوم الابتعاد عن اورشليم مجمعا مناصريه حوله في حبرون ليعلن نفسه ملكا فيها ، وهنا طلب من اخيتوفل الجيلوني ان يحضر اليه (صموئيل الثاني ١٥:١٢) "وارسل ابشالوم الى اخيتوفل الجيلوني مشير داود من مدينة جيلوه ، اذ كان يذبح ذبائح وكانت الفتنة شديدة وكان الشعب لا يزال يتزايد مع ابشالوم" . (٩) . وكانت مشورة اخيتوفل ذات قيمة عظيمة قيل عنها "كمن يسأل بكلام الله" صموئيل الثاني (١٦:٢٣).

فطلب ابشالوم ان يحضر اخيتوفل بينما بدأ هو في الاحتفال والتقدمة يدل على

فصر المسافة بين حبرون وجيلوه ، اى يجب ان تكون جيلوه مجاورة لحبرون . كذلك لو كانت جيلوه هي بيت جالا اليوم لاخذ ابشالوم المستشار اخيتوفل معه عند ذهابه من اورشليم الى حبرون . ونعود الى التوراه لنجد اسم جيلوه في سرد يشوع (١٥: ٥١) لمدن جبال اليهودية هو الحادى عشر في تعداد تسع واربعين مدينة من الجنوب الى الشمال . اى ان جيلوه تقع في الخمس الاول الجنوبي من قائمة مدن يهوذا قرب حبرون . فهي اذا خربة جالا اليوم الواقعة في منطقة الخليل والى الشمال الغربي من حلحول والى الشرق من خاراس (١) (٤٧) .

ولم تكن شهرة جاليم مثل شهرة جيلوه موطن المستشار الداهية اخيتوفل المشهور

وهكذا تكون الادعاءات والتكهنات التاريخية عن مسح شاول ملكا من النبي صموئيل في مرتفعات بيت جالا مجرد اقوال لا تأييد لها ولا اثبات . فرواية القصة في التوراه مبهمة تزبد في البلبلة . زد على ذلك زوال معظم الاماكن والاسماء القديمة من عهد التوراه وتناقض الاراء والحديث عن مواقع بعض الاماكن . فيذكر صموئيل الاول (١٥: ٣٤) "وذهب صموئيل الى الرامة . واما شأول فصعد الى بيته في جبعة شاول" . (٩) وتقع جبعة شاول او قبية شاول في سبط بنيامين شمالي اورشليم حيث من هناك ارسل قيس ابنه شاول مع غلام ليفتشا عن حميره فاتجها من هذا المرتفع شمالا ثم غربا ثم نحو الجنوب حيث جاءا مدينة قيل عنها "هنا اليوم الرائي النبي صموئيل ليقدم الذبيحة على المرتفعة (صموئيل الاول ٩: ١٢) . وفي هذا المرتفع مسح شاول ملكا على شعبه . وقال صموئيل له "في ذهابك اليوم من عندى تصادف رجلين عند قبر راحيل في تخم بنيامين في صلصح فيقولان لك قد وجدت الاتن التي ذهبت تفتش عليها .. وتعدو من هناك ذاهبا حتى تأتي الى بلوطة تابور فيصادفك هناك ثلاثة رجال صاعدون الى الله الى بيت ايل" . (صموئيل الاول ١٠: ١ – ٣) .

ان المضلل في هذه القصة هو ذكر قبر راحيل . فحلل بعض المجتهدين ان لقاء شاول وصموئيل لم يكن في الرامة بلد صموئيل في سبط بنيامين ولا في رماثيم صوفيم مكان مولده في جبال افرايم ، بل في مرتفعات بيت جالا – المراح – حيث جاء صموئيل ليقدم الذبيحة على الجبل بينما مر شاول ببئر عونه سائلا الساقيات ان كن قد رأين حمير ابيه وصعد من هناك الى الجبل حيث التقى بصموئيل الذي مسحه ملكا واطعمه ساق الذبيحة وفي عودته قادته طريقة دونما صعوبة الى قبر راحيل .

اما ولما كان قبر راحيل الحقيقي هو ليس ما نراه اليوم على مدخل مدينة بيت لحم بل في تخم بنيامين في صلصح الى الشمال الشرقي من القدس فينفي هذا ان يكون المسح قد جرى في مرتفعات بيت جالا التي لم يذكر ان فيها مكان تقدمه ليصعد صموئيل اليه للتعبد . اما مكان قبر راحيل اليوم قرب بيت لحم فهو نصب تذكارى لا حقيقة تاريخية ، اتخذه اليهود بعد عودتهم من السبي وبعد تدمير قبرها الحقيقي وزواله ، اذ كانت وفاتها في طريقها الى بيت لحم افراتا .

وتروى التوراه قصة يذكر فيها صموئيل الاول (١٨:٢٥ ـ ٢٨) وصموئيل الثاني (١٤:٣ ـ ١٦) ان زوج شاول ابنته الصغرى ميخال لداود اذ كان شاول قد وعد بزواجها ممن يقتل مئة من الفلسطينيين .

وخلصت هذه زوجها من نقمة ابيها . واخيرا اعاد شاول ابنته من داود خصمه وزوجها من فالطيل بن لايش من جاليم . ولما صار داود ملكا ارسل اشبوشت ابن شاول ليعيد اخته لزوجها الاول داود فلحقها فالطيل باكيا حتى وصل باخوريم (صور باهر) فخاطبه آبنير بن نير ان يعود الى بيته فرجع . وباخوريم تعني الصخور المجوفة وهي صور باهر اليوم . (٩) .

وبقيت بيت جالا صغيرة في حجمها وعدد سكانها ترقب مجرى الاحداث في جارتها بيت لحم عن كثب . وقد اصابها من الويلات والدمار ما اصاب جارتها . فلاقي اطفالها نفس المصير في مجزرة هيرودس ، خوف ان يكون الطفل المسيح قد هرب اليها . كما دمرت وقتل وشرد اهلها في العصور اللاحقة . وسكنها النساك والاتقياء كالقديس نقولا الذى جاء من ميرا وسكن كهفا صغيرا هي صومعته تحت الكنيسة المعروفة باسمه اليوم في شرق المدينة . ويظهر ان البلدة صعرت وكادت تخلو من السكان اثر موجات الحروب الصليبية حيث اقتص الصليبيون من اهلها العرب المتعصبين لعروبتهم ولكنيستهم الارثوذكسية الشرقية (٥٥) ثم الاضطهادات والملاحقات زمن حكم المماليك والاتراك . الى ان بدأت تؤمها موجات جديدة من السكان اللاجئين في القرن الثامن عشر وما بعد على اثر الاضطهادات الدينية التعسفية زمن الاتراك ليكون اهلها تحت حماية الدول المسيحية المسؤولة عن الاماكن المسيحية المقدسة آنذاك .

والى الشمال الشرقي من المدينة وفي اسفل الوادى يوجد نبع ماء قديم عميق كان المورد الرئيسي للسكان ومواشيهم يدعى بئر عونة ، والكلمة ارامية قديمة تعني بئر المواشي . كذلك يدعى بئر سنحاريب بن سرجون الاشورى الذى حكم بين عام ٧٠٥ و ٦٨١ ق م . وكان سنحاريب قد عسكر مع جيوشه حوله عام ٧٠١ م م عندما حاصر اورشليم (٥٥) ، (٦٤) واصاب جيشه مرض الطاعون هناك فهلك مئة وخمسة وثمانون الف جندى مما اجبره على الانسحاب والعودة الى نينوى . (الملوك الثاني ١٩) (٩)

وتروى عن البئر القصص الخيالية التي يغلب انها انتشرت زمن الاحتلال الصليبي فيقال ان العذراء مريم مرت بالبئر وهي عطشى ففارت مياه البئر الى الحافة حيث شربت منها ثم غارت .

وامر البطريرك الارثوذكسي كيريلوس حوالي عام ١٨٦٧ م بأن تبنى غرفه حول باب البئر اعانة للبلدة . وقام بالبناء اسحق المصو والد المرحوم يوسف اسحق المصو المتوفي عام ١٩٧١ عن عمر يناهز المئة عام . وكان البطريرك كيريلوس الثاني هو اول بطريرك يعود من مركز منفاه استانبول الى القدس . حيث كان مركز بطاركة القدس منذ احتلال الصليبيين للبلاد . اعتلى كرسي البطركية عام ١٨٤٥ ويعتقد بعض المؤرخين ان بيت جالا اخذت اسمها بيت بساط الزهور والاعشاب مما كان ينمو في محيط هذا النبع والوديان القريبة منه من خضرة وزهاء وجلوة . بينما ترجم احدهم واسمه ابا باركاهنا (Abba Bar Cahanna) الاسم جاليم ببيت المتجولين لاعتقاده ان ابرهيم واسحق ويعقوب تجولوا فيها (٧٠) الا ان الاسم كما ذكرنا اقدم من هؤلاء وكنعاني الاصل .

ويذكر المسنون اليوم من اهالي المدينة ان مقاما باسم النبي جدعون كان الى الشمال الشرقي من سوق الخضرة اليوم ازيل بتوسيع الطريق الصاعد شمالا ، كان المتدينون يضيئون فيه سرج الزيت تقدمة لشفاء مرضاهم . وتروى القصص الخيالية المتعددة عن اطفاء السراج مرارا لمريض لاشفاء له ، ويبقى الاخر مشتعلا ويشفي من قدم من اجله ولم يكن جدعون نبيا حسب ذكر التوراه بل احتير ليقود الاسرائيليين للتخلص من نير عبودية المدينيين (٩) (القضاة ٦ ـ ٨) وكان مسكنه منطقة الطيبة ـ رام الله . ولم تعرف له علاقه ببيت جالا او جاليم في تلك الايام . وقد صورت قصة جدعون وجزة الصوف على زجاج نافذة من نوافذ كنيسة اللاتين في المعهد اللاهوتي في البلدة .

وقد شيد امام سوق الخضرة مركز تجارى هام وعماره صخمه من عدة طبقات بين عامي ١٩٧٥و١٩٧٦ .

وكان سكان بيت جالا روما ارثوذكسا ، يقيمون شعائرهم الدينية في كنيسة القديس نقولا القديمة التي بناها الكرج زمن الاتراك . ولما اصبحت صغيرة بالنسبة لعدد الطائفة ، كما اصبحت متداعية ، هدمها الاهلون في الثلاثينات من هذا القرن مشيدين مكانها الكنيسة الحالية بشكل اوسع وافخم وعلى اسم القديس نقولا شفيع العلماء والذى تنسك في صومعة تحت هذه الكنيسة ينزل اليها بدرجات منحوتة في الصخر . وقد اقيم في الصومعة هيكل صغير لذكرى القديس نقولا صاحبها والتي كانت معبدا للمتعبدين اكثر من الف عام ، كما ومخبأ للفارين من الاضطهادات الدينية . وفي الصومعة بقايا فسيفساء قديمة .

وشيد دير الروم له ديرا في وسط البلدة الى الجهة الجنوبية من الساحة المدعوة بالمنشية كما شيد كنيسة العذراء مريم الى الغرب من المنشية زمن البطربرك كيريلوس الثاني عام ١٨٦٠ وترى في الكنيسة هذه حجرا ضخما احمر اللون مجوفا مسودا في قاعتها الى الغرب من مكان المرتلين الشمالي يعتقد الاهلون انه الحجر الذى اختبأت في تجويفه العذراء مريم في طريقها مع خطيبها يوسف الى بيت لحم . وذكر الحجر سابقا في منطقة مار الياس بين القدس وبيت لحم نقل فيما بعد الى كنيسة العذراء في بيت جالا .

وكان عدد الروم الارثوذكس في البلدة عام ١٩٠٥ يساوى ٣٨٥٢ نسمة اما عام ١٩٨١ فبلغ عددهم اربعة آلاف وخمسمئة تقريبا .

طائفة اللاتين : اصدر البابا بيوس التاسع براءة بابوية بتجديد البطريركية اللاتينية في الاراضي المقدسة بتاريخ ١٨٤٧/٧/٢٣ وسيم المنسنيور يوسف فاليركا اول بطريرك على فلسطين . ولما جاء القدس لاقى معارضة شديدة من الرهبنة الفرنسيسكانية التي كانت تقوم برعاية الطائفة والمحافظة على شؤون الاماكن المقدسة في البلاد . فرفضت تسليم الاماكن هذه للبطريرك ولا ما كانت تتلقاه من هبات ومعونات من اوروبا وساندهم في ذلك والى القدس التركي الذى عصى امر السلطان الذى طلب منه مساعدة البطريرك الجديد . وانقسمت الطائفة الى جماعتين الواحدة مع الفرنسكان ضد البطريرك والاخرى معه عدا مناوءة الطوائف المسيحية الاخرى في البلاد له مما اجبره على ترك القدس بعد وصوله اليها (١٨٤٨/١٢/١٧) مسافرا الى استانبول محاولا بمعونة السفير الفرنسي تذليل المصاعب التي واجهته ومن هناك سافر الى روما فباريس لنفس الهدف . وعندما عاد الى ارض فلسطين جاء ليستقر في بيت جالا حيث اسس

اول طائفة لاتينية له فيها عام ١٨٥٣ م . وهذا ما اثار عليه المتاعب الجديدة من البطريركة الارثوذكسية وممثليها في بيت جالا والطائفة الارثوذكسية فيها فهاجموه محاولين قتله مع من معه ، فهربوا منها الى مدينة يافا مستقرين فيها عامين الى ان تدبر الامر مع السلطات وحصل على الامر بالاقامة في القدس مع تأمين حياته وتعويضه عما لحق به من ملاحقة واضرار وذلك بمساعدة وعضد الحكومة الفرنسية له امام السلطات التركية . كما عزل الوالي التركي الذى ناوءه .

وشيدت البطريركية اللاتينية لها ديرا يحوى معهدا لاهوتيا (Seminar) وكنيسة البشارة الجميلة ، يقال انها بنيت على مرتفع يدعى عراق الجزة نسبة الى قصة جزة صوف جدعون في التوراه . ثم بيتا صيفيا للبطريرك في ١٨٥٧/١١/٧ م ، قام بتصميمها الكاهن المهندس موراتين .

وقد زيد على هذه العمارات عمارتان ضخمتان للمعهد اللاهوتي في الخمسينات من القرن العشرين . وبلغ عدد طائفة اللاتين عام ١٩٠٥ م خمسمئة وستون نسمة . بينما هو اليوم في عام ١٩٧٨ ثمنمئة نسمة فقط وذلك لهجرتهم الى الخارج بعد المآسي التي حلت باهل البلاد بينما عدد اللاتين المهاجرين من نفس البلدة يزيد عن الثلاثة آلاف نسمة .

الطائفة الانجيلية : بدأت الجمعية الالمانية الانجيلية بنشاط التبشير في بيت لحم وبيت جالا وبيت ساحور والخليل بعد ان انفصلت عن المركز الاسقفي الانجيلي في القدس عام ١٨٥٢ م بثماني سنوات . وكانت الكنيسة الانجيلية في فلسطين قد تأسست في فلسطين عام ١٨٢١ م من الجمعية المشيخية الاميركية ١٨١٨ م وجمعية يهود لندن (١٨٢٣) ، ثم اتحد معهما فريدريك وليم الرابع ملك بروسيا الالماني موءسسين مركزا اسقفيا انجيليا متحدا في القدس عام ١٨٤١ م ومستشفى لمعالجة اليهود المتنصرين .

واول ما بدأ نشاط الجمعية هذه يظهر في بيت جالا حيث شيدت لها مدرسة عام ١٨٧٠ م الحقتها ببناء كنيسة بجوارها كلف بناوءها عشرون الف مارك دشنت في ١٢/١٦ من عام ١٨٨٦ م . وكان اول قسيس عين لرعاية الطائفة الانجيلية هو القس بشارة كنعان والد الدكتور توفيق كنعان الذى عمل في المستشفى الالماني في القدس

ثم في مستشفى اوغسطا فكتوريا بعد حرب عام ١٩٤٨ ٠ وكان هذا التعيين في اول تموز ١٨٧٩ م واخذت نواة الطائفة الانجيلية في بيت جالا في النمو فالتحق بها كبير عائلة ابو دية جريس سليمان ابو دية مع حمولته في عيد الفصح من عام ١٨٧٩ م منشقا عن الكنيسة اللاتينية بسبب خلاف معها ٠ وعمل الابن سليمان جريس ابو دية اول معلم في المدرسة الانجيلية في بيت ساحور عام ١٩٠١ م ٠ وطائفة بيت جالا الانجيلية هي اكبر الطوائف الانجيلية في المنطقة لقدم تأسيسها ٠ ومع كل ذلك فلم يزد عددها حتى عام ١٩٧٣ عن مئتين وخمسين نسمة ، بينما كان عددها عام ١٩٠٥ مئة وستة وسبعون نسمة ، وذلك للهجرة المستمرة بسبب سوء الاوضاع السياسية فالاقتصادية ٠

وللطائفة مقبرة مشتركة مع طائفة بيت لحم الانجيلية كما كان يدفن فيها ابناء طائفة القدس الانجيلية قبل عام ١٩٦٧ ٠ وهي الى الغرب من شارع القدس ـ الخليل العام ولا تبعد كثيرا عن منطقة الموردة في بيت لحم ٠

واحتفلت الطائفة الانجيلية في بيت جالا باليوبيل المئوى لتأسيسها في ٦ ايار عام ١٩٧٩ ٠

سكـــان بيـــت جـــالا

ذكرنا ان بيت جالا كنعانية اصلا كانت مأهولة منذ قبل التاريخ ٠ ورأت من الحروب والشعوب ما مر وجرى لكل فلسطين ٠ فأخذها الاسرائيليون من اهلها الكنعانيين ، ودمرها سنحاريب ومن بعده نبوخذ نصر واخلاها من سكانها الا العجزة وافقر الفقراء ٠ ثم جاءها الهلينيون فالرومان ٠ واصاب اطفالها نفس النصيب الذى اصاب اطفال بيت لحم زمن هيرودس ظنا منه انه سيقتل الطفل يسوع ، الملك المنتظر ، بين هؤلاء الاطفال ، ولا بد ان دمرها هادريان في حربه ضد اليهود عام ١٣٥ م حيث اخرج اليهود من بيت لحم وجوارها ومنعهم من دخولها بحكم الموت ٠

وحارب اهل بيت جالا مع الجيوش العربية الاسلامية ضد زحف الصليبيين عام ١٠٩٩ م لذا انتقم منهم الصليبيون ٠ وأفل نجم بيت جالا حتى خلت من السكان فترة من الزمن بدأت تدب فيها الحياة سن جديد في القرن الثامن عشر وبسبب الاضطهادات والملاحقات التركية لاتباع الديانة المسيحية من سكان البلاد الخاضعة لسلطتها ، مما اضطر الكثير من العائلات المسيحية الى ترك مواطنها واللجوء الى المدن والقرى التي تخضع للحماية المسيحية من الدول الاجنبية ٠ اذ كانت فرنسا وروسيا مخولتين حماية الاماكن المقدسة المسيحية مع الطوائف والحجاج المسيحيين ٠

ومن اقدم سكان بيت جالا حمولة الكوالحة ٠ فهاجر اربعة اخوة من منطقة وادى موسى في شرق الاردن (ومن بقايا دولة الغساسنة المسيحية) التجأ احدهم الى مدينة الكرك مؤسسا حمولة العكشة ، بينما استوطن الاخ الثاني البلقاء مؤسسا حمولة الرباضية ٠ اما الاخوان الاخران فجاءا منطقة بيت لحم حيث سكن فرح مدينة بيت لحم ودعي نسله بحمولة الفرحية ٠ بينما كولح استوطن في بيت جالا مؤسسا حمولة الكوالحة التي تتألف من عائلات المصو ، بدر ، جعنيني وصنصور الموجودة اليوم في بيت جالا وتنتمي للحارات المختلفة في المدينة ٠

اما وجود قسم من عائلة المصو في بيت لحم فيرجع لعام ١٨٧٢ م حيث حدث شجار بينهم وبين عائلة الحذوة من حمولة السماعنة اسفر عن مقتل اربعة رجال وامرأة من عائلة الحذوة مما اجبر عائلة المصو على الجلاء عن بيت جالا والالتجاء الى بيت لحم ، واخذت عائلة الحذوة ثأرها من جريس اسحق المصو ابن عميد عائلة المصو اذ

قيدوا اطرافه والقوا به في برك سليمان حيث تركوه ميتا فيها عام ١٨٨٢ . وبقي قسم من عائلة المصو في بيت لحم منذ ذلك الوقت . كما بقي بعض العائلات التابعة للكوالحة في عين كارم ومادبا بعد جلائهم عن بيت جالا على اثر الاشتباك المذكور بسبب وطأة قدم رجل من حارة الصرار على قدم امرأة تدعى حمامة من السماعنة من عائلة الحذوة فسر الحادث كاعتداء على كرامتها وتسبب في مقتل اربعة رجال وامرأة جلى قسم كبير من حمولة الصرار على اثره عن بيت جالا .

ويقسم سكان المدينة الى خمس حارات حسب سكناهم . وكلما لجأت جماعة جديدة الى البلدة اخذت لها مسكنا في هذه الحارة او تلك واصبحت تنتمي اليها في الحقوق والواجبات في الافراح والاتراح . وتتألف الحارات من مجموعة من الحمائل والعائلات المختلفة في اصلها ومصدرها . لا تمت لبعضها بقرابة او نسب . الا ان المحيط الجديد والمصير الواحد والمصلحة المشتركة في الحماية والبقاء صهرتهم في بوتقة واحدة فاخرجت مواطنا بيتجاليا عرف بالدأب والنشاط والنجاح في كل مضمار يقتحمه . ففي المدينة عدد من المثقفين والمتعلمين والادباء ورجال الاقتصاد الناجحين والفنانين . ناهيك عما يعيش في المهجر من رجال اقتصاد يشار اليهم بالبنان من ابناء هذا البلد واليكم حارات بيت جالا كما هي اليوم .

١ ـ حارة السماعنة : وتتألف من الحمائل التالية :

أ ـ السماعنة وهم العائلات التاليه : الحذوة ، الصراص ، ابو زغيبرة ، بشارة ، السقا ، رزق الله ، ابو جريس ، ابو عوض .

ب .الحصينات وهم : الحصين ، التيت ، ربيع ، مصلح ، العرجا ، ابو السبل ، مكركر ، حنا صالح ، الدغش ، مبارك ، وزريني ، زيت وعودة ، وجريس .

جـ ـ الثعالبة وهم : شحادة ، عودة ، صلاح ، ابو سعدى ، شهوان ، عواد ، والسخول .

٢ ـ حارة الصرار وتتألف من الحمائل التالية : الشمامسة : العرارفه ، الدقامقة ، الخورة ، الظروف ، الجربان ، المتسربين ، الرزوز ، الخرفان ، والقطان .

وسنذكر فيما بعد العائلات التي تكون هذه الحمائل ومصدرها على قدر الامكان .

٣ ـ حارة العراق : وتتألف من حمائل : أ ـ النواوية وهم عائلات خليلية ، قيسية ، طبخ ، داود ، سلمان ، القحاط ، خميس ، ابو عبارة ، برهم ، العلم ،

سابا ، ابو غوش ، سلامة .

ب ـ الغوالي وهم عائلات : ابو مهر ، ابو شاورية ، المتواسي ، بندى ، قسيس ، شتلة شرف ، مسعد ، ابو سعد ، واوى ، وسابا خليل .

٤ ـ حارة الدير : وهم عائلات مطر ، مترى ، ابو قبع ، غريب ، نزال ، مفدى ، خمشتة ، نجار ،سابا ، شاهين ، علام ، حبيبة ، وزيدان .

٥ ـ حارة الكينس : وتتألف من اربع حمائل هي :

أ ـ القصاصفة وتتألف من عائلات الاعرج ، ابو تم ، الزمر ، ابو رمان ، خميس وابو شريره.

ب ـ الجويجات وهم عائلات ابو عيد ، ابو غطاس ، المحريز ، ابو عمشا ، ابو هدبه ، ابو حنك ، تخمابي ، منصور .

جـ ـ الشمرة : وهم عائلات كعبر ، زيادة ، كنكر ، عقل ، الشاعر .

د ـ العواوية وهم عائلات سمعان ، الخورى جريس يعقوب ابرهيم ، كفاتي ، شاهين .

ونعود الان لشرح التسمية للحارات والعائلات والتي توعز لنا عن مصدر تلك العائلة او الحمولة .

فاخذت حارة السماعنة اسمها من قرية السموع ـ قضاء الخليل ـ فيقال ان عائلة الصراص جاءت من بلدة البصيرة الواقعة ما بين الشوبك والطفيلة في جنوب شرق الاردن . جلوا عن البصيرة بسبب حادث قتل ملتجئين الى قرية السموع في فلسطين ثم جلوا من السموع وسكنوا خربة "عيد المية" المعروفة بخربة عيد المنية الواقعة غرب صوريف على رأس واد السمط . ورحلوا من هنا بعد ان ادموا بقتل مئة رجل وكلب فالتجأ قسم منهم الى بيت جالا والقسم الاخر الى بيت نتيف ويعرفون هنا بعائلة الصرار .

اما عائلات العرجا وابو زغيبرة والسقا وبشارة ورزق الله فمن السموع بينما جاءت عائلة الحذوة من الشوبك وقدم اجداد عائلة ابو جريس وهم الاخوان جريس وابرهيم من طيبة رام الله الى بيت جالا منضمين الى حارة السماعنة . اما عائلة ابو عوض فيقال ان اصلها من مصر .

وجاء اجداد حمولة الحصينات من الحصن في شرق الاردن ، انضم اليهم جماعة من الرينة في شمال فلسطين ، واخرى من الولجة التي كانت الى الشمال الغربي من مدينة بيت جالا . دمرها وازال معالمها الاسرائيليون بعد حرب عام ١٩٤٨ .

اما عائلات مصلح وزيت وعرجا وعودة وابو السبل وجريس فجاءوا من طبالية الى الغرب والشمال الغربي من دير مار الياس على طريق القدس بيت لحم قبل حوالي مائتي عام .

وجاءت حمولة الثعالبة المؤلفة من عائلات شحادة ابرهيم ، صلاح ، وعودة خليل وابو سعدى الذين قدموا من بيت ارزا قرب شرافات جنوب القدس الى بيت جالا قبل حوالي مأتي عام . بينما القسم الاخر من حمولة الثعالبة مثل عائلات سخول ، عواد ، وشهوان فقسم من بيت اسكارية (بيت زكريا) والاخر من اللد .

بينما يذكر مصدر آخر ان اخوين جاءا من قرية شهوان قرب بكفيا في لبنان الى فلسطين ، سكن الاول القدس واسلم زمن تركيا وتشعب من نسله جماعة سكنت غزة في جنوب فلسطين ، بينما سكن الثاني بيت جالا وبقي مسيحيا هو جد عائلة شهوان اليوم

اما الحمائل التي تؤلف حارة الصرار فهي :

أ ـ الشمامسة وتضم عائلات المصو وغريب واصلهما من وادى موسى من الكوالحة . بينما عائلات عبد ربه ورزق وتوما جاء جدهم زخر من اللد وانضم الى حمولة الشمامسة في بيت جالا .

ب ـ العرارفة وهم عائلات بدر ، ابو سليمة ، صنصور ، ابو شايبة واغبار وعاقلة . وقد جاءوا من الشوبك من شرق الاردن ومن نسل الغساسنة .

جـ ـ المتسربين وهم عائلات جراد ، نور ، الكسيح ، شاهين ، هودلي وداود الشاعر ، جاءوا قبل ما يزيد عن مأتي عام من بيت ارزا وسكنوا حارة الصرار في بيت جالا متسللين اليها العائلة بعد الاخرى فدعوا بالمتسربين .

د ـ الدقامقة وهم عائلات يعقوب عيسى دقماق ، دعمس ، ابو دية ، بشارة فرح ويوسف عوض ، وعودة سلامة . يظن ان الاسم فرنسي الاصل ويعتقد انهم من بقايا الصليبيين .

هـ ـ الرزوز وهم عائلات الصوص ، جعنيني ، القسيس ، موسى ابرهم ، المصرى

جاءوا مع المتسربين من بيب ارزا . وينبع حمولة الرزوز كل من عائلة موسى عودة وحنا البجالي من سكان مادبا اليوم حيث رحلوا اليها ابان الجلاء عام ١٨٧٢ م على اثر حادث القتل بين عائلة الحذوة والمصو .

و ـ القطاطنة : هناك روايتان عن مصدر عائلة القطان . الاولى ان اخين جاءا من مصر وسكنا منطقة بيت لحم كتجار قطن فعرفا بعائلة القطان . الا ان احدهم اخذ يشترى الدبس من منطقة بيت لحم ليبيعه في مدينة اللد حيث عرف هناك بالدباس . واخيرا سكن هناك موءسسا عائلة الدباس .

بينما ذكر لي الاستاذ نقولا يعقوب القطان الرواية التالية عن اصل عائلة القطان . جاء اخان من بلدة الزوق قرب جونية في لبنان ، سكن الاول يافا واحترف تجارة الدبس فعرف ونسله بعائلة الدباس . بينما سكن الاخ الثاني مدينة اللد محترفا بيع القطن فدعي ونسله بالقطاطنة . نزح منهم اربعة اخوة الى منطقة بيت لحم حيث سكن واحد في بيت جالا والثلاثة الاخرون في بيت لحم وكان القطاطنة روما ارثوذكسا ، كما جاء في كتاب كاهن طائفة اللاتين في الرملة جوابا على استفسار كاهن طائفة اللاتين في بيت لحم عن شاب من عائلة القطان جاء الى بيت لحم واراد الزواج من عروس لاتينية . فاجابه كاهن مدينة الرملة "بان الشاب اعزب ومن اتباع المذهب الارثوذكسي

ز ـ الخورة وهم عائلات غانم الجمالبة ، بولص ، جريس ، الشالح ، البدوى ، اليتيم وعيسى حند ، وهم كوالحد من الشوبك ووادى موسى .

ح ـ الجربان وهم عائلات ابو غنام ، اغنيم ، صوى ولولص . ويعتقد ان مصدرهم من عرب التياهه عربان بئر السبع وهم من اليمن اصلا (جراب جربان)

ط ـ المظروف وتضم عاملات اسطفان ومصدرها من لبنان ، ثم نصر الله ، زيدان قطيمي ، عمرو ، وابو صباح وهم اصلا حمولة واحدة مع الجربان انفسخوا بسبب مشاكل عائلية واصلهم من عرب التياهه من اصل يمني بينما باقي سكان بيت جالا فهم قيس (ظرف ظرفان) .

ى ـ الخرفان : يقال ان جد عائلة خروفة من اصل مغربي من مراكش كما يعرف ان عرب منطقة هيرودس وسكان عين كارم العرب هم من عرب الاندلس (٧٠)

اما اصل الحمائل التي تؤلف حارة العراق فهي هكذا :

أ ـ اخذت حمولة النووية اسمها من نينوى في العراق ، رحلت الى شرق الاردن فى منطقة الكرك ومادبا وتعرف هنا .بعشيرةالعزيزات واصلها من العراق (٥٧) ومن عشيرة العزيزات قدم ثلاث اخوة اجداد عائلات خليلية ، قيسية ، علم ابو غوش ، ابو عبارة ، جبرا خميس ومنصور وسلمان وبرهم ، وسلامة وطبخة الى بيت جالا من ربة الكرك وفي بيت جالا انضمت اليها عائلة مخلوف الدقماقية لعدم تمكنها من دفع قسط دية عليها بعد حادث قتل من عائلتهم ٠ وكانا اخوين فقيرين هما يوسف وابرهيم لقيا كنزا فيما بعد اثناء حرث ارض في خربة خميس ، جرملة ٠

ب ـ اما حمولة الغوالي فيقال ان اصلها من المغول الذين اكتسحوا البلاد زمن خلفاء جنكيزخان ، المماليك التتر في القرن الخامس عشر ثم التجأوا رويدا رويدا الى بيت جالا من اماكن سكناهم ٠ وهم عائلات ابو مهر ، ابو سعد ، مسعد ، شرف شتلة ، قسيس ، مواسى ، بندى ، واوى ، سابا خليل وابو شاوربة ٠

وتتكون حارة الدير من العائلات البي سكنت حوالي دير وكنيسة الروم وهي زعرب مترى ، ابو قبع ، غريب ، نزال ، مفدى ، نجار ، خمشتة ، سابا وشاهين ٠ وبدعون بالعساتنة وهي من بقايا دولة الغساسنة المسيحية ٠

وانضم اليها جد عائلة مطر اذ يقال انه جاء ثلاثة اخوة من عبلبون شمال فلسطين وسكنوا بيت جالا ، بينما التجأ قسم آخر منهم الى سخنين في لبنان ، وحيفا والناصرة وعكا في شمال فلسطين ٠

كما انضمت الى حارة الدير حمولة الحبابيّبه وهي عائلات حبيبة ، علام ، زيدان ومطلق قادمين من بيت ارزا قرب شرافات شمال غرب مار الياس وكانوا يدعون بحمولة الغنيمات لتسربهم وانضمامهم لحارة الدير كالغنم ٠

واخذت حارة الكنيس اسمها لسكنى العائلات المكونة لها حول الكنيسة وهذه العائلات هي حمولة القصاصفة وتتكون من عائلات الاعرج ، ابو تم ، الزمر ، قسطه ،ابو رمان ، خميس وابو شريده وزيدان جاءوا الى بيت جالا من وادى موسى من بقايا دولة

الغساسنة ايضا . وكانت مهنة عائلة الزمر وزيدان التزمير اما عائلة الاعرج وابو رمان وقسطة فطبالين .

ويتبع حارة الكنيس حمولة الجويجات المؤلفة من عائلات ابو عيد ، ابو غطاس المحريز ، ابو عمشا وابو هدبة ومصدرهم من دير ابان (جاجة جويجة) وانضم لحمولة الجويجات عائلات ابو حنك وتخماني .

وكذلك حمولة الشمرة من نفس الحارة . وتتألف من عائلات كعبر ، زيادة ، كنكر ، وعقل . ويقال ان مصدرها من عرب الشمر في جبل حوران في سوريا . اما حمولة العواوية فجاءت من بيت عوى في قضاء الخليل لتسكن حارة الكنيس وتتألف من عائلات الخورى جريس يعقوب ابرهيم (والد الاستاذ المحامي والشاعر اسكندر الخورى البيتجالي) . وسمعان وكفاتي وغطاس .

الطائفة الاسلامية في بيت جالا حديثة العهد وكل ابنائها من لاجئي عام ١٩٤٨ ويقارب عددهم الالف وجلهم من القرى المحيطة ببيت جالا المعروفة بقرى العرقوب وهي المالحة ، الولجة ، عين كارم ، القبو ، بيت نتيف ، دير ابان ، علار ، رأس ابو عمار ، واد فوكين ، وبيت عوى . وكان لسكان هذه القرى واهل بيت جالا علاقات وارتباطات عشائرية سهلت اندماج هوءلاء اللاجئين بأهل بيت جالا . وقد شيدوا لهم جامعا في البلدة القديمة في منتصف السبعينات .

وبعد ان استقرت هذه العائلات في بيت جالا اتفق الاهلون على تقسيم البلدة والاراضي التابعة لها في الداخل والخارج على عدد الانفس الذكور في كل حمولة وعائلة اذ كانت البلدة والاراضي التابعة لها مشاع ، وتبلغ مساحتها اربعة عشر الف دونم .

ويحيط مدينة بيت جالا حرش واسع من اشجار الزيتون اشتهر منذ العهد التركي حيث كانت بيت جالا وجبالها واحراشها مسرحا للحرب الاهلية بل الثورة ضد ابرهيم باشا عام ١٨٣٤ م في منطقتنا ، حيث تمركز الثوار ما بين مار الياس حتى بيت جالا . ولما علم ابرهيم باشا بالامر تحرك بجيشه في الصباح الباكر من الحادى والعشرين من ايار عام ١٨٣٤ مهاجما اياهم بمدفعيته فانسحبوا من منطقة مار الياس الى قرية بيت

جالا حيث لاحقهم الجنود فاخلوها واندحروا الى الجنوب مختبئين خلف الصخور والاشجار . لكن الجنود دخلوا القرية واثناء تفتيشهم عن الثوار عثروا على قسم من ممتلكات الجيش التي كان الثوار قد نهبوها من مراكز الجيش في القدس واخفوها في بيت جالا ظنا منهم ان ابرهيم باشا لن يتعرض لقرية مسيحية ، فثار سخطهم واخذوا في النهب والسلب والتدمير والقتل لمن يواجههم من السكان رجلا كان ام امرأة رغم استغاثتهم واعلانهم نصرانيتهم . فقتل ثلاث وثلاثين نفسا . وكان القتل والنهب ليستمر لو لم يحضر ابرهيم باشا بنفسه ليوقف المجزرة والنهب في البلدة ، وفقد الاهلون ممتلكاتهم من اغنام وماشية وبغال وحمير عدا ما نهبه الجيش من المؤن والحبوب والاثاث .

وفي اليوم التالي توجه الاهالي يتوسلون من الباشا ارجاع بغالهم وحميرهم التي يستعملونها في نقل الحطب لكسب العيش ، لكنه ارجعهم خائبين بعد ان وبخهم واتهمهم بالخيانة والتآمر مع الثوار ثم اللصوصية لاخفائهم اموال الجيش المسروقة في بيوتهم .

وفي الرابع من حزيران عام ١٨٣٤ عاد الثوار فتجمعوا قرب مار الياس فطاردهم الباشا باربعة آلاف جندى ومدفع واحد حتى وصل بيت لحم ، اما الثوار فاختبأوا بعد بيت لحم خلف الصخور والاشجار والمنارس في الجبال المحيطة ولما اقترب الجيش صبوا نيرانهم عليه ثم انسحبوا مختفين في المغر وخلف الصخور والاشجار مستدرجينه الى مكان اختاروه هو وادى ارطاس . وكان الثوار قد اختفوا بعد ملاحقة الجيش لهم ، فظن ان الثوار تفرقوا وانتهى امرهم . فتمركز ابرهيم باشا حول برك سليمان بينما قائده رشيد بك مع عدد من ميرالاياته والف وخمسمئة جندى نزلوا الى واد ارطاس حيث عين الماء ليستريحوا ويطفئوا ظمأهم ويتناولوا طعامهم . فترجلوا من على خيولهم والقوا سلاحهم واسقوا جيادهم ثم اخلدوا للراحة . وفي حين غرة تعالت اصوات مرعبة كما انهالت الطلقات النارية من كل جهة من سفوح الجبال المحيطة للوادى الضيق ، فذعر الجنود العزل ولم يجدوا متسعا من الوقت للدفاع والنجاة اذ كانوا قلة امام حشود الثوار . فالقى المصريون منهم السلاح واستسلموا بينما واصل الجنود الاتراك القتال الى ان كسر ابرهم باشا بمن معه طوق الحصار على الوادى وانجدهم ، لكنه عاد في المساء الى القدس مهزوما مخلفا وراءه قائده وصديقه رشيد بك قتيلا مع ثمانمئة من الجنود بين قتيل واسير. بينما انطلق الثوار مع غنائمهم

واسراهم حتى وصلوا الخليل مودعين الاسرى السجون هناك ومحتفلين بانتصارهم المؤقت • وسيق عشرة رجال من وجهاء بيت جالا يوم ١٤/ ايلول ١٨٣٧ والقيود في ايديهم والسلاسل تغل اعناقهم ، الى القدس حيث زجوا في السجون لوشاية بهم انهم يحوزون اسلحة كان عليهم تسليمها للسلطة • (٦٧) (١٤) •

وامتلكت الحكومة الروسية القيصرية في اواخر القرن التاسع عشر وزمن الاتراك مركزا هاما في اعلى البلدة شيدوا فيه العمارات وافتتحوا مدرسة عالية للاناث عام ١٨٩٠ تخرج منها العديدات ممن اصبحن بعد الاحتلال البريطاني عام ١٩١٧ م وزمن حكم الانتداب قادة العلم والنهضة العلمية في فلسطين • فلم تخل مدرسة حكومية او اهلية من خريجاتها كمديرة او مدرسة لسنين طويلة • ومن سوء الحظ ان توقفت هذه المدرسة بسبب الحرب العالمية الاولى • واستخدمت العمارات هذه زمن الانتداب لتسيير المدرسة الاميرية كما ومقرا لمجلس بلدية بيت جالا ، الى ان شيدت مدرسة حكومية جديدة في الخمسينات للذكور زمن الحكم الاردني في اسفل الجبل الى الجنوب الشرقي من المدينة • بينما بقيت مدرسة الاناث في المسكوبية •

وكذلك شيد مقر للمجلس البلدي جديد الى الشمال من ساحة المنشية مقابل دير الروم في وسط المدينة اليوم في اواخر الستينات ، حيث احتفل بافتتاحه بعد الاحتلال الاسرائيلي عام ١٩٦٧ بقليل وبرآسة السيد جبرا خميس •

وكان قد تأسس في بيت جالا مجلس بلدي عام ١٩١٢ زمن الحكم التركي وقبل بداية الحرب العالمية الاولى بعامين • وقد توالى على رئاسته السادة التالية اسماؤهم منذ تأسسه حتى اليوم عام ١٩٨٢ مع سني مدة الرئاسة :

١ ـ سالم ابو السبل ـ الرئيس الاول من عام ١٩١٢ حتى عام ١٩١٨
٢ ـ جريس ابو ديه ـ الرئيس الثاني من عام ١٩١٨ حتى عام ١٩١٩
٣ ـ نقولا المغدى ـ الرئيس الثالث من عام ١٩١٩ حتى عام ١٩٢١
٤ ـ يوسف توما ـ الرئيس الرابع من عام ١٩٢١ حتى عام ١٩٢٤
٥ ـ يوسف خميس ـ الرئيس الخامس من عام ١٩٢٤ حتى عام ١٩٢٧
٦ ـ جريس ابو عوض ـ الرئيس السادس من عام ١٩٢٧ حتى عام ١٩٢٩
٧ ـ زخريا عبد ربه ـ الرئيس السابع من عام ١٩٢٩ حتى عام ١٩٣٢
٨ ـ اندريا منصور ـ الرئيس الثامن من عام ١٩٣٢ حتى عام ١٩٣٦

٩ ــ سلامة مكركر ــ الرئيس التاسع من عام ١٩٣٦ حتى عام ١٩٣٩
١٠ ــ حنا مخلوف ــ الرئيس العاشر من عام ١٩٣٩ حتى عام ١٩٤٣
١١ ــ سلامة مكركر ــ الرئيس الحادى عشر من عام ١٩٤٣ حتى عام ١٩٤٤
١٢ ــ وديع دعمس ــ الرئيس الثاني عشر من عام ١٩٤٤ حتى عام ١٩٥٧
١٣ ــ جبرا خميس ــ الرئيس الثالث عشر من عام ١٩٥٧ حتى عام ١٩٧٢
١٤ ــ فرح الاعرج ــ الرئيس الرابع عشر من عام ١٩٧٢ حتى عام ١٩٧٦
١٥ ــ بشارة داود ــ الرئيس الخامس عشر من عام ١٩٧٦حيث ١٩٧٨ نحي عن الرئاسة من السلطات الاسرائيلية ٠
١٦ ــ فرح سابا الاعرج ١٩٧٨ حتى اليوم ٠

النشاط الاجتماعي في بيت جالا

عرف الاهلون في بيت جالا بالنشاط والجد ومساعدة القاصر والمحتاج ، كما علمتهم الايام ان يكونوا يدا واحدة في الذود عن انفسهم وحماهم . وقد ظهر كل هذا للعيان في نشاطاتهم واعمالهم ايام السلم والحرب .

١ ـ فأول ما تأسست فيها بعد الحرب العالمية الاولى وفي اول عهد الانتداب البريطاني جمعية الاحسان الارثوذكسية قام بها نخبة من رجال البلدة مثل سالم ابو السبل اول رئيس بلدية في بيت جالا ، مع الياس ابو غطاس ، واسبير القطان وابرهيم القطان وخليل الياس التيت وعدد آخر من ابناء الطائفة الارثوذكسية ، كان همها إعالة الفقراء والمعدمين في البلدة من تأثير الحرب وويلاتها والفقر والمجاعة والمصائب التي سببتها . وكانت التبرعات تجمع من المصلين ايام الاحاد والاعياد والمحسنين من الداخل والخارج . وقد ساعدت هذه الجمعية الكثيرين من العائلات والعمال ايام البطالة والمرض . اما وقد تحسنت الاوضاع الاقتصادية في المدينة فقد تطور عمل الجمعية لمساعدة الطلاب في تحصيل علومهم وتحسين وتوسيع وضع العامل وعمله . وقد رصد المغترب البيتجالي الياس المغدى ربع احدى عماراته الضخمة في كولومبيا لعضد جمعية الاحسان هذه .

كما تبرع المغترب عيسى ربيع بتشييد عمارة لتكون مستشفى للبلدة بعد عام ١٩٤٨ الى الغرب من فندق البانوراما في اعلى الجبل على زاوية الطريق الغربية المؤدية الى كلية طاليتا قومي . لكن العمارة اصبحت مدرسة للمانونايت بعد الحرب الاهلية عام ١٩٤٨ .

وهكذا تبرع المغترب سليمان الزمر وهو ايضا في الشيلي ، ببناء عمارة ضخمة الى الجنوب الشرقي من العمارة الاولى ـ مدرسة المانونايت ـ وعلى طريق كلية طاليتا قومي ايضا لتكون مدرسة صناعية للمدينة لكن الاحتلال الاسرائيلي عام ١٩٦٧ اعاق تنفيذ المشروع . واخيرا استأجرتها شركة السجاير العالمية التي تأسست حديثا ، لتقيم فيها مصنعا لها عام ١٩٧٤ واخذ هذا المصنع في الانتاج صيف عام ١٩٧٥ .

ولجمعية الاحسان هذه فرقة كشاف نشيطة تحافظ على النظام في الكنيسة ايام

الاعياد كما تشترك في المهرجانات الدينية العامة في اعياد الميلاد والفصح في المنطقة .

٢ ـ جمعية الاتحاد النسائي العربي تأسست عام ١٩٤٣ بدعم من المجلس البلدى وقامت المشرفات عليها بنشاطات عظمى ، جمعن الاموال من المهاجرين البيتجاليين في امريكا اللاتينية والدول العربية اقمن بها عمارة فخمة كمركز نشاطات متعدد الوجوه لخدمة البلدة وسكانها ، تقع الى الغرب من كنيسة القديس نقولا .

وتفرع من الاتحاد النسائي جمعية رعاية الطفل عام ١٩٤٨ حيث يقوم مستوصف طبي في معالجة ووقاية الاطفال وارشاد الامهات . كما كانت تقدم وجبات طعام ساخنة لحوالي اربعماية طفل يوميا ايام الازمات الاقتصادية .

كما تفرع عن جمعية رعاية الطفل لجنة انعاش مدينة بيت جالا بعد الاحتلال الاسرائيلي عام ١٩٦٧ غايتها تقديم الاعانات والقروض المتوسطة الاجل لبعض العائلات الفقيرة لتقوم بمشاريع انتاجية يدر عليها دخلا ثابتا تعيش منه . وتوزع القروض للقيام بالمشاريع الصناعية او التجارية او الزراعية . وتقدم المساعدات للطلاب المتفوقين الفقراء لاكمال تحصيلهم . كذلك تساعد بعض الحرفيين والفنيين بالحاقهم في دورات تدريب مهني لرفع مستواهم وتأهيلهم علميا في حقل عملهم ، وتفرع عن جمعية رعاية الطفل نادى العائلات وهو اجتماعي ثقافي .

٣ ـ النادى الارثوذكسي ، تأسس منذ اوائل الثلاثينات وقام بنشاطات ثقافية واجتماعية ورياضية واسعة ثم توقف لفترة من الزمن عاد وجدد نشاطه بعد عام ١٩٦٧ ليعمل بحزم في حقل الثقافة والعلم والرياضة والاجتماع . ويضم اكثر من ثلاثمئة منتسب من جميع طوائف البلدة . وله فرقة كرة قدم واخرى لكرة السلة ذات مستوى جيد .

٤ ـ جمعية اخوية مار منصور تخص طائفة اللاتين في المدينة وتهتم بشؤون ابنائها دينيا وثقافيا .

٥ ـ نادى الشبيبة للطائفة اللوثريه ويشترك فيه شباب الطوائف المختلفة ويقوم بنشاطات رياضية وثقافية وموسيقية الشيء الذى نرجو انتشاره .

وعرف اهل بيت جالا بالتعاون والاتحاد ايام الملمات والفوضى لدرء المكروه وصيانة البلد . وهذا ما حدث ايام الثورة الاهلية عام ١٩٣٦ ضد الانتداب حيث اندس الفوضويون واللصوص يعتدون ويسلبون ويفرضون الغرامات والقصاص على الاهلين الذين تركوا من السلطة الحاكمة يتدبرون امرهم في الدفاع عن انفسهم واموالهم فتألفت في المدينة لجنة دفاع اشترت الاسلحة من الثوار بما جمعته من تبرعات من الاهلين وعينت عددا من الشباب في خمس مراكز في البلدة للسهر ليل نهار للمحافظة على الاهلين وممتلكاتهم يساعدهم عدد كبير من الشباب المتطوع .

وتكونت في المدينة حامية بيت جالا قوامها ستون شابا مسلحا يتقاضى معاشا شهريا من التبرعات الداخلية وسخاء المغتربين عام ١٩٤٨ . حافظت على الامن في المدينة وقاومت رحيل الاهلين منها حتى استلم الجيش الاردني البلاد واستتب الامن . (٧٣)

وفي بيت جالا بدأت السيدة كاترينا جورج سكسك اول ملجأ عجزة في البلاد بعد عام ١٩٤٨ للمسنين ومزمني الامراض كما وبيت لايواء الاطفال المعوقين جسمانيا ، كما ومستشفى باسم سيدتنا مريم للتوليد بقيا الى اليمين من شارع مدخل بيت جالا حتى منتصف السنينات حيث نقل ملجأ العجزة الارثوذكسي هذا الى عمارات جديدة وادارة جديدة في منطقة العيزرية شرقي القدس . اما مستشفى الولادة فلا يزال في مكانه الاول ينتظر التجديد والتطوير .

واسس الاستاذ اللاهوتي الالماني فليغه (Fro f Dr . Flu g ge) بيت النور للمكفوفات في بيت جالا – شارع النجار منذ عام ١٩٧٤ ، فيه عدد من المكفوفات من كل انحاء الضفة العربية للاردن . وافتتحت جمعية "سلوا" الالمانية معهدا آخر للمكفوفات في بيت جالا يتدربن فيه على القراءة والكتابة والاعمال اليدوية .

وافتتح السيدعيسى النجار دارا جديدة للعجزة عام ١٩٧٦ فيها عدد من السيدات المسنات ، تقع الى الشمال من المدينة في منطقة العماير وتتسع الان لخمس وعشرين عاجزة .

وعملت عيادة طبية للاتحاد اللوثرى العالمي في بيت جالا منذ عام ١٩٤٨ قدمت اجل الخدمات الطبية للمدينة والقرى المحيطة بها واللاجئين حتى منتصف

الستينات حيث نقلت الى بيت لحم في شارع القدس الخليل لتوسيع وتعميم فائدتها للمنطقة جمعاء . وقد قدمت العيادة الخدمات الطبية الواسعة لعشرات الالاف من المرضى المحتاجين والاطفال من اهلين وقرويين وبدو ولاجئين بالمجان . وخصصت في السنين الاخيرة قسما من خدماتها لرعاية ومعالجة الاطفال وتدريب الامهات ووزعت الحليب والغذاء لهم . واشرف على هذه العيادة الدكتور توما بنورة ــ المؤلف منذ اثنان وعشرين عاما الى ان اغلقت نهائيا في ١٩٧٧/١/١ م .

وفي مدخل الشارع العام المؤدى الى بيت جالا يقع الى اليسار مستشفى الحسين بن طلال الحكومي . وكان هذا المستشفى قد شيد من جمعية القدس السويدية عام ١٩٠٨ في اواخر العهد التركي ، بقي يخدم المنطقة حتى اول الانتداب البريطاني على فلسطين . وبعد فترة جعل قسما من مستشفى الامراض العقلية الحكومي حتى عام ١٩٤٨ حيث حولته الجمعية الطبية الفلسطينية الى مستشفى اهلي بعد ان احتل اليهود مستشفى بيت صفافا . واشرف على تسييره جراح مستشفى الحكومة بالقدس الدكتور يوسف حجار ومعونه امين سر الجمعية الطبية الدكتور محمود طاهر الدجاني وعدد من اطباء المنطقة واخيرا وبسبب العجز المالي وسوء تفاهم بين ادارة المستشفى والجمعية السويدية ، وضعت حكومة الاردن يدها عليه جاعلة منه مستشفى حكوميا لخدمة المنطقة وهو لا يزال كذلك زمن الاحتلال الاسرائيلي .

وابتاعت جمعية سويدية اخرى بيتا من بيوت جبرا خميس الى اليمين من مدخل الشارع العام المؤدى الى بيت جالا افتتحت فيه ملجأ ومستشفى للاطفال المصابين بالصرع يعالون ويعالجون ويدربون على صناعات يدوية لتمكنهم من كسب عيشهم في الستقبل .

كما شيدت جمعية الاحسان الارثوذكسية عمارة ضخمة من تبرعات الاهلين المغتربين الى الجنوب من عمارة الاتحاد النسائي العربي بعد عام ١٩٤٨ .

المعاهد العلمية في بيت جالا : عرفت بيت جالا بمعاهدها العلمية منذ العهد التركي يوم انشأ الروس مدرسة الاناث المشهورة في عمارة المسكوبية المعروفة والمعهد اللاهوتي اللاتيني التابع للبطريركية اللاتينية فيها ، خرج العديد من رجال دين من وطنيين واجانب خدموا البلاد في مجالات الدين والعلم والثقافة منذ اواسط القرن التاسع عشر .

اما كلية طاليتا قومي للبنات والمسماة ايضا باسم اول رئيسة لها ، مدرسة شارلوطه المتوفيه عام ١٩٠٤ . فكانت قد تأسست في نيسان ١٨٥١ على اسفل جبل صهيون من القس الدكتور تيودور فليدنر مع اربع راهبات وسعن عملهن برعاية المرضى . وفي عام ١٨٦٨ م شيد لها عدة عمارات الى الجنوب من القسم الغربي من شارع يافا في القدس على مرتفع جودفريد دى بوليون عملت هناك حتى الحرب العالمية الاولى حيث توقفت وعادت بعده للعمل حتى عام ١٩٤٠ في الحرب العالمية الثانية حيث اعتقلت الراهبات المسؤولات عنها وانتقلت المدرسة الى عمارة الطنطور تحت الادارة الانكليزية لكنها اوقفت اخيرا حتى عام ١٩٥٠ وصودرت عمارات المدرسة في القدس من الانكليز ثم اخذها الاسرائيليون بعد عام ١٩٤٨. وفي نيسان عام ١٩٥٠ بدأ الاتحاد اللوثرى العالمي وبعد اطلاق سراح الراهبات المسؤولات من المعتقل ، في احياء مدرسة طاليتاقومي في بيت جمعية القدس الالمانية بتوسيعه واصلاحه مع الكنيسة التابعة له في بيت جالا مبتدئات بحوالي مئة طالبة تقريبا . وسرعان ما انهال عدد كبير من الطالبات من كل انحاء المملكة الاردنية بضفتيها وذلك لما لهذا المعهد من السمعة الطيبة والتربية الصالحة والمستوى الرفيع فزاد الالحاح على المؤسسة الام "رهبنة كايسرس فيرت" لتوسيع المدرسة مما حدا بها لشراء قطعة ارض واسعة على رأس وسفح جبل الى الجنوب من جبل الرأس ــ افرست ، شيدت وبمعونة مؤسسة "خبز للعالم" الالمانية عمارات ضخمة لا تضاهيها عمارة اى كلية اخرى في الاردن وذلك عام ١٩٦٠ ، تضم الان عدة مئات من الطالبات الداخليات والخارجيات من روضة الاطفال حتى نهاية المرحلة الثانوية . وتعلم في الكلية اللغات الثلاث العربية والانكليزية والالمانيه وكان يدير الكلية راهبتان نشيطتان هما بيرتا هارز ونجلا موسى صابغ اما الان فتدار منذ عامين من اساتذة المان وعدد من الاساتذة والسيدات العرب .

وقد احتفلت الكلية وهي اول مؤسسة المانية في الارض المقدسة بعيدها المئة والخامس والعشرين لتأسيسها يوم ١٤ نيسان ١٩٧٦ .

مدرسة الراعي الصالح للبنات : شيدتها جمعية القدس السويدية على ارضها الواقعة جنوبي "مستشفى الحسين وهي ملك هذه الجمعية ايضا ، وباشراف المرحوم القس الياس شحادة الخورى والمرحوم المحامي ابرهيم خليل الاورفلي والسيد وديع دعمس . وهي الى الغرب من شارع القدس ــ الخليل العام في اول مدخل شارع بيت

جالا يسارا بعد المستشفى المذكور وكانت هذه الجمعية قد تبنت "مدرسة الراعي الصالح" التي انشأتها وادارتها المربية رتيبة شقير في بيت لحم في شارع الاطفال ، بعد وفاتها ، وتحوى المدرسة كذلك جميع المراحل الدراسية من الحضانة حتى نهاية الثانوية ٠ ولها سمعة طيبة وتعج بمئات الطالبات وهي خارجية فقط ، وتعلم اللغتين العربية والانكليزية ٠

وذكرنا سابقا عن مدرسة المانونيت الاميركية التي افتتحت بعد عام ١٩٤٨ لتضم عددا من ابناء اللاجئين ٠ ومعهد اللاهوت للبطريركية اللاتينية في بيت جالا ٠

هذا ولا ننسى كلية اللاهوت في كريمزان والمدارس الحكومية في المدينة للاناث والذكور ومدرسة راهبات مار يوسف للبنات ومدارس الاغاثة للاجئين في البلدة كلها تؤدى واجبها في تربية اجيال الحاضر والمستقبل ٠

وافتتحت سلطة الاحتلال الاسرائيلي مدرسة للتدريب المهني في بيت استأجرته من السيد جبرا خميس على شارع بيت جالا في اسفل وادى جريوس ٠

كما وضعت الخطط لبناء كلية جديدة تابعة للكنيسة الانجيلية اللوثرية الى الغرب من مقبرة الطائفة الانجيلية والى الغرب من شارع القدس الخليل العام الا ان المشروع الغي لارتفاع التكاليف ٠ راجين العودة لتحقيقه ٠

عدد سكان بيت جالا : معروف ان سكان بيت جالا الاوائل قد انقرضوا فزال الكنعانيون على ايدى القبائل اليهودية ، وزال اليهود على ايدى الرومان وبقيت بيت جالا قرية مسيحية صغيرة زمن البيزنطيين والعرب والفاطميين حتى جاء الصليبيون الذين اقتصوا من سكانها وقتلوا وشردوا ، لوقوفهم مع اخوانهم العرب ضد الغزو الصليبي كما ولانهم روم ارثوذكس ٠ وانقرضت الحياة في بيت جالا لبضع قرون من الزمن وفي القرن الثامن عشر بدأت الحياة تتسرب اليها من جديد بفضل الملاحقات والاضطهادات الدينية زمن الحكم التركي ٠

ومن المؤسف جدا اننا لم نجد ذكرا لعدد سكان البلدة الا منذ عام ١٩٠٥ م حيث بلغ عدد سكانها ٤٥٩٥ نسمة منهم ٣٨٥٢ روما ارثودكسا و ٥٦٠ لاتينيا و ١٧٦

انجيليا لوثريا ، وكان في البلدة المدرسة الروسية الثانوية للاناث ، ومدرسة مار يوسف للبنات .

وذكر عدد سكانها عام ١٩٠٧ بانهم ٤٥٠٠ نسمة فقط بينما سقط عام ١٩٤٥ في تعداد ١٩٤٥/٤/١ الى ٣٧١٠ انفار . اما عام ١٩٤٦ فذكر انه ٥٠٠٠ نسمة وفي تعداد ١٩٦١/١١/١٨ ارتفع الى ٧٩٦٦ نفرا مع لاجئي عام ١٩٤٨ اليها اما بعد حرب عام ١٩٦٧ فعاد العدد الى النزول الحاد بسبب الهجرة الى الخارج فرحل عدد كبير من الاهلين الى الامريكتين واستراليا عدا الدول العربية . ويقال ان عدد السكان المهاجرين من اهل البلدة وبالاخص في الامريكتين يزيد عن اربعة امثال عدد سكانها اليوم البالغ ما بين ٨ ــ ٩ آلاف نسمة .

وقد نجح عدد كبير منهم في المهجر واصبحوا من المثرين الذين يشار اليهم بالبنان ولم ينسوا مسقط رأسهم او ذويهم ، بل عاد بعضهم ليعمر ويشيد المشاريع في بلدة بينما تبرع الاخرون باريحية وسخاء لنجدة بلدهم ايام الازمات والنكبات واقاموا المشاريع وتبنوا الاخرى واشادوا العمارات ووسعوا المدارس وساندوا الجمعيات الخيرية

ومن اسباب الهجرة كانت المشاحنات العائلية بين حارات البلد الواحد فهجر العديد من عائلات حارة الصرار على اثر شجار دام مع حارة السماعنة عام ١٨٧٢ الى بيت لحم وعين كارم ومادبا في شرق الاردن . كما سببت الضائقة الاقتصادية والفقر الناتجة عن الحرب العالمية الاولى وما لحقها من اضطرابات سياسية ابان الانتداب البريطاني ، ثم الحرب العالمية الثانية واخيرا حرب عام ١٩٤٨ الاهلية وتقسيم فلسطين ونزوح اللاجئين من القسم الذى اعلنه اليهود دولة اسرائيل ثم نكبة حرب عام ١٩٦٧ واحتلال اسرائيل للباقي من فلسطين والضغط الاقتصادى الذى يرزح تحته الاهلون ، كلها عوامل تشجع الهجرة طلبا للعيش الكريم والطمأنينة .

لباس اهل مدينة بيت جالا : لم يكن لباس السكان هنا ليختلف عنه في بيت لحم فكانت التلاوية على الرأس ثم حل محلها الحطة والعقال والطربوش التي يندر استعمالها اليوم ثم الكمباز والعباءة للرجال . ولا تجد الا عددا قليلا جدا يستعملها بعد اذ ان اللباس الفرنجي قد انتشر وبسرعة بين جميع الطبقات . وهكذا بين السيدات تجد عددا محدودا من المسنات يلبسن الزى البلدى من ثوب فضفاض اسود

مطرز صدره وذيله واردنته وترتدى التقصيرة المطرزة فوقه وعلى رأسها الخرقة البيضاء بينما انتشر الزى الفرنجي بين الجيل الجديد والمتوسط .

مصادر المياه في بيت جالا : كانت بئر عونا المصدر الرئيسي لمياه الشرب للسكان ومواشيهم منذ القدم . وكان الاهلون ينقلون المياه في قرب جلدية على ظهورهم ثم محملة على دوابهم ، ثم في تنكات ماء . وحفر العديد منهم الابار لجمع مياه الشتاء امام بيوتهم لكن ازمة المياه لم تحل جذريا الا في الستينات ووجود آبار جديدة ارتوازية في السبعينات اصبحت كافية لتزويد المنطقة بما تحتاجه وتزيد وانشيئت سلطة مياه من مجالس بلديات بيت لحم بيت جالا وبيت ساحور ، ومدت شبكة مياه تحت الارض في البلدان الثلاثة تصل كل بيت بانابيب خاصة . وتضخ المياه من الابار الارتوازية في انابيب واسعة لتصل الى خزانات منها توزع على المدن الثلاث .

مدافن المدينة : اتخذت الطائفتان الارثوذكسية واللاتينية لهما مقبرتان بعد تخطي واد جريوس وبدء الصعود للدخول الى المدينة وعلى الشارع الرئيسي فعلى يمينك مقبرة الطائفة الارثوذكسية وهي الكبرى ، وفيها كنيسة صغيرة باسم القديس ميخائيل تقام فيها الصلوات بمناسبة عيد هذا القديس وعلى ارواح الموتى

والى اليسار من هذه المقبرة جنوبا تقع مقبرة طائفة اللاتين وهي الى الشرق من كنيسة البشارة والمعهد اللاهوتي اللاتيني .

اما الطائفة الانجيلية فتدفن موتاها في مقبرة الطائفة الانجيلية في بيت لحم وهي الى الغرب من الشارع العام المار من القدس الى الخليل وحوالي اكثر من نصف كيلو متر جنوب قبر راحيل . ويذكر انه كان للطائفة مقبرة مع المقابر الاخرى الى الشمال الغربي من كنيسة المهد .

بينما تدفن الطائفة الاسلامية الجديدة في بيت جالا موتاها في مقبرة قبر راحيل الى الشمال والغرب من المقام ، اى مع الطائفة الاسلامية في بيت لحم

ومن المستغرب ان يوجد للطائفة الاسلامية في بيت لحم مقبرة اطفال قرب منطقة الموردة وفي اول المرتفع الذى يوءدى الى جامعة بيت لحم (كلية الفرير سابقا) لا يدفن فيها الا الاطفال وهي تذكرنا بمجزرة هيرودس وقبور هوءلاء الابرياء .

تطور بيت جالا : ذكرنا سابقا ان تاريخ بيت جالا الحديث لا يتجاوز القرنين والنصف حين بدأ اللاجئون المسيحيون يؤمونها هربا من ملاحقات السلطات التركية والمتعصبين لتحميهم السلطات المسيحية التي كان لها الحق في حماية الاماكن المسيحية المقدسة والسكان والحجاج المسيحيين . وكانت البلدة القديمة تتمركز حول غرب وشمال كنيسة مارَ نقولا وفي وحول منطقة سوق البلدية اليوم . وتجد الان العديد من البيوت القديمة والكثير من آبار الماء تحت الارض طمرت وشيدت البنايات الجديدة ، كما فتحت الشوارع المتعددة فوقها .

واخذت البلدة في التوسع والانتشار وخصوصا في فترات الهدوء والاستقرار واحترف اهلها بيع الحطب وصنع الفحم ثم قطع الحجارة وتحضيرها للبناء وهي صناعة اخذوها عن العمال المالطيين الذين استقدمتهم الرهبنات المختلفة لتشييد الاديرة والكنائس في انحاء البلاد ابان القرنين السابقين . ثم فلاحة الارض وتربية الماشية . واهتم الاهلون بزراعة الزيتون حتى اصبحت البلدة محاطة بحرش منه . كما اشتهر فيها المشمش المستكاوى ذو النكهة اللذيذة والذى ينضج في شهر حزيران .

ولما كانت بيت جالا تقع على مرتفع يعلو ما بين ٩٠٠ و ٩٢٣ مترا فوق سطح البحر وتشرف على مناطق واسعة من كل جانب ، فالقدس شمالها وما بعدها شمالا ومن الشرق تقع مدينة بيت لحم وجبالها ووهادها ومنطقة جبل هيروديوم وجنوبا جبال منطقة الخليل والى الغرب جبال ووديان خلابة المناظر . كل هذا جعل منها مصيفا جميلا لطيف المناخ عليل الهواء . فاستغل الاهلون هذه الصفات وشيدوا فيها بعد الحرب العالمية الثانية الفنادق ، والمنتزهات منها فندق افرست على جبل الرأس وفندق البانوراما على بعد قريب من الاول ثم النورماندى وفندق نبيل وكلها على الشارع الرئيسي الذى يخترق بيت جالا من وادى جريوس حتى الافرست . وكانت سلطة الانتداب البريطاني قد نصبت ابراج البث لاذاعة الشرق الاوسط ابان الحرب العالمية الثانية في اعلى جبل الرأس ازيلت بعد عام ١٩٥٢ .

وازدهرت المدينة واتسعت وقامت فيها العمارات العديدة وفتحت الشوارع وعبدت في كل اتجاه وامّها المصطافون والزوار من كل حدب وصوب واصبحت المدينة مركزا اجتماعيا هاما للمنطقة جمعاء تقام في فنادقها الاجتماعات والمقابلات والحفلات وعادت المدينة وانتكست بعد الاحتلال الاسرائيلي عام ١٩٦٧ اذ هجرها عدد كبير من

سكانها كما اقتطعت السلطات الاسرائيلية خمسة آلاف دونم من ارضها الواقعة الى الشمال بحجة ان هذه الارض تابعة لمنطقة القدس الكبرى ، كما احتل الاسرائيليون مرتفع جبل الرأس واقاموا عليه مستعمرة اسرائيلية فوق الاراضي العربية البتجالية .

وبعد الاحتلال الاسرائيلي عام ١٩٦٧ اضطرب الوضع الاقتصادى في البلدة كباقي بلدان الضفة الغربية مما ساعد اسرائيل على سحب العمال العرب للعمل في اسرائيل فانعشوها وانتعشوا وعادوا الى تشييد المشاريع والمصانع في بلدهم التي كانت فيها بعض الصناعات الصغيرة قبل الاحتلال كالنجارة والحدادة والتحف الخشبية والصدفية والنسيج لكن على نطاق ضيق لعدم تشجيع الحكومة الاردنية على فتح مصانع كبيرة في الضفة الغربية . بينما عملت قيادة الحكم العسكرى الاسرائيلي على مساعدة وتوسيع المصانع القديمة وفتح مصانع جديدة كما ومدرسة مهنية مما رفع من اقتصاد البلدة ونجاحها وعزز في الوقت نفسه اقتصاد اسرائيل .

وتزخر اليوم بيت جالا بالمعامل والورشات المختلفة فهناك مصنع رزق للنسيج على طريق بيت لحم ـ بيت جالا يعمل فيه عدد كبير من العمال والعاملات وهناك سبعة مصانع اخرى للنسيج اصغر حجما كما واربعة مصانع للجوارب وستة عشر معملا لخشب الزيتون وتحفه ، ومصنع للسخانات الكهربائية ومصنع ادوية كبير وآخر للمرطبات . وفي المدينة معصرة زيتون حديثة تخص الجمعية التعاونية لعصر الزيتون في المنطقة . وهناك معصرة زيتون قديمة ومطحنتان للحبوب ومخرطة وكسارة ضخمة للحجارة الى الشرق من مقبرة طائفة الروم ومحاجر آلية ومناشير لابي غطاس .

وفي المدينة اثنا عشر حدادا فنيا واحد عشر مركزا ميكانيكيا لاصلاح السيارات والاليات . واربع مناجر للموبيليات والاثاث المنزلي الحديث . وهناك مخبز آلي حديث للسادة شحادة اخوان ، على طريق الرأس ، يزود العديد من المؤسسات والمعاهد والمدارس والميانم بالخبز يوميا كما يزود الاسواق المحلية في المنطقة . وهناك اربعة مخابز صغرى اخرى لسد حاجات الاهلين اللذين لا يحضرون خبزهم بانفسهم . وكان في المدينة سينما اغلقت منذ عدة سنوات لضيقها وعدم صلاحيتها ، وهناك صيدلية واحدة . وفي المدينة شركة باصات وعدد كبير من سيارات الاجرة لنقل الركاب . وتنشط حركة البناء في المدينة فكان عدد رخص البناء عام ١٩٧٥ مئة رخصة وزاد في السنين اللاحقة .

وكانت بيت جالا كمدينة بيت لحم تابعة اداريا منذ العهد التركي لمدينة القدس كما وتجاريا كانت القدس السوق لمنتوجات بيت جالا الزراعية والصناعية وموئل العمل للعمال البجاجلة . الا ان الاوضاع تغيرت بعد تقسيم فلسطين والحرب الاهلية عام ١٩٤٨ لصعوبة الوصول الى القدس ولاحتلال اليهود للقدس الجديدة مما اضطر الحكومة الاردنية الى فتح عدد من الدوائر الحكومية ومحكمة صلح في بيت لحم لتسهيل معاملات الاهلين في المنطقة وتدبير امورهم .

ويقع الى الشمال الغربي من مدينة بيت جالا دير رهبنة ايطالية جاءت البلاد في اواخر القرن التاسع عشر ابتاعت لها اراض واسعة شيدت لها فيها ديرا عام ١٨٩٠ م هو المعروف بدير كريمزان ، حرشت الجبال وغرست الكرمة والزيتون من حوله واسست في الدير مدرسة لاهوتية . كما ومصنعا للخمور العالمية الشهيرة والمتنوعة يصدر منها الكميات الكبيرة الى الخارج . وينوى الدير تجديد مصنع الخمور هذا بجلب مصنع حديث الالات والمعدات لتصبح منتوجاته تضاهي احسن المنتوجات العالمية .

وابتاعت رهبنة هذا الدير ممتلكات السيد الفونس اندريا منصور التي على طريق الدير ومتاخمة لاراضيه ، وحولت البيت الى دير للراهبات . اما الارض الجبلية فمزروعة بالكرمة والزيتون ، فيها نبع ماء ضعيف وآخر ينبع من جانب الشارع المار تحت دير الراهبات ويدعى اليوم بنبع البابا بولس السادس وهو ضعيف يجف غالبا في الصيف . وكانت هذه الاراضي قد ابتيعت قبل مئتي عام من اهالي قرية الولجة ليسكنها المسيحيون الذين اخرجوا من قرية شرافات القريبة من بيت صفافا .

وكانت مغاور هذه الشعاب تستعمل سجنا للمغضوب عليهم والمنفيين زمن حكم المماليك والاتراك . ودعيت المنطقة زمن الاتراك "جام هام" وهي كلمة تركية تعني السجن (٥٥) .

وهكذا نزح سكان قرية الخضر المسيحيون قبل حوالي مئتي عام ملتجئين الى القرى المسيحية بيت لحم وبيت جالا واصبحت الخضر قرية مسلمة فيها دير وكنيسة باسم القديس جريس احد امراء كبادوكيا المتدينين والذى استشهد عام ٣٠٣ م . وفي القسم الجنوبي من الدير عمارة فيها العديد من الغرف التي ترى في زواياها سلاسل حديدية مثبتة في جدرانها كان يربط فيها مرضى الامراض العقلية مع الاعتقاد ان القديس جريس سيشفيهم من امراضهم . الا ان حكومة الانتداب البريطاني اوقفت ذلك

منطقة واراضي بيت ساحور
قبل مائتي سنة

بيـــت ساحـــور (حقـــل الرعـــاة)

تقع مدينة بيت ساحور الى الشرق من مدينة بيت لحم واصبحت حدود البلدين متداخلة وكذلك عمارات بيوتها وسكانها • واتسعت رقعة مدينة بيت ساحور وانتشرت عماراتها في كل اتجاه وفتحت وعبدت الشوارع في كل ناحية منها •

من اين جاء الاسم ؟ ان الاسم ساهور آرامي كلداني ويعني الساهر او الراعي بينما يقول آخرون ان الكلمة ساحور جاءت من كلمة ساحر او منجم ، اذ سحر الرعاة في هذا المكان ببشارة الملائكة بمولد المسيح • وهذا يرينا ان التسمية جاءت على اثر قصة ميلاد المسيح • ففي هذه البقعة سهر الرعاة على رعيتهم كما وفيها سحروا بالبشارة الغريبة • ولم يظهر الاسم بيت ساحور الا بعد الاحتلال الصليبي •

غير ان المكان مشهور منذ اقدم العصور ، وكان لخصب وغزارة عطائه سببا في سكنى اله الخصب الكنعاني "ايلي لاهاما" هذه المنطقة ، كما ومانح الاسم "افراتا" المنطقة الخصبة ، لهذه البقعة من الارض • ويذكر المؤرخ ويلكين (N. E. Wilken) ان هذا المكان كان مسكونا منذ قبل التاريخ ، لما وجد فيه من آثار جد قديمة •

ومع انه لم تجر اى حفريات اثرية منظمة ولا واسعة ، الا انه عثر في اماكن متعددة وجهات مختلفة من البلدة وحولها على مساكن ومدافن كنعانية • وآثار متعددة رومانية وبيزنطية وصليبية وسواها •

فعثر قرب دير اللاتين اليوم اى في الشمال الغربي من المدينة على عدد من القوارير والاواني الفخارية منها السليم واخرى محطمة فوق ارض مقصورة كانت مسكنا • كما عثر على عدة مغر تحت كنيسة اللاتين ومغارة الى الغرب منها حيث كان الملعب عام ١٩٤٩ م وجد فيها سرج فخارية لا قاعدة لها كتلك التي وجدت في مغارة الحليب في بيت لحم • كذلك وجد ابريق فخارى بطول عشرة سنتمترات واتساع خمسة ، مكسور العنق وآخر محطم • وهي رمادية اللون رقيقة الجدران ودقيقة الصنع ، ثبت بعد فحصها انها من العصر البرونزى الاخير ومن العصر الحديدى (١٠) اى قبل الميلاد بألفي عام الى الف ومئتي عام •

وعثر الاب هنسلر عام ١٩٠٨ على بعد ثلاثمئة متر من كنيسة اللاتين على عدة مدافن امام بيت للسكن هناك كان اصحابه يستعملونها كمخازن لحاجياتهم ، وجد فيها قوارير فخارية وسراجا ذا اربع زوايا للاضاءة ثبت انها من العصر البرونزى الاول والاوسط (٣٠٠٠ــ ٢٠٠٠ ق م) (١٠) .

كما عثر على قارورة فخارية تحوى مخطوطا قديما مدفونة في حفرة صخرية في ارض بيت جورج الياس جاد الله عواد الذى ابتاعه من جريس جبرين مرشد ، الى الشرق من دار البلدية وفي اسفل المنحدر ، الا ان القارورة والمخطوط اتلفا لجهل واجديهما ، كذلك وجدت بئر كنعانية قديمة منقورة في الصخر في هذه البقعة .

وعثر على بلطة نحاسية وابزيم مخمس الزوايا ، وسكينين من الصوان يعتقد انها من عصر داود وجدت قريبا من كنيسة اللاتين ("٧٠" ص ١٨١) .

وظهرت مغارة تحت عمارة حنا الخورى عازر هلال الى الشرق من عمارة البلدية وفي منتصف المنحدر ، وجد فيها العدد الكبير من الاواني والتماثيل وصور الحيوانات الفخارية يعتقد ان المكان كان مصنعا لهذه الاواني والتحف زمن الكنعانيين .

وعثر على بئرى ماء حسني القصارة في ارض الاستاذ عيسى عطا الله دعيس وعدد من الاسلحة والالات الحجرية الى الجنوب الغربي من دير اللاتين . كما ظهر الكثير من الاثار الفخارية المتنوعة في منطقة حوارة الواقعة على المرتفع الغربي للبلدة جنوب غرب دير اللاتين .

كما عثر عام ١٩٧٠ م في ارض المهندس لطفي جريس الطويل الواقعة الى الغرب من ملعب دير اللاتين الذى كان غرب الدير مباشرة ، على مغارة تحوى الكثير من الجرار والقوارير والسرج والاوانى الفخارية الاخرى ثبت انها من العصر البرونزى الاول . اخذت معظمها دار الاثار .

ووجد الاب موسى موريتاين (Abbe Moretain) الايطالي عند تشييده كنيسة اللاتين في بيت ساحور سكينا صوانيا اعتقد انه كان يستعمل لاختتان الذكور زمن الاسرائيليين ، كذلك وجد حوالي ستة مناشير صوانية في اساسات الكنيسة اخذها

دى ساولسي (De Saulcy) معه عام ١٨٦٥ الى لوفر (Louvre) لتحفظ هناك (٧٠) .

كذلك عثر غراف دى فوغ (Graf de Vogue) عام ١٨٦١ م على مدقة حجرية مستديرة وازميل صواني غير مصقول في بيت ساحور نقلها معه الى أوروبا . (٧٠)

وعثر في منطقة الصير شمال شرقي بيت ساحور على مغر وجد فيها الكثير من الاواني والسرج الفخارية عام ١٩١٢ م . وفي ارض جمعية الشبان المسيحية المشتراه من خليل ابرهيم يعقوب الاطرش في الثلاثينات عثر على مغارة واسعة فيها العديد من السرج والاواني الفخارية ذكر العالم ى .رايت (E. wright) انها من العصر البرونزى الاخير والعصر الحديدى . كما عثر على مسكوكات قديمة الى الجنوب من ارض جمعية الشبان المسيحية .

هذا ما ظهر صدفة من آثار دون تنقيب في هذه البقعة عدا العدد الكبير من آبار الماء الموجودة في بيت ساحور وحولها منذ اقدم العصور واشهرها بئر السيدة (مريم) الذى يقع في وسط البلدة حيث سوق الخضار اليوم . والبئر كنعاني الاصل كبير الحجم مستطيل الشكل من الشمال الى الجنوب بطول سبعة وعشرين مترا وعرض اربعة امتار وارتفاع تسعة امتار محفور في الصخر سوى القسم الاعلى من الواجهة الشمالية المبنية بالحجارة وفي اعلى الواجهة باب معلق بالحجارة ربما كان للدخول الى البئر لتنظيفه ويتسع البئر ل ٩٧٢ مترا مكعبا من الماء الذى يصله من شوارع وسوق البلدة ووجدت اوان فخارية بيزنطية حول هذا البئر . كما انتشرت عنه القصص الخيالية زمن الصليبيين ذكرها الراهب الدومينيكاني ب ريكولدو (P. Ricoldo) من مونت كروسي عام ١٢٩٤ م عندما زار حقل الرعاة قال : "وعندما كان يوسف وخطيبته الحبلى مريم صاعدين من مهجع الرعاة نحو بيت لحم انهكهما التعب فجلسا للاستراحة عند بئر هناك فاضت مياهه حتى شربت مريم وخطيبها يوسف ثم غارت" (١٠) بينما تروى قصة اخرى ان سكان تلك الكورة رفضوا اعطاء مريم الحامل ماء لتشرب فجاءت الى هذا البئر العميق فطلبت من الماء "فورى حتى اشرب وغورى" وحدث ما طلبت .

اما السائح زوالارد (Zuallard) فذكر عندما زار المكان عام ١٥٨٦ م ان الحجاج يأمون هذا البئر للشرب ويتقاضى الاهلون منهم نقودا لقاء ذلك (١٠) وكانت القرية آنذاك مسكونة من اول الحمائل التي استوطنت فيها وهي العجاجية والجرايسة .

وزار السائح بريموند حقل الرعاة عام ١٦٦٦ م وذكر انه بجانب مهجع الرعاة الصغير المدعو بالعربية دار الناطور وحوالي مئة خطوة منه تجد خرائب كنيسة وفي جدارها بئر هي من زمن المسيح تستعمل اليوم (العهد التركي) لسقي الجيوش(١٠) كذلك ذكر البئر ومعمودية حجرية بجانبه في القرون الوسطى . كما عثر على آثار كنيسة ومعمودية تحت بيت عواد جاد الله عواد الى الشرق من بئر السيدة .

وهناك عدد من الابار القديمة الاخرى الى الشمال والشرق من هذا البئر تحت بيت يوسف عبسى مصلح القديم وبيت يوسف اسحق منصور وسواهما .

هذا عدا عن المغر المتعددة التي كانت المساكن الاولى للاهلين المستوطنين في هذه البقعة . فهناك مغارة واسعة الى الجنوب الشرقي من عمارة البلدية وتحت الشارع العام الداخل الى وسط المدينة ، كانت تستعمل معصرة للزيتون بالطريقة البدائية حتى عهد قريب . ومغارة تحت حارة عائلة بنورة ، الشارع الغربي من سوق البلدة . ومغارة تحت الشارع المار من وسط السوق نحو الجنوب الغربي الى حارة عائلة خير وتحت عمارة قديمة في مدخل شارع عائلة خير الى الغرب من مدرسة دير الروم ومغارة شمال غرب المدرسة المذكورة تابعة لها ومغر تحت عمارة عيسى الياس البد حيث كانت معصرة زيتون بدائية سابقا . ومغر تحت حارة عباد في غرب البلدة ومغارة الى الجنوب الغربي من بئر السيدة تحت عمارة انطون يوسف ابو الزلف ومغارة جنوب البلدة في حارة عائلة القسيس كانت معصرة زيتون حتى وقت قريب . ومغر تحت عمارات عبد وعبد وخليل شاهين هندى جنوب شرق المدينة وكثير غيرها .

كل هذه الاثار والابار والكهوف تثبت لنا ان هذا السهل الخصيب وما حوله كان مأهولا منذ ايام الكنعانيين . فجاء الاسرائيليون في القرن الرابع عشر قبل الميلاد متغلغلين في البلاد رويدا رويدا غالبين اهلها فابادوهم وامتلكوا ارضهم واستولى ذوو النفوذ منهم على البقاع الخصبة والسهول المثمرة . وقصة بوعاز صاحب الحقل الخصب مع راعوت الجميلة معروفة في التوراة (٩) .

واليكم ما ذكرت التوراة سفر راعوت (١:٤) صار جوع في الارض زمن القضاه فذهب رجل من بيت لحم واسمه اليمالك مع زوجه نعمي وولديه محلون وكليون الى بلاد مواب وهناك توفي الاب وتزوج الولدان من فتاتين موابيتين الاولى عرفه والثانية راعوت ثم مات الولدان وعادت عرفه الى اهلها بينما جاءت راعوت مع حماتها الى بيت لحم وكان ذلك في بداية حصاد الشعير (حزيران) . ذهبت راعوت تلتقط سنابل الحقل في ارض بوعاز شرق بيت لحم وهو قريب حموها . وفي اليوم التالي امرتها حماتها ان تتقرب الى بوعاز وراقت له واخيرا اشترى حقل اليمالك وتزوج من راعوت التي انجبت له عوبيد والد يسى والد داود التلحمي .

وكان ابرهيم الكلداني قد مر من منطقة بيت ساحور في طريقه الى حبرون قادما من بين النهرين . كما سكنها يعقوب حفيده ابن اسحق يوم ماتت زوجته راحيل في طريقه من بين النهرين الى افراتا ــ بيت لحم . فنزل وضرب خيمته خلف برج ايدر ، ومن هناك اتجه جنوبا نحو حبرون حيث كان ابوه (تكوين ٣٥:٢١) (٩) .

برج ايدر : تردد ذكر هذا المكان في العهد القديم من التوراه ، كذلك يذكره التلمود "مشنا شيكاليم "في نفس الموقع ويدعوه برج الرعاه ، مدعيا ان في هذا الحقل كانت ترعى الحيوانات المقدمة للهيكل . كما يذكر التلمود ب كيدوشين "ان من الحيوانات التي توجد بين اورشليم وبرج ايدر (الذى كان قائما حتى القرن الثالث ميلادى) كانت تؤخذ الذكور للمحرقة في الهيكل بينما الاناث فتقدمه للسلام" ("٧٠" ص ٥٥) .

ويعتقد بعض المؤرخين ان برج ايدر مقام كنعاني مقدس ومشهور في تلك المنطقة التجأ اليه يعقوب بن اسحق بقطعانه ابان رحلته الى حبرون محتميا به خوف اذى الكنعانيين (١١) . ويعتقد ان مكان البرج في الجهة الشمالية الشرقية من حقل الرعاه بيت ساحور في الصير في اعلى المرتفع حيث وجدت بعض الاثار اعتقد انها من بقاياه الى الشرق من موقع كنيسة الرعاة اللاتينية الحديثة .

وذكر بالاديوس (Palladius) برج ايدر في تاريخه عن الرهبنات . وكان قد عاش عاما في دير الرئيس بوسيدونيوس (Posidonius) في الصير عام ٤٠٠ م وكان الدير والبرج ذا شهرة واسعة اذ لم يحدد موقعه .

كذلك ذكر هيرونيموس البرج قائلا "انه الى الشرق من بيت لحم بألف خطوة" وان هنا بشر الملائكة الرعاة بميلاد المسيح" (١٣) ٠

وشيد دير كبير وكنيسة قرب هذا المكان قبل عام ٣٨٥ م دعي بدير الرعاة (Po imen ion) اندثر عام ٥٣١ م من السامريين وشيد دير جديد في القرن السادس زمن يوستنيان هدمه العرب في القرن الثامن وازالوا العلامات المسيحية بالازميل عن حجارته ٠

وعلى مقربة من الكنيسة المذكورة تجد مغارة واسعة وطويلة مدخلها على المستوى الارضي كانت دون شك مسكنا للرعاة وقطعانهم ، وترى في قسمها الغربي ثلاث حفر مستطيلة يدعي البعض انها قبور ثلاثة رعاة من رعاة ليلة الميلاد كما فقطوا اسماءهم ٠ الا انها رواية خيالية فقط ظهرت زمن الصليبيين ، تربط ذكريات قصة ميلاد المسيح ٠

والى الجنوب من هذا الموقع وعلى المرتفع الصخرى المذكور سابقا كنت ترى رجما من الحجارة اعتقد انها بقايا مجدل ايدر او مقاما كنعانيا مقدسا ٠

ويروى اركولف (Arcul f) عام ٦٧٠ م ان مجدل ايدر يبعد الف خطوة الى الشرق من بيت لحم ، وزار كنيسة فخمة هناك فيها قبور الرعاة الثلاثة سعداء البشارة الى جنب صخرة كبيرة" ٠ وهكذا ذكر بيدا (Beda) عام ٧٢٠ م نفس المكان بنفس النص الذى ذكره اركولف (١٣) ٠ الا ان الدير والكنيسة كانت في هذا التاريخ ردما منسيا ٠ ولم يذكر احد هذه المدافن بعد هذا التاريخ ايضا ٠

وذكرت القديسة سيلفيا الكويتانية (Sylvia of Quitaine) عام ٣٨٥ م انها زارت دير الصير ورأت هناك مغارة منيرة ، فيها هيكل حيث ظهر الملائكة للرعاة الساهرين يبشرونهم بميلاد المسيح ٠ وان اول دير شيد في فلسطين كان في مجدل ايدر سمي بدير الصير ، لكن لم يذكر تاريخ اقامته ٠ (١٣) ٠ وذكرت الرئيسة باولا انها نزلت عام ٣٩٩ م من بيت لحم الى برج ايدر حيث شيدت الملكة هيلانة والدة الامبراطور قسطنطين كنيسه الملائكة فوق مغارة الرعاة ٠ (٧٠)

وسكن جون كاسيان الغولي هذا الدير عام ٣٨٥ م وتعلم فيه الديانة المسيحية

وحياة النساك ثم تركه عام ٤٠٢ م الى القسطنطينية حيث سيم كاهنا من القديس خريسوستوموس • ومن هناك ذهب الى مرسيليا عام ٤١٤ م حيث اسس دير القديس فكتور الشهير فيها • وكان قد استغل فرصة وجوده في دير الصير ليضع نظام ادارة الاديرة بمساعدة هيرونيموس ، كما وضع صلاة السحرية الاولى للكنائس (١٣)

والمعتقد ان بوسيدونيوس كان يرأس ويدير هذا الدير حتى عام ٤٠٠ م • كما كان من سكانه المتنسك بالاديو الذى كان يحسد هيرونيموس على مركزه في بيت لحم •

وذكر غريغوريوس القانوني في القرن السابع للميلاد عن عادات الاهلين في عيد الميلاد حيث قال "يخرج رجال الدين مع الشعب وسط النهار الى دير الصير مرتلين الاناشيد الدينية" (١٣)

وانطفأت الحياة في هذا الدير تماما بعد زحف الفرس ودمارهم له وقتل كل من فيه عام ٦١٤ م كما هجر بالمرة بعد الاحتلال العربي ٦٣٨ م •

وذكر حجاج عام ٨٠٨ م وعام ٨٧٠ م انهم رأوا دير الرعوات ودير الصير مردومين ومهجورين • كذلك وجد دير ثيوذوسيوس (ابن عبيد) عام ٨١٣ م مهجورا واصبحت خربة دير الرعوات وما حوله من ارض ملك عربي مسلم من بيت لحم بعد هذا التاريخ (١٣) •

وذكر الراهب اليوناني يوحنا فوكاس (Phokas) عام ١١٨٠ م انه رأى حقل ومغارة الرعاة على التلة في صير الغنم (١٣) • وتردد عدد غير قليل من حجاج الارض المقدسة على دير صير الغنم ومنهم بوركهارد من جبل صهيون عام ١٢٨٥ م ونيسيفوروس كاليستوس (Nisiphoros Callistus) عام ١٣٢٠ م ونقولا دى مارتوني عام ١٣٩٣ م ولويس دى رونتشيشوارت عام ١٤٩٢ م • كما كتب مارتين كاباتنيك من بوهيميا عام ١٤٩٣ م يقول : "ذهب معي الفرنسيسكان الى المكان الذى بشر فيه الملائكة الرعاة بميلاد المسيح ، وفي هذا المكان مغارة طبيعية غريبة الشكل في الصخر لا يمكنك الظن ان يدا قد حفرتها بحديد • كذلك ترى آثار برج كان يقوم على الصخور" (١٣) •

وتغطي مساحة دير وكنيسة الصير الفين وسبعمئة متر مربع ، طول الكنيسة ٢٦ مترا وعرضها ٢٤ مترا وهي ذات ثلاثة صحون مرصوفة ارضها بالفسيفساء الملونة . تحتها مغارة ذات بابين الاول من داخل الكنيسة والاخر شمالها . وعثر في المعر على آثار رومانية وبيزنطية مما يظهر ان المنطقة كانت عامرة بالسكان حتى بعد الاحتلال العربي (١٣) .

والى الجنوب من موقع الدير وعلى المرتفع الضخرى حيث يعتقد انه مكان برج ايدر يمكنك استكشاف المنطقة من جميع الجهات وعلى مدى بعيد . وعلى مقربة من موقع البرج بئر ماء واسعة صالحة للاستعمال . والى الشمال الغربي من البئر مغارة واسعة اصلحت حديثا ورصعت ارضها بالحجارة الصغيرة واقيم فيها مائدة هيكل للصلاة .

والى الشمال والشمال الشرقي من هذه المغارة تجد عدة آبار ماء قديمة تابعة للدير احداها مسقوف بالحجارة ويعضد السقف عمودان مبنيان . واتساع هذه البئر ١٠ر٦ × ٨ × ١٠ مترا .

وتعرف هذه المنطقة منذ القدم بصير الغنم وكانت تخص اهل خربة المزار الواقعة شمال غربي بيت ساحور والمهجورة اليوم ، ابتاعها اهل بيت ساحور الحاليون وكانت تخص حمولة المراشدة والشوملي . وزارها السائح س .جويرماني (C . Guerman i) عام ١٨٥٨ م وعرف اهمية المكان فلفت انظار الرهبنة الفرنسيسكانيةاليه . فابتاعوه وكشفوا عن آثاره حيث ظهر ردم الدير والكنيسة والمغر والابار والفسيفساء في ارض غرف الدير والكنيسة البيزنطية بالوان حمراء وسوداء ، وجدت فيها كتابة يونانية الاولى "الرب معيني" والثانية "الرب يحفظك من كل شر" (مزمور ١٢١ : ٧) . وكما ذكر هيرونيموس فقد كانت هذه الايات المزمورية مألوفة بين اهالي بيت لحم حيث كتب من منسكه في بيت لحم الى صديقه مارسيلا في روما يقول "هنا بلد المسيح كل شيء فيه بسيط . سكون دائم تقاطعه ترانيم المزامير فاينما اتجهت تسمع الحارث يرتل هاليلويا ، ويقاطع مقلم الشجر عمله باناشيد المزامير وجامع الكرمة يرتل اناشيد الشكر لداود . ان هذه البلاد جبلية مرتفعة وكلما افتقرت الى الجمال ولذات الدنيا كلما زاد غناها الروحي" . (٧٠)

ويجزم المؤرخون ان خربة الصير حيث موقع برج ايدر وآثار دير وكنيسة الصير

والابار والمغر وصلاحية الموقع للرعي وبعده عن السهل المزروع ، هي البقعة التي سكنها الرعاة زمن المسيح مع اغنامهم فحفظ الاسم صير الغنم تاريخ وشهرة هذه التلة المشرفة على سهل الرعاة الى الشمال ، منه الذى رعى فيه الرعاة اغنامهم . اذ يصعب ان يسكن اناس وسط السهل الخصب المزروع حيث لا مغارة فيه يلجأون اليها ليلا او شتاء .

وشيد الفرنسيكان كنيسة بشكل خيمة ونجم الى الغرب من الموقع الذى يعتقد انه كان برج ايدر عام ١٩٥٤ (دشنت في ١٩٥٤/٦/٢٥ م) اشرف على بنائها وتصميمها المهندس الكنائسي الايطالي بارلوزى (Barluzz i) وباموال محسنين كنديين . وكانت هذه آخر بناء قام به في الارض المقدسة قبل عودته الى بلاده .

كنيسة ودير الرعاه (الرعوات) : خربة مردومة كانت محاطة بسور ترى بقاياه الى اليوم وسط حقل من الزيتون في وسط سهل فسبح كان يدعى حقل بوعاز التلحمي شرق بيت ساحور وتابع لها . وكان شارع مرصوف بالحجارة الصغيرة من الغرب شرقا حتى مدخل الدير من الجنوب حيث عثر على فتحة من الواجهة الجنوبية من بعض النساك في القرن السابع بعد ان دمر الدير والكنيسة فدخلوها الى ان عثروا على قاعة مستطيلة مبنية ومسقوفة بالحجارة دقيقة الصنع وبشكل نصف دائرى ، استعملوها مكان عبادة لهم الى ان جاءتهم موجة اخرى من الاضطهاد والدمار ، فبقيت خربة مهجورة لتكتشف صدفة في القرن السادس عشر من فجوة ادت الى سرداب اوصل الى هذه القاعة المخفية تحت الردم .

ينزل الى هذه القاعة بدرجات من الجهة الجنوبية عددها ثلاثة وعشرون درجة . وهي مستطيلة الشكل من الغرب الى الشرق طولها ١١ ياردة وعرضها ست ياردات وارتفاع جدرانها اربع ياردات حيث يبدأ سقفها القوسي الشكل وفيه نافذة مربعة صغيرة لتجديد الهواء وفي الجدارين الجانبيين نافذتان مربعتان من كل جهة لكنها مغلقة من الخارج بالحجارة . وفي ارض القاعة بقايا فسيفساء في طرفها الغربي حيث تظهر صورة العذراء مريم مع طفلها ، وبقايا فسيفساء اخرى في وسط القاعة .

وكان الحاجز الفاصل بين الهيكل وقاعة المصلين (الايقونسطاس) قد جلب من كنيسة القسطنطينية في القدس بعد تجديد ايقونسطاسها بالرخام في اواخر القرن التاسع

عشر . وكان من خشب منقوش بالحفريات والرسوم والزخارف الجميلة نخره الزمن وعوامل الرطوبة والحشرات فازيل القسم الاسفل منه ليحل محله حاجز خشبي بسيط الصنع علقت عليه الايقونات القديمة في الثلاثينات من هذا القرن وعلى يد المرحوم الخورى نقولا ابرهيم الخورى من بيت ساحور . اما القسم الاعلى من الايقو نسطاس القديم فلا يزال قائما .

والى الشمال من هذه القاعة ترى بابا مرتفعا في الشمال الغربي من الحائط يصعد اليه بسلم خشبي يؤدى الى قاعة ضيقة مستطيلة من الغرب الى الشرق ربما كانت مخزنا من مخازن الدير .

ويبدو أن الكنيسة والدير كانتا مرتفعة عن سطح الارض المحيطة بها بحيث كانت ثلاث ارباع جدرانها ظاهرا غير مطمور .

متى بني الدير ولماذا ؟ ساد الاعتقاد قبل حفريات عام ١٩٧٢ ان الرئيس الروحي مارسيان هو الذى شيد الدير والكنيسة وسط السهل قبل عام ٤٥٤ م اكراما للرعاة الذين رعوا اغنامهم وسهروا عليها في هذا السهل يوم بشروا بميلاد المسيح ، وكذلك اكراما لذكرى راعوت زوجة بوعاز الغني اللحمي مالك هذا السهل .

وكان مارسيان هذا قد اعتنق المسيحية وتنسك . عين بعدها مديرا لاديرة المتوحدين والنساك في البطريركية الاورشليمية ، وكان القديس ثيوذوسيوس كثيرا ما يزور دير مار سيان ويسكن فيه قبل ان شيد ديره المعروف باسمه شمال شرق بيت ساحور وعلى الطريق الروماني القديم المؤدى من بيت لحم الى البحر الميت شرقا .

وتوفي مارسيان عام ٤٩٢ م . وآخر ما ذكر الدير في التاريخ كان عام ٥٤٢م اد يغلب ان هدمه السامريون في ثورتهم المدمرة ضد المسيحيين عام ٥٣١م ، ثم من الفرس عام ٦١٤ م واخيرا من العرب عام ٦٣٨م . (١٣)

ويذكر التقويم الغريغورى اعياد كنيسة اورشليم عام ٦٣٨ م قبل سقوطها في يد العرب قائلا : يقام عيد الميلاد يوم الخامس والعشرين من كانون الاول . اما احتفال ما قبل العيد فيبدأ باحتفال ديني مهيب يسير من بيت لحم الى حقل الرعاه شرقا في

الساعة السادسة صباحا ويعود المحتفون الى مغارة الميلاد في بيت لحم ليقيموا صلاة العصر والليل مع القداس" . (١٣)

وجاء البلاد الرئيس الروحي دانيال الروسي من كييف عام ١١٠٦ م وكانت له صلة متينة مع اليونان فيها وزار دير الرعاه في السهل الخصب شرقي بيت لحم فوصفه قائلا ان كنيسة باسم القديس يوسف كانت تقوم فوق المغارة والى جانب الكنيسة دير جميل الا ان الدير والكنيسة بحالة ردم تام من الكفرة . وتقع هذه الخربة وسط السهل محاطة بحقل زيتون يانع ، وتعرف السهلة بحقل الرعاة المقدس (A i g i a P i m i na) اى المرعى المقدس ، ويحمل السهل هذا الاسم مدى الاجيال . كما حفظ الاسم والذكرى بالتسمية العربية دير الرعوات" (١١) .

ويعتقد دانيال هذا ان العرب هم آخر من دمر هذا الدير حقدا على غزو الصليبيين حيث فعلوا ذلك في اماكن اخرى من البلاد كالرملة وسواها .

ويذكر بيتروس دياكونوس قيم مكتبة مونته كازينو في كتابه الذى جمعه عام ١١٣٧م وضمنه كل ما نشر عن رحلات الحجاج الى الارض المقدسة : "تقع كنيسة الرعاة وسط حقل خصيب ، تحيطها اشجار الزيتون . والدير محاط بسور حجرى منيع . وفي الدير مغارة منيرة فيها هيكل لذكرى المكان الذى بشر فيه الملائكة الرعاة بميلاد المسيح" (١١) .

وكتب سائح زمن الاحتلال الصليبي دعي بالمجهول السابع عام ١١٤٥ م يقول "ان الدير والكنيسة قد شيدا من جديد" . وأيد هذا القول المؤرخ الاسلامي الادريسي عام ١١٥٤ م بقوله "وتقع الى الشرق من بيت لحم كنيسة الملائكة" (١١)

وذكر فوكاس عام ١١٧٧ م "انه رأى المغارة التي ظهر فيها الملائكة للرعاة مرتلين انشودة المجد لله في الاعالي" كذلك ذكر ارناول (Ernoul) عام ١٢٣١ م الدير "وكان يسكنه رهبان يونانيون واسمه دير المجد لله في الاعالي" . ودمر الدير والكنيسة بعد اندحار الصليبيين ، فوصف المكان ريكولدوس مونته كروسيس (Crusis Ricoldus de Monte) عام ١٢٩٤ م "بأنه وجد ردما عظيما للكنائس التي كانت قائمة هناك" .

بينما يسرد يعقوب الفيروني "انه رأى كنيسة هناك يبدو انها كانت جميلة ، قسم منها قائم والاخر مردوم ويظهر انها كانت واسعة وذات حنايا وهياكل متعددة" (١١)

اما ما بعد عام ١٦٢٦ م فلم يرد ذكر الدير والكنيسة سوى المغارة القائمة تحت الردم كما يذكر كواريزميوس (Quaresmius) . وكانت جماعة من النساك قد اهتدت الى فجوة في الردم قادتهم الى القاعة الارضية التي بشكل مغارة ، حيث اقاموا فيها معبدا لهم وهكذا بقيت الى ايامنا هذه تشكو ظلم الماضي واهمال الحاضر .

الا ان الحياة اخذت تدب في هذا المقام من جديد فبدأت فيه حفريات وكشف عن هذا السر المطمور ، منذ عام ١٩٧١ حتى ١٩٧٣ . فظهرت طبقة ارضية من الفسيفساء حوالي ثلاثين سنتيمترا تحت بلاط ارضية القاعة المغارة وفيها اشكال هندسية ومربعات ونجم ثماني الزوايا تحيط به دائرة وبقربه صليب بحجارة الفسيفساء السوداء داخل دائرة من الحجارة الحمراء وعدد من الصلبان الارضية التي عرفت في عهد قسطنطين وهيلانة . وهناك حفرتان مستديرتان مرصوفتان بالفسيفساء البيضاء في ارض القاعة .. ومن الغريب ان تجد هذه الفسيفساء الاصلية ممتدة تحت جدار القاعة الجنوبي مما يدل ان بناية جديدة اقيمت على آثار بناية سابقة كما وجدت فسيفساء ارضية لهذه القاعة نفسها فوق الفسيفساء الاولى بحوالي العشرة سنتيمترات ، ربما كانت هي والجدار الجنوبي من تجديد يوستنيان في القرن السادس ميلادى (٥٢٧ ـ ٥٦٥ م) . وكان المجمع الكنسي المنعقد في القسطنطينية عام ٥٥٣ م بحضور يوستنيان قد حرم وضع رسومات الصليب في الفسيفساء الارضية والتي كانت عادة متبعة زمن قسطنطين وهيلانة .

والى الشمال من هذه القاعة كما ذكرنا قاعة مستطيلة ضيقة موازية للاولى يليها بئر ماء مبني بالحجارة وحسن القصارة ، له باب في جداره الشمالي . ويعتقد ان هذا القسم الشمالي من الدير كان برج مراقبة فصل القسم الشرقي منه ليكون مدفنا لسكان الدير الى الشرق من البئر وتحت الكنيسة التي شيدت في القرن السادس . وقد وجد في هذا المدفن اكثر من مئة هيكل عظمي وعدد من سرج الزيت وقلادات صغيرة بشكل صلبان صغيرة وعدة مسكوكات نقدية كلها من القرن السادس الميلادى .

اما على ظهر القاعة الارضية فظهرت بقايا كنيسة قديمة فيها عدد من الاعمدة

ورؤوس الاعمدة وجرن ماء ومنافذ اخرى الى القاعة الارضية بشكل فتحات في سقفها . وكشف عن فسيفساء جميلة تكاد تكون كاملة بالوانها الزاهية في ارض الكنيسة ، يتوسطها رسم ابريق تخرج منه اغصان الكرمة بعناقيدها ويحيط ذلك اطار من الفسيفساء الملونة حولها عدة صلبان صغيرة ، وفي اسفل الفسيفساء كتابة يونانية على جانبيها الاولى سليمة وواضحة يذكر فيها طلبات الرحمة له ولمعاصريه واسم رئيس الدير لازاروس . اما الكتابة في القسم الجنوبي من ارض الكنيسة فلم يبق منها سوى بعض الاحرف من آخر السطور الخارجية . كما وجد اسم ايسيخيوس باليونانية في فسيفساء الجهة الغربية من ارضية هذه الكنيسة . ومن المعتقد ان الدير والكنيسة قد دمرت وشيدت ابان القرون المتتالية مرارا . واخذ الاب سيرافيم رئيس دير القديس سابا على عاتقه تشييد كنيسة جديدة الى الجنوب الشرقي من الدير لتحفظ الذكرى والمقدسات القديمة ، منذ عام ١٩٧٧ وقد قاربت على الانتهاء .

كل هذا التاريخ الحافل المذكور في عدد من المصادر الهامة كالتوراه بعهديها القديم والجديد وصفائح تل العمارنة والتاريخ الروماني والبيزنطي والعربي . وكل ما وجد في هذه المنطقة من مغر وآبار ومساكن وآنية فخارية متنوعة ومسكوكات واديرة وكنائس في نواح متعددة فيها يثبت لنا جزما ان هذه البقعة الخصبة من الارض كانت دائما مأهولة بالسكان الا انها خلت منهم في حقبات متفاوتة بسبب غزاة ومحتلين جدد لندب فيها الحياة بعد فترة فتسكن وتعمّر من جديد وعلى أنقاض السالفين .

ذكرنا ان التسمية بيت ساحور جاءت من الارامية على اثر قصة مولد المسيح وبشارة الرعاة الساهرين في هذه البقعة من الارض . ولم يعرف هذا الاسم الا بعد الاحتلال الصليبي . وذكرت بيت ساحور بهذا الاسم لاول مرة في التاريخ الحديث من مؤرخ شرقي عام ١٤٨٣ م في الانس الجليل بتاريخ القدس والخليل تأليف قاضي القضاه ابو اليمن القاضي مجير الدين الحنبلي . (الجزء الثاني صفحة ٥٤٢) حيث قال : "والشيخ شعبان ابن سالم شعبان من بيت ساحور المعمر ابو سالم ، ولد كما اقتضى كلامه سنة ثلاث وسبعين وسبعمائة . وكان يذكر انه لقي البرهان بن جماعة والقرقشندى وانه كان يحضر عندهما في حالة القراءة فأخذ عنه بعض الطلبة وقال بعضهم انه رأى له سماعا على الشهاب بن العلائي وحدث بالاجازة العامة عن ابي حفص عمر بن اميلة وصلاح الدين عمر . توفي في سنة ثمان وثمانين وثمانمائة ببيت ساحور خارج القدس الشريف ودفن بها فكان غمره ما اقتضاه كلامه مائة سنة وخمسة عشر سنة" (٦٩) (٢٧)

اما من مؤرخي الغرب فقد ذكرها جون وورمبسر (John Wormbser) لاول مرة عام ١٥٩١ م ثم جين بوخر (Jean Boucher) عام ١٦١٠ م تحت اسم بيثاهور (Bethahour) . وعرف هذا الاسم عند الحجاج بمعنى قرية الرعاة .

وكانت بيت ساحور خالية من السكان فترة من الزمن حتى اواسط القرن الثالث عشر سوى من الرعاة والنواطير وعمال الارض ايام الحصاد يسكنون المغر المتعددة والاكواخ البسيطة الى ان اخذت موجات جديدة من السكان تلجأ الى المنطقة هربا من اضطهاد ديني او وضع اجتماعي . واول من التجأ اليها هم العجاجية (عائلات هندى وابو غنتور) قادمين من بلدة العجاجية في وادى موسى وسكنوا المغر الموجودة اليوم تحت عمارة شاهين .

بينما جاء خلاوى جد عائلة سلسع وشوملي ، (الجرايسة) في نفس الفترة تقريبا من منطقة وادى موسى ويعتقد انه من مكان يدعى سلع الى الشمال الغربي من معان والى الجنوب من الشراة (خطط الشام) . وكان هناك موطن دولة الغساسنة الممتد من حوران حتى مؤاب ،الدولة العربية المسيحية التي غلبها الفرس عام ٦١٣ – ٦١٤ م ولم تقم لها قائمة من بعد . وسكن الجرايسة المغر الموجودة تحت علية الشوملي في وسط البلدة ومغارة تحت بيت انطون يوسف ابو الزلف الى الغرب من بئر السيدة

وبقي العجاجية والجرايسة ردهة من الزمن سكان بيت ساحور الوحيدون يعملون مزارعين ورعاة لاصحاب الارض اهل بيت لحم .

وتلت ذلك موجات من اللاجئين في القرن السابع عشر وما يليه بسبب الظلم والملاحقات الدينية والفوضى زمن العهد التركي . فلجأ اجداد حمولة القزحة وهم العائلات المعروفة اليوم بعائلة القسيس وقمصية وابو فرحة من منطقة وادى موسى من "قزحة البنت" في شرق الاردن ومن بقايا الغساسنة المسيحيين ، وسكنوا بيت ساحور اما عائلة الرشماوى فيقال ان جدها مسلم جاء من رشمة في سوريا وانضم الى عائلة القزحة بينما يدعي آخرون انهم ايضا من وادى موسى ، اما عائلتي ابو سعدى ومصلح فتفرعتا من عائلة ابو فرحة .

ويقال ان جد عائلة حزبون في بيت لحم قد جاء مع عائلة القزحة من شرق الاردن ومن بلده حصبون كما وسكن اولا في بيت ساحور ثم خطف له عروسا من دير ابان والتجأ بها الى ديرالفرنسيكان في بيت لحم . ومذكور اسمه في سجلات الدير منذ عام ١٦٣٠ م فيكون قدومه مع عائلة القزحة الى بيت ساحور قريبا جدا من هذا التاريخ

وجاء اجداد حمولة المراشدة من صعبد مصر من رشده كحجاج مسيحيين ايام عيد الفصح واستقروا في بيت ساحور تهربا من الملاحقات الدينية وذلك قبل مدة لا تزيد عن مئتين وخمسين عاما . ويروى ان عويس (مصغر عيسى) وهو جد عائلة خير ، وجريس جد عائلة بنورة اخوه ، بينما جد عائلة عواد ، وابو شغوية جد عائلة عياد من نفس البلدة . ودعي نسلهم بالمراشدة نسبة الى اصل مصدرهم . وسكن المراشدة في المغر الموجودة اليوم تحت بيوت جريس سعدى غريب والياس ابرهيم خير وجريس خير في حارة عائلة خير الى الجنوب من وسط البلدة . ومغر حارة عائلة عياد .

والتحق جد عائلة كوكالي الذى قدم من الكوكالية في سوريا بعائلة عواد . وقدم اجداد عائلة الشعببات وعائلة جبران في نفس الفترة من الزمن من منطقة الشوبك في جنوب شرق الاردن حيث لا تزال لهم فيها صلة قرابة الى اليوم . وسكنوا في مغارة هي اليوم تحت بيت باسيل الياس ابو الشعر واخرى تحت حوش عائلة حمد الى الغرب من مدرسة دير الروم .

ويذكر المسنون من بيت ساحور ما رواه لهم اباؤهم واجدادهم ان اول بيت شيد

في البلدة قبل ما يزيد عن ستمئة عام هو بيت ابو غنثور • وكان قائما الى عدة سنوات خلت حيث ردم في توسيع الشارعين المار غرب عمارة الجامع الاسلامي شمالا والاخر المؤدى الى وسط البلدة نحو الغرب ، واقيم مكانه حوانيت على زاوية الشارعين المذكورين ، الى الغرب من الجامع والى الشمال من عمارة شاهين • وكان لهذا البيت تاريخ حافل في حياة بيت ساحور اذ من على سطحه قاوم السواحرة اللصوص والغزاه فدعي ببيت الناطور •

وشيد الاهلون لهم مقعدا الى الجنوب الشرقي من بئر السيدة كانوا يجتمعون فيه لتداول امورهم وفض مشاكلهم والتسلية العامة • وفي ذات يوم فاجأهم أربعون مسلحا من بلدة صعير الواقعة الى الشرق من حلحول قضاء الخليل ، قاصدين النهب والسلب فاجلسهم الاهلون في المقعد وأغلقوا الباب عليهم ، ثم فتحوا لهم منفذا في سقف الغرفة سمحوا للمعتدين بالخروج منه فردا فردا • وكان كلما خرج واحد منهم اجهزوا عليه حتى تخلصوا منهم جميعا • وعلم اهل قرية صعير بالامر فجاءوا لاخذ موتاهم محملين الجثث على ظهور الجمال مثاقلين الجثة بحجر من حجارة المقعد من الجنب الاخر • ويروى ان هذه الحجارة الاربعين لا تزال مكومة امام مقام سيدنا العيس في صعير (مقام عيسو بن يعقوب) للعبرة • وكان ذلك قبل مائتي عام تقريبا حين كانت العصبية القبلية متأصلة في المدن والقرى بين اليمنيين والقيسيين • وكم من حرب اهلية شنت وغزوات ومهاجمات جرت بين المدن والقرى والعشائر والقبائل منذ عصر الجاهلية وحتى القرن العشرين حيث زالت هذه النعرات بسبب الاضطرابات السياسية ايام الانتداب الانكليزى •

وعرفت بيت لحم وبيت ساحور بان سكانها يمن بينما بيت جالا فقيس • وكان شعار اليمنيين اللون الابيض بينما شعار القيسيين اللون الاحمر • وكان ان تزوج يمني من قيسية عليها ان ترفع الجلال الاحمر لترتدى الجلال الابيض عند حدود البلد اليمني وكم من معركة نشبت بين الجبهتين ان رفض اهل العروس تبديل جلالها • وفي هجوم القيس على بيت ساحور اليمنية سقط زعيم القيسيين صالح الهواش في سهل بيت ساحور ودفن في المقبرة الاسلامية هناك •

وقصة "قبر حلوة" الى الشرق من بيت ساحور مثل آخر على المعارك بين القيس واليمن • وكانت حلوة يمنية متزوجة من قيسي • سمعت ذات ليلة ان عشيرة زوجها

القيسية تعد العدة لغزو عشيرة اهلها اليمنية ، فتسللت ليلا وانذرت اهلها بالخطة فاستعدوا للغزاه وابلوا بهم بلاء حسنا وهزموهم شر هزيمة . وكانت حلوة تجاهد مع اهلها فاصيبت بجرح مميت ، فطلبت ان يركبوها هجينا وان يدفنوا جثمانها حيثما يحط الهجين . وكان ذلك حيث قبرها اليوم الى الشرق من هربة الحبيطيه بين مفترق الطرق وعلى الطريق الروماني الرئيسي المؤدى من بيت لحم الى دير ثيوذوسي .

كيف استقر اهل بيت ساحور في بلدهم : سكن السواحرة المغر والاكواخ الى الشرق من مدينة بيت لحم حيث كانوا يعملون زراعا ورعاة لاثرياء بيت لحم اصحاب الارض ، الذين جاروا بهم فتذمروا وطلبوا بعض الانصاف والحقوق في الارض التي عملوا فيها اجيالا . رفض الملاك الاستجابة فحدثت مشادة بين الطرفين انتهت باجلاء السواحرة عن الارض التي كانت مزروعة قمحا فحرثت واعيد زرعها بالذرة انتقاما . اما السواحرة فاستجاروا في قرية الخضر وما حواليها الى الغرب من بيت جالا ، صابرين على مضض الى ان حان موسم قطف الذرة . وفي ليلة قمراء تسلل السواحرة مع مجيريهم وقطفوا الذرة وعادوا الى مقرهم في الخضر غانمين مما اثار ثائرة التلاحمة فتدخل دير الروم لاصلاح ذات البين بين الفريقين وتبرع للسواحرة باراضيه في منطقة الخضر ان هم ارادوا الاستقرار هناك فرفضوا طالبين العودة الى الارض التي فلحوها واستغلوها هم واجدادهم من قبلهم . فما كان من دير الروم الا ان اقنع التلاحمة باقتطاع الارض المحيطة بكهوف وبيوت السواحرة بحدود مسال الماء من الجوانب نحو وسط السهل المعروف بسهل الرعاه ، وهذا ما معناه منحدر مار يوسف من الغرب ومن الشمال طريق المرج ـ الصير المعروف بالطريق السياحي اليوم ، مرتفعات تلة الصير حيث املاك وكنيسة الملائكة لدير اللاتين ، والى الشرق خلة خير ومنطقة جمعية الشبان المسيحية اليوم مع منحدر خلة خير ورأس جبل هراسه الى الشرق من مشروع الاسكان اليوم) أما جنوبا برأس جبل عش غراب (حيث معسكر الجيش اليوم) أما جنوبا فمن رأس جبل العوينه شرقا حتى وادالزغبي .

وعاد السواحره للحال الى منطقتهم وفلحوا الارض واخذوا يشيدون البيوت فوق وحول الكهوف التى سكنوها كما سكنها الكنعانيون والرعاة الاسرائيليون من قبلهم . و بدأوا يوسعون رقعتهم بشراء الارض من حول منطقتهم ، فاشترى المراشده والجرايسة منطقةالصير باكملها من اهل خربة البويرّ الواقعة شمال شرقي بيت لحم . باعوها بمبلغ خمسين ليرة ذهب عام ١٨٥٨ م لدير الفرنسيسكان الذى عرف اهميتها التاريخيةوما فيها من آثار قديمة .

وكانت الارض مشاعا قام بتقسيمها بين حمايل بيت ساحور الثمانية عبدلله شحاده بنوره ، جد المؤلف . فكان للحمائل الاسلامية الخمسه خمسة حصص ، وثلاث حصص للحمايل المسيحية الثلاث وهي الفزجة والمراشده والجرايسه وكان ذلك قبل مئة وخمسين عاما فقط. وقد ذكر ان العائلات المسيحية في بيت ساحور عام ١٨٣٢ كانت اربعون عائلة فقط .

عدد سكان بيت ساحور : لم نعثر مع الاسف على آى مرجع محلّي أو اجنبي يذكر شيئا بالتفصيل عن عدد سكان بيت ساحور منذ اول نشاتها قبل حوالي الستمئة عام سوى ما ذكر عام ١٨٣٢ أن العائلات المسيحية فيها بلغت الاربعين. ولما كانت الحمائل الاسلامية في بيت ساحور في القرن التاسع عشر تزيد عن الحمائل المسيحية بحمولتين فلربما كان عدد العائلات الاسلامية يزيد عن الستين عائلة. الاّ ان الكوارث التي حلتّ بالطائفة الاسلامية زمن ابراهيم باشا كانت طامد حتى قاربت على الزوال . اذ جمع هذا شباب المسلمين من جميع انحاء فلسطين عام ١٨٣٧م ليخوض حربا ضد العرب في مكة المكرمة . مات معظم جنوده في الصحراء او فقدوا ولم تعرف حتى اماكن مدافنهم. كم عاد وجند الشباب المسلم عام ١٨٣٩ ليشنّ حربا ضد سلطان تركيا . وحدث ان انتشر وباء الكوليرا هذا العام وحصد الالاف من جنوده ولم يعد منهم الا النزر اليسير. (٦٧)

وذكر عدد سكان بيت ساحور عام ١٩٠٧ بحوالي ستمئة نسمه ، بينما زاد عام ١٩١٤ الى ١٧١٣ نسمة منهم ١١٦١ روماارثوذكسيا و ٣٠٨ مسلما و١١٧ لاتينيا و ٨٩ انجيليا و ٣٨ كاثوليكيا . (١٣) . وفي الحرب العالمية الاولى (١٩١٤ ــ ١٩١٧) جندت السلطات التركية الشباب المسلم آولا ثم الشباب المسيحي في بيت ساحور سقط معظمهم في الجبهات المختلفة.

وانتعشت القرية زمن الانتداب الانكليزى وقفز عدد سكانها في ١٩٤٥/٤/١ الى ٢٧٧٠ نسمة . عاد وانتكس بسبب الحرب الاهلية بين العرب واليهود فهجر البلده العدد الكبير من الاهلين طلبا للرزق في الدول العربية المختلفة والامريكتين ولجأ اليها عدد من آهالي قرى العرقوب الذين احتل اليهود قراهم عام ١٩٤٨ ووصل عدد السكان في تعداد الحكومة الاردنية في ١٩٦١/١١/١٨ الى ٥٣١٦ نسمه فيهم عدد من لاجئي عام ١٩٤٨ (٢٧) يقارب المئة نفس.

أما احصاء ١٩٦٧/٧/٢٠ اى بعد الاحتلال الاسرائيلي بشهرين فدل أن عدد السكان هو ٦٨١٢ نسمة (عدا من كان خارج البلاد عند الاحتلال) من هوءلاء ستة آلاف مسيحي وألف مسلم. أما عام ١٩٧٥ فزاد العدد عن ٨٠٢٨ نسمة. اما عام ١٩٨١ فزاد العدد على عشرة آلاف نسمه.

وكثيرا ما ينزح فرع من هذه العائلات ليستقر في مكان أو بلد آخر طلبا للرزق أو استجارة بمجير أو هربا من حادث يخشى عواقبه . وهكذا نجد العديد من فروع عائلات بيت ساحور قد استوطنوا أماكن أخرى ، الا أن العلاقات بين الفرع والاصل بقيت في اكثر الحالات قائمة .

فخرج فرع من حمولة الحرايسة وسكن منطقة الجليل في شمال فلسطين وذلك في قرية معلول وطرعان من قضاء عكا ثم كفركنا والناصرة . ومن الناصرة ذهبت شعبة الى شرق الاردن ــ مادبا ، وتدعى عائلة البشارات هناك .

بينما نزح احد افراد عائلة بنورة من فرع حبرين واسمه مرشد قبل حوالي مئة وعشرين عاما وفي اواخر الحكم التركي الذي اتسم بالفوضى والابتزاز ، يوم كان مشايخ التعامرة يتحكمون بأهالي منطقة بيت لحم جامعين منها المال والمحاصيل .وحدث ان كان هوءلاء ضيوفا على عائلة بنورة حيث ذبحت لهم الذبائح وقدمت المناسف وحدث ان نقط السمن واللبن اثناء سكبه فوق المناسف على عباءة احد المشايخ فانصب هذا بالشتم والضرب على مرشد الذي كان يخدم الضيوف . فأقسم هذا ان لا يبقى في بلد يدخله التعامرة ولهم فيه سلطة ، فرحل مع عائلته الى شعفاط شمالي القدس والتقى ذات يوم بغريمه الشيخ التعمري يركب حماره فاختلى به واهانه مهانة لا تغتفر مجبرا اياه تقبيل موءخرة حماره ثم تركه . اما هو فرحل من شعفاط خوف انتقام التعامرة والتجأ الى عقربة ــ قضاء نابلس واستقر فيها . ولما بلغ اطفاله الاربعة سن الزواج حاول ان يزوج ابنتيه من ابناء حمولته في بيت ساحور على ان يأخذ من الحمولة عروسين لولديه ، فرفضت الحمولة ذلك الا اذا عاد الى بيت ساحور بلده فرفض كسر يمينه وزوجهم جميعا من وفي عقربه واعتنق الاسلام ولا يزال نسله على صلة مع عائلة بنورة حتى اليوم .

كذلك ذهب داهود عياد وهو عم حنا سمعان داهود عياد الى برقة قضاء نابلس

وبقي نسله مسيحيون هناك وهم على اتصال مع اقربائهم عائلة عباد في بيت ساحور الى اليوم ·

هذا عدا عن الهجرة الواسعة التي بدأت منذ مطلع القرن العشرين ومنذ الحرب العالمية الاولى وبسبب الضائقة الاقتصادية والفقر والجوع زمن الحكم التركي وبداية عهد الانتداب البريطاني على فلسطين · فمنهم من نزح الى شرق الاردن والكثير الكثير الى الامريكتين · ويندر ان لا يكون من كل بيت في البلدة مهاجر او اكثر كونوا عددا ربما ساوى من تبقى في بيت ساحور او زاد ومنهم من نزح بعد حرب عام ١٩٤٨ وعام ١٩٦٧ الى الدول العربية المختلفة والامريكتين طلبا للاستقرار والرزق ·

طوائف سكان بيت ساحور : كان سكان البلدة يتالف من طائفتين فقط هما الاسلامية والمسيحية · وكانت الطائفة الاسلامية تؤلف خمسة أثمان السكان بينما الطائفة المسيحية ثلاثة أثمان فقط وقد ذكرت سابقا سبب اضمحلال الطائفة الاسلامية

أما الطائفة المسيحية فكانت من المذهب الارثوذكسي فقط حتى عام ١٦٩٠) حيث أسس الفرنسيسكان في هذا العام طائفة لاتينية قوامها عشرون عائلة من حمولة الجرايسه· عادوا عام ١٨١٨م الى المذهب الارثوذكسي (١٠) وفي عام ١٨٥٩ اسست طائفة اللاتين من جديد·

وكانت كنيسة الرعاة التي تحت الردم في شرق البلدة هي مكان العبادة الوحيد للطائفة الارثوذكسية الى ان شيّد دير الروم مدرسته في وسط البلدة مع قاعة الى الغرب من المدرسة استعملت مكانا للعبادة مدة من الزمن الى أن شيدّت كنيسة الاباء والاجداد شرق البلدة عام ١٨٩٣م وفي عهد البطريرك جراسيموس ودشّنت عام ١٨٩٥·

وكان اول كاهن سيم للطائفة الارثوذكسية هو سالم من حمولة القزحة التي دعيت بعائلة القسيس نسبة له بعد هذا الحدث· وخلفه ابنه ابراهيم بعد وفاته ، الا أن هذا ترك الكهنوت بعد وفاة زوجته وسيم أخوه جريس كاهنا بدله· وبعد وفاة جريس خلفه ابنه خليل ، وخلف خليل ابنه نصر المتوفي في ٨ حزيران ١٨٨٠ · وبعده جاء ابنه ابراهيم في ٢٤ ايلول ١٨٧٣ حيث سيم شماسا فكاهنا ثم نقولا ابنه الذي توفي في الاربعينات من هذا القرن ، وسيم ابنه طناس كاهنا وتوفي في عمان في الخمسينات حيث خلفه ابنه جورج هناك· أما الابن الثاني ابراهيم فسيم كاهنا في بيت ساحور ·

أما كهنة العائلات الارثوذكسية الاخرى فسيم للمراشده الخورى خليل سلامه غريب الذى اعدم ابوه سلامه غريب زمن حكم ابراهيم باشا في ١٩٣٧/٩/١٤ في سوق القمح في القدس بقطع الرأس بتهمة عدم التعاون مع السلطات ومساعدة الثوار حيث كان مكلفا بجمع الاسلحة من الاهلين من البدو وسواحرة الواد. وكان بعض البدو قد وشو به تزلفا للسلطات بانه يحرض السكان على اخفاء اسلحتها بدل تسليمها. ولما علم الخورى خليل ان اباه قد اعتقله الجنود واخذوه الى القدس سارع الى دير الروم للتدخل وحصل على امر باعتاق والده سلامه واسرع الى مكان وجوده وما ان دخل سوق القمح واذا به يرى السيف يهوى على عنق ابيه فاسرع ووضع ورقة العفو على العنق المقطوع. وبقيت هذه الورقة محفوظة عند أحفاده الى عهد قريب. وبعد وفاة الخورى خليل خلفه ابنه ابراهيم خليل سلامه غريب كاهنا للمراشده.

وبقيت المراشده دون كهنة مدة من الزمن حتى عام ١٩٢١ زمن الانتداب البريطاني حيث سيم الخورى اندريا عيس عبدلله بنوره عن عائلة بنوره والخورى الياس سلامه عيس عواد عن عائلة عواد. ولم يساير الحظ سليم حنا عوض ليصبح كاهنا عن عائلة خير فانشق قسم من عائلة خير عن الطائفة الارثوذكسية وانضم الى طائفة الروم الكاثوليك. وبعد بضع سنوات سيم بنايوت يوسف خير كاهنا عن حمولته (١٩٢٣) فعاد معظم عائلة خير الى كنيستهم الارثوذكسية وبعد فترة من وفاة الخورى الياس سلامه عواد سيم سابا الياس عيس عواد كاهنا ليكون خارج البلدة ثم عاد ليخدم فيها، كذلك سيم جورج عبس مترى الياس عواد كاهنا خارج البلدة.

اما كهنة العائلات الاخرى فنذكر الخورى ميخائيل عيس الاطرش من عائلة ابو فرحه الذى سيم كاهنا عام ١٨٩٢ وتوفي عام ١٨٩٨م. وبعد وفاته حصل خلاف بين عائلة الاطرش ودير الروم انضمت عائلة الاطرش الى طائفة الروم الكاثوليك لمدة سنتين حين سم عيس الاطرش والد الخورى ميخائيل المتوفي كاهنا عن حمولته وعادت الى طائفتها الاصلية عام ١٩٠٠ وتوفي الخورى عيس عام ١٩١٦ اثناء الحرب العالمية الاولى.

وبعد انتهاء الحرب واحتلال الانكليز البلاد سيم جريس عيسى الاطرش ابن الخورى عيسى الثاني كاهنا عام ١٩٢١ مع الخورى اندريا بنورة والخورى الياس سلامة عواد، وتوفي عام ١٩٥٤.

اما الخورى عازر سليمان هلال فسيم كاهنا عام ١٩٠٣ ليخدم في حيفا ثم نقل الى مادبا ثم اعيد الى بلدة بيت ساحور حتى وفاته عام ١٩٦٤ عن سن تزيد عن التسعين عاما ٠

اما عائلة مصلح وابو سعدى فكان الخورى يعقوب وتلاه ابنه جريس الذى كان كاهنا ومعلما في مدرسة الروم في البلدة مدة ثم ترك البلاد ليكون كاهن الطائفة الارثوذكسية في طنطا مصر حتى وفاته وقد سيم ابنه اديب كاهنا في عمان ـ شرق الاردن ٠

ونعود لنذكر ان كنيسة الاباء والاجداد اصيبت بتصدع كبير على اثر زلزال حدث بعد ظهر يوم ٢٨ حزيران عام ١٩٢٧ وزلازل اخف وطأة في ١١ تموز ١٩٢٧ و ٩ شباط ١٩٢٨ و ١٠ شباط ١٩٢٨ وهزات خفيفة غيرها اصبحت بعدها مهددة بالانهيار ٠ فقررت الطائفة في البلدة ترميمها بتبرعاتها السخية ومساعدة اخوية القبر المقدس الارثوذكسية وتم توسيعها طولا باربعة امتار غربا كماورفعت ارضيتها بمستوى الشارع العام وجدد عقدها والجلاجل في القسم الغربي منها وشيدت لها جرسية عالية ذات طبقات وفي اعلاها ساعة ذات اربعة وجوه تعلن الوقت بضرب جرس كل ربع ساعة ، كانت هدية من المملكة اليونانية آنذاك ٠ وجدد الايقونسطاس الفاصل بين الهيكل وقاعة المصلين مصنوعا من الرخام الاحمر المصقول والمنحوت ٠ واعيد تدشينها باحتفال ديني تحت رعاية البطريرك تيموثاوس الاول عام ١٩٥٢ ٠ وكان المشرف على اعمال التجديد والترميم كاهن الطائفة الخورى اندريا عيسى بنورة الذى خدم الكنيسة زهاء اربع واربعين عاما ٠

ويبلغ عدد افراد الطائفة الارثوذكسية في بيت ساحور حوالي الخمسة آلاف نسمة في نهاية عام ١٩٧٨ م ٠

طائفة اللاتين : ذكرت انه اعيد تأسيس طائفة اللاتين في بيت ساحور عام ١٨٥٩ وكانت الشعائر الدينية تقام في مغارة في المحورة غرب القرية اولا ثم في بيت سليمان عياد في غرب القرية وهي غرفة واسعة لا تزال قائمة الى الغرب من بيت الخورى اندريا بنورة وجنوب بئر الصنع الذى اشاد فوقه جورج عطالله حنا قمصية بيتا له ٠ وكان يسكن الغرفة نقولا خضر عياد وعائلته سابقا ولما اصبح الاب الفرنسي جون مـوراتـين (A bbe Moreta in) مسؤولا عن الطائفة في البلدة ابتاع لها ارضا

شمال غربي القرية شيد عليها ديرا وكنيسة ومدرسة صغيرة لابناء الطائفة . وانضمت عائلة عياد الى طائفة اللاتين تاركة مذهبها الارثوذكسي بسبب خلاف بين دير الروم آنذاك مع سالم عياد عميد العائلة وذلك لمطالبته بالسلطة على مدرسة دير الروم والقاعة الغربية كنتساو مع تسلط عائلة القسيس على كنيسة الرعاه والاراضي المحيطة بها بأمر الدير المذكور . فلما رفض الدير ذلك التجأ مع حمولته الى طائفة اللاتين .

وفي عام ١٩٥٠ م قام دير اللاتين بنشاط واسع لدعم الطائفة في بيت ساحور فشيد كنيسة واسعة وجميلة مكان القديمة باشراف المهندس الكنسي الايطالي . بارلوزى كرست باسم سيدة فاطمة والقديسة تيريزا . وساهم الاهلون مساهمة فعالة في العمل ونذكر بالثناء النحت الفني للتماثيل الحجرية التي تمثل الحوادث الدينية المسيحية منذ بشارة مريم بالحبل حتى هرب يوسف ومريم والطفل الى مصر تزين مائدة الهيكل بينما تعلو هذه تماثيل الانجيليين الاربع تعلوها مجموعة الرسل الاثنى عشر تحيط بتمثال المسيح . وكان هذا النحت من عمل الفنانين عيسى الزميرى من بيت لحم وعبدالله هرون من بيت ساحور عند (٥٤) اقامة الكنيسة الاولى .

وشيد في نفس الفترة دير للراهبات ومدرسة للاناث عدا مدرسة البنين القديمة ، مع عيادة طبية . وبعد عدة سنوات شيدت عدة حوانيت على جانب الشارع الشمالي في المنحدر شرقي الدير . وباع دير اللاتين ارضه الواقعة الى الجنوب من الشارع العام الداخل الى البلدة مع المحورة والقسم الغربي من الارض الواقعة الى الغرب من الدير الى الشمال من الشارع العام حيث بنى الاهلون الكثير من العمارات والحوانيت فيها وبقيت قطعة ارض واسعة الى الغرب مباشرة من الدير حيث اصبحت ملعبا للبلدة اولا ثم شيد فوقها عدة حوانيت بموازاة الشارع العام شمالا عام ١٩٧٣ /١٩٧٤ م وشيدت تحت الحوانيت قاعة واسعة تستعمل للنشاطات الرياضية والعلمية والاجتماعية

وقد اشرف على رعاية الطائفة اللاتينية في بيت ساحور عشرون كاهنا منذ تأسيسها حتى نهاية عام ١٩٧٩ نذكر اسماء بعضهم ممن طال بقاءهم في البلدة نسبيا :

الاب يوحنا موريتان من عام ١٨٥٩ حتى عام ١٨٧٧ م

الاب سمعان اسحاق من عام ١٨٧٨ حتى عام ١٨٩٠ م

الاب داود بيغر من عام ١٩٠٧ حتى عام ١٩١٣ م

الاب الفونص الونصو من عام ١٩١٨ حتى عام ١٩٣٠ م

الاب شكري سرور من عام ١٩٣٤ حتى عام ١٩٤٠ م
الاب انطون فرغاني من عام ١٩٤٣ حتى عام ١٩٤٦ م
الاب دوينيك من عام ١٩٤٨ حتى عام ١٩٥٣ م
الاب سليم حذوة من عام ١٩٥٣ حتى عام ١٩٥٧ م
الاب بطرس سليمان من عام ١٩٥٧ حتى عام ١٩٨٢ ولا يزال

طائفة الروم الكاثوليك : تأسست من بعض عائلات من طائفة الروم الارثوذكس لخلافات بينها وبين الدير عام ١٨٩٠ وذلك لتشابه طقوس الكنيسة الكاثوليكية الملكية مع طقوس ومراسيم لكنيسة الارثوذكسية . وكان اول كاهن لهم هو الاب خليل يوسف ابي سعدى مِنْ بيت ساحور . شيدت لهم كنيسة صغيرة في شمال غربي القرية باسم القديس ميخائيل عام ١٨٩٠ م وفي عام ١٩٢١ انضمت عائلة حنا عوض خير الى الطائفة الكاثوليكية لعدم سيامة سليم حنا عوض خير كاهنا من دير الروم الارثوذكس عن عائلة خير . ووضع للكنيسة مار ميخائيل اول جرس تبرعت به عائلة خير آنذاك اذ لم يكن للكنيسة جرس بعد . الا ان معظم افراد عائلة خير عادت الى طائفتها الارثوذكسية عام ١٩٣٥ سوى عائلتي روبيرت سليم حنا عوض واخيه فرح .

وما ان سيم الاب جبرائيل عيسى ابي سعدى ارشمندريتا ووكيلا لبطريرك الروم الكاثوليك مكسيموس ، في القدس حتى دب النشاط والحياة والعمل في الطائفة فابتيعت ارض وبيت الاخوين سابا وفرح الياس ابو حشيش الى الغرب من مدافن الطوائف المسيحية في بيت ساحور وعلى الطريق العمومي الروماني القديم المؤدى من بيت لحم الى دير ابن عبيد شرقا . استعمل البيت لفترة قصيرة للعبادة . وفي عام ١٩٥٤ شيدت كنيسة فخمة وديرا ومدرسة داخلية عام ١٩٥٨ على هذه الارض ومكان البيت القديم .

وفي عام ١٩٦٢ وبمجهود المطران جبرائيل عيسى خليل ابي سعدى البتساحورى ومساعدة جمعيات خيرية المانية شيدت مدرسة كبيرة وروضة اطفال ومدرسة التدريب المنزلي للاناث الى الشمال من الكنيسة والدير والشارع العام . بعدها انضم القسم الباقي من عائلة ابي سعدى وقسم من عائلة مصلح الى طائفة الروم الكاثوليك خلف المطران جبرائيل عيسى ابي سعدى ابنها البار الذى سيم اسقفا عام ١٩٦١ وبذا كبرت الطائفة واتسع نشاطها ورعاها عدد نشيط وعامل من الكهنة الرعاه . فاصبح دير

الروم الكاثوليك مركزا اجتماعيا وثقافيا وعلميا مرموقا . كما فتحت عيادة طبية لمعالجة المحتاجين بالمجان لعدة سنوات .

وفي ١٩٧٥/٥/١١ ازيح الستار عن نصب برونزي نصفي امام الكنيسة للمرحوم المطران جبرائيل ابي سعدى لذكرى مرور عشرة اعوام على وفاته باحتفال مهيب .

اما كنيسة مار ميخائيل فهي مهجورة اليوم يقام فيها احتفال عيد شفيعها القديس ميخائيل كل عام . ونذكر معظم الكهنة الرعاه الذين رعوا هذه الطائفة منذ نشأتها وهم الاب خليل يوسف ابو سعدى فيوسف عطالله فالياس السيدة فالاب متري فيوسف داغر فاديب البدوى فبولس سماحة وميشيل الصاد والاب بطرس حداد والاب جوزيف لاجين .

الطائفة الانجيلية حديثة العهد وقليلة العدد لا تتجاوز المئة نسمة ، اصلهم من ابناء طائفة الروم الارثوذكس . وقد عاد الكثيرون الى طائفتهم الاصلية .

وكانت جمعية القدس الالمانية قد ابتاعت لها قطعة ارض واسعة الى الجنوب من كنيسة الاباء والاجداد للروم الارثوذكس ، اقامت فوقها مركزا لها ومدرسة لابناء البلدة عام ١٩٠١ وذلك بعد تأسيس المراكز والمدارس والكنائس اولا في بيت جالا عام ١٨٨٦ ثم في بيت لحم عام ١٨٩٨ . وكان اول معلم لمدرسة بيت ساحور الانجيلية قبل الحرب العالمية الاولى الاستاذ سليمان جريس ابو دية من بيت جالا . ومعروف ان عائلة ابو دية هي اقدم عائلة في الطائفة الانجيلية في منطقة بيت لحم .

وتوقف العمل في مدرسة بيت ساحور الانجيلية فترة من الزمن ابان الحرب العالمية الاولى وبعدها . استأجرها دير الروم لينقل مدرسته اليها لعدة سنوات لضيق عمارة مدرسته وسط البلدة . ثم عادت جمعية القدس الالمانية الى النشاط في اوائل الثلاثينات واسترجعت عمارتها لتفتح المدرسة من جديد تحت ادارة الاستاذ جبران مطر فازدهرت وسدت فراغا كبيرا في تربية ابناء وبنات بيت ساحور . ومع زيادة طلابها زادت عماراتها . وفي عام ١٩٦٠ شيد الى الغرب من العمارة الاصلية القديمة قاعة واسعة لتكون مكان عبادة لافراد الطائفة . كما شيدت غرف صفوف مدرسية الى الغرب والشمال وشرق العمارة الام . وخصصت الغرف الشرقية كمركز للنسيج ساعدت

على انشائة الحكومة النمساوية في الستينات لمساعدة فتيات البلدة وتدريبهن على عمل يضمن لهن دخلا يعشن منه ٠

وقد تمكن مدير المدرسة الحالي السيد جابر موسى نصار وزمرة زملائه المجدين من رفع مستوى المدرسة الى درجة اعدادية مرموق ومحترم وستصبح ثانوية بعد فرة ٠ وكانت عمارات هذه المدرسة مفتوحة للنشاطات العلمية والثقافية والاجتماعية في البلدة فكم من محاضرة القيت هناك ، ومعارض صناعية وفنية عرضت فيها ٠

ومن مديريها النشيطين كما ذكرنا جبران مطر واصله من مدينة الناصرة ثم الياس شحادة الخورى الذى سيم اخيرا قسا على كنيسة بيت لحم الانجيلية ، وتلاه السيد جابر موسى نصار من الناصرة ايضا ويدير المدرسة حتى اليوم ٠

الطائفة الاسلامية تؤلف ثمن عدد سكان بيت ساحور الحالي ٠ وسبب ذلك ما اصاب ابناء الطائفة زمن حكم ابرهيم باشا وحروبه في الثلاثينات من القرن التاسع عشر ٠ وتؤلف هذه الطائفة الحمائل الاتية : العجاجية وتؤلفها عائلة هندى وابو غنثور وهما من اقدم سكان البلدة ثم حمولة الشعيبات وتتكون من عائلات خميس ، حمد ، الاطرس ثم حمولة جبران المؤلفة من عائلات فياض وخضر ودنون ويونس وسالم وجابر وابرهيم ٠ كما التجأ اليهم عدة مئات من لاجئي عام ١٩٤٨ من قرى العرقوب ٠

وكان للطائفة مسجد صغير مكان المسجد الحالي شيد في اوائل الانتداب البريطاني ثم ازيل عام ١٩٥٥ ليقوم مكانه مسجد اوسع ٠ وشيدت غرفتان الى الشمال من المسجد زمن الانتداب استخدمتا كأول مدرسة اميرية للبلدة ٠ وكان أول مدرس فيها السيد ربيع مرقة من الخليل ٠

وللطائفة مقبرة صغيرة شمال شرقي المسجد ٠ وقد شطر القسم الشمالي الغربي من المقبرة بسبب فتح طرق وتوسيعها واوقف الدفن فيه لكونه بين البيوت السكنية ٠

وفي هذه المقبرة دفن الفقيه شعبان بن سالم البيتساحورى المشهور والمتوفي عام ٨٨٨ هـ (١٤٨٤ م) كما واحد زعماء القيسيين صالح الهواش الذى سقط في بيت ساحور في غزو على اهالي البلدة اليمنيين ٠

وللطائفة روضة اطفال وجمعية للشبيبة الاسلامية ٠

المنازعات الطائفية : يؤلم المرء ان يذكر مثل هذه الحوادث ولو انها قديمة لكن وجود الاماكن المقدسة في حوزة طائفة ما يحفز الطائفة الاخرى على محاولة اكتساب مثل هذا الحق والملكية في هذه الاماكن التي تمثل تاريخ الديانة المسيحية منذ بدايتها • فنشبت خصامات على ملكية مغارة الميلاد في بيت لحم منذ دخل الصليبيون البلاد عام ١٠٩٩ م كذلك حدث خلاف على ملكية مغارة الرعاه شرقي بيت ساحور عام ١٨١١ م • فيذكر مخطوط محفوظ في مكتبة دير الروم الارثوذكس ما ملخصه ان اشترى دير اللاتين من احد ابناء بيت ساحور المسلمين قسما من الارض قرب كنيسة الرعاه بعقد بيع محلي حسب عوائد القرى عام ١٨١١ ادعى بعدها دير اللاتين ملكية المغارة والكنيسة مانعين راعي طائفة الروم من مزاولة الصلاه فيها واهانوه وطردوه • فتقدم دير الروم بشكوى الى الباب العالي في اسطانبول مرفقينها بوثائق ثبوتية لملكية المقام • فاصدرت السلطات التركية حكمها عام ١٨١٦ م بعدم شرعية ادعاء اللاتين بالملكية واعادة المقام والارض الى دير الروم •

حرر هذا الفرمان في اواخر ربيع الاول سنة ١٢٣٥ هـ في القسطنطينية • واستلم دير الروم الارض والمقام الى يومنا هذا •

بيـــت ساحـــور الحديثـــة

ذكرنا ان بيت ساحور كانت موقعا كنعانيا خصبا في قضاء افرأتا سكنه الاولون من الكنعانيين ومن سبقهم ، كما تدل على ذلك المغرالمتعدده والابار المنتشرة بكثرة والاثار الجمة التي ظهرت عفوا ودون حفريات متعمدة . وسكنها قدماء الاسرائيليين بعد غلبتهم على الكنعانيين وامتلك سهلها المعروف بسهل الرعاة بوعاز الغني التلحمي ويقال ان ابرهيم بنى فيها معبدا . كما سكنها يعقوب حفيده بعد وفاة زوجة راحيل حوالي عام ١٧٣٠ ق م حيث ضرب خيامه خلف برج ايدر الكنعاني الشهير.. كما كانت مسكونة من الرعاة والفلاحين زمن ميلاد المسيح فذكرها الانجيلي لوقا (٨:٢) "وكان في تلك الكورة رعاة متبدين يحرسون حراسات الليل على رعيتهم" .

وما ان اعتنق الامبراطور قسطنطين الكبير الديانة المسيحية وجعلها ديانة الدولة في مستهل القرن الرابع ميلادى ، حتى انتشرت الاديرة والكنائس يملاءوها النساك والمتعبدون في حقل الرعاه ، وصير الغنم وقرب بئر السيدة .

ومضت قرون وعدد السكان في مد وجزر ، حتى وانقرضت الحياة في هذا السهل فترة واذا بموجات جديدة تتوالى لتحط رحلها هنا وتبدأ في نشر الحياة من جديد بعزم اشد وهدف ابعد . فجاءت الموجة الاولى في القرن الثالث عشر ميلادى ومن القبائل العربية النازحة عن وادى موسى في شرق الاردن طلبا لمعاش او هربا من ظلم وكانت هذه الموجة اول من سكن منطقة بيت ساحور في تاريخها الحديث وتتألف من العجاجية وهندى ثم خلاوى جد حمولة الجرايسة .

وفي بداية القرن السابع عشر الميلادى توالت عليها موجات متلاحقة معظم اسبابها الملاحقات الدينية زمن الحكم التركي ، وغالبيتها من بقايا دولة الغساسنة المسيحية من منطقة وادى موسى . فجاء داود جد حمولة القزحة من قزحة البنت وسكن بيت ساحور مع زوجته حيث انجب ولدين هما حباس وعيسى . وخلف حباس ثلاثة ذكور هم اجداد حمولة القزحة كما سنورد ذلك مفصلا بينما لم ينجب عيسى سوى البنات ، زوج احداها من مسلم جد عائلة الرشماوى الذى كان يعمل عنده مزارعا بعد ان جاء ليسكن بيت ساحور من رشمة في جنوب سوريا . ويقال ان عيسى اورثه ستة قراريط من املاكه بعد وفاته .

ونعود الى حباس الذى انجب ثلاثة ذكور هم سالم وهو اول من سيم كاهنا في بيت ساحور لطائفة الروم الارثوذكس فعرفت حمولته بعائلة القسيس من ذلك الوقت انجب اجداد عائلات نصر وعيسى وزخريا (ابو عيطه) . ثم اخيه ابرهيم جد عائلة ابرهيم وقد خلف اخاه في الكهنوت لكنه تركه بعد وفاة زوجته وخلفه في الكهنوت جريس ابن سالم اخيه ، ثم الاخ الثالث الياس ، جد عائلات سلامة وحنونة واسحق . وسنورد شجرة هذه العائلات في آخر الكتاب .

اما جد حمولة القمصية سلامة فقد جاء ايضا من قزحة البنت في وادى موسى لكن بعد فترة من نزوح جد حمولة القزحة التحاتى . اذ لا تزيد فترة اقامتهم في بيت ساحور عن المئتي عام .

وخلف سلامة ابنه يوسف وهذا خلف ابرهيم الذى خلف اربعة ابناء هم يعقوب وسلامة وزخريا وفرح اجداد عائلات حمولة القمصية الاربعة ولا يعرف بالضبط زوجة من اجداد الثلاثة سلامة ام يوسف ام بارهيم كانت قمصية . اما التسمية قمصية فيعللها البعض ان رقبتها كانت قصيرة فدعيت بالقنصاء وتحرف الاسم الى قمصية وهو المرجح

وسموا بالقزحة الفواقي لانهم سكنوا المرتفع الغربي من بيت ساحور .

اما عائلة ابو فرحة فتتكون من اربع عائلات هي الاطرش وهلال واليتيم وصبيحة . اما الاخيرين فجدهم الاول هو سليمان الذى خلف سالم وخليل وتوفي سالم وزوجه حامل فسمي المولود باسمه سالم ودعي باليتيم وقد رباه عمه خليل اما سالم هذا فخلف يعقوب جد عائلات سليمان وابرهيم وعيسى القرطة (دعي كذلك لان امه كانت تلتع او تقرط في كلامها) والابن الثاني الياس المدعو دعيس وهو جد عائلة دعيس . اما خليل الذى ربى سالم اليتيم ، فخلف صالح الذى مات قتيلا فدعي ابنه بابن صبيحة الام ورباه سالم اليتيم . وهذا خلف عائلات صالح . وعيسى وابرهيم وجريس كما تبنى الياس العبد الذى كان يعمل عنده وورثه كاولاده .

اما العائلة الثالثة من عائلات ابو فرحة فهي عائلة الاطرش التي جاء جدها مفرح من وادى موسى ايضا وهذا خلف فرح وفرح خلف غطاس ، وهذا خلف يعقوب ، ويعقوب خلف سليمان وهذا خلف جريس وعودة جدى فرعي العائلة كما سنرى في شجرة العائلة

اما العائلة الرابعة فهي عائلة هلال التي تضم اليوم عائلتي خليل وغانم اما خليل فخلف سليمان وسالم وسابا وجريس كما سنورد تفاصيل شجرة العائلة . بينما غانم فخلف اربعة فروع هي عيسى خليل يوسف وعياش كما سنرى لاحقا .

ويقال ان عائلة مصلح قد تفرعت من عائلة ابو فرحة مع اننا لم نجد حلقة الوصل بعد . وخلف الجد مصلح ثلاثة بنين هم سليمان وعودة وخليل اجداد فروع عائلة مصلح الحالية . اما عائلة ابو سعدى فهي فرع من عائلة مصلح سميت باسم الجدة سعدى التي تزوجت من عيسى احد اقربائها بينما هي اخت مصلح . توفي زوجها مبكرا فدعي نسلها باسمها . وانتشر اسم البغول على عائلة مصلح على اثر حادث تاريخي طريف في البلدة ، اذ لما كان سكان بيت ساحور يمنيين فقد ساعدهم التعامرة اليمنيون أيضا لصد هجمات القيسيين المتكررة فاصبح للتعامرة خاوة على السواحرة فاخذ شباب البدو يضايقون الاهلين متجولين في الشوارع حاملين الدبابيس ملوحين بها وقائلين "ماذا تأكل يا دبوسي" فيجيب فتى آخر "خرى الدنان" الى عسل النحل وكان على السواحرة اطعامهم العسل وما يطلبون . وذات يوم صادف التعامرة شابا سحوريا معه خروف فخطر ببالهم ان يأكلوه فسأل احدهم "ماذا تريد ان تأكل يا دبوسي" فاجابه آخر "هذا الخروف السمين" ولما سمع صاحب الخروف هرب به مسرعا نحو العوينة جنوب البلدة واخذ يصهل كالحصان قائلا "انا العاصي انا الباصي اذا لحقتموني اقطعوا رأسي" . ولما رأى التعامرة انه بعيد عنهم قال احدهم اتركوه فقد أبغل" . وسميت العائلة بالبغول .

اما ثاني اكبر حمولة في البلدة فهي حمولة المراشدة واصلها من رشدة في جنوب مصر اخذت اسمها من مصدرها . وكان الأجداد النازحون الى بيت ساحور اربعة ، منهم اثنان اخوة هم عوبس جد عائلة خير وجرجس جد عائلة بنورة . قدموا زوارا مسيحيين ايام عيد القيامة قبل ما يزيد قليلا عن مئتي وخمسين عاما واستوطنوا في بيت ساحور هربا من الملاحقات الدينية عهد تركيا والاربعة هم عويس وجرجس وعواد جد عائلة عواد وابو شغوية جد عائلة عياد . اما عويس فقد خلف خير الذى اخذت العائلة اسمه وهذا خلف اربعة اخوة هم اجداد فروع عائلة خير الاربعة : ابرهيم ، ويعقوب الهواش وسعيد ، وغريب . انظر الشجرة .

اما جرجس ابو ثريا جد عائلة بنورة فتزوج من بنورة التي انجبت له ولدين هما

عودة وابرهيم الملقب بابي حشيش لمرحه . ولما توفي جرجس مبكرا دعي ابناه بابناء بنورة فاخذت العائلة هذا الاسم . اما عودة فخلف ثلاثة بنين هم جبر وجبرين وشحادة اجداد الفروع الثلاثة بينما خلف ابرهيم حنا الذى خلف اربعة بنين عاش منهم سالم جد عائلة ابو حشيش الفرع الرابع من عائلة بنورة .

اما عواد جد عائلة عواد فقد خلف صالح وهذا خلف عيسى وعيسى خلف ثلاثة بنين هم عبدالله وموسى وسالم ، اجداد فروع عائلة عواد الرئيسية . اما فرع كوكالي فقد التجأ جدهم الى عائلة عواد قادما من الكوكالية في جنوب سوريا كما ذكرنا .

اما الفرع الرابع لحمولة المراشدة فهو عائلة عياد . اما الجد الاول فاسمه ابو شغوية ، خلف ابو محلوقة وهذا خلف ابو شارب والاخير خلف غطاس الذى انجب ابنين هما عياد وابرهم جدى عائلة عياد وعائلة بدرة اما عياد فانجب : جبر وفرهود وسالم بينما انجب ابرهيم : خضر وحنا ، فروع عائلة عياد وعائلة بدرة معا .

تطور بيت ساحور : كانت بيت ساحور في اواخر العهد التركي وقبل الحرب العالمية الاولى قرية صغيرة غير معروفة تقريبا ، يشتغل اهلها في فلاحة الارض وقطع الحجارة ورعي المواشي . فيها ثلاث مدارس ابتدائية بسيطة هي مدرسة دير الروم الارثوذكس في وسط البلدة ومدرسة دير اللاتين في الشمال الغربي من البلدة وعند مدخلها الغربي . ثم المدرسة الانجيلية الالمانية الى الجنوب من كنيسة الروم الارثوذكس وكان هذا حظا رفيعا لقرية لا يزيد عدد سكانها عن ستمئة نسمة آنذاك ونسبة لذلك العهد التركي المظلم . فكان فى القرية نسبة عالية ممن يقرأون ويكتبون وهذا ما حفز على تقدم القرية وتطورها السريع . فما ان تخلصت البلاد من حكم العثمانيين حتى اخذت تدب الحياة في القرية وبتدفق . فتأسس فيها اول مجلس قروى عام ١٩٢٥ برئاسة صالح جريس عياش الاطرش ، الذى كان عضوا معينا في مجلس النواب التركي آخر ذلك العهد ، اما اعضاء ذلك المجلس الاول فكانوا عدا الرئيس صالح جريس عياش ، السادة جاد الله يعقوب اسحق ، سعد يعقوب سعد ، الياس خليل بدره ، عبدالله جابر جبران ، نقولا عودة الجرايسة ويوسف عيسى مصلح . ولم يكن للمجلس مقر ثابت بعد فكانت اجتماعاته تجرى اولا في بيت نقولا عودة ثم في بيت صالح جريس عياش واخيرا في بيت الخورى عازر سليمان هلال . ويترأس الاعضاء الجلسات كل واحد شهرا .

وتمكنت البلدة النامية من تشييد عمارة لمجلسها عام ١٩٢٧ لا يزال مقر المجلس البلدى حتى اليوم ، وهو في الزاوية لتفرع الشارع العام الداخل الى بيت ساحور والى الجنوب من دير اللاتين . وهكذا شيد مسلخ عام قرب بئر ابسرى شمال غربي البلدة .

وافتتحت حكومة الانتداب البريطاني اول مدرسة اميرية في غرفتين الى الشمال من الجامع الاسلامي تابعتين له في بداية العشرينات . وفي الثلاثينات عزمت البلدة على بناء مدرسة لائقة لها تتسع بصفوفهاللعدد المتزايد من الطلاب ، ففرضت ضريبة فردية على كل ذكر في القرية اقاموا فيها مدرسة واسعة في المرج شمال البلدة ، تبنتها الحكومة الاردنية بعد عام ١٩٤٩ ، فوسعتها مصبحة اعدادية الصفوف عام ١٩٦٧ . واصبحت ثانوية من عام ١٩٧٠/١٩٦٩ . اما مدرسة البنات الابتدائية فتطورت الى اعدادية وكان مركزها في بيوت مستأجرة حتى عام ١٩٧٩/١٩٧٨ حيث اقيمت مدرسة ثانوية كاملة للاناث . وكذلك المدرسة الابتدائية للذكور كانت في غرف متفرقة مستأجرة في المسمقة الى ان شيدت مدرسة حديثة وواسعة لتستوعب الصفوف الابتدائية والاعدادية الى الشرق من مدرسة الذكور الثانوية شمال البلدة . هذا عدا المدارس الخاصة ذات المستوى المرموق كمدرسة "سيدة الرعاة" لدير الروم الكاثوليك وهي تضم الفروع الاربعة من مراحل التعليم : روضة اطفال ، ابتدائي ، اعدادى وثانوى كامل . ثم المدرسة الانجيلية الاعدادية المختلطة ومدرسة الاناث الابتدائية للاتين ومدرسة دير الروم الابتدائية وروضة اطفال الاتحاد النسائي العربي وروضة اطفال الجمعية الاسلامية .

اما النشاط الثقافي والاجتماعي والعلمي فقد برز في البلدة منذ بداية نهضتها فتأسس فيها النادى الارثوذكسي الذى اشتهر بفرقته الموسيقية منذ اواخر العشرينات ثم جمعية التقدم التي ضمت نخبة ممتازة من خيرة شباب البلدة المتعلمين قاموا بالكثير من المحاضرات والمناظرات والتمثيليات المسرحية . ثم جمعيات خيرية وثقافية وعلمية كالاتحاد النسائي العربي والنادى الارثوذكسي العربي بفرعه الرياضي وجمعية مار منصور والنادى الثقافي والجمعية الاسلامية وسواها . واسس المؤلف الدكتور توما بنورة اول جمعية تعاونية للضمان الصحي في الاردن منذ عام ١٩٥٩ لا تزال قائمة . كما وهناك جمعيات تعاونية استهلاكية وتجارية . وآخرما اسس صيف عام ١٩٧٦ هو اول ناد عربي للفتيات في البلدة .

وشيدت في البلدة دار للسينما في الخمسينات اغلقت عام ١٩٧٥ وحولت عمارتها الى حوانيت وشقق سكن ٠

وافتتح صليبا عزيز حنا بدرة منتزها خاصا للبلدة في الصوانة الى الشمال الشرقي من المدينة وعلى طريق مار سابا القريب سد فراغا اجتماعيا في البلدة ٠

وتطور المجلس القروى الى مجلس بلدى عام ١٩٥٥ حيث دخلت بيت ساحور عداد المدن ٠ وقام هذا المجلس باعمال جبارة نسبة لدخله المحدود ٠ فمدت شبكة كهربائية في كل الشوارع ، وفتحت وعبدت الكثير من الطرقات والشوارع في انحاء البلدة المختلفة ٠ وفي الستينات مدت شبكة خطوط المياه في كل حي لتصل الى كل بيت ٠ واشترت البلدية ارضا مناسبة من صليبا وحنا يوسف سالم حبيبة واخرى من خضر خليل القنواتي شرق ارض ومركز جمعية الشان المسيحية في البلدة لتكون ملعبا رياضيا لشبابها ٠ وغرست الاشجار على جوانب الشوارع الرئيسية واقيمت سوق عمومية حديثة الى الشمال الغربي من بئر السيدة فى وسط المدينة افتتحت في ١٩٧٢/٥/١٢ ٠

اما العمران والصناعة فقد ازدهرت في المدينة فانتشرت العمارات الحديثة والمصانع في كل انحاء البلدة فاتسعت رقعتها اضعاف ما كانت عليه ٠ وانتشرت فيها الصناعات الالية واليدوية حتى بلغ عدد الحرف عام ١٩٧٦/١٩٧٥ ما يزيد عن مئتين وخمسين حرفة منها اربعين مشغلا لصنع التحف من خشب الزيتون وثلاثين مشغل للتحف الصدفية واثنين وعشرين منجرة فنية وواحد وعشرين خياطا وسبع حدادين ٠ وقام في المدينة اكبر مصنع لصناعة البلاستيك في الاردن يزود عدا السوق المحلية العديد من الدول العربية بمصنوعاته وهو ملك ابو عيطة اخوان ٠ وهناك مصنعان للنسيج والخياطة ، عدا صناعة النسيج الالي والتطريز المنتشرة في كل بيت تقريبا ٠ وهناك مصنع المواد الكيماوية ومصنع الانتينات التلفزيونية ومصنع اضواء الفلورسنس والبراغي الخشبية ٠ ومصنع طوب وعدد من الورشات الميكانيكية لاصلاح السيارات وتنجيد الاثاث ٠ كما وفي البلدة اكثر من ستين بقالا وعدة مزارع للدواجن ٠ وفيها فرنان للخبز وعشرة قصابين وعدد من المطاعم والمقاهي ٠

وفي البلدة شركة باصات منذ اوائل الاربعينات وعدد كبير من سيارات الاجرة والسيارات الخاصة ٠

اما عدد افراد حمايل البلدة فكان عام ١٩٧٥ كالاتي :
حمولة القزحة الفواقى والتحاتى ٢٥٨٩ نسمة . حمولة المراشدة ٢٠٦٤ نسمة حمولة ابو سعدى ومصلح ٧٢١ نسمة والجرايسة ٦٦٢ نسمة والشعبيات ٦٤٠ نسمة وجبران ٥٢٠ نسمة من الجنسين .

اما عدد ابناء الطوائف الدينية المختلفة لنفس العام فكان ٤٧٤٦ ارثوذكسا و ١٩٠٣ مسلما و ٧٩٣ لاتينيا و ٣٨٢ كاثوليكيا و ١١٨ انجيليا .

وكان عدد الطلاب في هذا العام ١٢٤٥ طالبا و ١١٥٦ طالبة . اما عدد الجامعيين ٣٤٥ نفسا وفي البلدة ٤٧٨ موظفا و ١١٨٠ عاملا و ٢٣ مزارعا .

وكانت ميزانية المجلس البلدى لعام ١٩٧٢/٩٧١ واحد واربعين الف دينار اردني اما العام اللاحق ١٩٧٣/١٩٧٢ فما يزيد عن نصف مليون ليرة اسرائيلي بينما زادت عام ١٩٧٥ /١٩٧٦ عن مليون ومئة وثمانين الف ليرة اسرائيلي (٦٥) .

ومن الواجب والفخر ان نذكر اسماء رؤساء المجلس القروى الذى صدر الامر من سلطة الانتداب البريطاني بتأسيسه في ١٦ نيسان عام ١٩٢٦ لكنه نفذ رسميا عام ١٩٢٩. اما المجلس الاول عام ١٩٢٥ فكان لجنة معينة من اهل القرية انفسهم . وهاكم اسماء رؤساء المجلس القروى والمحلي حسب عام تعيينهم :

١ ــ حنا جريس قمصية ١٩٢٩
٢ ــ باسل الياس الشوملي ١٩٣٢
٣ ــ حنا فرح عيسى بنورة ١٩٤٥
٤ ــ جريس حنا جريس قمصية ١٩٥٠
٥ ــ نقولا عيسى جريس ابو عيطة ١٩٥٥
٦ ــ عطا الله يوسف عيسى مصلح ١٩٥٨
٧ ــ لجنة معينة من حكومة الاردن ١٩٦٣
٨ ــ حنا الخورى جريس عيسى الاطرش ١٩٦٦
٩ ــ نقولا عيسى جريس ابو عيطة ١٩٦٧
١٠ ــ جريس يوسف الطويل ١٩٧٢
١١ ــ حنا الخورى جريس الاطرش ١٩٧٦ حتى اليوم .

والى الشرق من بيت ساحور وعلى الطريق الروماني القديم المار من بيت ساحور الى دير ابن عبيد شرقا والذى وسع وعبد والى الشرق من منطقة الصير تمر بحرش يتوسطه عمارة حديثة شمال الشارع هو مركز جمعية الشبان المسيحيين في بيت ساحور . اشترت الجمعية الارض من خليل ابرهيم الاطرش في اواخر العشرينات ، حرجتها واقامت فيها نزلا للاستجمام . وعثر فيها على مغارة صغيرة في الشمال الشرقي منها تبين انها مسكن كبير كنعاني قديم وجد فيه الكثير من السرج والاواني الفخارية القديمة وقد اتخذت هذه المغارة مركزا لذكرى الرعاه في قصة ميلاد المسيح يوءمها الالاف من الحجاج المسيحيين ليلة العيد مقيمين فيها احتفالا دينيا كبيرا يوزع في نهايته الخبز واللحم المشوى على النار امام المغارة على الحضور ، ويعودون بعدها بمسيرة مهيبة الى بيت لحم .

وان تابعت السير شرقا تمر في المنحدر والى يمينك بمجموعة عمارات تحوى الواحد اربعة مساكن هي مشروع الاسكان للاب "بيير كوتييه" الفرنسي الذى شيده مساعدة للفقراء الذين يدفعون ايجارا رمزيا سنويا ليصبح المسكن ملكهم بعد عدة سنوات .

وفي اسفل المنحدر عند مجرى السيول بين الجبال المحيطة يقع قبر حلوة المذكورة قصتها سابقا ويعتبر قبرها مقام ولي عند المسلمين .

وبسيرك مع هذا الطريق الذى وسع وعبد عام ١٩٤٩ بعد تقسيم فلسطين ، اذ كان الطريق الوحيد الموءدى من جنوب البلاد الى القدس ، تصل الى اعلى الجبل المشرف على وادى قدرون (واد النار) والى الشمال من الطريق العام تجد سورا يحيط بدير قديم اشبه بقلعة محصنة هو دير ثيوذوسي (ابن عبيد) الذى يبعد حوالي ستة كيلو مترات عن بيت ساحور . وكان مشيّده ثيوذوسي قد ترك مقامه في كنيسة العذراء بجوار بئر قاد سمو على طريق القدس ـ بيت لحم ، وانعزل في مغارة في اعلى الجبل المذكور روى عنها ان فيها بات المجوس بعد زيارتهم المولود يسوع في طريق عودتهم الى بلادهم ، حانثين بوعدهم لهيرودس الكبير ان يعلموه اين وجدوا الملك الطفل وسرعان ما التف حوله عدد من النساك من شتى الاجناس يزيد عن اربعمئة ناسك فبنى لهم كنيسة ذات اربعة اقسام اكبرها للرهبنة اليونانية وثانيها للنساك العرب والارمن والفرس وثالثها لنساك البلقان واوروبا اما الرابع فللرهبان المقاصين والتائبين .

وتوفي ثيوذوسي عام ٥٢٩ م ودفن في مغارة المجوس التي بنى كنيسته فوقها والتي ترى بقايا الفسيفساء من ارضيتها بعد . اما المغارة فهي كنيسة اليوم فيها مدافن والدة ثيوذوسي ووالدة القديس سابا صوفيا وآخرون على جوانبها . وقد هجر الدير بعد تدميره من الفرس ثم اعيد ترميمه وسكناه الى ان هجر نهائيا زمن المماليك في القرن الخامس عشر حتى التاسع عشر حيث اعاد البطريرك جراسيموس ترميمه عام ١٨٩٣ م فعادت اليه الحياه عام ١٨٩٨ وكان الدير في آخر العهد العثماني يحوى عدا الكنائس والمساكن مستشفى واسعا ، لا يزال بعض العمارات قائما مع الكتابات والمخطوطات . وقد شيدت كنيسة الى الشمال من مغارة المجوس كانت قد شيدت بعض جدرانها بعد الحرب العالمية الاولى وبقيت الى السبعينات من هذا القرن حتى تم بناؤها . ورممت جميع العمارات القديمة عام ١٩٥١ من رئيس اساقفة مادبا برتلماوس . وتجد العديد من المغر والفسيفساء على رأس الجبل المجاور للدير جنوبا حيث كان عدد من النساك يعيشون هناك آخر واحد كان في الاربعينات يدعى غلاكتو عمر المكان وزرع الاشجار وقد وجد هذا الناسك قتيلا قرب صومعته عام ١٩٤٨ م .

والى الشرق من دير ثيوذوسي وعلى مساحة منتشرة ودون تخطيط تسكن قبائل بدوية تدعى بالعبيدية نسبة الى دير ابن عبيد معظمهم شقر الشعور زرق العيون هم من اصل يوناني من لازستان من ولاية طرابيزون على شاطيء البحر الاسود الجنوبي التابعة لبيزنطية سابقا ، كانوا قد تمردوا على حكم يوستنيان وقتلوا العديد من جنوده استدعاهم الى القسطنطينية حيث حكم عليهم بالاعدام جزاء تمردهم . وصادف ان كان القديس سابا مبعوثا من بطرس بطريرك اورشليم في القسطنطينية ليخبر الامبراطور بما حل بالاديرة والكنائس والمسيحيين من ثورة السمرة في فلسطين .

تشفع لهم هذا القديس طالبا من الامبراطور نفيهم الى فلسطين بدل قتلهم فاستجاب الامبراطور له وامر بنفيهم فجاءوا مع القديس سابا وسكنوا بين الديرين مقسمين اليمين ان يبقوا عبيدا في خدمة الديرين الى الابد جزاء احسانه . واعتنقوا الاسلام في القرن الرابع عشر الا انهم بقوا تحت رعاية الدير يعولهم ويدفع مرتباتهم لملوك مصر حتى عهد ابرهيم بن محمد علي باشا الذى اعتق الدير من ذلك عام ١٨٣٨ م (٢٢) وفي الحرب الاهلية ضد ابرهيم باشا فر العبيدية من مضاربهم هائمين على وجوههم غرب البحر الميت فمات العديد منهم من سوء التغذية والمناخ فحاولوا العودة الى الدير الا ان الجيش كان يطلق عليهم النار فيهربوا . وتمكن متسلم القدس

من القاء القبض على سبعة عشر شابا منهم ارسلهم جبرا الى مصر للانخراط في الجندية كما قطع ابرهيم باشا الاعالة الاجبارية عنهم من الدير ، اذ كان مئة وخمس وثمانون ذكرا يتناولون الخبز من الدير يوميا (٦٧) ٠

وترك العبيدية بيوت الشعر واستقروا في بيوت حجرية حتى أصبحت مضاربهم السابقة قرية واسعة غير منظمة وفيها مدارس البنين والبنات وعدد من الحوانيت بعد عام ١٩٤٨ ٠

دير مار سابا : متى مررت من وسط مساكن العبيدية متجها نحو الجنوب الشرقي مع انحدار الجبل في طريق غير معبد تصل الى دير هو اشبه بقلعة مسورة لها برج مراقبة ومبني على العدوة الغربية لوادى قدرون ، يبعد عن بيت لحم حوالي سبعة عشر كيلو مترا ٠ بناه القديس سابا عام ٤٨٢ م بسيطا ليسكنه مع تلاميذه واتباعه النساك ، واقام فيه كنيسة واسعة فوق مغارة هي معبد آخر باسم القديس نقولا ٠ وعين سابا مسوءولا عن النساك المتوحدين بينما صديقه ثيوذوسي فعن رهبنة الاديرة وذلك من قبل البطريرك الاورشليمي سالوست (Sallust) عام ٤٩١ م الذى سام سابا كاهنا وهو في الثانية والخمسين من عمره ٠ وكان سابا معروفا بالعمل والجد والتقوى ٠ وقد اختاره بطريرك اورشليم مرتين لمقابلة اباطرة القسطنطينية انسطاس ويوستنيان في امور تخص الاراضي المقدسة ٠ وسابا مولود في قرية موتالسكة من مقاطعة كبادوكية من ولاية انقرة في آسيا الصغرى البيزنطية آنذاك عام ٤٣٩ م بينما توفي ودفن اولا في ديره في ٥٣٢/١٢/٥ ثم نقلت رفاته الى القسطنطينية ومنها نقلها الصليبيون الى كنيسة القديس مرقص في البندقية وعندما زار البابا بولس السادس الاراضي المقدسة عام ١٩٦٤ اتفق مع البطريرك المسكوني اثيناغوروس وبطريرك اورشليم بنادكتوس على ارجاع رفاه القديس سابا الى ديره فاعيدت الى القدس يوم ١٩٦٥/١٠/٢٦ والى ديره يوم ١٩٦٥/١١/٢٥ باحتفال ديني مهيب ٠ ومن الطريف ان نذكر ان الرئيس سابا لم يكن موفقا مع نساكه في ديره اذ ثاروا ضده فترك الدير فترة وعاد فثاروا عليه ثانية فتركهم حتى يوم تدشين كنيسة القيامة بعد تجديدها ، اذ حمله الاسقف الياس كتب توصية الى النساك الثائرين ، فشاط غضبهم ودمروا برج الدير ونهبوا ما فيه وغادره ستون راهبا الى تقوع عام ٥٠٣ م مقيمين لهم ديرا هناك ٠ لكن اضطراباتهم لم تهدأ مما اضطر الملك يوستنيان الامر بطردهم واحلال نساك اتقياء مكانهم منهم القديس سيريل من سكيتوبوليس ٠

وجدد يوستنيان بناء الدير بعد ان دمره السمرة . ويروى انه عندما هاجم الفرس القدس عام ٦١٤ م داهم بدو شرق الاردن دير مار سابا ناهبين ومدمرين وقاتلين اربعا واربعين ناسكا فيه وكان يسكنه خمسة الاف ناسك في هذه الايام وتكررت الهجمات على الدير في القرن الثامن والتاسع ، ففي عام ٧٩٦ هاجم البدو الدير وقتلوا عشرين ناسكا سادين المغر التي كانوا يسكنوها عليهم أحياء (٧٠) وهذه الاعمال اجبرت الدير ان يقيم ابراج المراقبة على أسواره . اما زمن الاحتلال الصليبي وما بعده فقد هجر الدير وكاد يندثر والتجأت اليه قبيلة العبيدية بانعامها وهدمت جدرانه ولم يبق فيه سالما سوى الكنيسة التي استعملوها لخزن غلالهم . وبقي الدير مهملا حتى عام ١٨٤٠ م حيث رممه الروس فعادت اليه الحياة ويسكنه قرابة الخمسين ناسكا ولما جاء شقيق امبراطور روسيا الى فلسطين عام ١٨٥٨ زار هذا الدير . ويرسل من اقترف ذنبا من رجال الدين الارثوذكس اليه لقضاء فترة جزائهم فيه .

ويحيط الدير سور عال وعلى مدخله برج يدعى باسم الملكة اويذوكسيا التي امرت ببنائه عندما جاءت تجادل القديس اويثيميوس في ديانته المسيحية عام ٥٥٥ م فاقتنعت منه واعتنقت هي المسيحية بعد هذا اللقاء . وفي البرج كنيسة صغيرة باسم سمعان العمودى . والى اليمين من البرج خارج السور ترى قصرا يدعى قصر البنات او قصر القديس سمعان تؤمه السيدات اللواتي يجئن لرؤية دير مار سابا الذى يمنع دخول النساء اليه . وقد شيد عام ١٦١٢ م

اما كنيسة الدير فواسعة ٢٤ × ٩ امتار وبشكل صليب يعلو سقفها قبة مستديرة . وتزين جدرانها ايقونات متعددة منها القديم ومنها الحديث . اما ايقونسطاسها فهو من الخشب الجميل النحت والنقش مطلي بالذهب . ويعضد جدران الكنيسة من جهتيها الجنوبية والشرقية ساندات ضخمة من البناء الخارجي . وتطل من فسحة واسعة شمال شرقي الكنيسة على الوادى السحيق وترى في غربه نبع ماء يزود الدير بماء الشرب عدا الابار المحفورة لجمع المياه فيها والى الشمال الشرقي من الكنيسة مغارة كان يسكنها يوحنا الدمشقي في القرن الثامن (٧٣٦ م) توفي ودفن فيها في ٧٤٩/١٢/٤ م . لكن رفاته نقلت الى موسكو فيما بعد وحولت المغارة الى كنيسة باسمه كذلك سكنه قوزما في نفس الفترة ومن شرفة الكنيسة تطل على وادى قدرون حيث ترى الى الشمال مغارة تبعد حوالي ٣٠٠ متر عن موقع الكنيسة كانت مأوى لصوفيا والدة القديس سابا .

ولما زار السائح الروسي دانيال من كييف البلاد المقدسة عام ١١٠٦ حتى عام ١١٠٨ م زمن الحكم الصليبي مكث في دير مار سابا ستة عشر شهرا (٧٠) ٠

وكان الدير يحوى مكتبة هامة فيها الكثير من المخطوطات امر البطريرك كيريلوس (١٨٤٥ – ١٨٧٢) بنقلها الى دير المصلبة حيث المدرسة اللاهوتية جنوب غربي القدس خوفا على محتوياتها من النهب او الدمار ٠ ومن هناك نقلت الى مركز دير الروم في القدس ٠

ومن سار في الوادى شرقي دير مار سابا يشاهد الخلايا والصوامع في الصخور الشاهقة حيث كان النساك يقيمون ويتعبدون ٠

اما دير مار سابا القريب الواقع شمال شرقي بيت ساحور فهو قصر حراسة فقط فيه معصرة زيتون قديمة وتحبطه ارض واسعة معظمها مشجر بشجر الزيتون ٠ وقد رمم برج هذا الدير عام ١٩٧٩ على نفقة الاب الارشمندريت يناذيوس ٠

منطقة القدس والخليل

تنبيه :

لقد تم ترتيب شجرات العائلات
حسب الامكانيات الفنية للطباعة

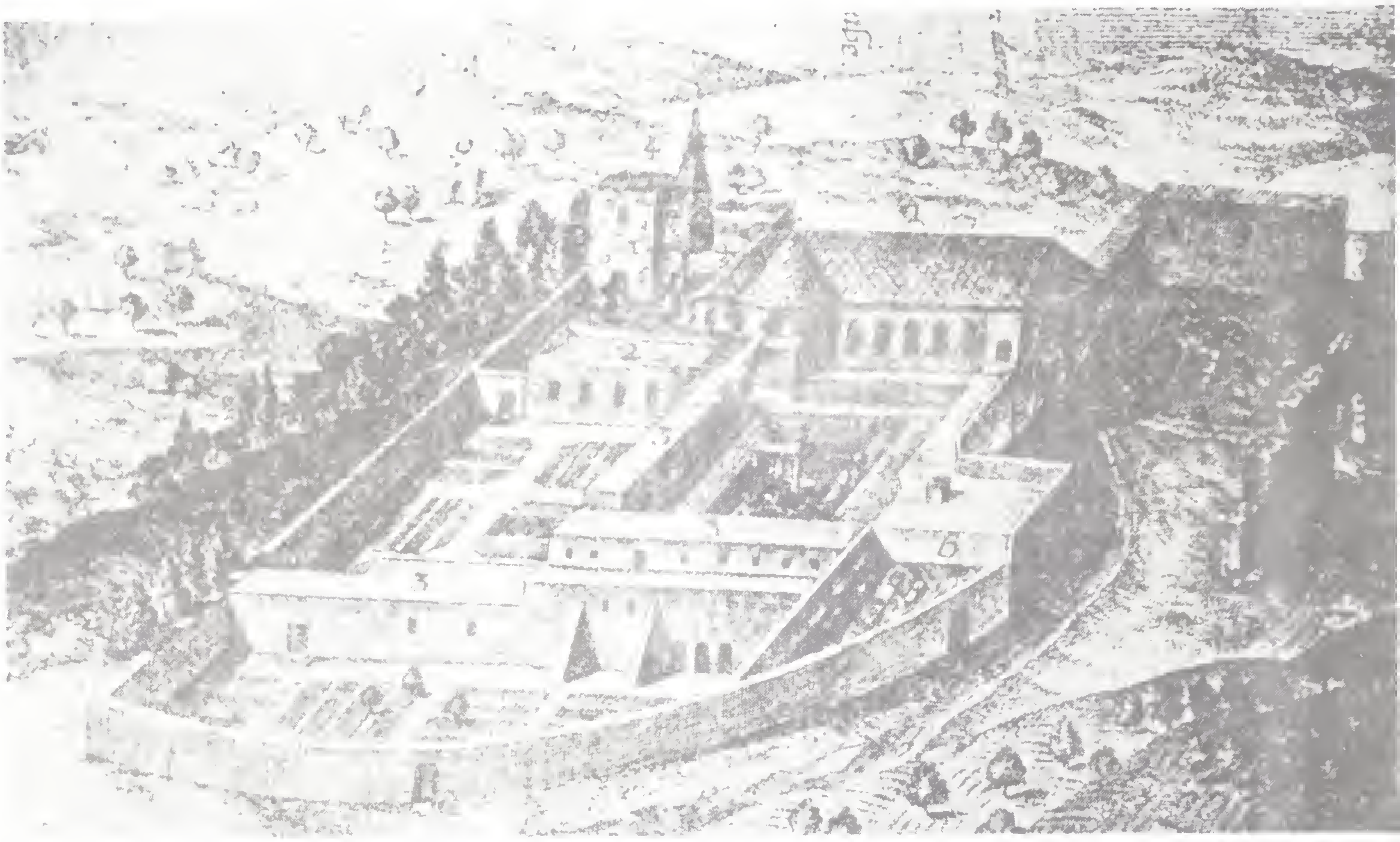

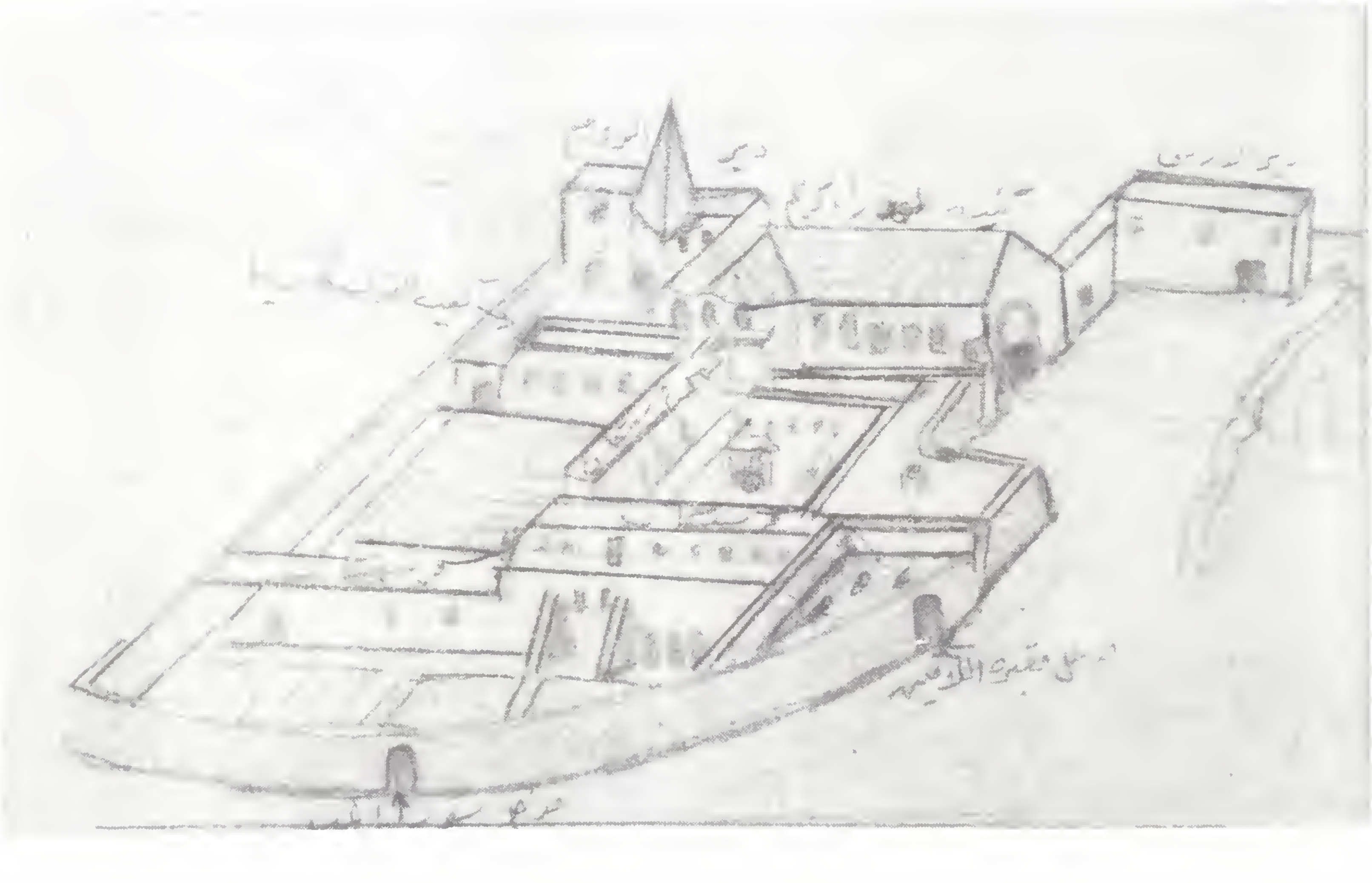

كنيسة المهد بين عام ١٧٤٩ ـ ١٧٥٢ (ل ٠ ماير)

بيت لحم والاديرة حول كنيسة المهد (صورةليتوغرافية) حوالى عام ١٨٣٠

HEBRON
BETHLEHEM
BEERSEBA

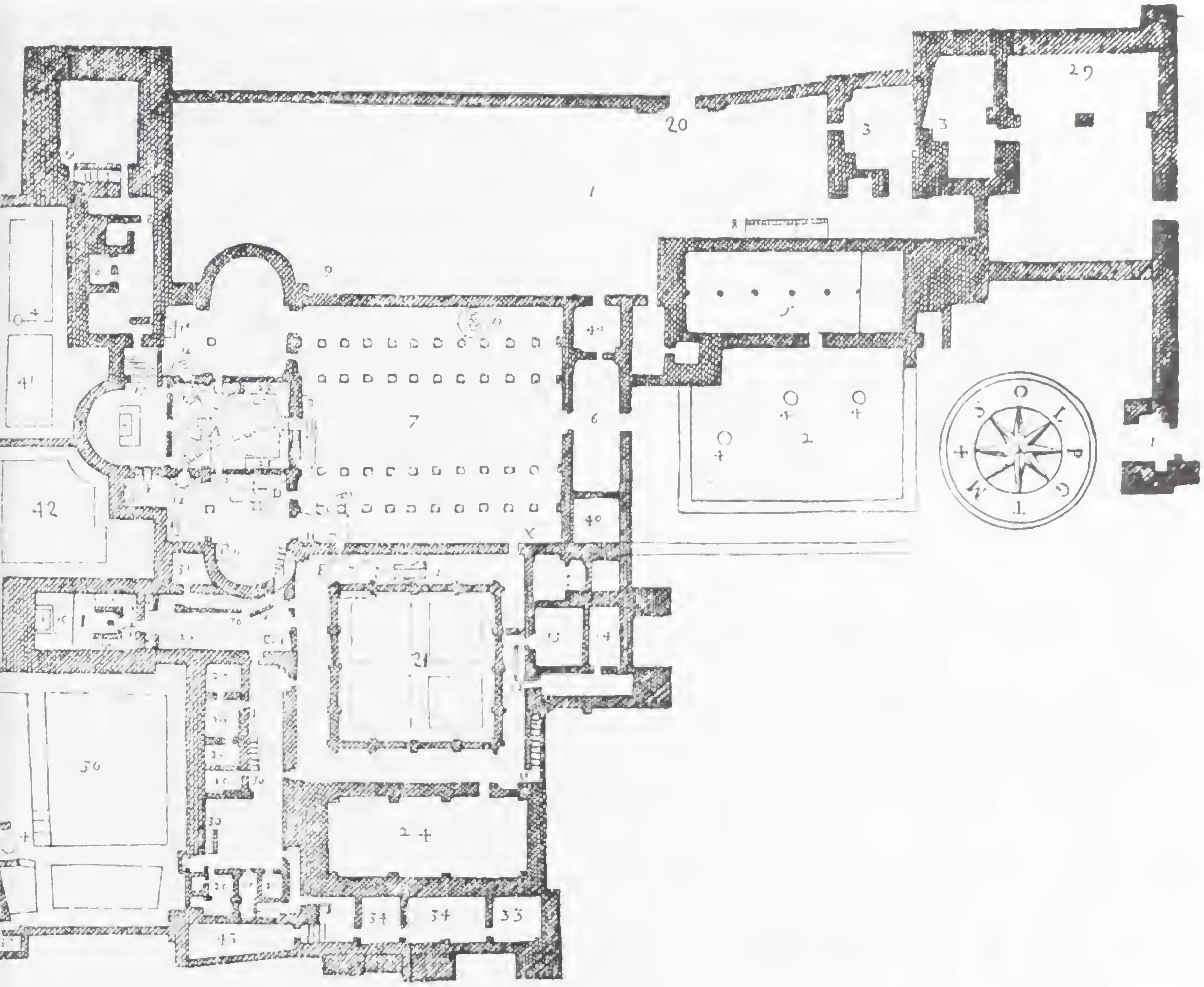

مخطط لكنيسة المهد والاديرة المجاورة (أميكو) عام ١٥٩٦

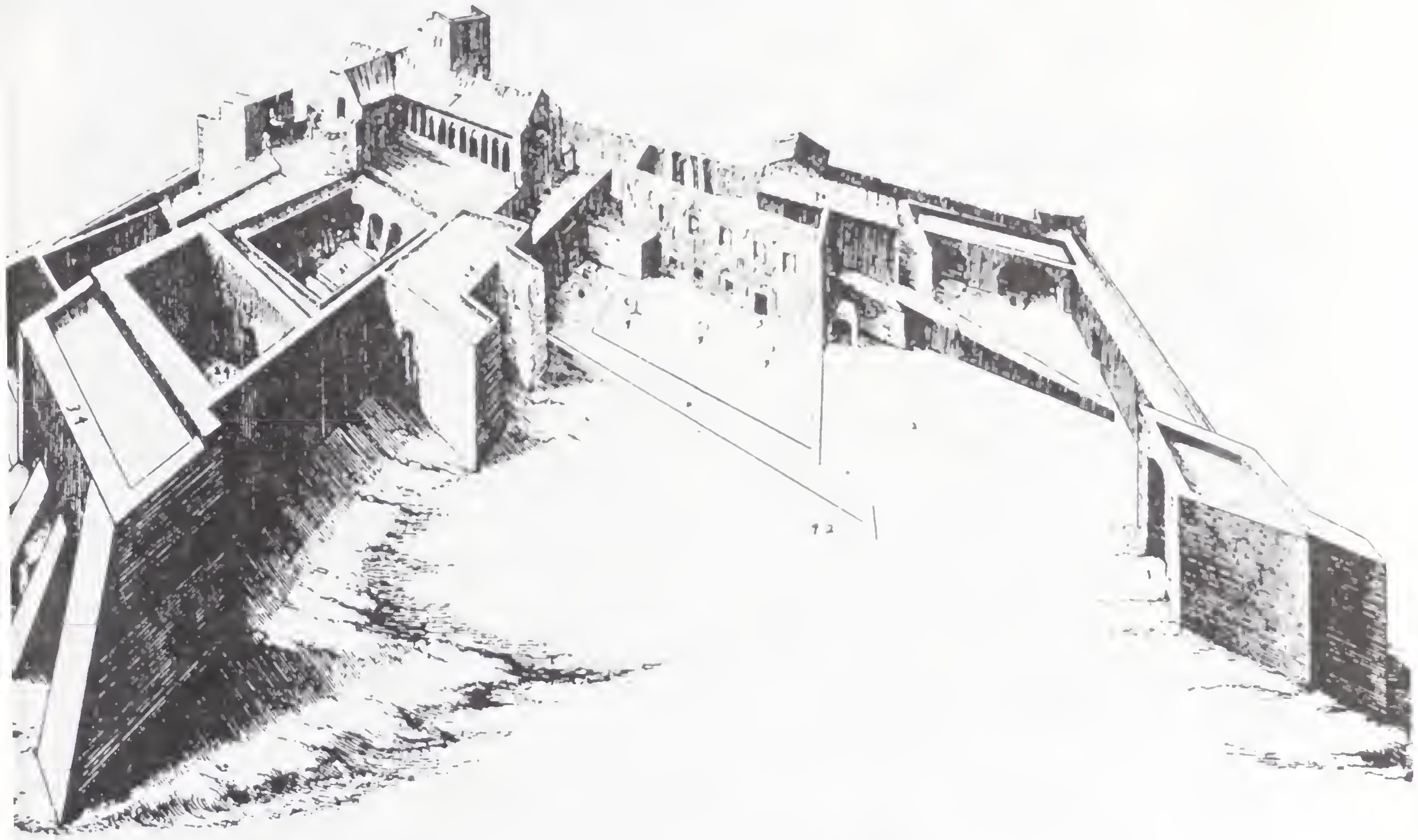

كنيسة المهد والاديرة المجاورة (أميكو) عام ١٥٩٦

صورة ليتوغرافية لبيت لحم ١٨٣٩

صورة ليتوغرافية لمغارة الميلاد ١٨٣٩

صورة ليتوغرافية لجمع من سيدات واطفال بيت لحم حوله مطحنة قمح ١٨٣٠

صورة ليتوغرافية ١٨٣٠ لرجل تلحمي

صورة ليتوغرافية ١٨٣٠ السيدة تلحمية

سوق بيت لحم فى ساحة المهد حوالي عام ١٩٠٠

بيت لحم القسم الشرقي قبل الانتداب البريطاني

صورة قديمة لبيت لحم ١٨٣٠

كنيسة الميلاد ، الباسيليكا

مكان مولد المسيح

الكنيسة الانجيلية في بيت لحم

افتتاح الميتم الارمني من قيصر المانيا وزوجته

زيارة قيصر المانيا وزوجته لكنيسة الميلاد

شارع في بيت لحم فيه سيدات باللباس التلحمي الجميل

صورة لبيت لحم عام ١٨٨٩

الاحتفال العربي بعيد الميلاد

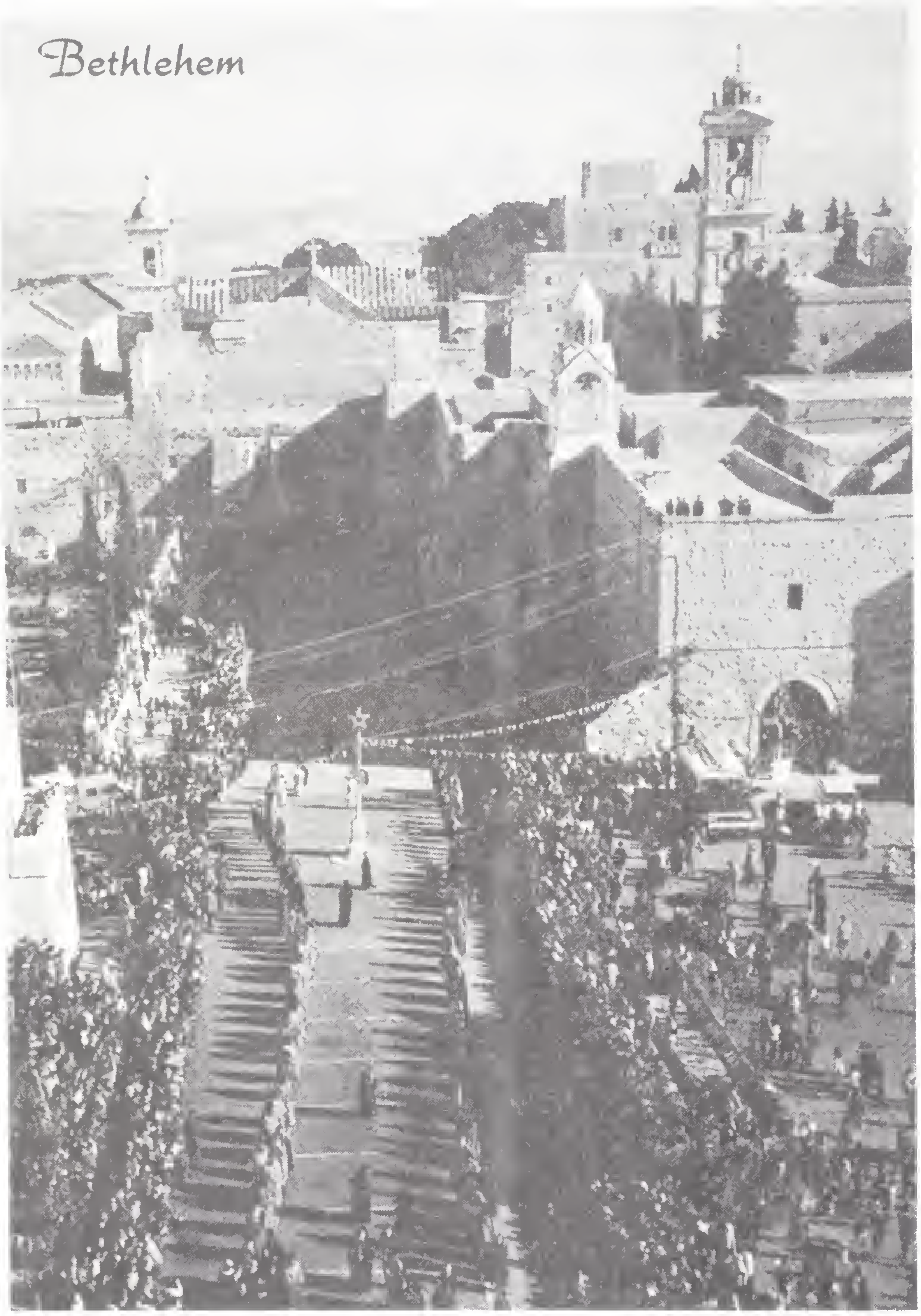

احتفال الطوائف الشرقية بعيد الميلاد

لاجئي حرب ١٩٤٨ في ساحة المهد

بروفسور جمانير يحصل على مواطن شرف لبيت لحم عام ١٩٧١

كنيسة الرعاه اللاتينية ١٩٥٤

بيت لحم في العهد التركي

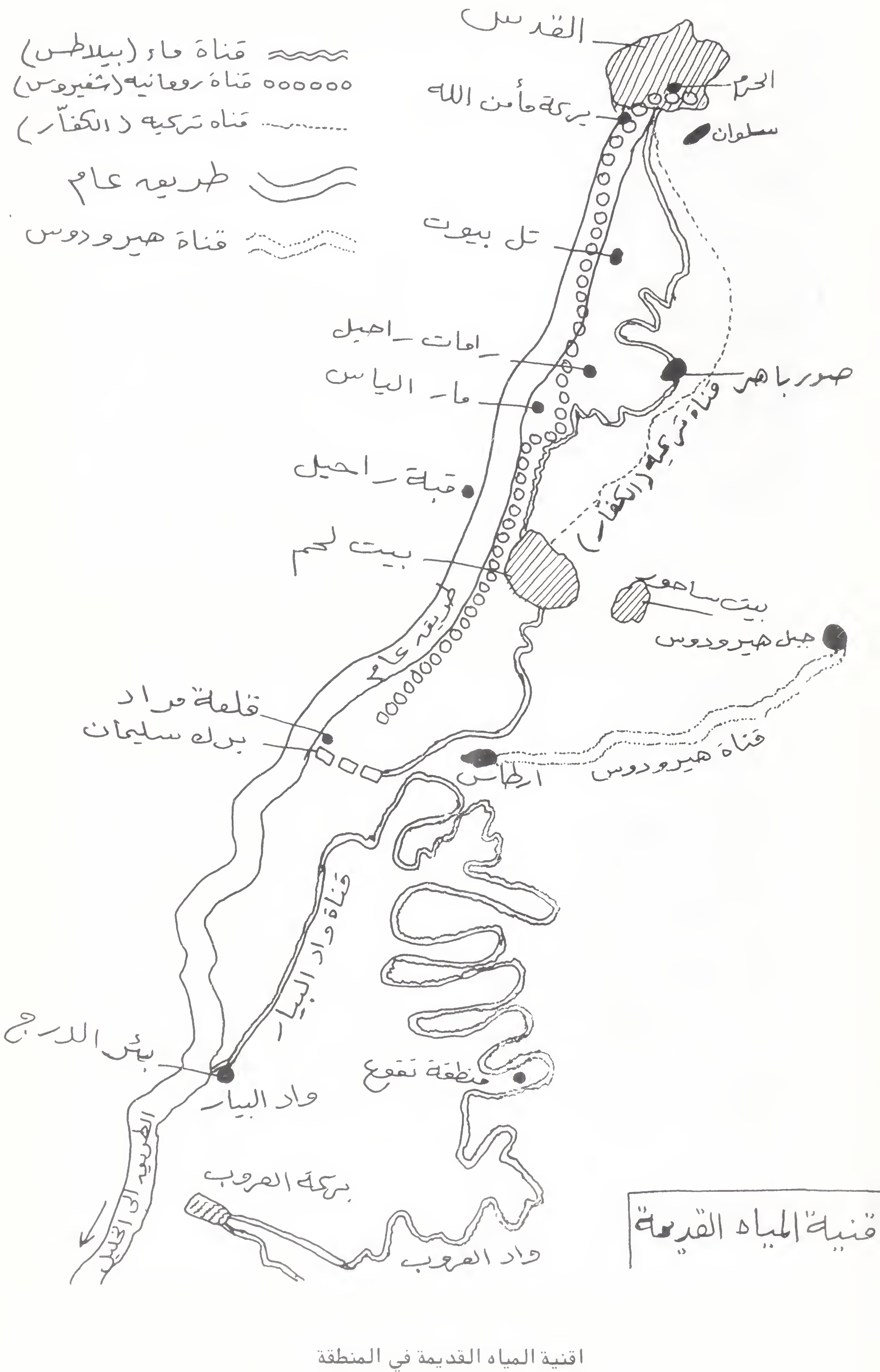

اقنية المياه القديمة في المنطقة

بيت ساحور اول عهد الانتداب الانكليزى

فسيفساء وآثار كنيسة الرعاه القديمة

كنيسة الرعاه اللاتينية ١٩٥٤

بيت لحم في العهد التركي

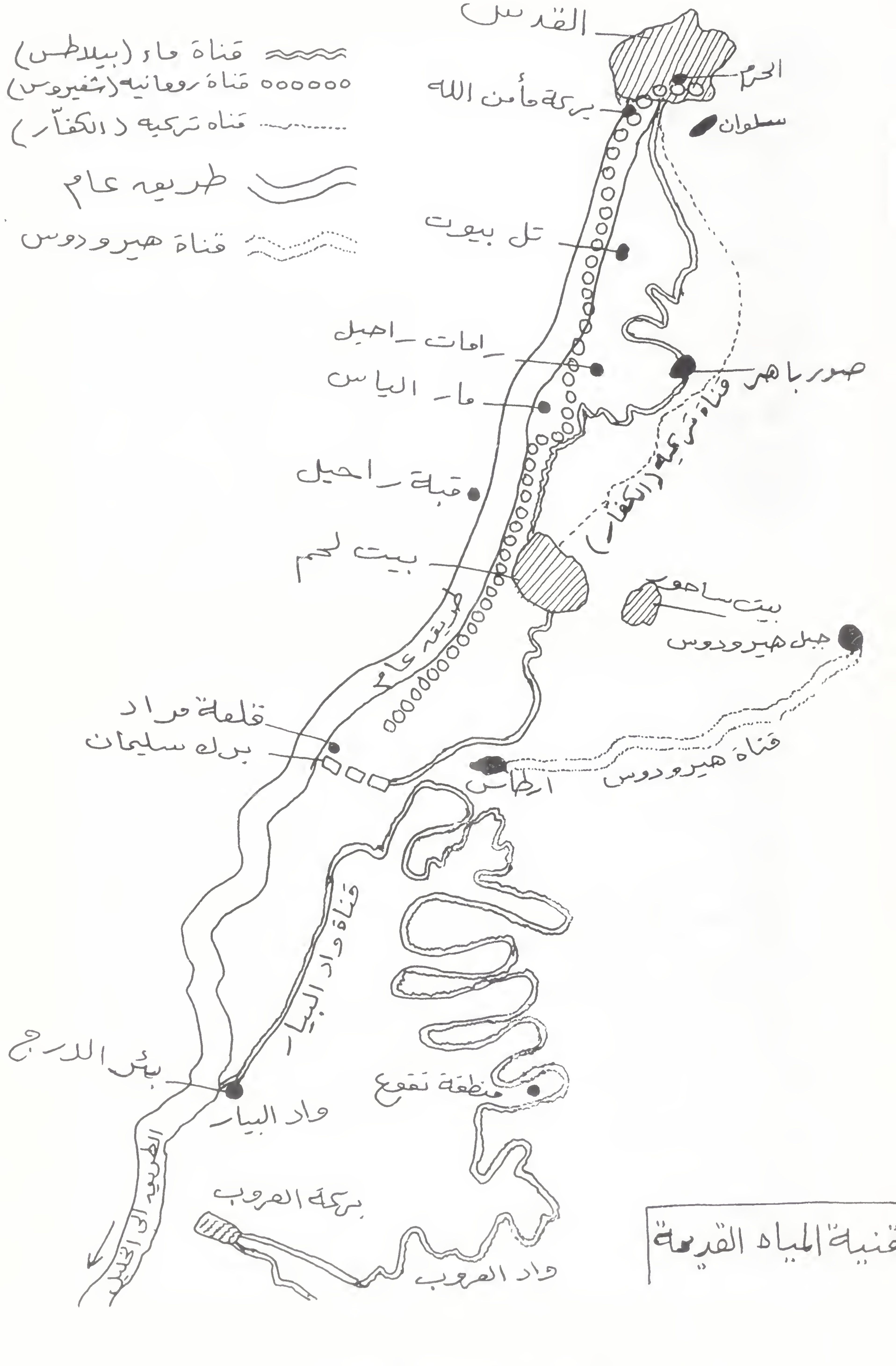

اقنية المياه القديمة في المنطقة

بيت ساحور اول عهد الانتداب الانكليزى

فسيفساء وآثار كنيسة الرعاه القديمة

كنيسة الرعاه اللاتينية ١٩٥٤

بيت لحم في العهد التركي

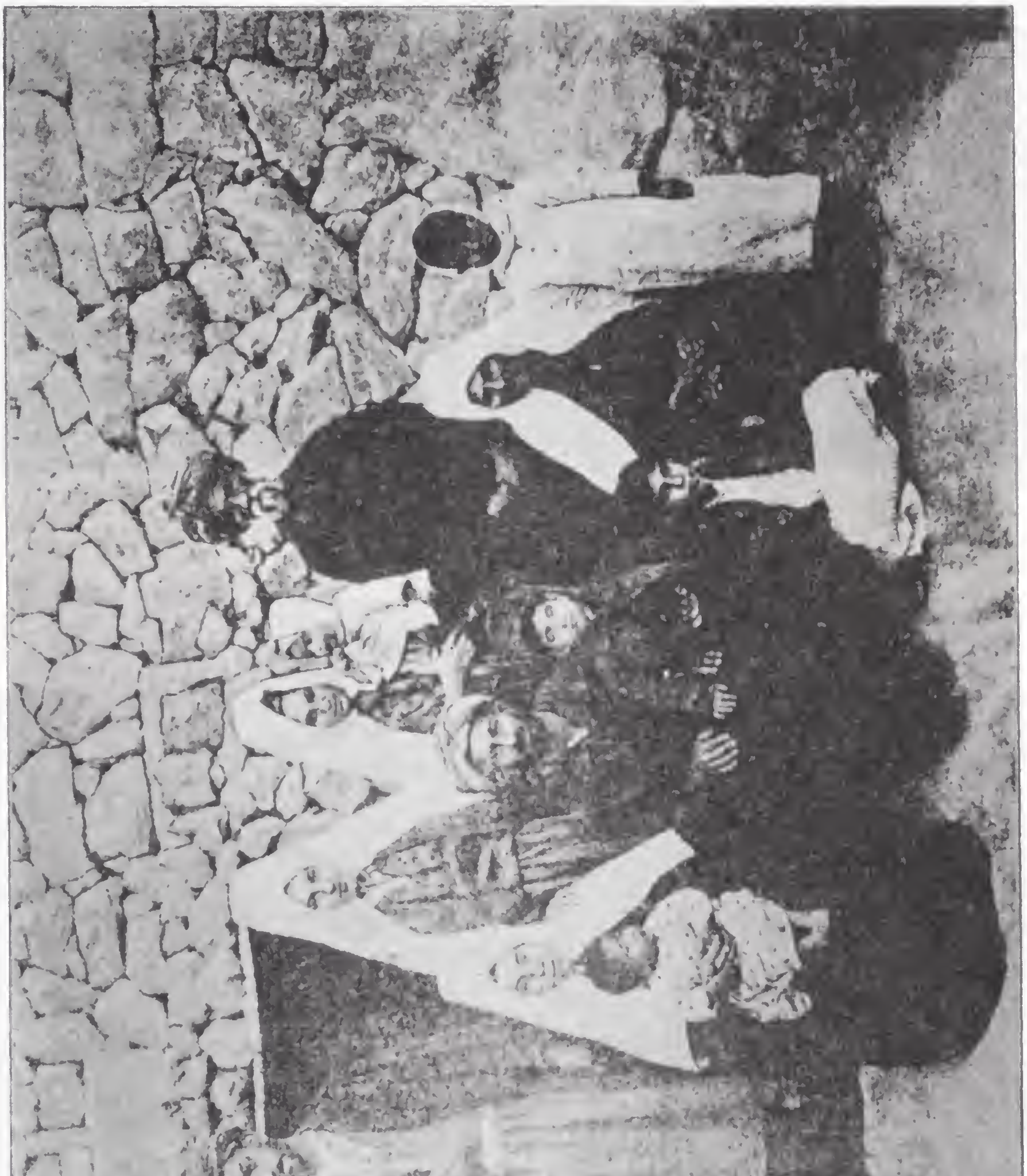

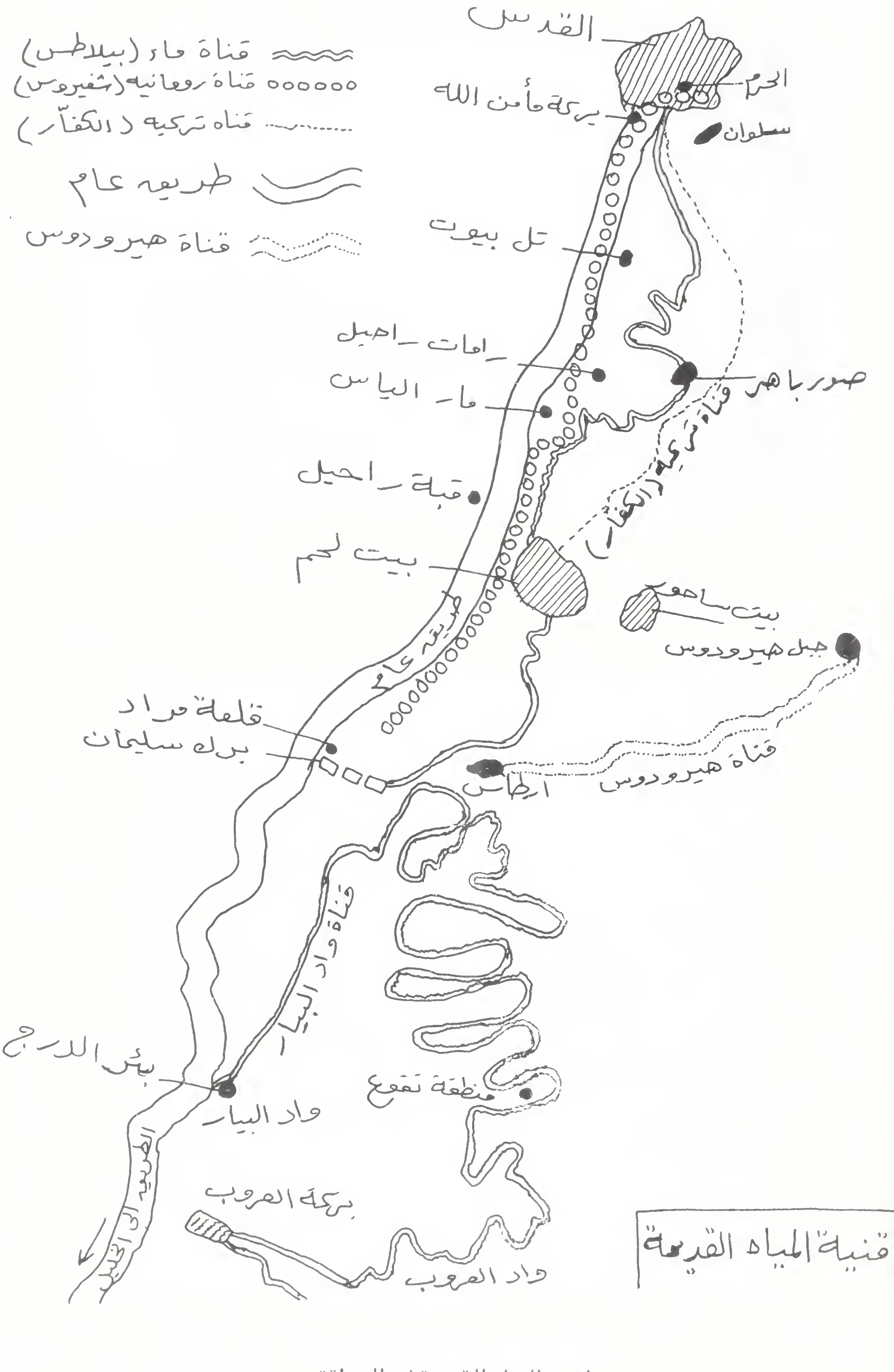

اقنية المياه القديمة في المنطقة

بيت ساحور اول عهد الانتداب الانكليزى

فسيفساء وآثار كنيسة الرعاه القديمة

عائلة بنورة - بيت ساحور

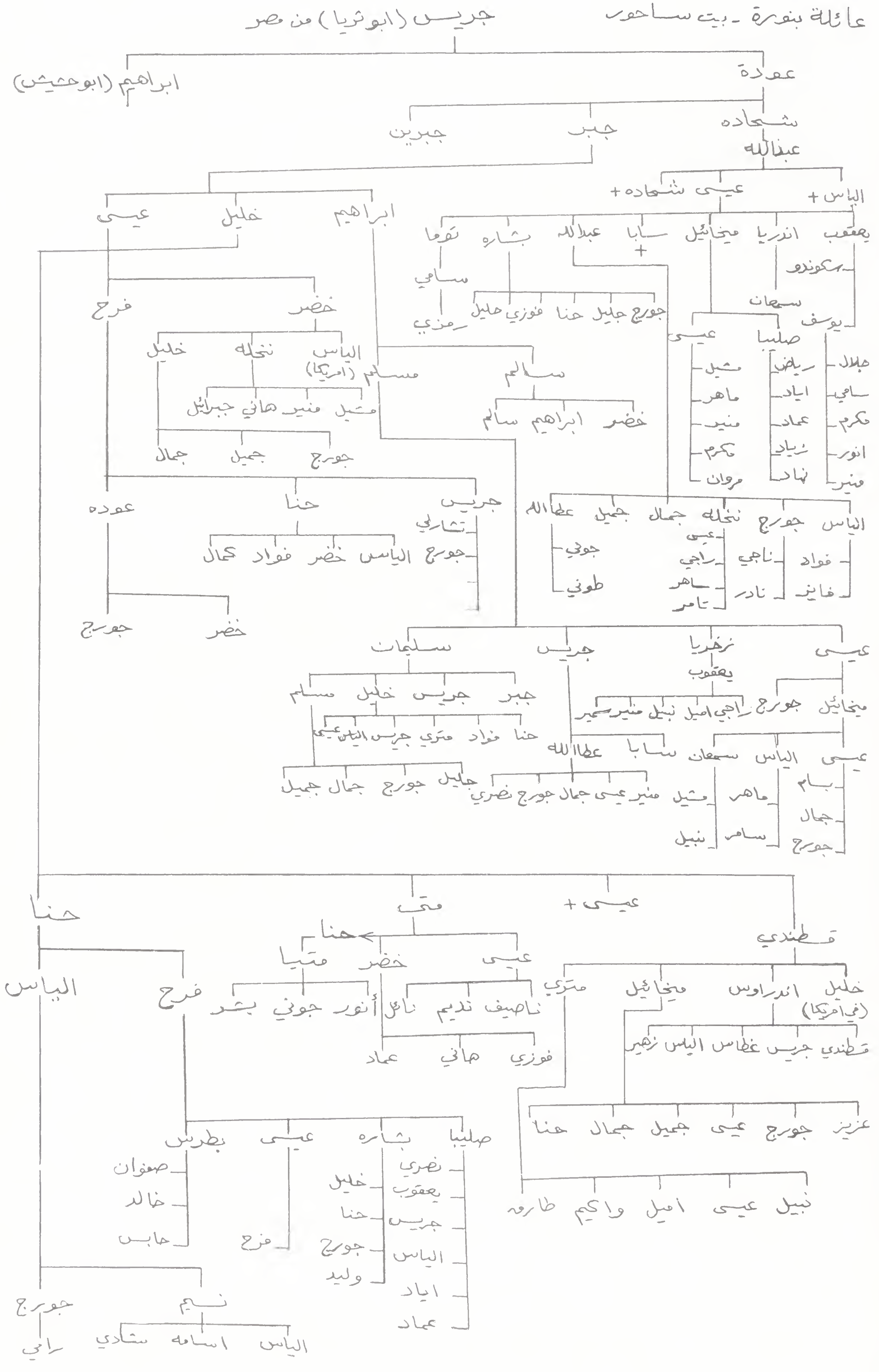

عائلة بنورة - بيت ساحور

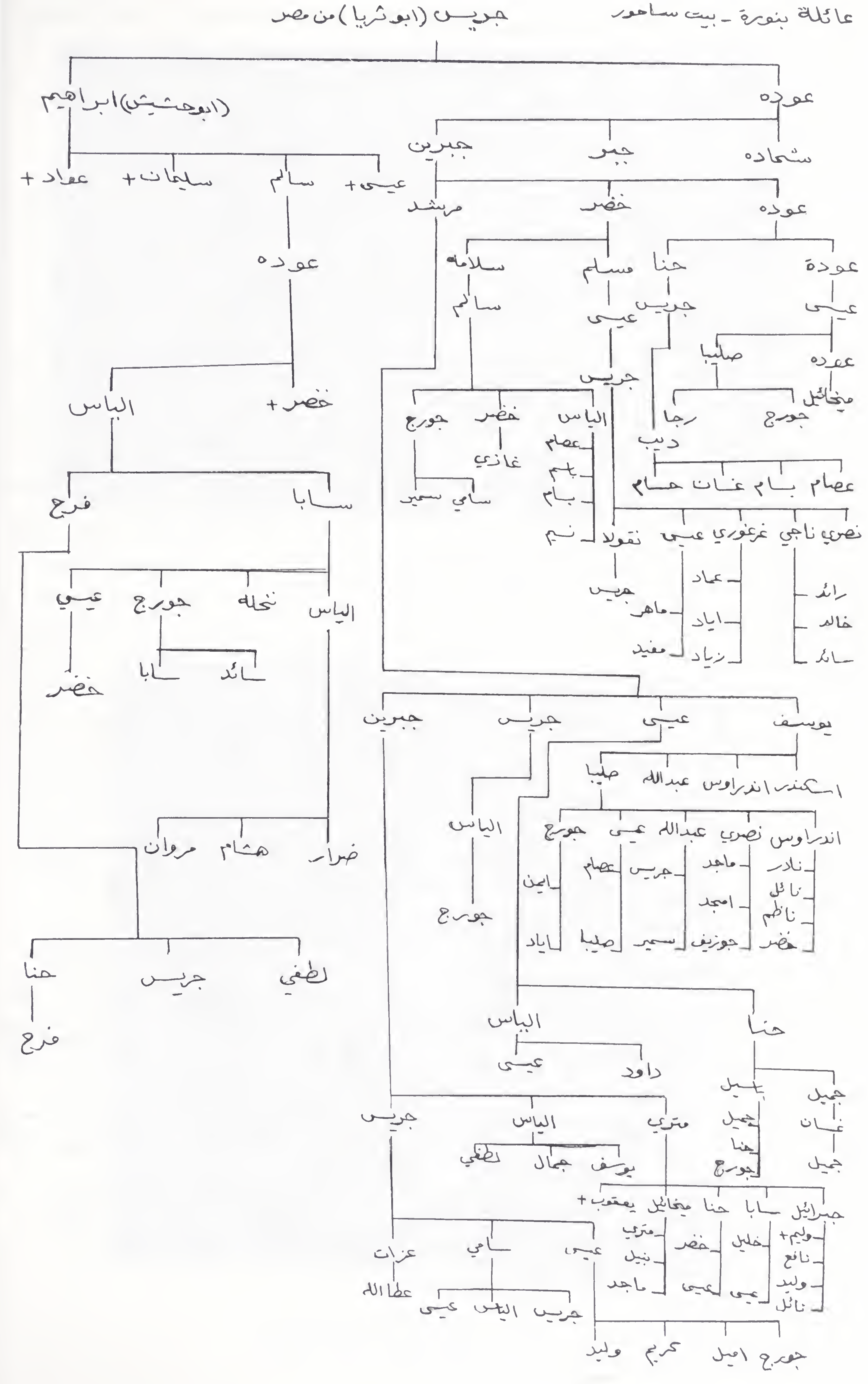

عائلة فريج - بيت لحم

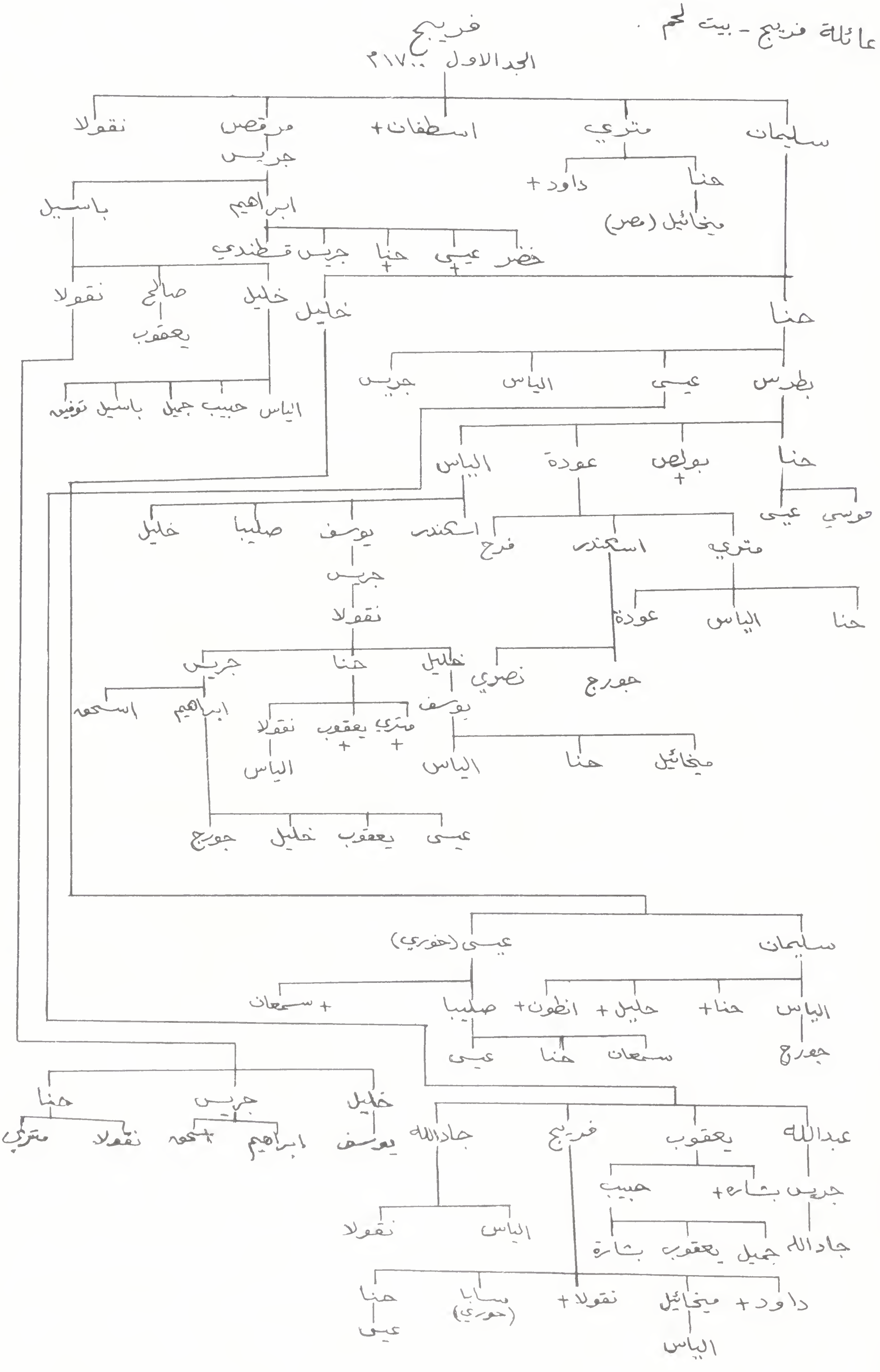

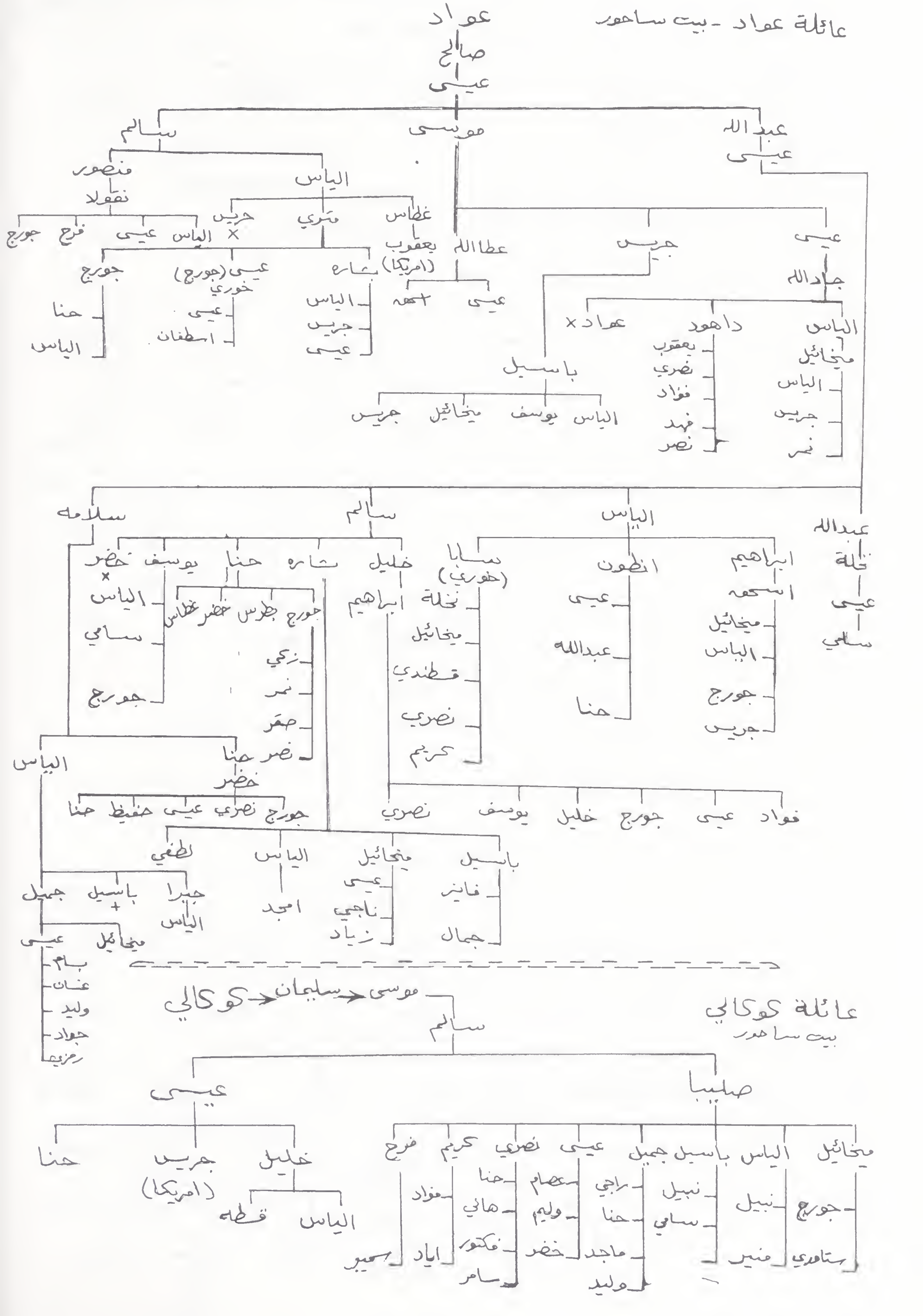
عائلة عواد - بيت ساحور
عواد
صالح
عيسى
سالم
موسى
عبد الله
عيسى
منصور
نقولا
الياس
الياس
عيسى
فرج
جورج
جريس x
متري
غطاس
يعقوب (امريكا)
عطاالله
جريس
عيسى
جورج
عيسى (جورج) خوري
بشاره
احمد
عيسى
جادالله
حنا
الياس
عيسى
اسطفان
الياس
جريس
عيسى
عواد x
داهود
الياس
يعقوب
نصري
فؤاد
فهد
نصر
ميخائيل
الياس
جريس
نمر
باسيل
جريس
ميخائيل
يوسف
الياس
سلامه
سالم
الياس
عبدالله
نخلة
عيسى
سامي
خضر x
يوسف
حنا
بشاره
خليل
سابا (خوري)
انطون
ابراهيم
اسعد
الياس
سامي
جورج
غطاس
خضر
طرس
جورج
ابراهيم
نخلة
ميخائيل
قسطندي
نصري
كريم
عيسى
عبدالله
حنا
ميخائيل
الياس
جورج
جريس
زكي
نمر
صقر
نصر
حنا
خضر
الياس
حنا
حفيظ
عيسى
نصري
جورج
نصري
يوسف
خليل
جورج
عيسى
فؤاد
لطفي
الياس
ميخائيل
باسيل
جميل
باسيل +
جبرا
الياس
امجد
عيسى
ناجي
زياد
فايز
جمال
عيسى
ميخائيل
بسام
غسان
وليد
جواد
زعزبه
عائلة كوكالي
بيت ساحور
كوكالي ← سليمان ← موسى
سالم
عيسى
صليبا
حنا
جريس (امريكا)
خليل
الياس
قطعه
فرج
كريم
نصري
عيسى
جميل
باسيل
الياس
ميخائيل
فؤاد
اياد
سمير
حنا
هاني
فكتور
سامر
عصام
وليم
خضر
راجي
حنا
ماجد
وليد
نبيل
سامي
نبيل
منير
جورج
ستافرو

عائلة بنورة - بيت ساحور

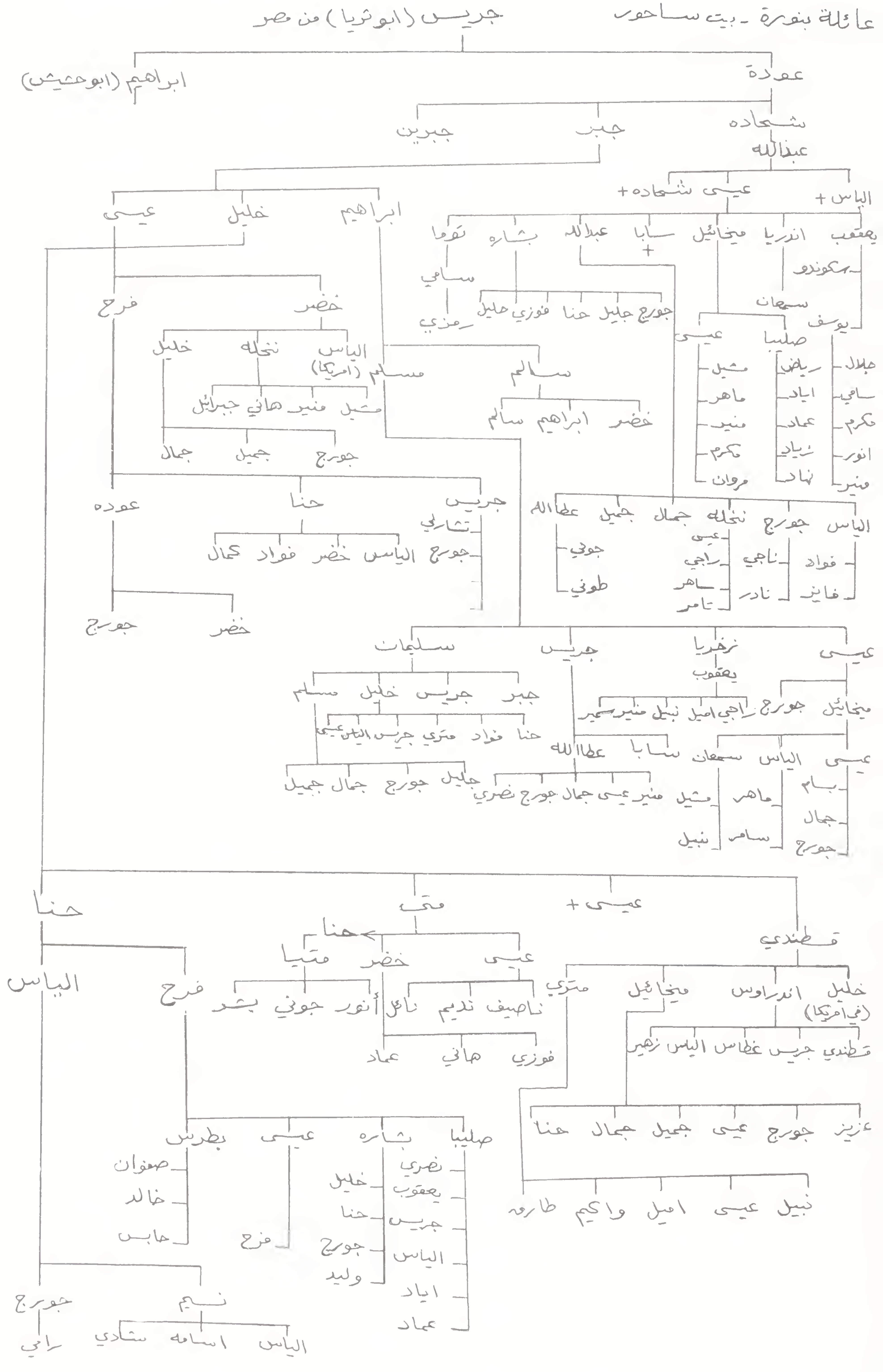

عائلة بنورة - بيت ساحور

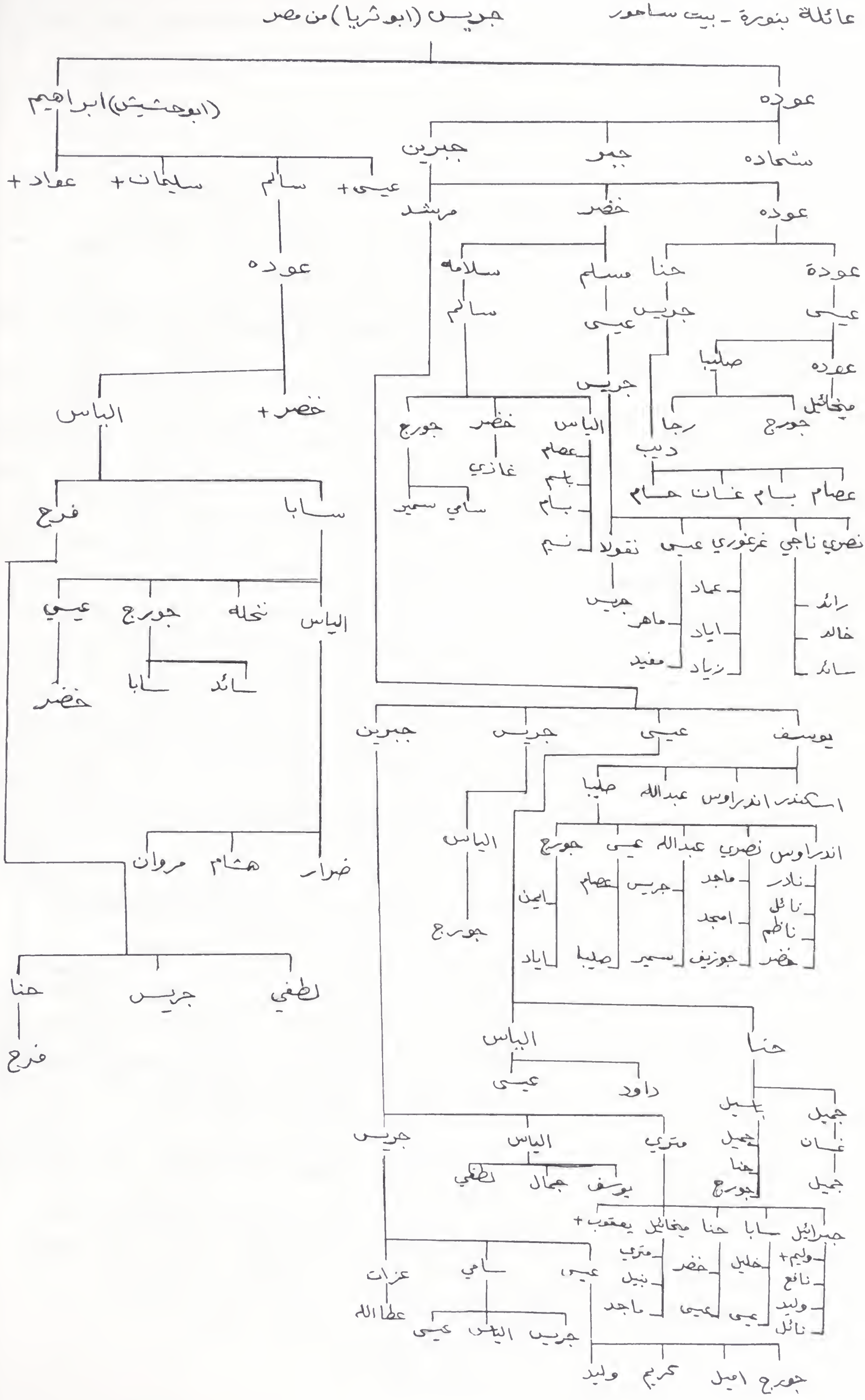

عائلة فريج - بيت لحم

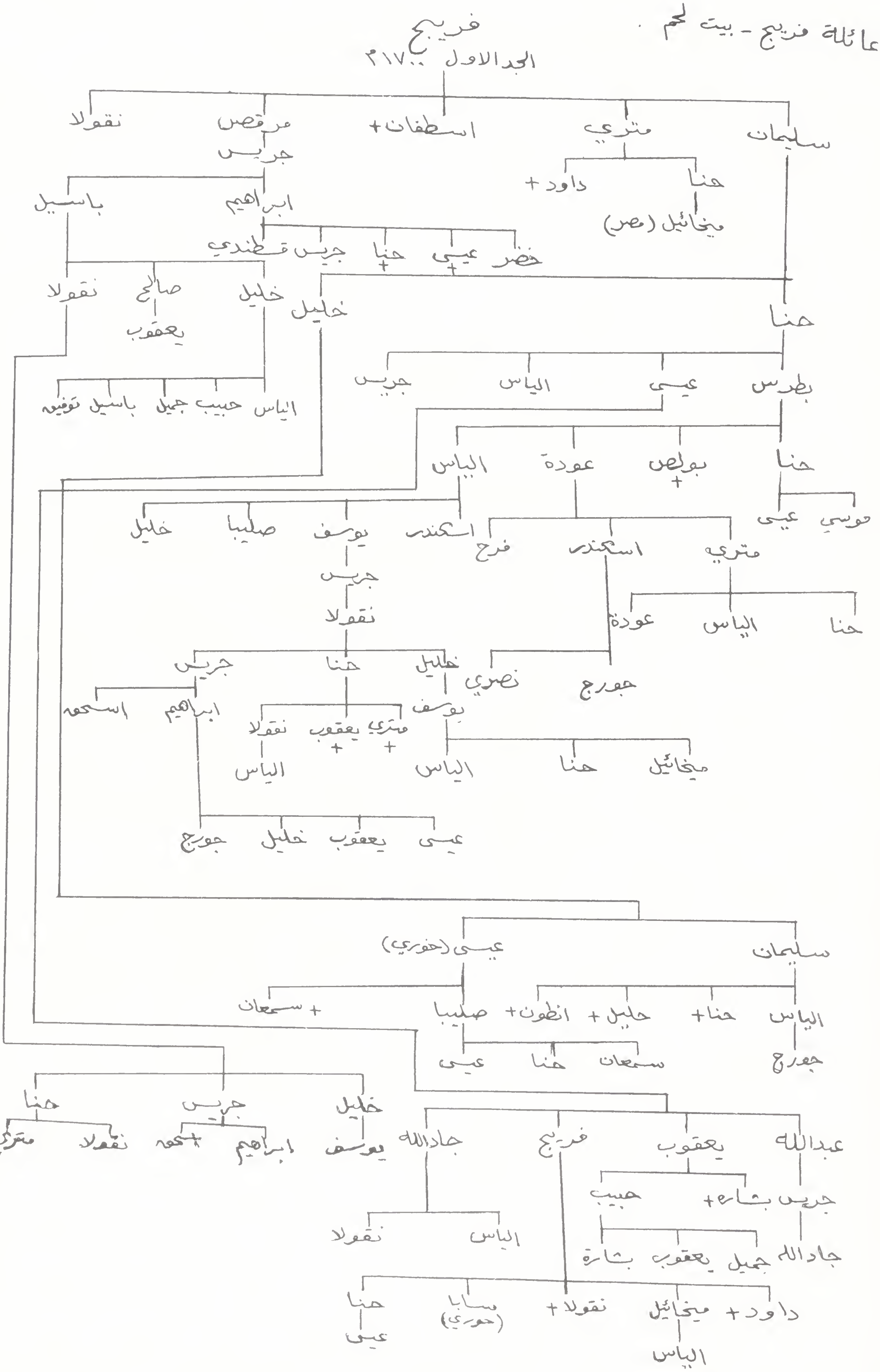

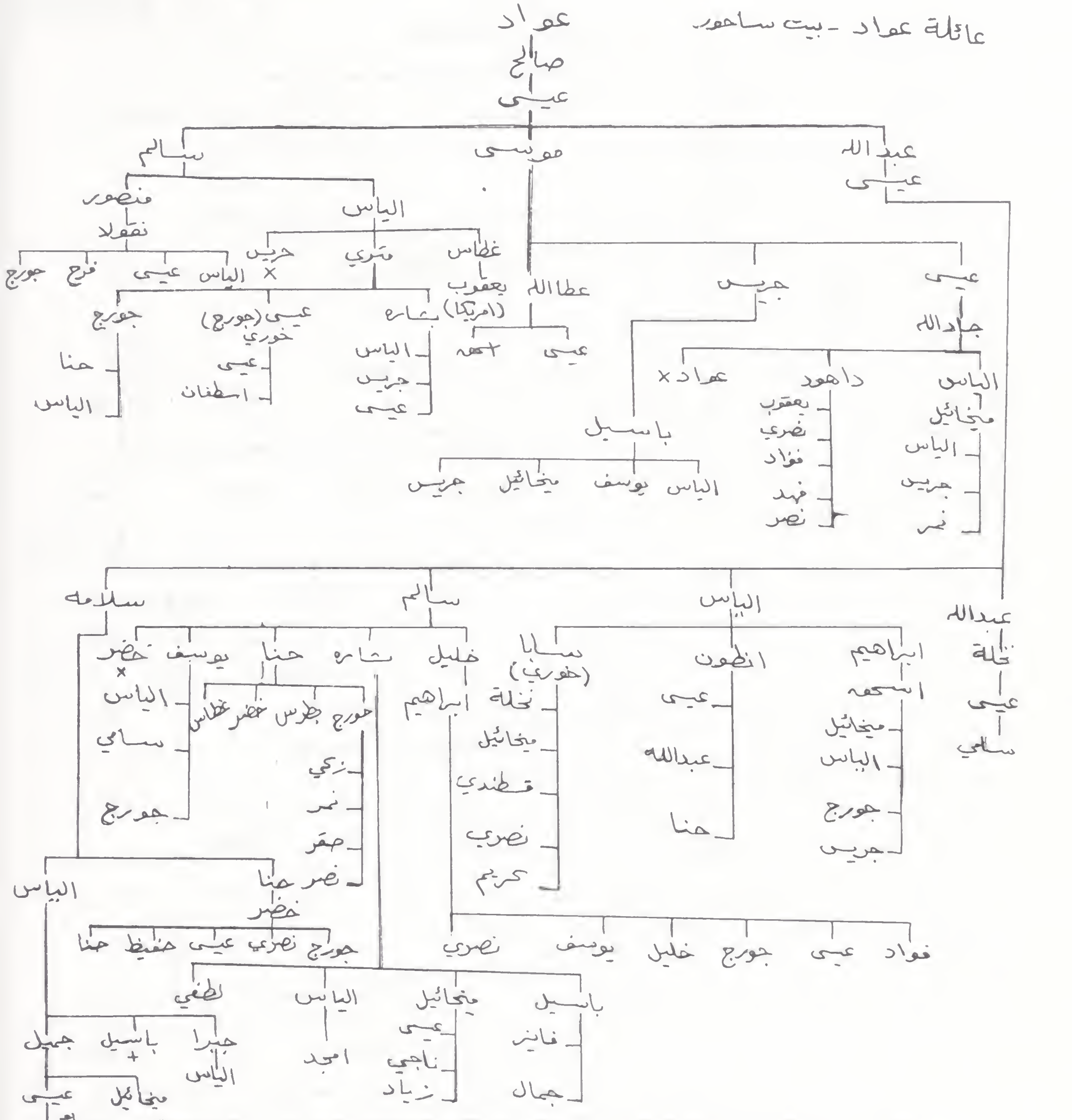
عائلة عواد - بيت ساحور
عواد
صالح
عيسى
سالم
موسى
عبدالله
عيسى
منصور
نقولا
الياس
عيسى
فرح
جورج
جريس
متري
غطاس
يعقوب
(امريكا)
عطاالله
جريس
عيسى
جادالله
جورج
حنا
الياس
عيسى (جورج)
خوري
عيسى
اسطفان
بشارة
الياس
جريس
عيسى
احمد
عيسى
عواد
داهود
الياس
يعقوب
نصري
فؤاد
فهد
نصر
ميخائيل
الياس
جريس
نمر
باسيل
الياس
يوسف
ميخائيل
جريس
سلامه
سالم
الياس
عبدالله
خضر
يوسف
حنا
بشاره
خليل
سابا
(خوري)
انطون
ابراهيم
نخلة
الياس
سامي
جورج
جورج
بطرس
خضر
غطاس
ابراهيم
اسكنه
عيسى
زكي
نمر
صقر
نصر
نخلة
ميخائيل
قسطندي
نصري
كريم
عبدالله
حنا
ميخائيل
الياس
جورج
جريس
عيسى
سامي
الياس
حنا
خضر
جورج
نصري
عيسى
حفيظ
حنا
نصري
نصري
يوسف
خليل
جورج
عيسى
فؤاد
باسيل
ميخائيل
الياس
الطفي
فايز
جمال
عيسى
ناجي
زياد
امجد
جبرا
الياس
باسيل
جميل
ميخائيل
عيسى
بسام
غسان
وليد
جواد
رمزي

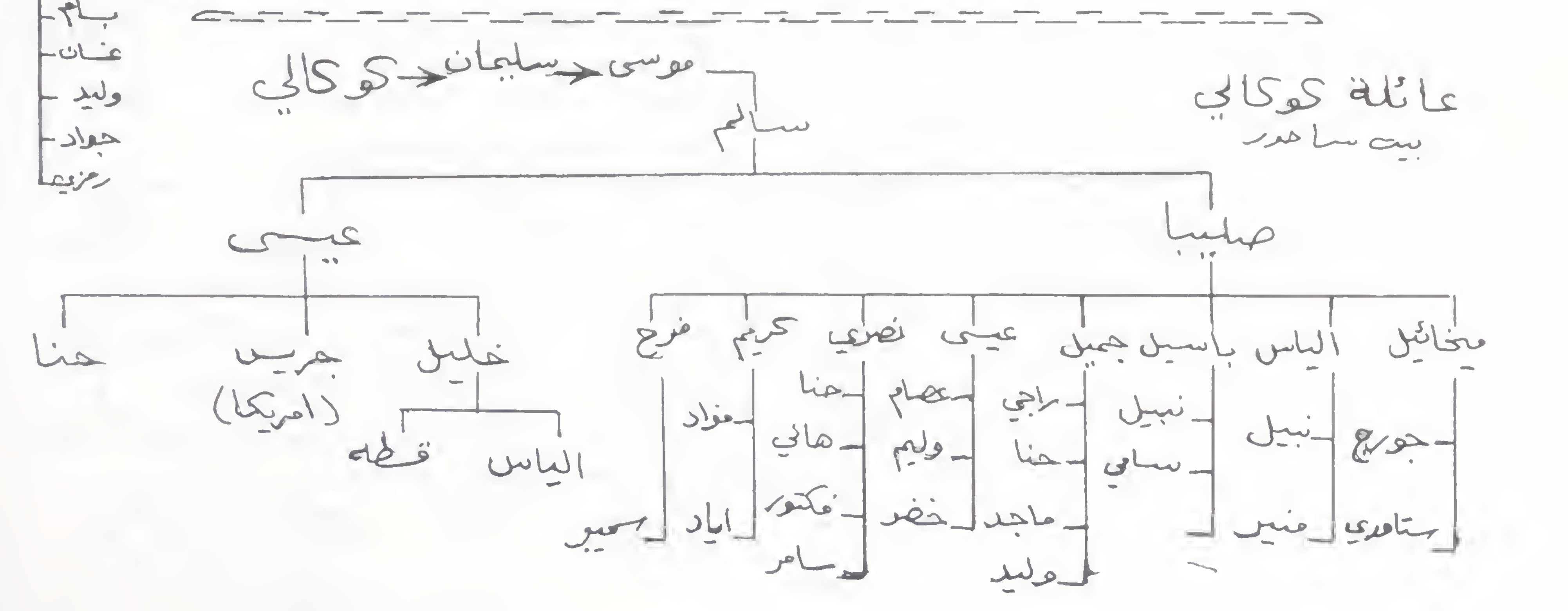
عائلة كوكالي
بيت ساحور
موسى
سليمان
كوكالي
سالم
عيسى
صليبا
حنا
جريس
(امريكا)
خليل
قطنه
الياس
فرح
كريم
نصري
عيسى
باسيل
جميل
الياس
ميخائيل
فؤاد
اياد
سمير
حنا
هاني
فكتور
سامر
عصام
وليم
خضر
راجي
حنا
ماجد
وليد
نبيل
سامي
نبيل
منير
جورج
ستافرو

عائلة بنورة - بيت ساحور

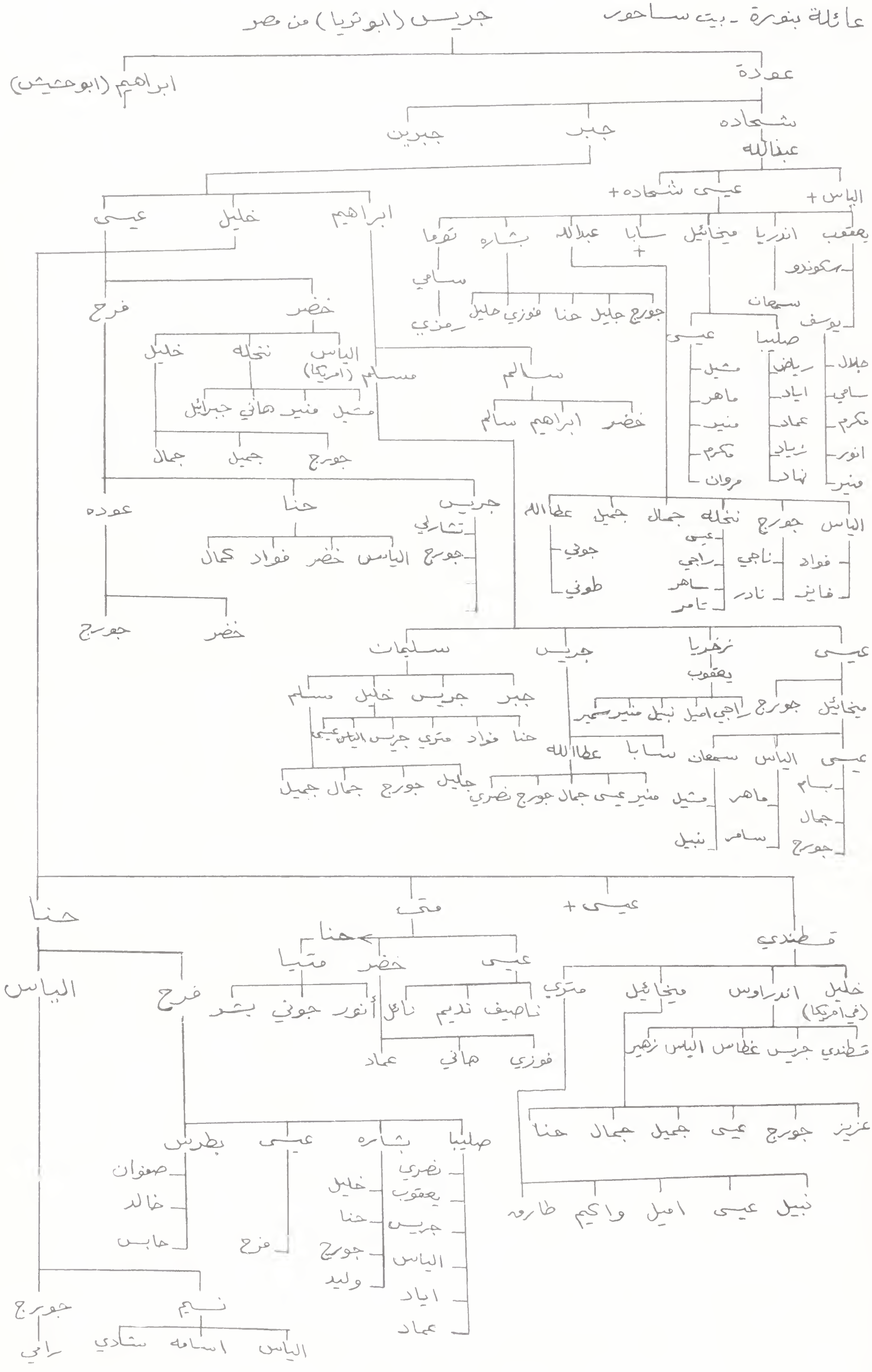

عائلة بنورة - بيت ساحور

جريس (ابو ثريا) من مصر

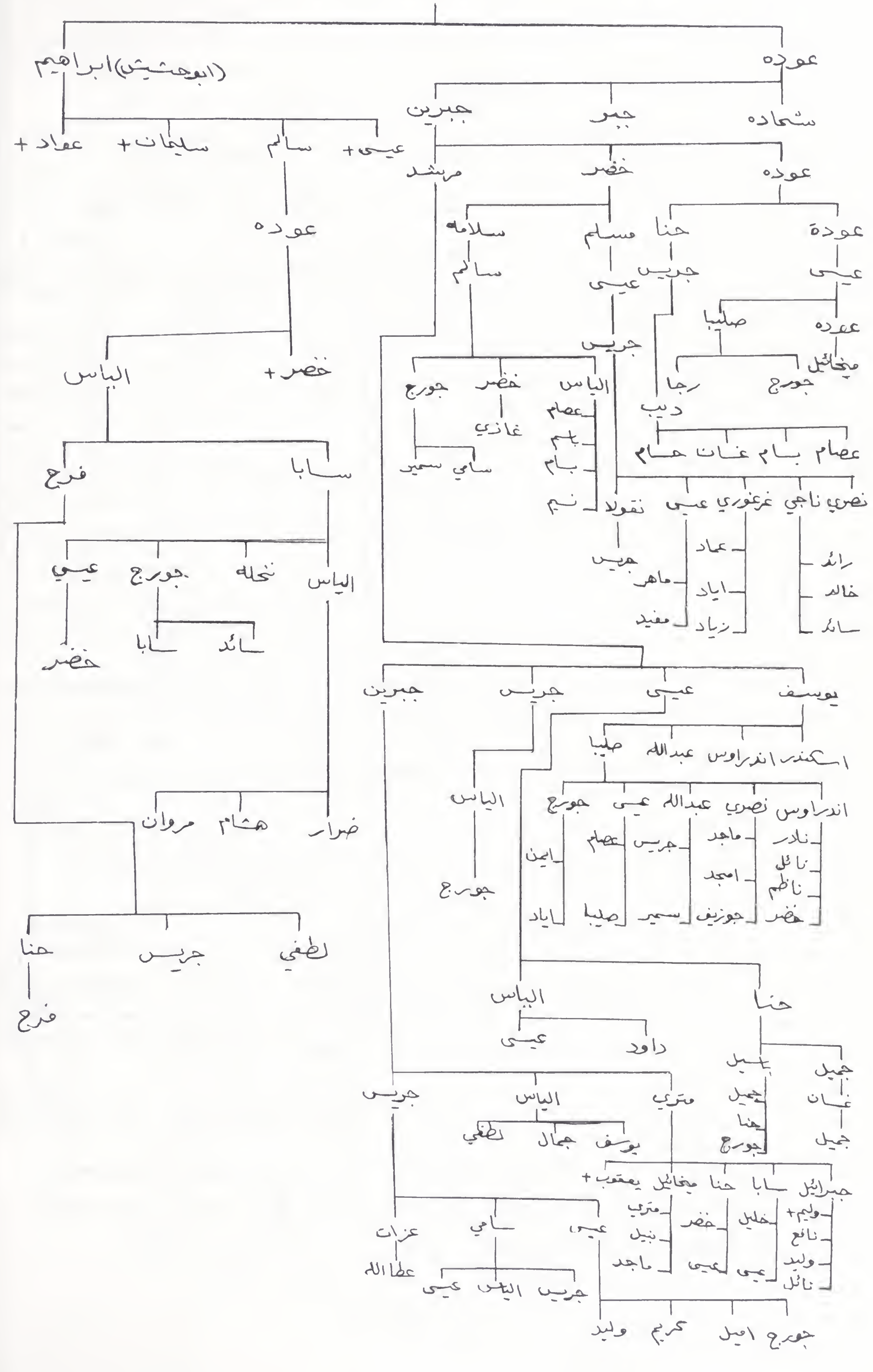

عائلة فريج - بيت لحم

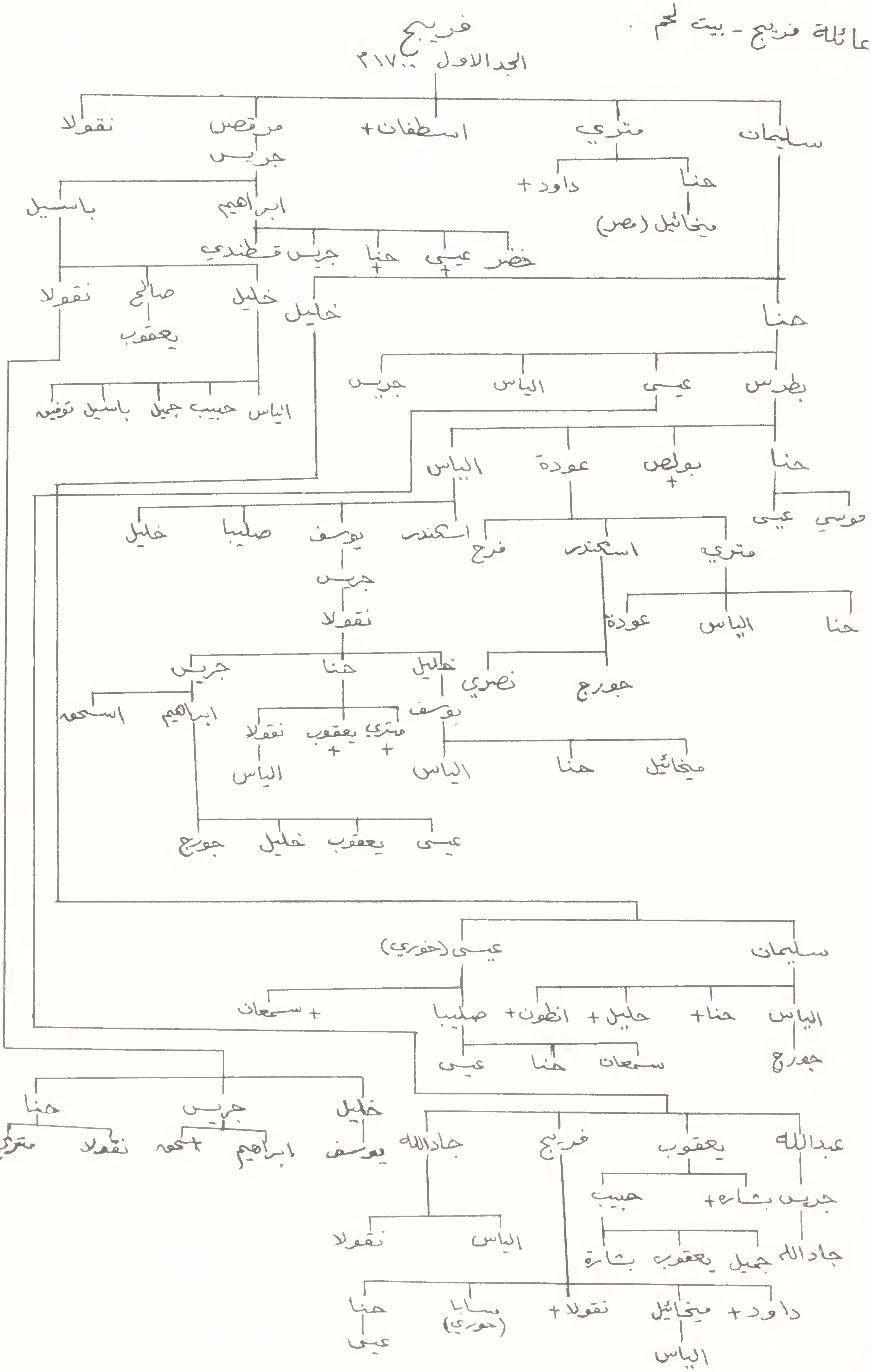

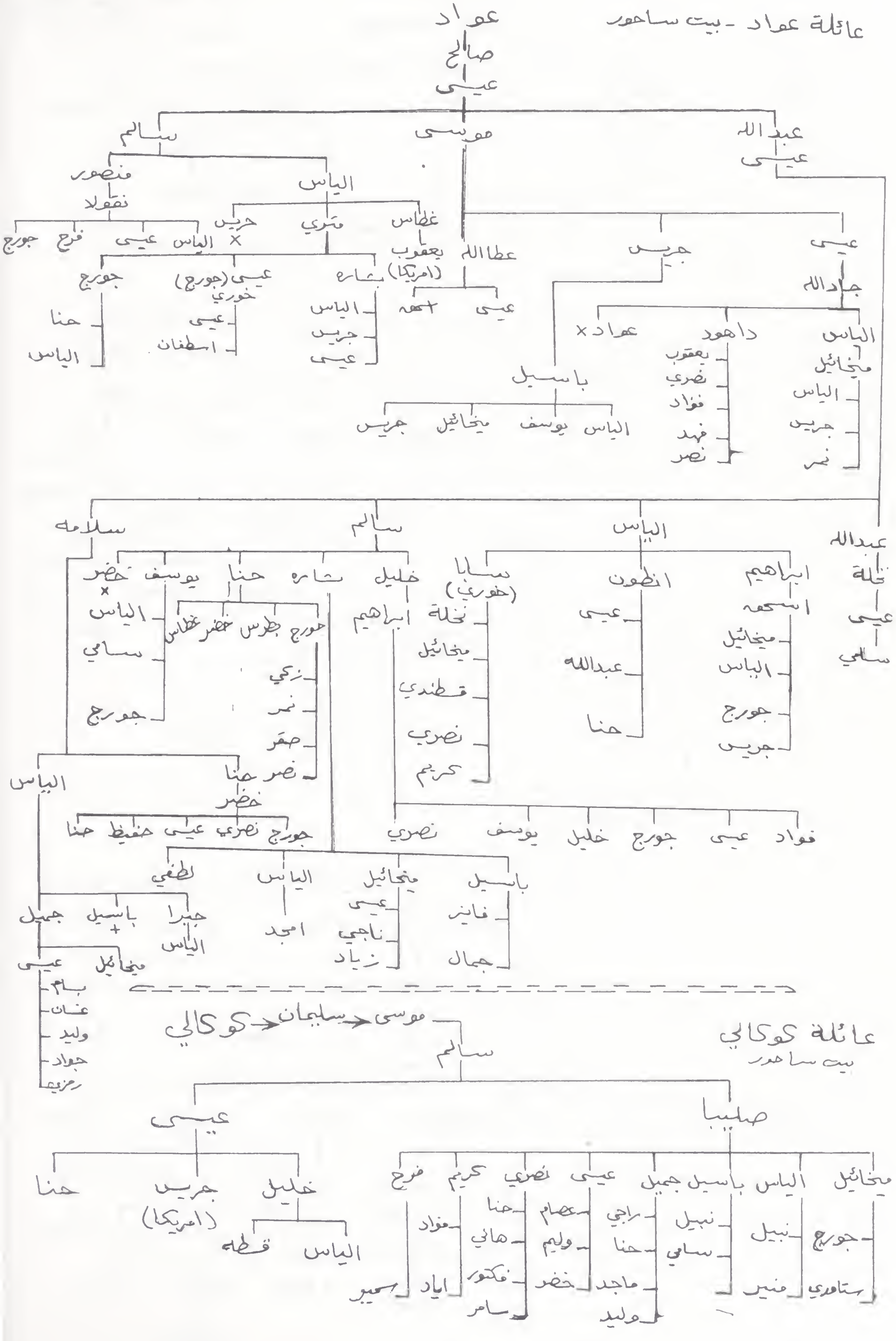

عائلة عواد - بيت ساحور
عواد
صالح
عيسى
سالم
موسى
عبدالله
عيسى
منصور
نقولا
الياس
جورج
فرج
عيسى
الياس
جريس
متري
غطاس
عطاالله
يعقوب (امريكا)
جريس
عيسى
جادالله
جورج
عيسى (جورج) خوري
بشاره
حنا
الياس
عيسى
اسطفان
الياس
جريس
عيسى
احمد
عيسى
عواد
داهود
الياس
يعقوب
نصري
فؤاد
فهد
نصر
ميخائيل
الياس
جريس
نمر
باسيل
الياس
يوسف
ميخائيل
جريس
سلامه
سالم
الياس
عبدالله
نخلة
عيسى
سامي
خضر
يوسف
حنا
بشاره
خليل
سابا (خوري)
انطون
ابراهيم
اسعد
الياس
سامي
جورج
غطاس
خضر
بطرس
جورج
ابراهيم
نخلة
ميخائيل
قسطندي
نصري
كريم
عيسى
عبدالله
حنا
ميخائيل
الياس
جورج
جريس
زكي
نمر
صقر
نصر
حنا
الياس
خضر
حنا
حفيظ
عيسى
نصري
جورج
نصري
يوسف
خليل
جورج
عيسى
فؤاد
لطفي
الياس
ميخائيل
باسيل
جميل
باسيل
جبرا
الياس
عيسى
ناجي
زياد
فايز
جمال
امجد
عيسى
ميخائيل
بسام
غسان
وليد
جواد
رمزي
عائلة كوكالي
بيت ساحور
موسى ← سليمان ← كوكالي
سالم
عيسى
صليبا
حنا
جريس (امريكا)
خليل
قطه
الياس
ميخائيل
الياس
باسيل
جميل
عيسى
نصري
كريم
فرج
جورج
ستاوري
نبيل
منير
نبيل
سامي
راجي
حنا
ماجد
وليد
عصام
وليم
خضر
حنا
هاني
فكتور
سامر
فؤاد
اياد
سمير

عائلة خير (بيت ساحمد)

عويس (من مصر)

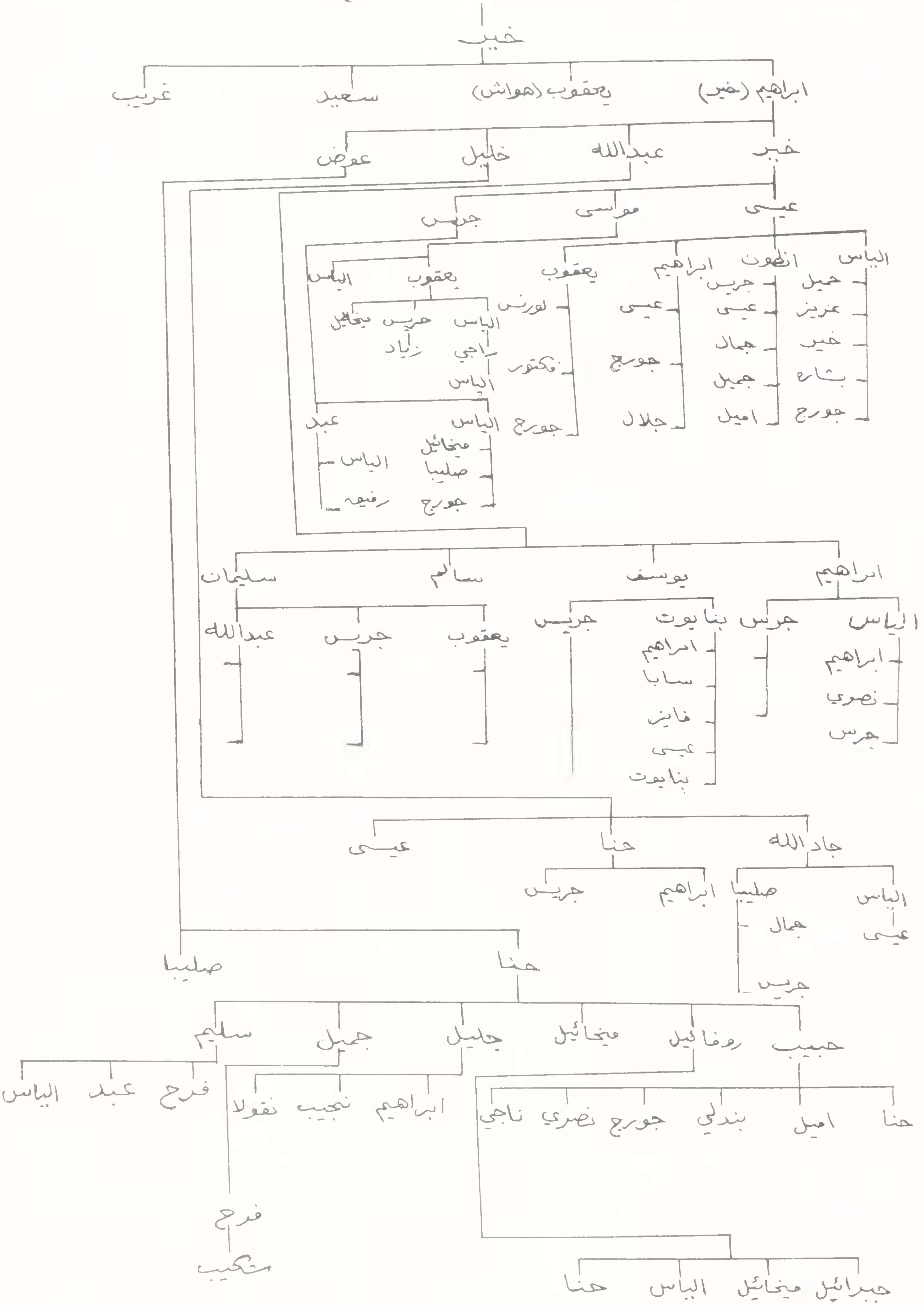

عائلة خير (سعيد وغريب)
بيت ساحور

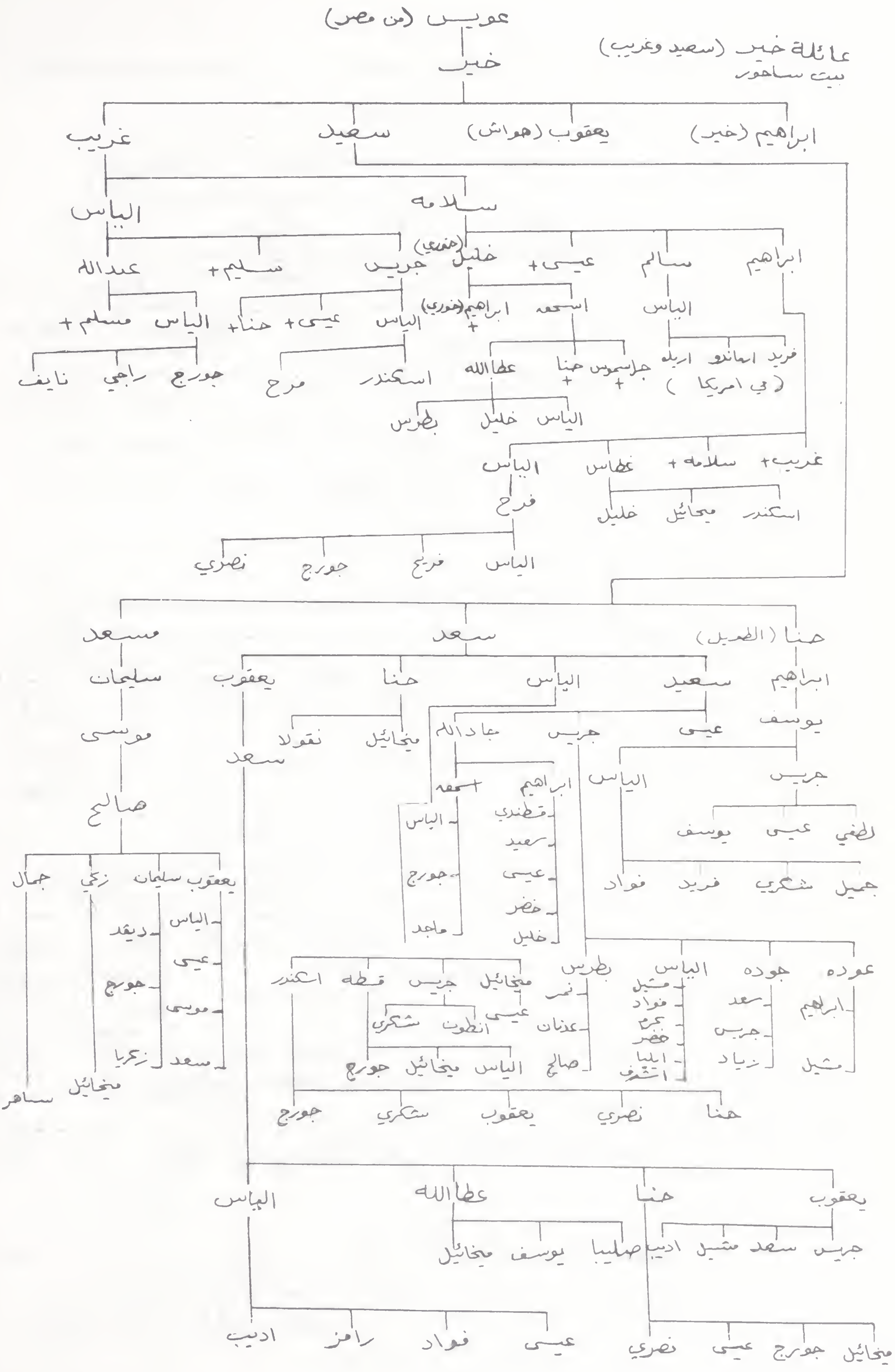

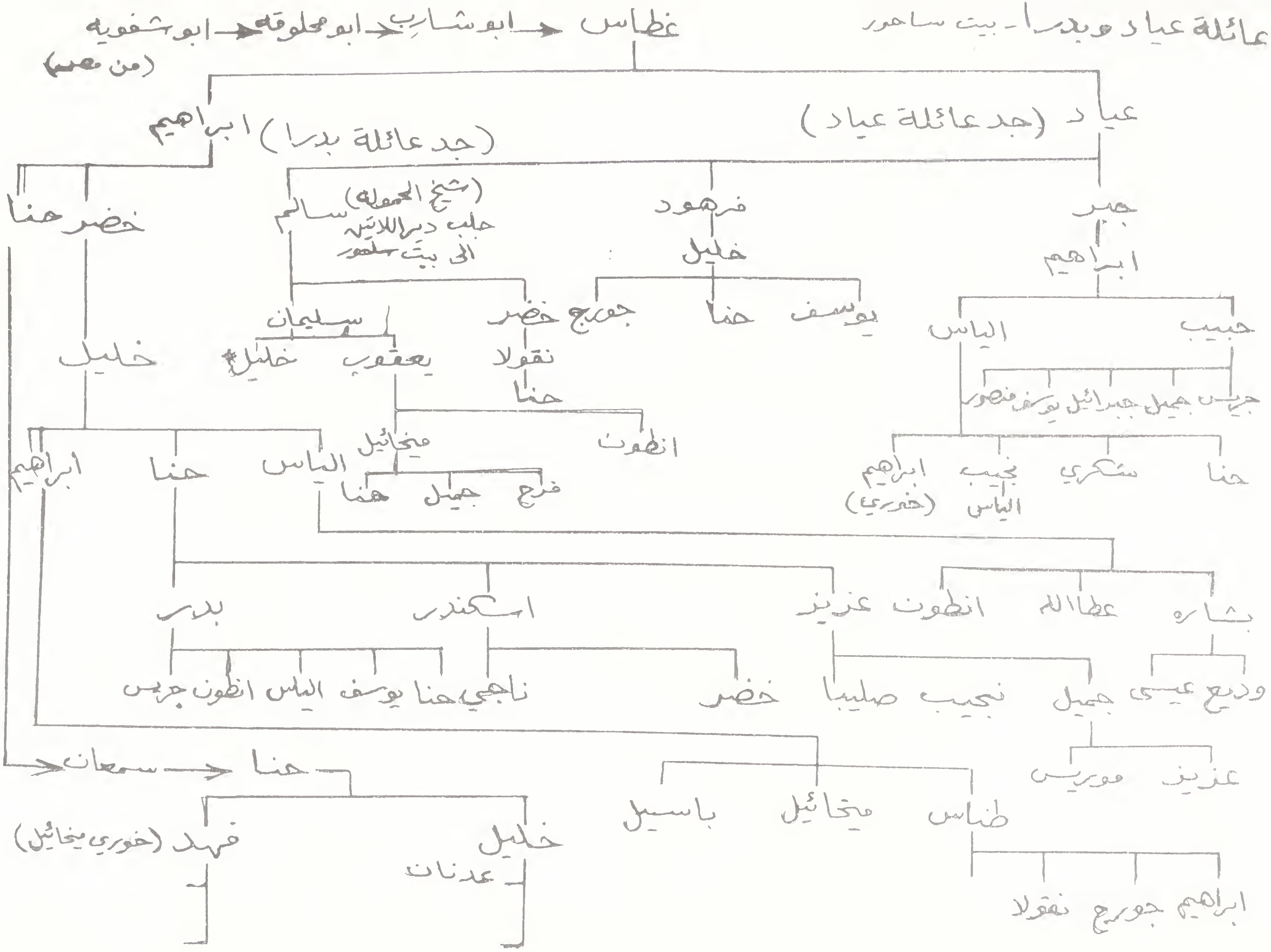

عائلة عياد وبدرا - بيت ساحور
غطاس ← ابو شارب ← ابو محلوقه ← ابو شفويه
(من مصر)
عياد (جد عائلة عياد)
ابراهيم (جد عائلة بدرا)
جبر
ابراهيم
فرهود
خليل
سالم (شيخ الحمولة) جلب دير اللاتين الى بيت ساحور
خضر
حنا
حبيب
الياس
يوسف
حنا
جريس
خضر
سليمان
يعقوب
خليل*
خليل
نقولا
حنا
جريس جميل جبرائيل يوسف منصور
حنا
شكري
نجيب
الياس
ابراهيم (خوري)
انطون
ميخائيل
فرج
جميل
هنا
الياس
حنا
ابراهيم
بشاره
عطاالله
انطون
عزيز
اسكندر
بدر
وديع عيسى
جميل
نجيب
صليبا
خضر
ناجي
حنا
يوسف
الياس
انطون
جريس
عزيز
موريس
طناس
ميخائيل
باسيل
ابراهيم
جورج
نقولا
حنا
سمعان
خليل
عدنان
فهد (خوري ميخائيل)

عائلة القسيس (نصر وابو عطية)
بيت ساحور

داود ١٦٣٥

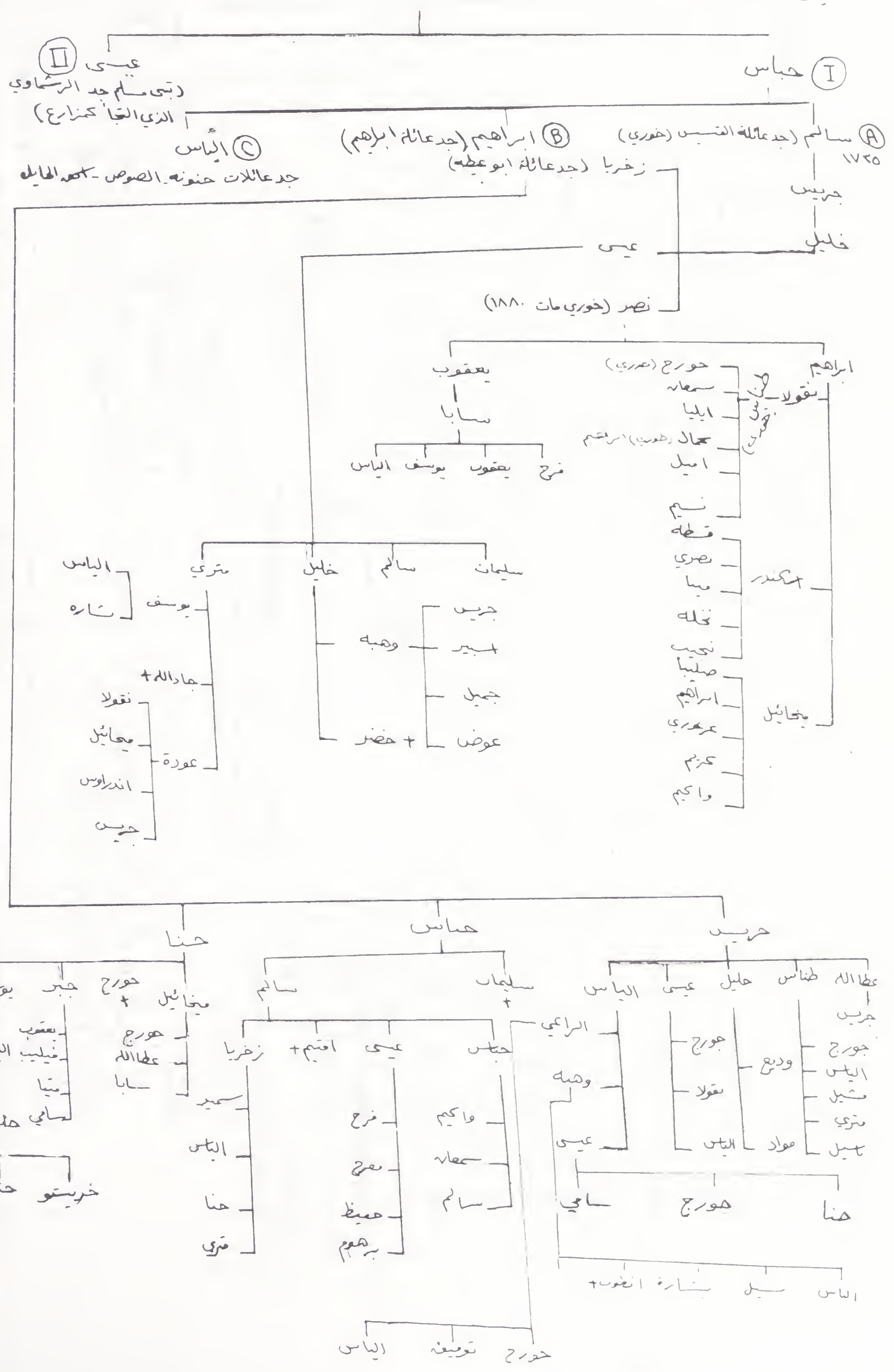

عائلة القيس - بيت ساحور
(اسعيد وحنونه والحايك والصوص)

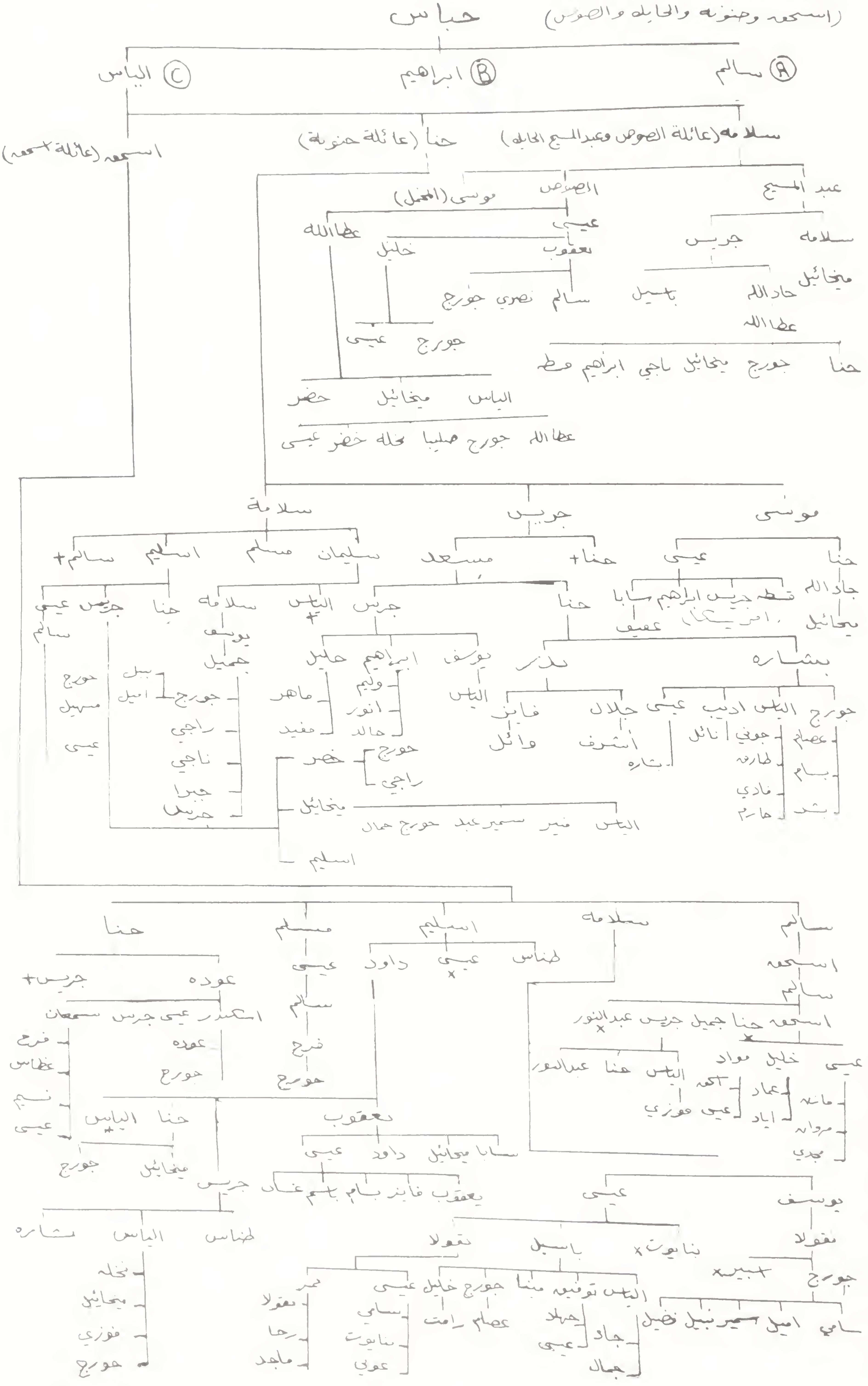

عائلة العيس (ابراهيم)
بيت ساحور

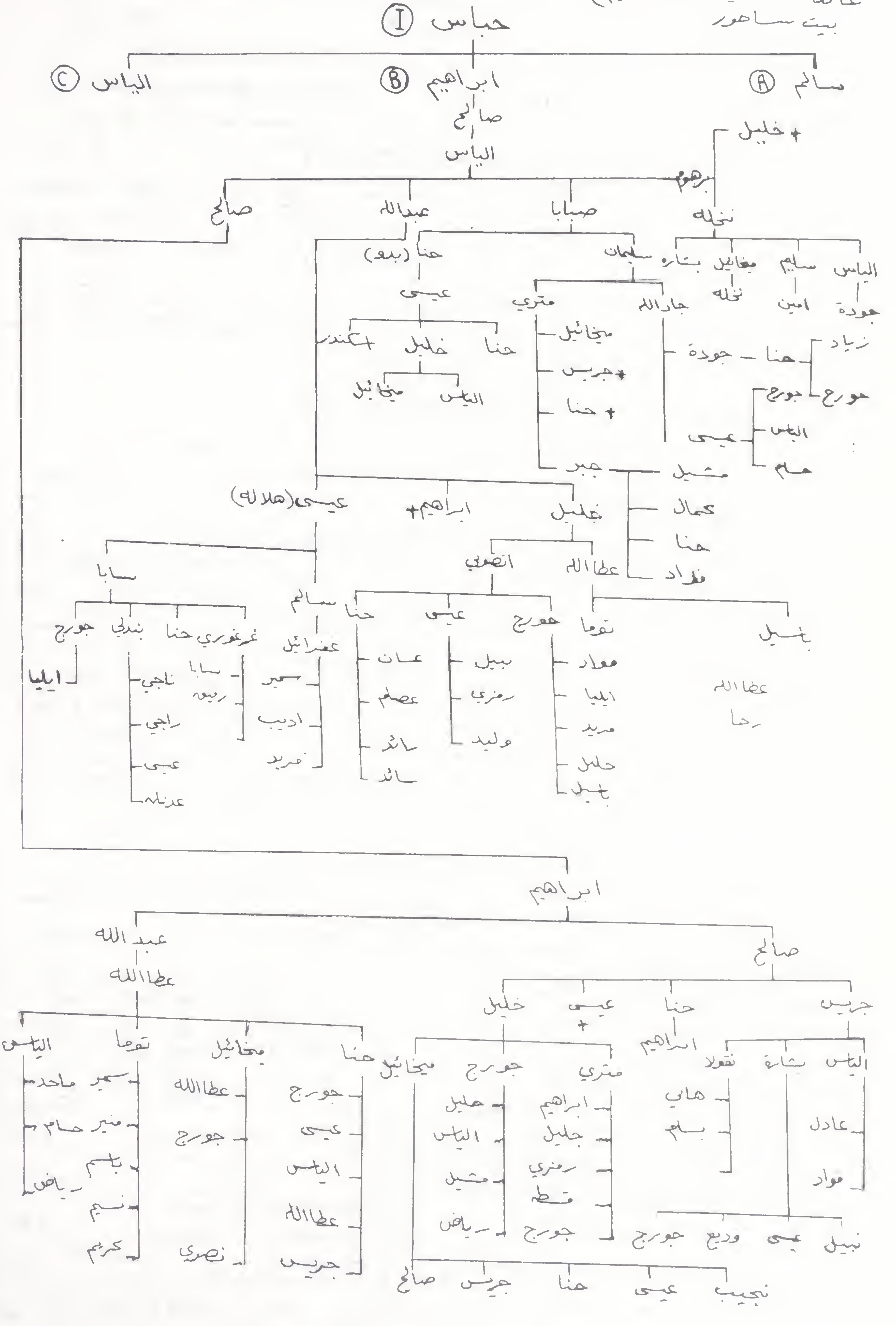

عائلة الرشماوي
بيت ساحور

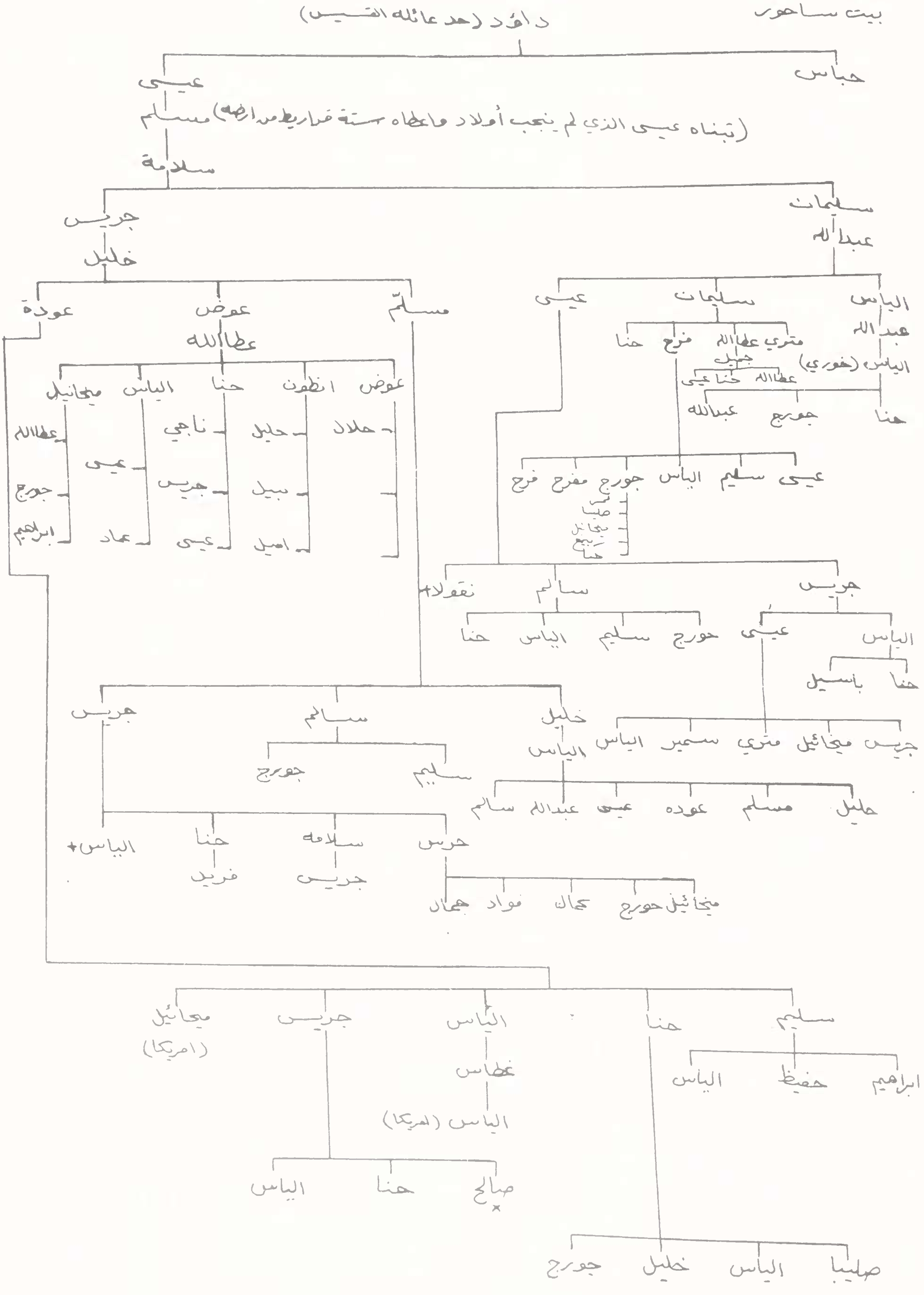

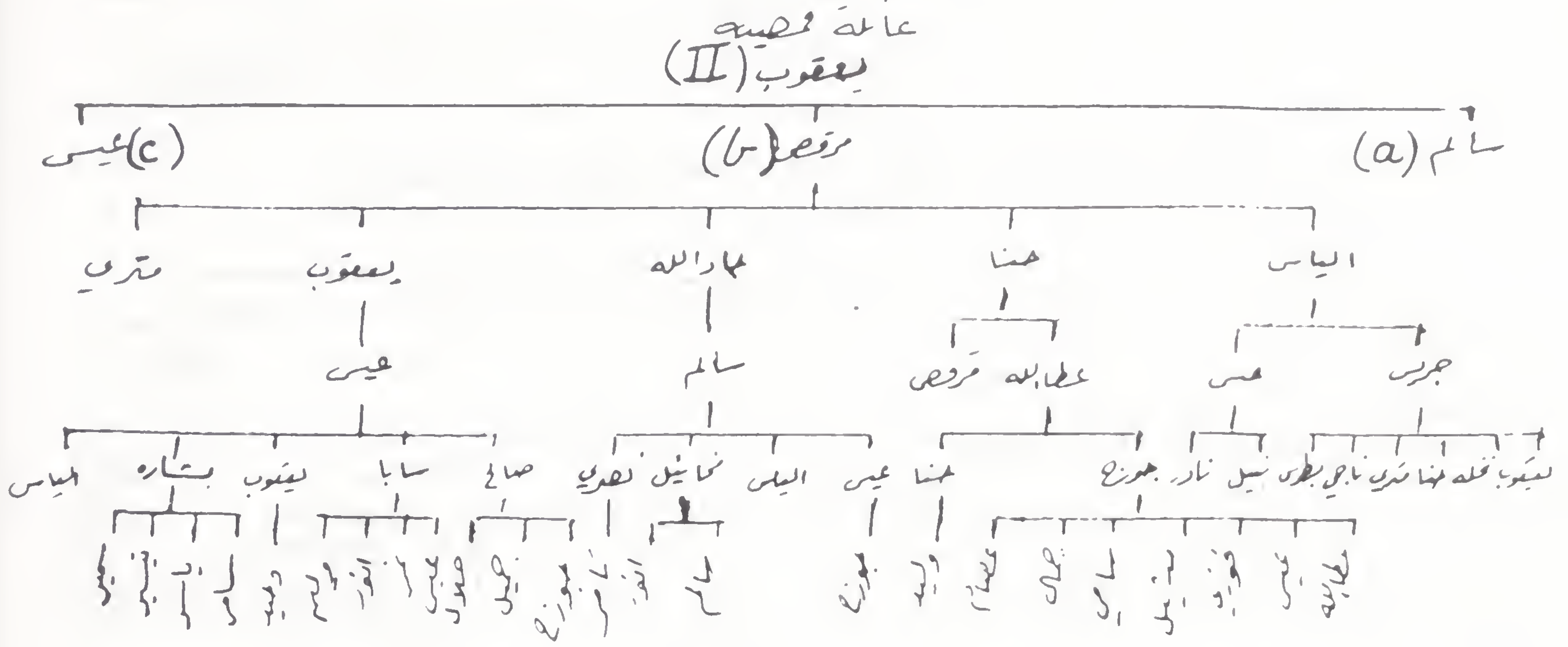
عائلة قصيه
يعقوب (II)
سالم (a)
مرقص (b)
عيسى (c)
الياس
حنا
عطاالله
يعقوب
مترى
جريس
عيسى
عطاالله
مرقص
سالم

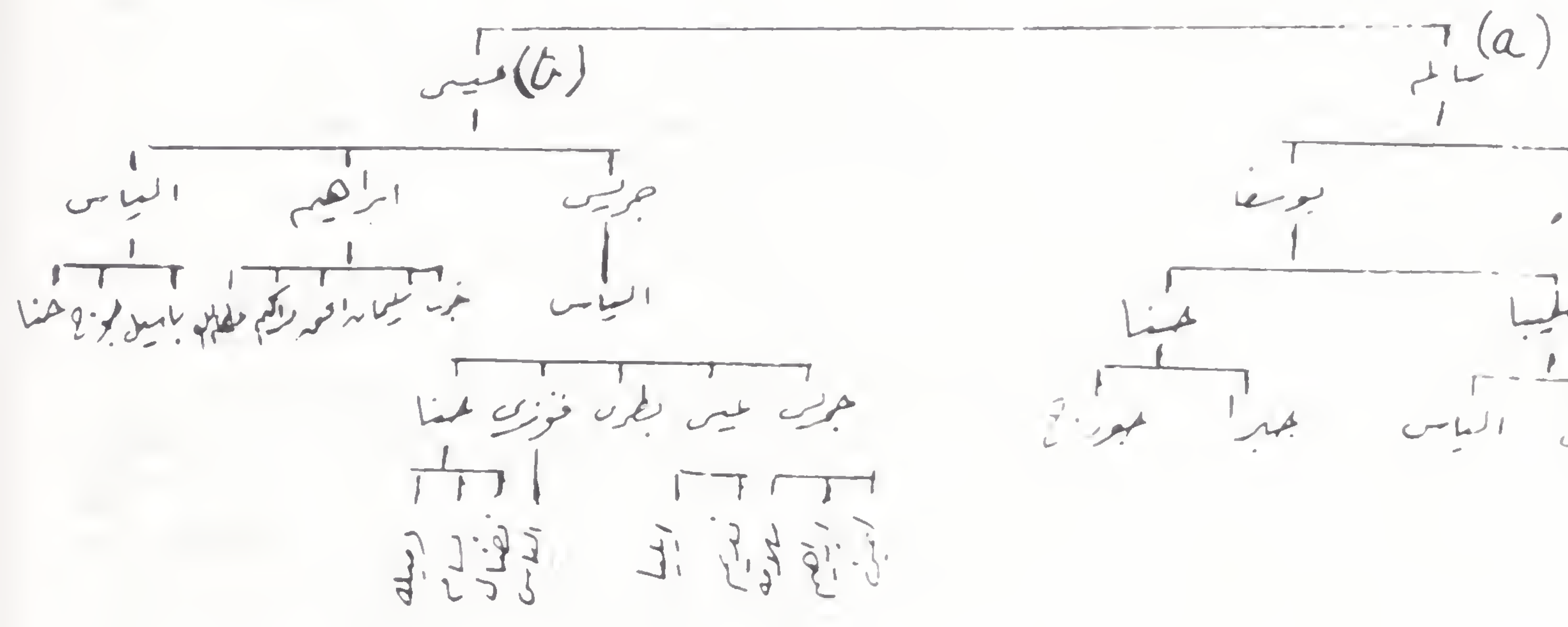
سالم (a)
عيسى (b)
يوسف
عوده
حنا
صليبا
جريس
ابراهيم
الياس

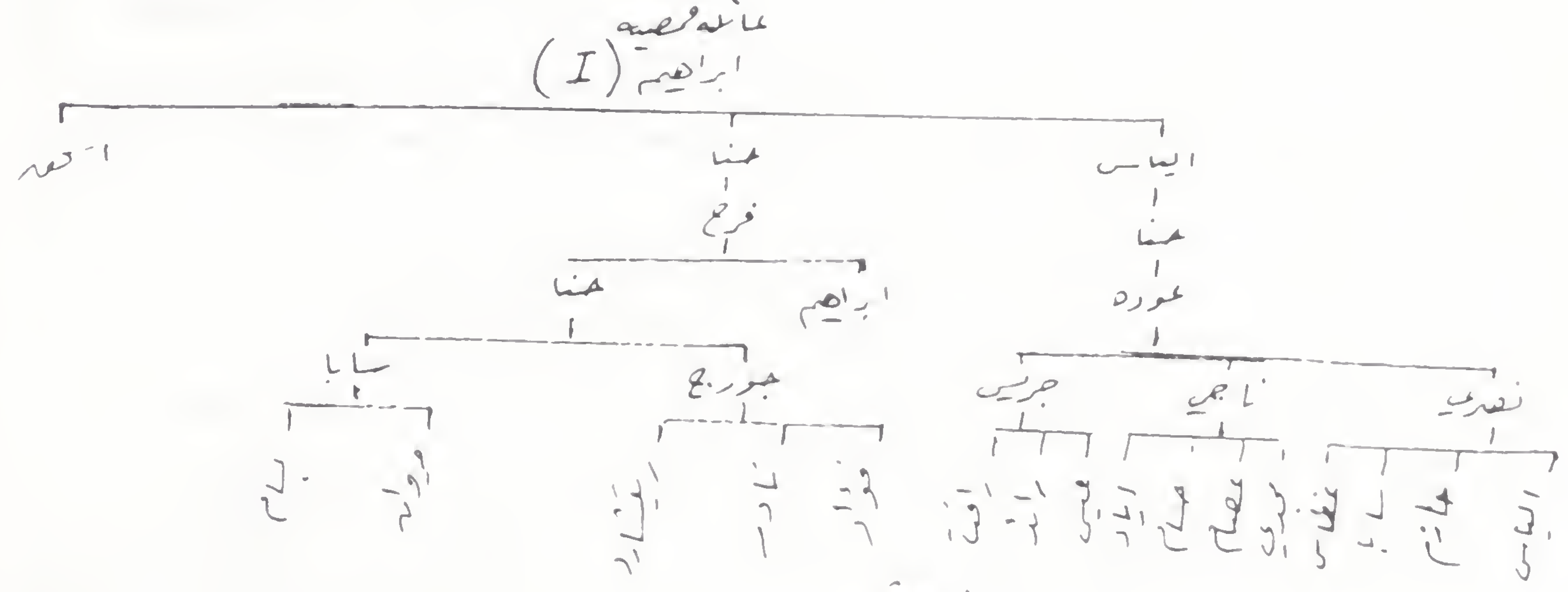
عائله قصيه
ابراهيم (I)
الياس
حنا
عوده
فرح
ابراهيم
سابا
جورج
جريس
ناجي

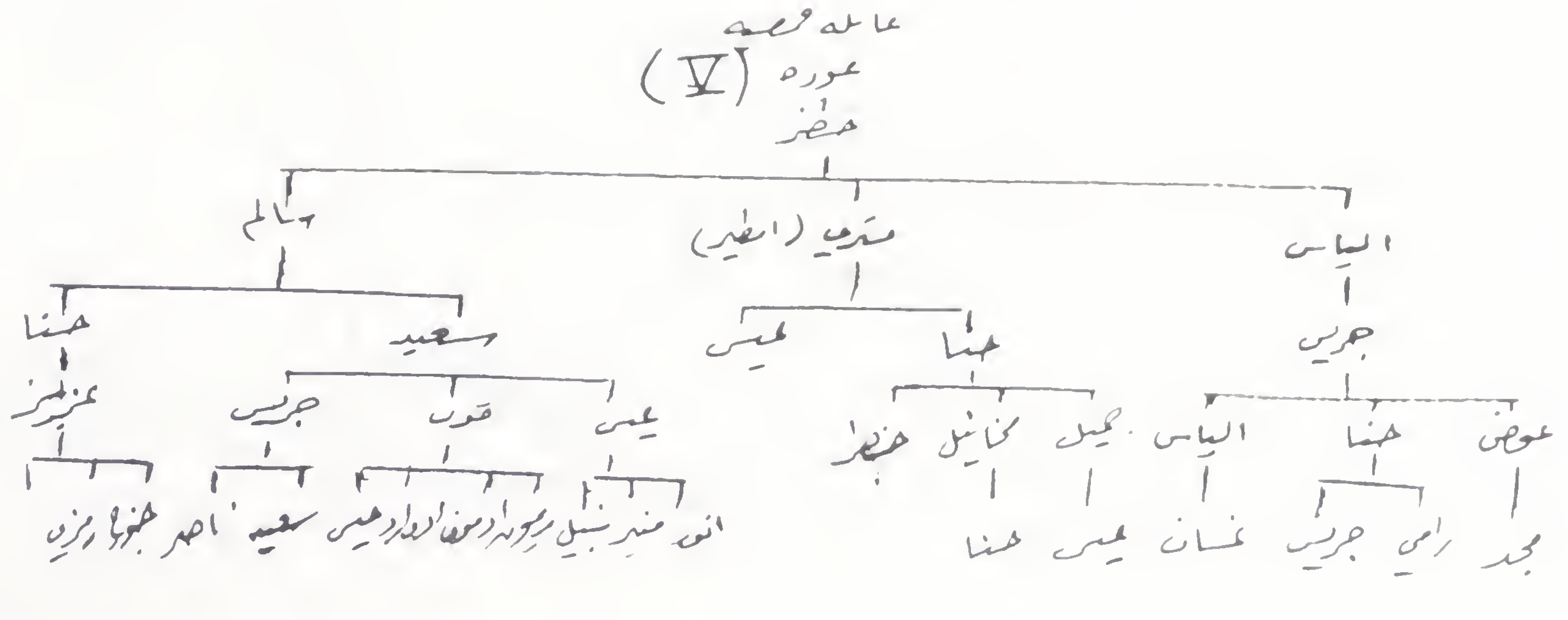
عائله قصيه
عوده (V)
خضر
سالم
مترى (اطير)
الياس
جريس
حنا
سعيد
عيسى
عوض

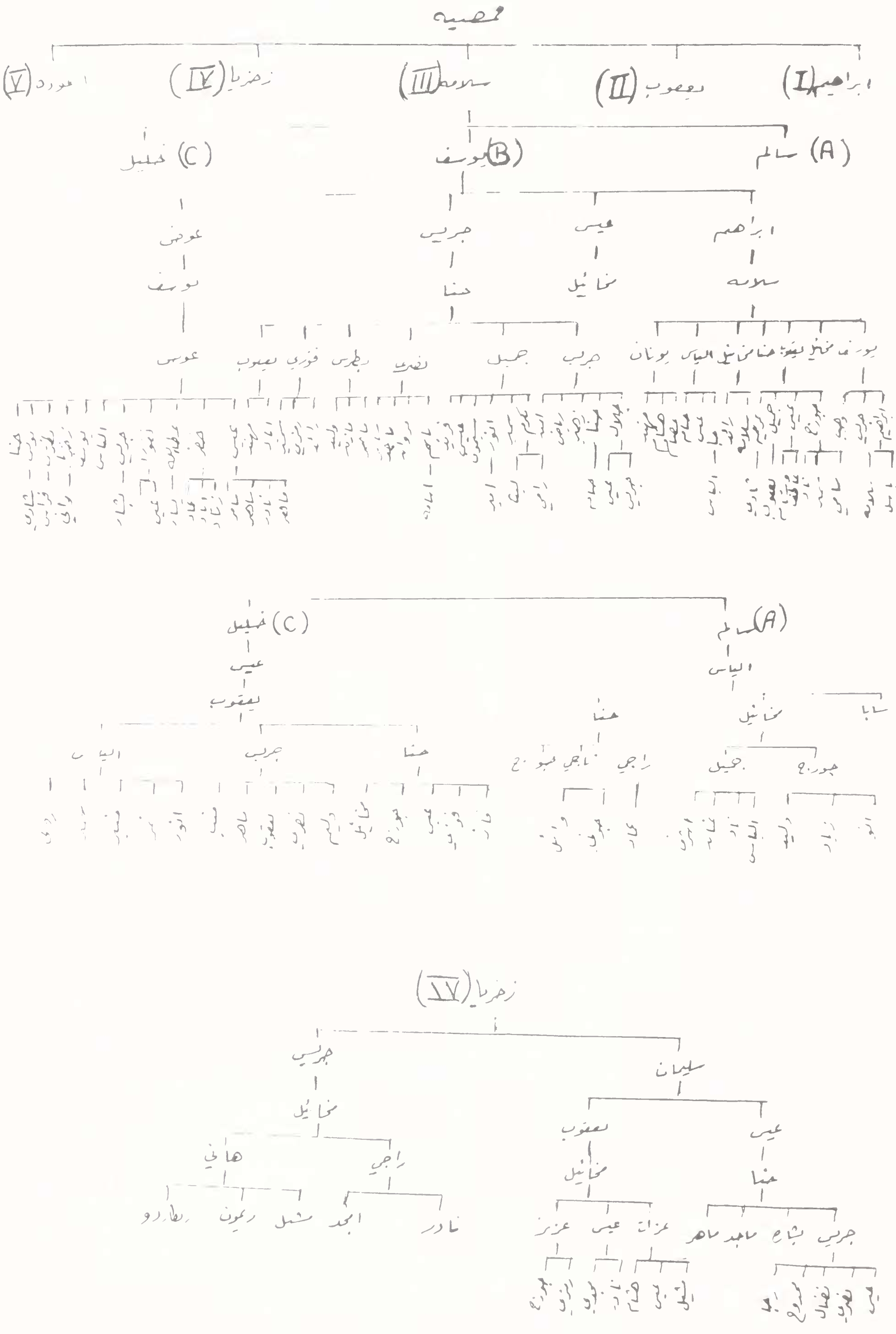
قمصيه
ابراهيم (I)
يعقوب (II)
سلامة (III)
زخريا (IV)
(V)
سالم (A)
يوسف (B)
خليل (C)
ابراهيم
عيسى
جريس
سلامه
مخائيل
حنا
عوض
يوسف
جميل
يعقوب
سالم (A)
خليل (C)
الياس
عيسى
يعقوب
حنا
مخائيل
سابا
جريس
الياس
جميل
جورج
راجي
زخريا (IV)
جريس
سليمان
مخائيل
يعقوب
عيسى
هاني
راجي
حنا
مخائيل
ريمون
مشيل
امجد
نادر
عزيز
عيسى
ماهر
ماجد
جريس

عائلة ابو فرحه

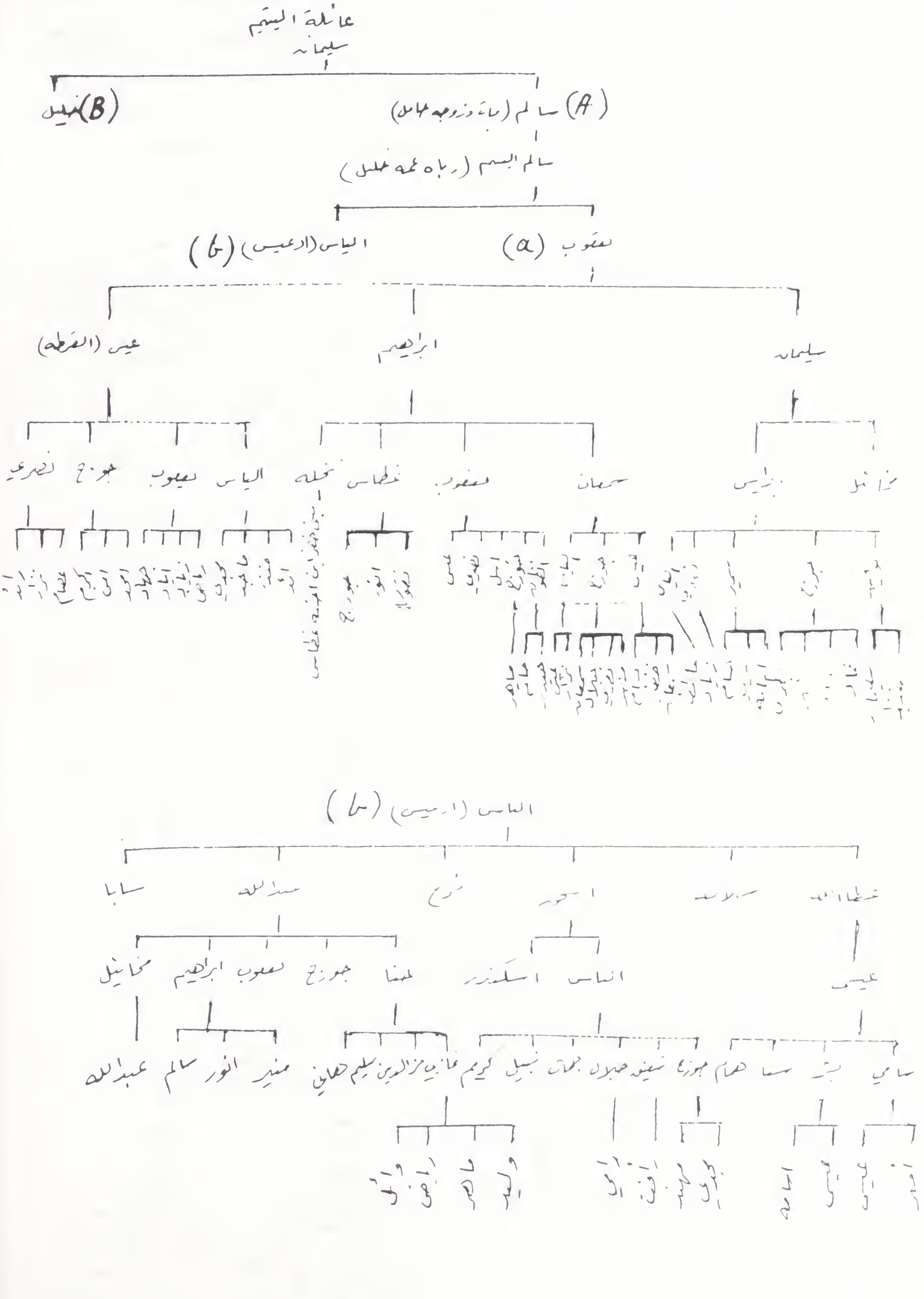

عائلة ابو فرحة
سليمان
سالم (A)
خليل (B)
صالح
خليل
صالح
عيسى
ابراهيم
جريس
الياس
بطرس

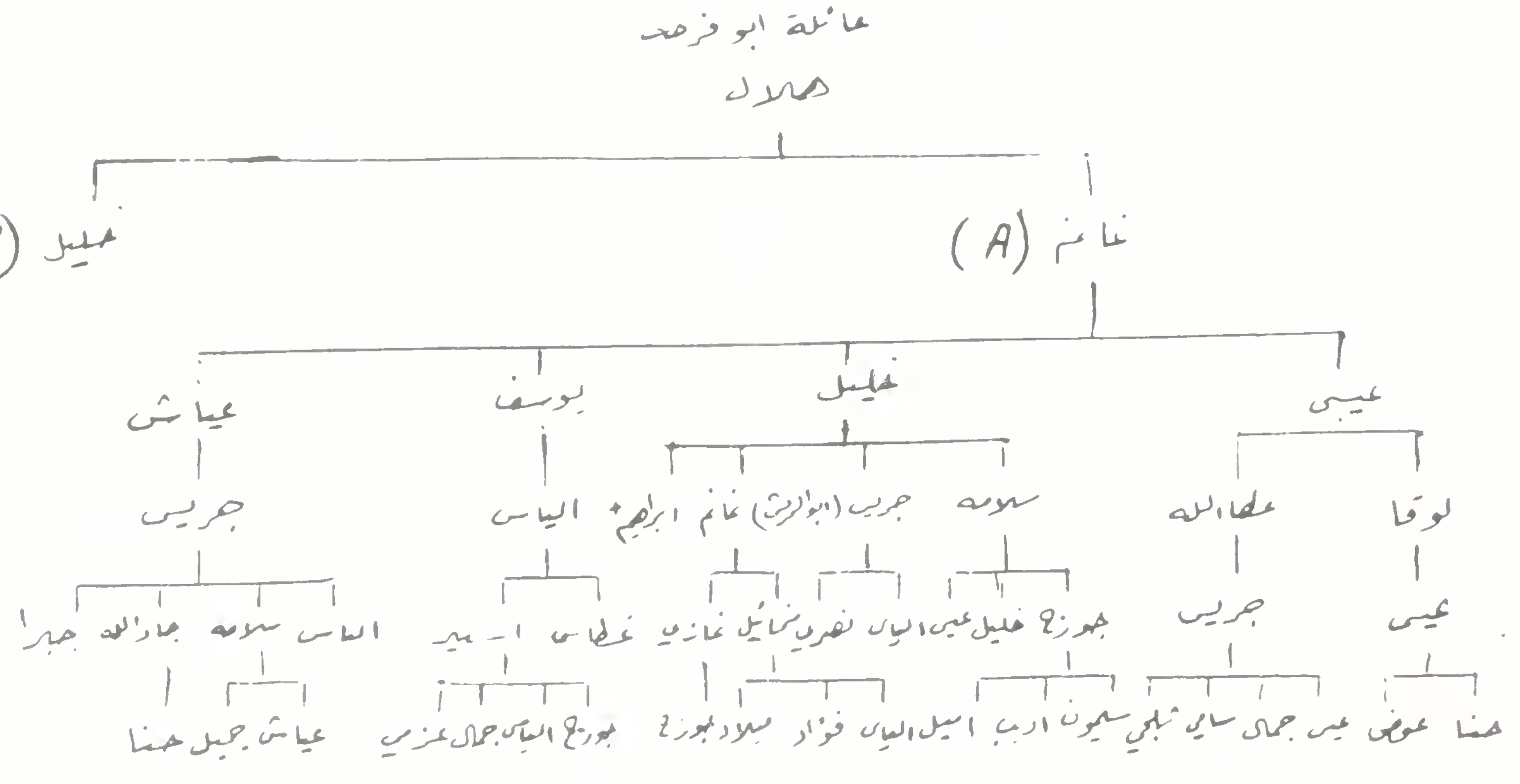

عائلة ابو فرحة
هلال
خليل (B)
غانم (A)
عيسى
خليل
يوسف
عياش
جريس
لوقا
عطاالله
الياس

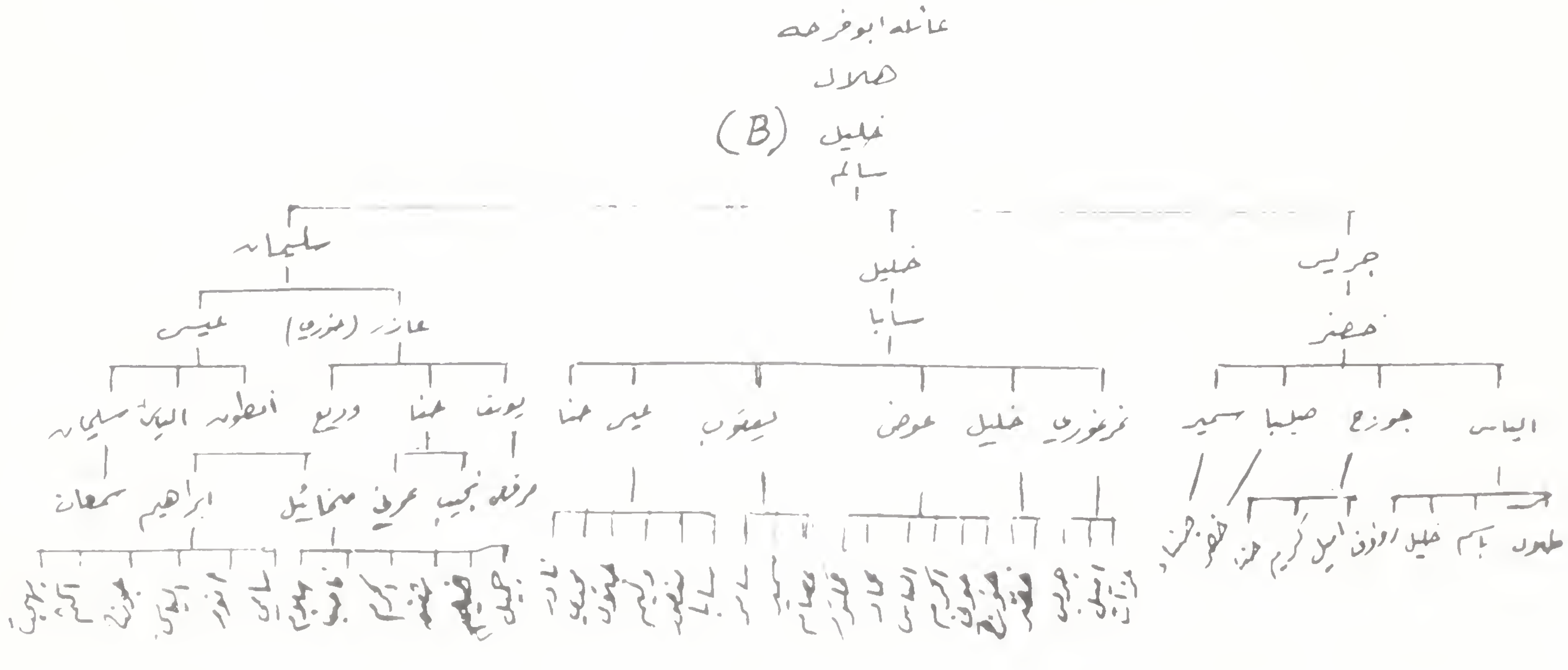

عائلة ابو فرحة
هلال
خليل (B)
سالم
سليمان
خليل
جريس
سابا
خضر
عيسى
يعقوب
عوض
الياس
جورج

عائلة الاطرش

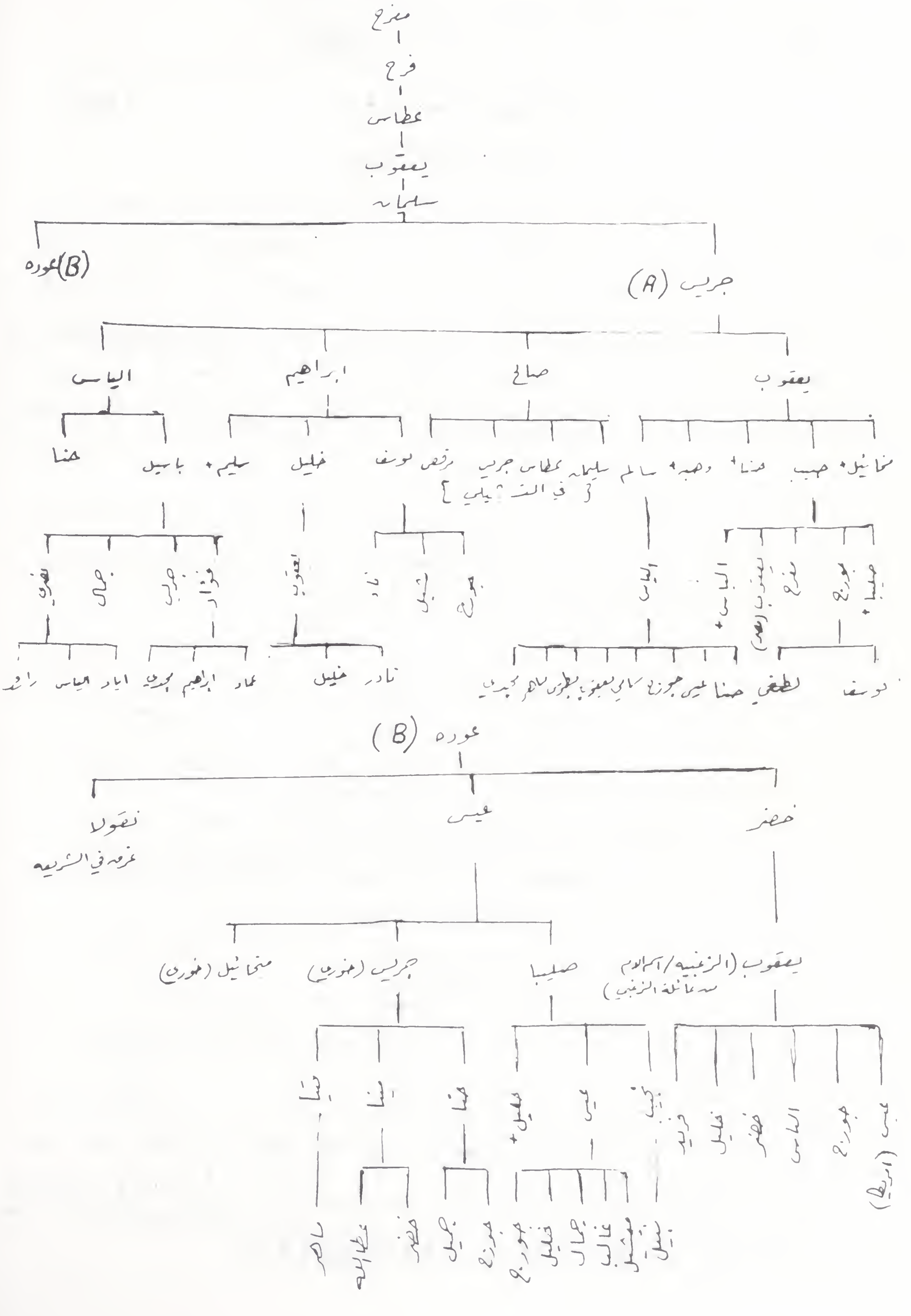

مراجع الكتاب

اشكر وباعتزاز جميع الاشخاص اللذين زودوني بالمعلومات والحوادث وشجرات العائلات لجعل هذا الكتاب جامعا . اما المراجع الاخرى فمنها :

1 — The Historical Geography of the Holy Land. George A. Smith 1968

2 — Biblische Altertümer. A. Kinzler 1877

3 — Landes & Volkskunde Palästina. G. Hölscher. 1907

4 — Die Krankheiten Palästina & Ihre Bekämfungsmölichkeiten Paul Schneller 1923

5 — The Handbook of Palestine. Harry Charles Luke. B. Litt. & Edward Keith-Roach 1922

6 — Geschichte Israel. Martin Noth. 1966

7 — Jerusalem. Kathlen Kanyon P 35. 1968

8 — Ancient Israel. Harry M. Orlinsky. P 44-45. 1967

٩ — التوراة العهد القديم والجديد ١٩٥٠

10 — Gli Antichi Edifici S'acri Di Bethlehem 1952

11 — D'e Heiligen Stättender Evangelien. Clemens Kopp 1959

12 — Palästina Land & Leute. Hermann Guthe 1908

13 — Durch's Heilige Land. P. B. Meistermann 1923

١٤ — المفصل في تاريخ القدس . عارف العارف . ١٩٥١

١٥ — تاريخ فلسطين . عمر صالح البرغوثي وخليل طوطح ١٩٢٣

16 — Jerusalem and Rome. Josephus Flavius. Nahum N. Glatzer 1960

17 — This is the Holy Land. Sheen, Karsh & Morton. 1960

18 — A History of the Crusades. Steven Runciman Vol. 1

19 — Geschishte der Arabischen Welt. F. Taeschner. 1944

20 — Im Banne von Drei Königinnen Band I. George Baumberger 1908

٢١ — تاريخ كنيسة اورشليم الارثوذكسية . شحاده ونقولا خوري

٢٢ — تاريخ الكنيسة الرسولية الارثوذكسية . خليل ابراهيم قزاقيا ١٩٢٤

23 — A Quide to Bethlehem. R. W. Hamilton. 1939

24 — The Church of the Nativity, Bethlehem, R. W. Hamilton. 1947

٢٥ — خطط الشام . التاريخ المدني مجلد ٢ ص ١٢٩

26 — Das Heilige Land Wie eswar und es ist Fr. Valentiner 1868

٢٧ — بلادنا فلسطين . مصطفى مراد الدباغ . ١٩٦٥

٢٨ ـ الفرنسيسكان في الارض المقدسة من ١٣٤٧ ـ ١٩٤٧ م

29 — Reise einer Wienerin in das Heilige Land. Ida Pfeifler 1842

٣٠ ـ علم بيان تاريخ السنين . مخطوط للخورح عيسى فريج . ١٩٠١

٣١ ـ ثورة على الظلم أو حكم الخمسة في بيت لحم . محاضرة للمرحوم عبد الله حنا بندك

٣٢ ـ الساليزيان في بيت لحم . نشرة عن المؤسسة .

٣٣ ـ تاريخ أحداث الحرب العالمية الاولى ١٩١١ ـ ١٩١٦ مخطوط من مكتبة الخوري أندريا عيسى بنوره

٣٤ ـ تقرير اللجنة الملكية لفلسطين . الكتاب الابيض رقم ٥٤٧٩ عام ١٩٣٧

35 — The Six - day War. Randolf Churchel. 1967

٣٦ ـ قصة قمران التي لم ترو بعد جون س. تريفر . ترجمة الدكتور عيسى مصو ١٩٦٥

37 — Petite Chronologie religieuse et Civile de la Terre Sainte, Joseph Steiner 1937

38 — Encyclopaedia Britannice 1962

٣٩ ـ رسائل بيلاطس البنطي مدة حكمه في اليهودية الى صديقه سنكا في روما . عربت ونشرت في جريدة فلسطين . يافا ١٩٤٥ . جمعها الاستاذ و. ب. كروزير بجامعة اكسفورد .

40 — Reise Führer Jerusalem. Polyglott 1963

٤١ ـ المسيحية في القدس . عارف العارف . ١٩٥١

٤٢ ـ ما لا يعلمه الناس من الاوائل العربية . عبد الرؤوف المصري ١٩٤٨

٤٣ ـ فجر الاسلام . احمد امين . ١٩٣٣

٤٤ ـ تاريخ عمر بن الخطاب . الامام جمال الدين أبو الفرج ابن الجوزي . ص ٥ ـ ٦

45 — The Holy Land and the Franciscans P 9. 1961

46 — The Palestine Quide including Trans Jordan. G. Olaf Matson 5th. Edition. 1946

47 — Im Lande der Bibel. Berlin 1969 — 75 مجلة المانية ـ ٤٧

48 — Und die Bibel hat doch Recht. Werner Keller P. 294 - 295 1967

49 — Frühe Stätten der Christenheit. P. 207 - 209. 227 Peter Bamm. 1956

50 — Weltgeschichte in Romanen. Paul Frischauer. 1960

51 — Römische Geschichte. Theodor Mammsen P. 604 - 605 1941

٥٢ ـ مجلة بيت لحم . عيسى البندك ١٩١٩

٥٣ ـ تاريخ العرب مطول . الدكتور فيليب حتي ، الدكتور ادوارد جرجي
الدكتور جبرائيل جبور . ١٩٦١

54 — Bethlehem. Maria Teresa Petrozzi 1971

٥٥ ـ جريدة القدس . شيء من تاريخنا . علي سعيد خلف ١٩٦٩ ـ ١٩٧٣

56 — Die Deutschen und das Heilige Land. Erwin Roth. 1973

٥٧ ـ تاريخ مدينة مادبا . يوسف شويحات العزيزات

٥٨ ـ العالم العربي . الدكتورة نجلاء عز الدين ١٩٥٣

59 — Das Deutsche Kaiserpaar Im Heiligen Lande im Herbs 1898
P. 3, 38, 207 - 224. Berlin 1899

60 — The Crusaders English Edition. Regine Pernoud. P. 89 - 90
143, 190, 213. 1963

٦١ ـ منجد الطلاب الطبعة الثالثة ص ٣٦٩ . ١٩٥٦

62 — Weltgeschichte im Aufriss. Altertum P. 38.

63 — Whose Land is Palestine. Frank H. Epp. P. 95. 1970

64 — Meyers Konversations Lexikon. Bernd 14 P. 110 1876

٦٥ ـ تقرير موجز عن انجازات المجلس البلدي خلال دورته الحالية
١٩٧٢ ـ ١٩٧٦ . بيت ساحور

٦٦ ـ نشرة من بطريركية الروم الارثوذكس المقدسية ، نقل رفات الاب
البار سابا المتقدس من البندقية الى أورشليم ١٣ ـ ٢٦
تشرين الاول سنة ١٩٦٥

٦٧ ـ ترجمة مخطوط باليونانية للراهب نيوفيتوس القبرصي عضو أخوية
القبر المقدس في أورشليم عشرون عاما ١٨٢١ ـ ١٨٤١ من تتمة
تاريخ الكنيسة الارثوذكسية التابعة للكرسي الاورشليمي الكنائسي .

٦٨ ـ تقويم تاريخي دائم للارض المقدسة . الاب يوسف شتاينر

٦٩ ـ كتاب الانس الجليل بتاريخ القدس والخليل تأليف قاضي القضاة
أبو اليمن القاضي مجير الدين الحنبلي جزان ص ٤٠٩ . ٤١٤ ـ
٤١٥ ، ٤٣٣ ، ٦٩٧ ٩٠١ هـ . ١٥٣١ م .

70 — Neue Hochwichtige Emtdeckungen auf der zweiten Palästina fahrt
Prof. Dr Sepp 2 Teile P. 180 1896

71 — The Syrian Orthodox Church in the Holy Land.
Father Yacoub Koriah 1976

فهـرس الكتـــاب

بيـــت لحـــم

موقـع بيت لحم ٣ ، ٣٤
مناخها ٤
آبار الماء ٥
السكان الاقدمون ٦
بيت ايلي لاحاما ٩
برج اربع ١٠
قبيلة لخم ١٠
افراتا ١١
شاوول وداود ١١
العهد الاسرائيلي ١٣
الفلسطينيون ١٣
اليبوسيون ١٤
سليمان ١٥
آشور ١٦
سبي بابل ١٦
كمهام ١٦ ، ٤١
العهد الفارسي والعودة من السبي ١٧
العهد الهيليني ١٨
الهشمونيون ١٨
عهد الرومان ٢٠
هيرودس ٢٠
البارثيون ٢٠
ميلاد المسيح ٢٢
التاريخ المسيحي ٢٣
بيت لحم في عهد الرومان ٢٤
هادريان ٢٤
بتير ٢٥
سيمون بركوخبا ٢٥
العهد البيزنطي ٢٦
قسطنطين الكبير ٢٩
تشييد كنيسة الميلاد ٢٧
هيروفيموس ٢٨
باولا وايستوخيا ٢٩
ثورة السمرة ٣١
غزو الفرس ٣٣
الفتح العربي ٣٥
عمر بن الخطاب ٣٥
الملاحقات الدينية ٣٥
العهدة العمرية ٣٦
هرون الرشيد ٣٧
الحاكم بامر الله ٣٩
الحروب الصليبية وبيتلحم ٤١
صلاح الدين ٤٧
المماليك في بيت لحم ٥٠
عهد العثمانيين ٥٦
السلطان سليم ٥٦
تأسيس طائفة اللاتين في بيت لحم ٥٩
قلعة مراد الرابع ٦٣
نابوليون في فلسطين ٦٥
احمد الجزار ٦٥
ابرهيم باشاوالثورة الاهلية ٦٥
حرب القرم ٦٩
وصف لبيت لحم عام ١٨٤٢ ٦٩
تطور بيت لحم في العهد العثماني ٧١
الخمسة في بيت لحم ٧٢
معهد انطونيو بيلوني ٧٦
الحرب العالمية الاولى ٨٢
عهد الانتداب البريطاني ٨٦

تطور بيت لحم في العهد
البريطاني ٨٧
مخطوطات قمران ٩١
مدرسة شنلر في بيت لحم ٩٣
تقسيم فلسطين ٩٤
اللاجئون ٩٤
بيت لحم في عهد الاردن ٩٤
روؤساء بلدية بيت لحم ٩٩
الاماكن المقدسة والاثرية
في بيت لحم ١٠١
كنيسة الميلاد ١٠٨
مغارة الميلاد ١١٢
مغارة الحليب ١١٧
مار يوسف ١١٨
آبار داود ١١٩
قبر راحيل ١٢٠
جرون الحمص ١٢٣
الطنطور ١٢٣
مار الياس ١٢٥
بئر قادسمو ١٢٦
الرهبنات في بيت لحم ١٢٨
طائفة السريان ١٣٣
الروم الكاثوليك ١٣٤
الطائفة الانجيلية ١٣٥
سكان وحارات بيت لحم ١٣٨
عدد سكان بيت لحم ١٤٥
هرمان جمانير ١٤٨
بيو لاجي ١٤٨
جامعة بيت لحم ١٤٨
قرية اطفال بيت لحم ١٤٨
خشب الزيتون ١٤٩
الصدف ١٤٩
صورة اقتصادية لبيت لحم ١٥٠
مدارس المدينة ١٥١
النشاطات الاجتماعية ١٥١
الصحافة ١٥٢
البسة وعادات اهالي بيتلحم ١٥٣
الاحتفالات الدينية ١٥٥
المياه في منطقة بيت لحم ١٥٨
غابات وطيور وحيوانات البلاد ١٦٧

بيت جالا

جاليم وجيلوه ١٧٣
خربة جالا ١٧٣
قبر راحيل ١٧٤
القديس نقولا ١٧٥
بئر عونة وبئر سنحاريب ١٧٦
النبي جدعون ١٧٦
دير الروم ١٧٧
طائفة اللاتين ١٧٧
الطائفة الانجيلية ١٧٨
سكان بيت جالا ١٨٠
حارات بيت جالا ١٨١
ابرهيم باشا ١٨٦
بلدية بيت جالا ١٨٨
النشاط الاجتماعي ١٩٠
المعاهد العلمية ١٩٣
عدد سكان بيت جالا ١٩٥
لباس الاهلين ١٩٦
مصادر المياه ١٩٧
مدافن المدينة ١٩٧
تطور المدينة ١٩٨
دير كريمزان ٢٠٠
دير مار حريس ٢٠٠

بيـت ساحـــور

الموقع والتسمية	٢٠٢
الاثار فيـها	٢٠٢
برج ايدر	٢٠٦
صير الغنم	٢٠٧
دير الرعاه	٢١٠
بيت ساحور البوم	٢١٥
سكانـها وعددهم	٢١٥ ، ٢١٩
اول بيت فيـها	٢١٦
عين وقيس	٢١٧
استقرار السواحرة	٢١٨
طوائف البلدة	٢٢١
المنازعات الطائفية	٢٢٨
بيت ساحور الحديثة	٢٢٩
تطور البلدة	٢٣٢
رؤساء بلدية بيت ساحور	٢٣٥
جمعية الشبان المسيحيين	٢٣٦
مشروع الاسكان	٢٣٦
دير ثيوذوسي	٢٣٦
العبيدية	٢٣٧
دير مار سابا	٢٣٨

تاريخ

بيت لحم * بيت جالا * بيت ساحور

« أفراتا »

المؤلف

الدكتور توما بنوره